

جمع وتحقيق ودراسة
الدكتور سهيل زكار

نشر وتوزيع
دار حسان
للطباعة والنشر



أخبار القرامطة

في

الأحساء - الشام - العراق - اليمن

الطبعة الثانية

مزيدة و منقحة

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

نشر وتوزيع

دار حسان

للطباعة والنشر



تصنيف

ثابت بن سنان بن قرة الصابئ وآله - علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي

الداعية الإسماعيلي أحمد بن إبراهيم النيسابوري - داعية إسماعيلي قديم مجهول

القاضي عبد الجبار الهمذاني - ناصر خسرو - محمد بن مالك اليماني

عبد الرحمن بن الجوزي - علي بن ظافر الأزدي - الصاحب كمال الدين بن العديم

أحمد بن عبد الوهاب النويري - أحمد بن علي المقريزي - علي بن الحسن الخزرجي



الإهداء

إلى ولدي مصطفى

هذه أخبار سلف ثاروا فأخفقوا

لأنهم رفضوا التراث فلكن ثورياً تراثياً

سهيل



بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل الى تاريخ القرامطة

لاقى تاريخ القرامطة في العصر الحديث وما زال عناية كبيرة من قبل عدد كبير من الباحثين، وقد كثر عدد العرب بينهم في الآونة الأخيرة، ومع أن هذه العناية أمر يبعث على الارتياح ، إلاّ أنه من الملاحظ أن بعضاً من الانحراف قد ألم ببعض الكتابات ، خاصة العربية منها ، فقد أراد بعض الكتاب « عصرنة حركة القرامطة » بجعلها تشبه بعض حركات عصرنا الذي نعيشه ، يضاف الى هذا أن بعض الكتاب بحث في تاريخ القرامطة اعتمادا على المشهور المتيسر من المواد الإخبارية ، واقتصر على معالجة أحداث العراق والشام وأخيراً دولة الأحساء .

لا شك أن في هذا تقصير ، إذ ينبغي على الباحث الالتزام بالتعليل التاريخي حسب معطيات عصر الحادثة ، وليس حسب متطلبات العصر الحاضر ، فصرخة احتجاج ونداء بالمساواة في عصر كان فيه الانسان يباع ويشرى، تعدل ، إن لم تفق، كل أصوات ثوار الحركات الاجتماعية في أيامنا هذه ، ثم ان قواعد البحث التاريخي تقضي على الباحث التقصي في عمله والتفتيش عن مصادر مهملة ، مع تقديم رؤى جديدة تحليلية للنصوص المتوفرة ، ولنتذكر هنا أن خزائن الكتب العربية ما تزال تحوي عدداً غير معروف من كتب التاريخ ومصادر الماضي ، فيها ما يزيل الحجاب عن كثير من الأمور ، ويساعد على رسم صورة للماضي العربي أكثر وضوحاً واشراقاً ، ولا شك أن معرفة الماضي بشكل أصح ، يساعد كثيراً على فهم الحاضر ومن ثم التخطيط للمستقبل ، ونزيد على هذا أن

نشاط القرامطة لم يقتصر على الشام والعراق والأحساء ، بل انتشر في اليمن أيضاً .

إن دراسة تاريخ قرامطة اليمن ليس فيه اضافة فصل جديد للتاريخ العام لهذه الحركات فقط ، ولكنه يفتح باباً جديداً في البحث عن أصل القرامطة ومنشأ دعوتهم ، ففي الماضي ذهب الباحثون الى جعل العراق مهد القرمطة ، ودار نشأتها ، وقد اعتادوا الربط بينها وبين الدعوة الاسماعيلية ...

لا شك أن البحث هنا يوجب علينا أولاً التعرف الى تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، أو بالحري تاريخ الدعوات الاسماعيلية، والبحث في تاريخ الاسماعيلية يحتاج بدوره الى البحث في قيام التشيع وتطور حركاته .

لقد واجه المسلمون أولى أزماتهم يوم وفاة النبي ﷺ ، فقد سبقت وفاته إصابته ﷺ بمرض ألزمه الفراش ، وجعل غالبية المسلمين يشعرون بالقلق ودنو المخاطر ، وبدأ الناس يتساءلون عن المستقبل ، ويطرحون مشكلة الحكم والزعامة بعد غياب النبي ﷺ ، ويبدو أن صدى هذه التساؤلات والأبحاث قد وصل الى النبي ﷺ ، وهنا تذهب بعض الروايات الى أن النبي ﷺ أراد ايجاد حل ، عن طريق كتابة وصية ، لكنه لم يتمكن من رغبته هذه ، وتذهب روايات أخرى الى أنه لم يفعل ذلك ولم يفكر به ، لأن الحل كان هناك . فهو ﷺ لم يكن حاكم الأمة الاسلامية ولا مشرعها بالمعنى المتعارف عليه للحكم ، بل كان رسول الله، والله هو الحاكم المشرع عند المسلمين ، والله اختار نبيه وأوحى اليه بجميع ما احتاج اليه العباد ، ولهذا لم يكن وارداً بالأصل لدى النبي ﷺ تسميه حاكم من بعده ، ثم إن منطق التاريخ وقواعد الاسلام هي ضد قيام أسرة حكم مقدسة ، على أساس ان في تسمية النبي ﷺ

لرجل يتسلم السلطة من بعـده تشريع لا تجوز مخالفته ، بل له صفة الديمومة ، وهو توريث لجزء من النبوة ، والانبياء لا يورثون والنبي محمد ﷺ هو آخر الأنبياء وخاتم الرسل ...

ولا بأس هنا من الاشارة الى الادعاءات التي تقول: ان النبي ﷺ لم يكتب وصية ولم يفكر بكتابة وصية يوم مرضه الأخير ، لأنه سبق له أن أوصى تلميحاً وحتى تصريحاً بالسلطة من بعده لابن عمه علي بن أبي طالب ، وجعله وصياً على المسلمين وراعياً لتنفيذ شريعة الله ، وأنه ﷺ خشية منه أن يقف البعض ضد علي ، فيحول دونه ودون تسلم سـدة الوصاية، قام قبل وفاته بتشكيل جيش كبير أوكل قيادته لاسامة بن زيد، وجند فيه كبار الصحابة جميعهم ، فيما عدا علي بن أبي طالب ، وأمر أن يتوجه هذا الجيش نحو الشام ، وبعودة هذا الجيش يكون النبي ﷺ قد توفي ، وعلي قد تسلم مقاليد الامور ، لكن هذا الجيش لم يتوجه مباشرة الـى حيث أمر ، بل ظـل يسوف ويدافع الوقت حتـى توفي النبي ﷺ ، فقـام بعض جنوده : « أبو بكر ــ عمر ــ أبو عبيدة » بالاستيلاء على السلطة مستغلين انشغال علي وآله في غسل النبي ﷺ وتجهيزه .

هذا ما تورده المصادر الشيعية ، خاصة الاسماعيلية منها ، ونجده عند القاضي النعمان في « الارجوزة المختارة » وعند غيره ، وتربطه هذه المصادر بأبحاث مستفيضة حول قضية الإمامة واستمراريتها دون انقطاع منذ الخليقة وحتى نهاية الحياة .

هذا الربط يساعدعلى نقد هذه الرواية، ويدعم الروايات التاريخية الاخرى عن مجريات الأمور ، لأن القول باستمرارية الإمامة صار بعدما

نشأت فكرة الإمامة وتطورت خلال مالا يقل عن قرنين من الزمن ، تم خلالهما الاطلاع على العديد من الديانات والفلسفات فاستعير الكثير الكثير منها •

كل ما في الأمر أنه عندما توفي النبي ﷺ ، سارع أهل المدينة من الانصار ــ من الأوس والخزرج ــ الى الاجتماع خارج المدينة في مكان عُرف باسم سقيفة بني ساعدة ، وقرروا اختيار سعد بن عبادة أميراً ، وما أن علم أبو بكر بخبر وفاة النبي ﷺ وتأكد منه وباجتماع الأنصار حتى أسرع بالتوجه نحو سقيفة بني ساعدة مصطحباً معه صاحبيه عمر وأبي عبيدة عامر بن الجراح •

وفي السقيفة استطاع أبو بكر اقناع الأنصار ، وجعل اجتماعهم يرفضّ دون تحقيق ما تمناه البعض، بل على العكس من ذلك تم في اجتماع السقيفة كما هو معلوم اختيار أبي بكر لزعامة الأمة ، وساعد على ترسيخ هذا الاختيار تلاحق الأحداث وتطور الأمور •

فقد كان أبو بكر منذ اسلامه « ثاني اثنين » في الأمة الاسلامية ، واليه أوكل النبي ﷺ إمامة الصلوات أثناء مرضه ، ثم كان قرشياً له مكانته السامية ، ولديه كل المؤهلات للقيام بواجبات المسؤولية التي ألقيت على عاتقه •

ودون التوسع في هذا المجال ، محيلاً القارىء الكريم على كتابي «تاريخ العرب والاسلام» و«مائة أوائل من تراثنا» • يكفي أن نذكر أنفسنا بأن تجهيز الميت لا يحتاج الى أيام ثلاث ، فمن المعلوم أن وفاة النبي ﷺ حدثت يوم الاثنين وتم دفنه يوم الاربعاء ،كل مافي الأمر أنــه عندما توفي ﷺ كان الذكور من أسرته ــ بني هاشم ــ قليلو العدد ، قوامهم

علي وعمه العباس ، ولم يكن هناك وفاق بين الاثنين، وكان علي ما يزال شاباً في مقتبل العمر بدون تجربة سياسية ، وبدون شعبية كافية وأعوان لهم مكانتهم بين المهاجرين وسواهم •

لقد تمت بيعة الصديق ، فأرسى قواعد مؤسسة الخلافة ، وقضى على الردة وشرع في أعمال الفتوحات الكبرى ، وبعد عامين توفي ، فخلفه من بعده ــ بناء على وصيته ــ عمر بن الخطاب ، الذي كان منذ يوم اسلامه ثالث ثلاثة في سلم الزعامة لدى المسلمين[1] ، وقام الفاروق بأعباء الخلافة خير قيام ، وفي عصره تمت انجازات رائعة في جميع المجالات ، وكانت علاقته بعلي بن أبي طالب ممتازة ، لعل أفضل شاهد عليها زواجه من إحدى بنات علي من فاطمة الزهراء •

لقد كانت مشكلة الحكم واختيار الخلفاء من مشاغل عمر ابن الخطاب الرئيسية ، وقد سعى لوضع خطة دائمة يتم على أساسها اختيار الخلفاء ، فقد رأى أن الخلافة حق محصور في قريش ، ولا يجوز لغير قريش ، ويبدو أنه أيضاً رأى أن عشرة بيوت من قريش هي التي يجوز اختيار الخلفاء منها ، ومثّل هذه البيوت أبرز الصحابة الذين عُرفوا بالعشرة المبشرين بالجنة ، ثم إنه رأى أن الخلافة لا يجوز تناوبها في البيت القرشي الواحد ، فاذا مات الخليفة لا يجوز أن يكون الجديد من بيته حتى وإن كان المرشح هو الأفضل ، وهنا يقتضي الحال اختيار المفضول مع وجود الأفضل •

ويمكن أن نرى ملامح هذه الخطة وأسسها العامة في وصيته يوم

---

(١) أورد ابن عدي في كتابه الكامل في الضعفاء ــ نسخة الظاهرية ص٢٩٤ ــ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب : « أنت معي في الجنة ثالث ثلاثة من هذه الامة » •

طعن ، وفي قيام ما يعرف باسم « شورى الستة » ، فبعدما توفي عمر اجتمع الباقون من الصحابة المبشرين بالجنة ، وكان أبرز المرشحين بينهم كل من علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان ، وبعد جدل طويل تم اختيار عثمان بن عفان لمنصب الخلافة .

وهكذا أُبعد علي بن أبي طالب مجدداً عن زعامة الأمة ، والأمر المثير للانتباه هنا أن جل قوى المهاجرين والأنصار من أهل المدينة أيدت اختيار عثمان ، لكن أصوات عدد من الرجال تجمعوا منذ أيام النبي ﷺ حول علي جاهرت الآن ولأول مرة في تاريخ الاسلام بمعارضة اختيار عثمان وابعاد علي ، مما يوحي أن هذا التجمع أخذ يتحول الى شكل حزب للمعارضة ، وفي أيام عثمان ازداد عدد أفراد هذا الحزب وعظم دورهم المعارض .

وتسلم عثمان منصب الخلافة ، وكان آنئذ شيخاً ، فيه طيبة نفس وكرم وثبات ، وحب وأثرة لآله من بني أمية ، ويمكن أن نقسم عهده إلى قسمين : الأول كان حكمه فيه عبارة عن استمرار طبيعي لعصر عمر بن الخطاب ، والثاني : عصره هو، وهذا العصر كان من حيث الواقع نهاية للعصر الراشدي ، وبداية لعودة بني أمية مع الأرستقراطية إلى زعامة العرب والدولة الجديدة ، كل ذلك رغم الهزيمة التي حلت بهذه الأرستقراطية يوم فتح مكة وانتصار الاسلام ومبادئه ، وعودة الأرستقراطية الأموية بعد هزيمتها كانت نكسة كبرى ، وضربة عظمى وجهت لثورة الاسلام ، ومن المدهش حقاً أن الأمويين في مستقبل الأيام عندما فقدوا الحكم ، فقدوه لصالح العباسيين ، الذين كان جدهم ينتمي إلى الأرستقراطية المالية لمكة فقد أسلم مع أبي سفيان في يوم واحد ، ومناسبة واحدة .

بدأ القسم الثاني من عصر عثمان حين عزل ولاة عمر وعماله ، وعين بدلاً منهم جماعة من أقربائه وذويه من بني أمية ، وتسلط الأمويون بشكل صريح على مقاليد الأمور في الدولة المترامية الأطراف ، وقاموا تبعاً لذلك بتجاوزات كبيرة ، كما انطلق الصحابة كباراً وصغاراً نحو البلاد المفتوحة ، وبدأت الفتوحات تعطي ثمارها وتكونت الثروات عن طريق الاستثمارات التجارية والزراعية وغير ذلك .

وأمام هذه الأحوال المستجدة ارتفعت أصوات الاستنكار والمعارضة في كل مكان ، إنما بشكل سلمي ناقد ، وحدث أن قام عثمان بجمع ولاية الشام لمعاوية بن أبي سفيان ، ثم قام بعد فترة بإلحاق ولاية الجزيرة به ، فأدى هذا الالحاق إلى خلل مريع ، حيث زالت أداة الفصل والوصل والتوازن بين العراق والشام ، وحرم أهل الكوفة من استقلالهم ومواردهم ومجال نشاطهم .

لا ريب أن هذا الكلام يحتاج إلى شرح وتعليل ، ونحن نرى أن أصل القضية يمكن أن يظهر من استعراض حوادث تاريخ ما قبل الاسلام ، ثم فيما جرى إثر الفتوحات الكبرى في الشام والعراق . فمن المعلوم أن أرض الجزيرة كانت عبر التاريخ مسرحاً للصراع بين الدول والامبراطوريات التي قامت شرقي الفرات ، وبين دول الشام أو الامبراطوريات التي تحكمت بهذه البلاد ، فأرض الجزيرة شهدت حروب الاسكندر المقدوني ضد الفرس والأيام بين الغساسنة والمناذرة، وانتصار هرقل سنة ٦٢٧م ، على الفرس وغير ذلك الكثير من المعارك ......

وكان العرب الفاتحون للشام والعراق قد عسكروا إثر كل من

معركتي اليرموك والقادسية في كل من الجابية في الشام ــ على بعد ٢ كم من بلدة نوى في حوران ــ وفي البصرة المؤسسة حديثاً في العراق ، وإثر مؤتمر الجابية الذي حضره عمر بن الخطاب ــ سنة ١٧هـ/٦٣٨م ــ قام هــذا الخليفة العبقري بادخال تعديلات أساسية علــى استراتيجية الفتوح والادارة لدى العرب ، فألغى جيش شرحبيل بن حسنة الشامي ، وأذن بتأسيس معسكر جديد في العراق هو الكوفة ، وأوجد اقليــم الجزيرة ليكون واصلاً فاصلاً بين الشام والعراق ، وألحق هذا الاقليم بالكوفة ، وهكذا عهد إلى جند البصرة بشؤون فتح خراسان والمشرق ، وإلى جند الجابية ببلاد الامبراطورية البيزنطية ، وإلى جند الكوفة بالأقاليم الواقعة خلف أراضي الجزيرة بدءاً من أرمينية الصغرى أو الدنيا ، كما عهد إلى جيش عمرو بن العاص بعــد انجاز فتح القدس بالتوجه الى مصر حيث سيقوم بتأسيس معسكر الفسطاط بعــد فتحه لأرض الكنانة .

إذن بدأت الكوفة تشهد قيام معارضة فوضوية فردية ثم جماعية منظمة لحكم عثمان ، وجاءت المعارضة في البداية على شكل نقد لسلطان دولة عثمان ثم ما لبثت أن ارتدت دثار العنف ، وأثناء هــذا كله برز علي بن أبي طالب على رأس جماعة المسلمين في المدينة وتصدر شخصياتهم ، وصار الناس ــ وخاصة رجال المعارضة ــ يفرون إليه ويلجأون له عند احتدام الأزمات ، ورأى فيــه بعض جند الأمصار وخاصة من أهــل الكوفة ، الرجل الذي على يديه يمكن تجاوز الأزمات ، وبقيادته تمكن العودة إلى الصراط النبوي المستقيم .

وتحولت المعارضة في الكوفة من حركة سلمية إلى عصيان مسلح تطور إلى ثورة منظمة ذات مبادىء وأهداف ، وذلك ضمن مسلسل من

الأحداث ليس هذا بمكان عرضها ، ويكفي القول بأن هـذه الثورة فتشت عن زعامة قرشية لقيادتها، فوجدت ضالتها في شخصية علي بن أبي طالب، ولهذا فإنه بعدما قتل عثمان على يد ثوار جاء غالبيتهم من الكوفة، تمّ اختيار علي بن أبي طالب خليفة جديداً .

لقد كانت التركة التي ورثها علي ثقيلة جداً ، فقد وجد نفسه أمام عدد لا يحصى من المشاكل ، وعلى رأس جماعة من الثوار ، جاؤوا من بلد لم يزره قط من قبل ، وقادوا ثورة لم يخطط لها أبداً ، ولم يكن من المشاركين في تفجيرها ووضع مبادئها بشكل مباشر .

وحين جاء اختيار علي للخلافة لاحظ أن غالبية أهل المدينة مع أكثر أهل الحجاز ليسوا معه ، بل هواهم مع عائشة أم المؤمنين ، والزبير ابن العوام ، وطلحة بن عبيد الله . وعندما توجهت عائشة نحو البصرة ، ترك هو الحجاز وذهب الى الكوفة .

عندما حدث هذا كله ، كان واقع الحال في الدولة العربية كما أشرنا سابقاً يبدو في أن جند الفتوحات في آسيـة كانوا متمركزين في ثلاث معسكرات رئيسية هي : الكوفة والبصرة والجابية ـ دمشق ـ ، وكان كل معسكر من هـذه المعسكرات لديه مطامع للاستيلاء علـى مقاليد السلطة في العالم الاسلامي ، أو على الأقل الانفراد بالاراضي التابعة كل لمصره على حدة .

كان معسكر الشام في الجابية أكثر المعسكرات تماسكاً وأقلهـا مشاكلاً ، وكان على رأسه معاوية بن أبي سفيان ، الذي كان أبوه من سادات الجاهلية وهو الآن يطمح أن يكون سيد أهل الاسلام، ومعروف أن معـاوية هو المؤسس الفعلي لمعسكر الشام وسيـده منذ بدايـة الفتوحات .

وكان معسكر الكوفة أقل المعسكرات الثلاث تماسكاً ، فقد كان في طور النشوء وبناء القواعد، لم يكن في الكوفة مجتمع واحد متماسك بل كان هناك فئات من العرب الذين هاجروا قديماً مع مهاجرين جدد ، والى جانب العرب كانت هناك أيضاً جماعات من سكان العراق المحليين ، وأعـداد كبيرة من أهل الاقاليم المفتوحة من ايران وخراسان ، وعليه يمكن أن نشبه مجتمع الكوفة ببركان دائم الجيشان يقذف حممه المحرقة في كل اتجاه .

وكـان مجتمع البصرة يشبه مجتمع الكوفة إلى حـد ما ، لكن استقراره وتماسكه كان أفضل ، وحجمه كان أدنـى ، وبالتالي كانت مشاكله أقل .

وبعدما وصل علي إلى الكوفة جرت محاولات للحوار بين معسكره ومعسكر عائشة ، باءت كلها بالفشل ، وآلت الأمور إلى الصدام في معركة الجمل ، حيث انتصر علي ، وأُسرت عائشة ، وقتل كل من الزبير وطلحـة .

لقد دخل معسكر الكوفة معركة الجمل شبه موحد ، وعندما خرج منها منتصراً صار سيداً للسياسة في غالبية بقاع الاسلام ، وهنا كانت بداية مشاكله ، فقد كان سهلاً على هذا المعسكر أن يتدخل في السياسة، لكن هذا هيأ السبل للسياسة أن تدخل اليـه ، وكان لديـه إمكانات التمزق ، لذلك بدأت السياسة تفتت قواه وتشلها عن الحركة .

وكما هـو معلوم فإن الاسلام قـام على فكرة المزج بين المفاهيم الدينية والدنيوية وحدث في الجمل أن أوجد علي بن أبي طالب شرعة قتال أهل القبلة وحظر بموجبها على أتباعه أخـذ الأسرى والغنائم ،

واعتبار المهزومين كفاراً أو مرتدين ، وبعد العودة من الجمل احتج على أوامره هذه بعض الجند ، قائلين : كيف أبحت لنا الدماء وحظرت علينا الأموال ؟ وهكذا تفجر بين أهل الكوفة صراع فكري مخيف أخذ يطرح مشاكل الكفر والإيمان ، ومع الأيام نما هذا الصراع نمواً خطيراً للغاية ، وأسهمت فيه عناصر كثيرة متعددة ، واختلط مع الصراع الذي كان الاسلام يخوضه ضد العقائد والديانات التي هزمت أثناء الفتوحات ، وأخذ المتصارعون يقبلون على استيراد الأفكار المساعدة على إثارة الجدل والنقاش ، وكان هذا كله بداية الانقسامات الخطيرة التي ألمت بجماعة المسلمين .

ودون الدخول في كثير من التفاصيل ، وخاصة القضايا اللاهوتية منها ، نختصر القول بأن علي تمكن من قيادة أعوانه نحو الشام بكل صعوبة ، وهؤلاء عندما عسكروا في صفين أقبلوا على القتال بنفوس مدبرة ، لهذا انتهى أمر صفين دون نتيجة عسكرية حاسمة ، وعاد علي أدراجه نحو العراق ، وقد ظهرت آثار الانقسامات الخطيرة في جيشه وتجلت بخروج الخوارج .

ولم يطل الحال بعلي حيث تم اغتياله ، وأخفق من بعده ابنه الحسن في الاحتفاظ بالسلطة ، فتنازل لمعاوية بن أبي سفيان ، الذي صار الآن سيد العالم الاسلامي ، ومؤسس أول أسرة ملكية في تاريخ الاسلام ، وكان لذلك ردات فعل عنيفة للغاية ، ومن يقرأتاريخ الحكم الأموي يشاهد أن هذا الحكم لاقى صنوفاً من المعارضة الكبيرة الدائمة .

لقد كان العراق المتضرر الأكبر من استيلاء الأمويين على السلطة ، ولهذا تجمعت فيه غالبية عناصر المعارضة ، وكان معظم هذه الغالبية من أهل الكوفة عاصمة علي بن أبي طالب ، ومنذ البداية اختار أهل الكوفة

لزعامتهم الحسن بن علي بن أبي طالب ، ومع الأيام انتظمت أمور المعارضة ، وعبر عدد من الحوادث والأزمات أخذت تتحول من حركات سياسية ترى أحقية أسرة محددة في السلطة إلى حركات دينية سياسية .

لقد كان لعناصر المعارضة هذه عدة جولات مع السلطان الأموي ، كان أهمها فاجعة كربلاء ، التي قدمت حصاداً لم ينقطع ، وكان أبرز ثمرات هذا الحصاد حصر الزعامة السياسية لمعارضة الكوفة في آل علي بن أبي طالب ، وأخذ هذه المعارضة اسم الشيعة ، ففي العربية شيعة فلان : أصحابه ومؤيدوه ، وشيعة علي : حزب علي ، وهي عبارة صارت فيما بعد مقتصرة على لفظة « شيعة » فقط ، وكان من ثمرات هذا الحصاد أيضاً ثورة التوابين التي نشهد فيها بداية التحول في حزب الشيعة من حزب سياسي محض الى حركة دينية ، وبعد التوابين خطا المختار بن أبي عبيد الثقفي في هذا المجال خطوات واسعة للغاية ، كما أن حركته سجلت بداية الانشقاقات في صفوف الشيعة وتحول حزبهم الى مجموعة من الفرق ، ليست ممزقة الصفوف فقط بل متصارعة أيضاً .

كما كان من حصاد كربلاء أيضاً أن زعامة غالبية الشيعة أخذت تنحصر في أبناء السبط الثاني للنبي ﷺ الحسين بن علي بن أبي طالب .

وكان معاوية بن أبي سفيان عندما استولى على السلطة في الدولة الاسلامية استولى معها على لقب أمير المؤمنين ، وحيث أنه حاز السلطة بقوة السلاح ، فقد قامت السياسة الأموية على قاعدة شرعية السلاح . والقول إن هذا كله ما كان ليتم إلا بقضاء الله وقدره ، وهو ما سيعرف بعد باسم الجبرية .

ولقد حدثت تجاوزات كبيرة في العصر الأموي واغتصبت حقوق

وانعدمت قواعد المساواة بين جماعات المسلمين ، وأخذت عناصر المعارضة تنادي بالعدل ناقضة لأفكار الجبرية ، وسيعرف هؤلاء فيما بعد باسم القدرية أو أهل العدل ، وسنراهم مع آثارهم بشكل واضح في فرق الشيعة والمعتزلة .

وقالت فرق المعارضة بأن حق آل علي بالسلطة قائم على وصية النبي ﷺ لأبيهم وعلى شرعة الميراث ، وأن الخلفاء من بني أمية حين استولوا على السلطة استولوا على الجانب الدنيوي منها فقط ، ولم يستطيعوا انتزاع الجانب الديني من الميراث النبوي ، ودعي هذا الجزء من الميراث باسم الإمامة .

يقول الله تعالى في القرآن « كنتم خير أمة أخرجت للناس » أي كنتم خير أصحاب دين أخرج للناس لأن الأمة هم أصحاب دين ، ولهذا أخذ الشيعة يطلقون على زعيمهم لقب الإمام ، هذا من جهة ومن جهة ثانية حين تتحدث الاخبار عن سيرة علي بن أبي طالب ، تجعل من صفاته الاساسية ومزاياه التي تميز بها الشجاعة والعلم ، فهو ربيب بيت النبوة نشأ مسلماً ونهل من علم النبوة ما لم ينهله سواه ، حتى قيل بأن النبي ﷺ قد باح له بعلوم لم يطلع عليها سواه .

ومع الأيام غدت الإمامة ، ذات العلم الموروث ، محور العمل الشيعي ، وأغنيت فكرتها ، وزودت بكثير من المعاني والصفات بفضل التطور الثقافي والحضاري والسياسي الذي ألم بالمجتمع الاسلامي ، واستعير لها الكثير من المعاني والصفات والتجارب من تراث الديانات السماوية وغير السماوية ومن الافلاطونية المحدثة والغنوصية وحكمة الشرق الاقصى .

والمعروف أن حركة التشيع بدأت حركة عربيـــة اسلامية محضة ، لكن ما لبث أن دخل إليها غــير العرب ، خاصـــة من سكان أراضـــي الامبراطورية الساسانية المنهارة ، ولقد جاء هذا الدخول في كثير من المناسبات نوعاً من أنواع المعارضة الأعجمية للعروبة والاسلام ، وعانت فئات في حركة التشيع في ذات الوقت من تسرب الكثير من الأفكار والعقائد الغريبة إليها ، مما أدى بها إلى التمزق والانقسام وأدى هذا إلى معاناة هذه الفئات من التنكيل الأموي والقمع الدموي ، كما أدى إلى مزيد من الانقسامات داخل الحزب الشيعي وظهور فرق جديدة ، وتورطت بعض الفرق الجديدة هــذه في ثورات آلت إلى الاخفاق والدمــار ، وسبب هذا استيراد المزيد من الأفكار المتطرفة والغريبة ، ولعــل أهم هذه الثورات كانت ثــورة الامام زيد بن علي في عصر هشام بن عبد الملــك .

وللإنصاف العلمي فإننا نلاحظ أن أعمال الملاحقة أو التنكيل الأموية لم توجه ضد البيت الهاشمي بالأساس بل ضد حركات متطرفة أظهرت عداءاً واضحاً أو باطنياً للعروبة والاسلام ، صحيح أن الحكم الأموي قام بالأصل على القاعدة العربية والتعصب لها ، إلا أنــه من الملاحظ أن الأمويين منذ العهد المرواني وضعوا الخطط لتعريب أمم دولتهم وشرعوا في تنفيذها ، ففي أيام عبد الملك بن مروان تمت أعمال تعريب الادارة والاقتصاد ، وأخذت علامات الاندماج بين العرب الفاتحين وســكان خراسان تظهر ، وأقبل الخراسانيون على الدخول في الاسلام ، كما أقبل عليه سواهم في مناطق أخرى من أراضي الدولة الشاسعة .

وكان العرب حين قضوا على الامبراطورية الساسانية وأركان

أسرتها الحاكمة قد أبقوا علـى جماعات عرفت باسم الدهاقين لتتولى ادارة القرى والمساعدة على جمع الخراج ، ولما رأى هؤلاء الدهاقين الاقبال الشديد على الدخول في الاسلام وبداية نجاح حركة التعريب أغاظهم ذلك ، واشتد هذا الغيظ في فترة خلافة عمر بن عبد العزيز ، الذي خطا بسياسته الحكيمة خطوات واسعة في سبيل انشاء أمة اسلامية جديدة لسانها عربي وعقيدتها محمدية ، ورغم أن فترة حكم عمر بن عبد العزيز كانت قصيرة ورغم ردة الأسرة الأموية عنها وعملها ضدها إلا أننا نلاحظ أن جميع الثورات التي تفجرت بعد عصر عمر نادت بشعاراته في المساواة ودمج أفراد الأمة في كيان واحد •

ويرى بعض الباحثين أن هذا كله قد بعث الذعر في نفوس جماعات من الدهاقين ، فعملوا على محاربة ذلك كله عن طريق التآمر لاسقاط الحكم الأموي ، وهكذا قام تنظيم الدهاقين الذي اختار لواجهته الأسرة العباسية ، ومن هنا نفهم سبب تواجد قوى معادية للاسلام بين صفوف الدعوة العباسية ــ مثل خداش وسواه ــ ونفهم مغزى تعاليم ابراهيم الامام التي قيل بأنه بعث بها إلى أبي مسلم الخراساني بعدم الابقـاء على العرب في خراسان •

ونجحت الثورة العباسية ، وأراد قـادتها الخراسانيون تحقيق أهدافهم ، فتصدى لهم الخلفاء الأوائل من بني العباس خاصة المنصور حيث دبر قتل أبي سلمة الخلال ، وبطش بأبي مسلم الخراساني ، وفصل الدعوة العباسية عن الحركـة الكيسانية ، وأعلن الحرب على الزندقة والشعوبية ، ووضع سياسة دينية متوازنة • وعلى الرغم من ذلك فقد نجـم عن انتصار العباسيين فيما نجم : اخفاق مشاريع انشـاء الأمة

الواحدة ، وظهر إلى الوجود معالم انشطار العالم الاسلامي إلى وطنين : واحد عربي وآخر أعجمي ، وظهرت حركة الزندقة وحركات لا إسلامية أخرى كما نشطت حركة الشعوبية وسواها ٠

وقد لاحق العباسيون هذه الحركات بلا هوادة وسعوا للقضاء عليها ، صحيح أن حركة الدهاقين حققت بعض النجاح إنما كان نصيبها في الاخفاق أعظم ، فقد تعمقت جذور الاسلام في ايـران وخراسان ، وازدادت عقيدة الاسلام قوة ومنعة ، لذلك تابعوا تآمرهم وأرادوا توريط قوى اسلامية كثيرة في مشاريعهم ٠٠٠٠

وتذكر الأخبار بأن أبا سلمة الخلال اتصل قبل اعلانه عن قيـام الخلافة العباسية بعدد من زعماء البيت العلوي ، فرفضوه وكان على رأس رافضيه الامام جعفر الصادق ٠

ذلك أنه من الملاحظ أنه في الوقت الذي تورطت فيه بعض فرق الشيعة أيام الأمويين وبعدهم بعدد من الثورات المسلحة ، واستوردت الجديد من العقائد الغريبة ، حافظت بعض الجماعات على الهدوء ولم تتورط ــ بعد كربلاء ــ في أي حركة سياسية حربية ، وبذلك حمت انفسها وعقيدتها وحالت دون تسرب أية عقائد غريبة جديدة إليها وظلت هكذا صافية الاسلام ، محمدية المنهج ، علوية النسب ، مثالية السلوك، وعرف خط هذه الجماعات باسم الخط الإمامي ٠وقد قاده سلسلة من الأئمة الكبار من أبناء الحسين بن علي بن أبي طالب ، وظل هذا الخط محافظاً على اعتداله ووحدته حتى أواخر حياة الإمام السادس منه ٠ حيث حدث انشقاق بينصفوفه شطره الى قسمين : قسم تابع خطه حتى الإمام الثاني عشر ، وعرف باسم الاثنا عشرية أو الإمامية ، وعرف الخط

الثاني باسم السبعية أو الاسماعيلية ، وأدعى كل طرف من هذين الطرفين بأن فقهه وعقائده وعلومه استقاه من الإمام السادس .

والإمام السادس هو جعفر بن محمد الذي عرف باسم الصادق ، والأئمة قبله هم : علي بن أبي طالب . ثم الحسن بن علي . ثم الحسين ابن علي . ثم علي بن الحسين ـ زين العابدين ـ ثم محمد بن علي الذي عرف بالباقر .

ونظراً للمكانة السامية للامام جعفر الصادق ،ولانتساب حركات الشيعة المتطرفة والمعتدلة إليه ، ولنسبتها جل أفكارها إليه ، نحتاج إلى التعرف إليه تاريخياً وعلمياً في نفس الوقت .

ولد الإمام جعفر في حوالي سنة ثمانين للهجرة (٦٩٩ م) ونشأ في المدينة حيث آثار جده المصطفى ﷺ ، وحيث كبار علماء الاسلام مع تراث آل البيت ، لذلك نال حظاً كبيراً من العلوم الاسلامية وحظي بمكانة اجتماعية سامية ، وقيمة سياسية عالية ، وعندما بلغ مبلغ الرجال صار أبرز رجالات عصره ، وبعد وفاة أبيه اعتبره الشيعة الإمامية إمامهم ، وكان رجالاتهم ودعاتهم يرجعون اليه بقضاياهم وبشؤونهم الخاصة والعامة كافة ، كما ان الغلاة منهم أخذوا يلهجون باسمه ، رافعين إياه الى درجات عليا ، لذلك تصدى الإمام الصادق لدعوات الغلو ، وحارب أفكارها ، وقام بتعرية رجالاتها والبراءة منهم ، لكن جهوده كلها لم تحل دون انشطار صف الشيعة الى شطرين : معتدل محافظ ،ومتطرف مجدد ، وتزعم ابنه اسماعيل الجناح المتطرف ، بينما تزعم ابنه موسى الكاظم الجناح الأول .

ولقد كان لزوال الخلافة الأموية ووصول العباسيين الى السلطة

واستئثارهم بها دون أولاد عمومتهم من آل علي أكبر الأثر في قيام هذا الانشطار ، والمهم معرفته هنا أنــه خلال الأحداث التي قامت أثنـاء الثــورة العباسية حاول أكثر من طرف توريط الصادق في النشاطات فأخفق ، ذلك أن الصادق صان نفسه وحمى اتباعه من التورط في أي عمل. وسبق أن أشرنا الى أنه بعدما استولى جيش الثورة العباسية على الكوفة ، قــام أبو سلمة الخلال ــ وزير آل محمد ــ بعرض منصب الخلافة على الإمام الصادق، وذلك قبل اعلان أبي العباس السفاح خليفة جديداً ، لكن الصادق برجاحة عقله ورزانته ، وبعمق ادراكه ، ضبط نفسه ، وتعالى عن مغريات عرض أبي سلمة ، وهكذا قام بالرفض .

وبعدما تسلم المنصور الخلافة العباسية بعد أخيه السفاح خشي من نشاط الشيعة ، وخاصة بعد ثورة النفس الزكية وأخيه ابراهيم ، لذلك أعاد تنظيم الدعوة العباسية عقائدياً وسياسياً ببتر كل وشائجها بالحركات الشيعية وأخذ بملاحقة زعماء الشيعة ، وركز جهوده ضد الصادق ، فأمر عيونه برصده والعمل على إلصاق تهمة ما به . لكن الصادق بعلمه ، وكرمه ، وصدقه ، وحلمه ، وشجاعته ورباطة جأشه ، ونفاذ بصيرته ، وفراسته ، وأخيراً ــ لكن ليس آخراً ــ بهيبته التي تجلى فيها نور النبوة ، ثم بكثرة عبادته ، وصمته عن لغو القول ، وزهده ، وجلده أمام الحوادث ، استطاع أن يحبط مشاريع المنصور ، وهكذا حافظ على مكانته وصان نفسه مع أتباعه .

ولعل من أهل المواجهات بين المنصور العباسي والإمام الصادق ما رواه قاضي مكة الزبير بن بكار في كتابه الموفقيات عن الفضل بن الربيع عن أبيه الربيع قال : قدم المنصور المدينة ، فأتاه قوم ، فوشوا

بجعفر بن محمد وقالوا : إنه لا يرى الصلاة خلفك ، وينتقصك ، ولا يرى التسليم عليك ، فقال لهم : وكيف أقف على صدق ما تقولون ؟ قالوا : تمضي ثلاث ليال فلا يصير إليك مسلماً ، قال : ان كان ، ففي ذلك لدليلا ، فلما كان في اليوم الرابع قال : يا ربيـع إئتني بجعفر بن محمد ، فقتلني الله إن لم أقتله •

قال الربيع : فأخذني ما قدم وما حدث ، فدافعت باحضاره يومي ذلك ، فلما كان من غد قال : يا ربيع أمرتك باحضار جعفر بن محمد ، فوريت عن ذلك ، ائتني به ، فقتلني الله إن لم أقتله ، وقتلني الله ان لم أبدأ بك أنت إن لم تأتني به •

قال الربيع : فمضيت الى أبي عبد الله ، فوافيته يصلي الى جنب اسطوانة التوبة (في المسجد النبوي) فقلت : يا أبا عبد الله ، أجب أمير المؤمنين للتي لا شوى لها ، فأوجز في صلاته وتشهد وسلم ، وأخذ نعله ومضى معي ، وجعل يهمس بشيء أفهم بعضه وبعضاً لم أفهم ، فلما أدخلته علي أبي جعفر سلم عليه بالخلافة ، فلم يرد عليه السلام ، وقال : يا مرائي ، يا مارق ، منتك نفسك مكاني فوريت علي ، ولم تر الصلاة خلفي ، والتسليم علي ؟!••

فلما فرغ من كلامه رفع جعفر رأسه اليه وقال : يا أمير المؤمنين ان داود النبي ــ ﷺ ــ أعطي فشكر ، وان أيوب أبتلي فصبر ، وان يوسف ظلم فغفر ، وهؤلاء ــ صلوات الله عليهم ــ انبياؤه وصفوته من خلقه ، وأمير المؤمنين من أهل بيت النبوة ، واليهم يؤول نسبه ، وأحق من أخذ بآداب الانبياء من جعل الله له مثل حظك • يا أمير المؤمنين يقول الله جل ثناؤه : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن

تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (الحجرات : ٦) فتثبت يا أمير المؤمنين يصح لك اليقين •

قال : فسرى عن أبي جعفر ، وزال الغضب عنه ، وقال أنا أشهد أنك صادق وأخذ بيده فرفعه وقال : أنت أخي وابن عمي • وأجلسه معه على السرير ، وقال : سلني حاجتك صغيرها وكبيرها •

قال : يا أمير المؤمنين قد أذهلني ما كان من لقائك وكلامك عن حاجاتي ، ولكني أفكر وأجمع حوائجي إن شاء الله •

قال الربيع : فلما خرج قلت له : يا أبا عبد الله ، سمعتك همست بكلام أحب أن أعرفه ، قال : نعم ، ان جدي علياً بن الحسين ــ عليهم السلام ــ يقول : من خاف من سلطان ظلامة أو تغطرساً فليقل : اللهم احرسني بعينك التي لا تنام ، واكفني بركنك الذي لا يرام ، واغفر بقدرتك علي ، فلا أهلكن وأنت رجائي ، فكم من نعمة قد أنعمت الي قلّ عندها شكري ، وكم من بلية ابتليتني بها قلّ لك عندها صبري ، فيامن قل عند نعمته شكري، فلم يحرمني ، ويا من قلّ عند نقمته صبري فلم يخذلني، ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني ، ويا ذا النعماء التي لا تحصى ، ويا ذا الايادي التي لا تنقضي ، بك استدفع مكروه ما أنا فيه ، وأعوذ بك من شره يا أرحم الراحمين •

قال الربيع ، فكتبت الدعاء ، ولم يلتق مع أمير المؤمنين المنصور ، ولا سأله حاجة حتى فارق الدنيا •

لقد روى هذه الحادثة مع الزبير بن بكار أكثر من مصدر وزاد بعضها زيادات مفيدة منها : أن أحد الوشاة من عيون المنصور رفع إليه أن الصادق تسلم أموالا من أتباعه ، وانه يريد الثورة ، فأرسل المنصور

بطلبه ، ووجه اليه التهمة فأنكرها ، فقال له المنصور لدي من الشهود من رآك تتسلم الأموال وتعد العدة للخروج عليّ ، وأصر الصادق على انكاره للتهمة وسأل المنصور أن يجمعه بالرجل الذي وشى به ، فأمر المنصور بالرجل ، فلما حضر سأله : « ألست القائل لي عن هذا كذا وكذا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : أفسمعت ذلك منه ، أو بلغك عنه ؟ قال : بل سمعته بأذني قال : فتحلف على ذلك ؟ قال : نعم ، قال : قل : والله الطالب الغالب ، فقال الإمام جعفر بن محمد : إن رأيت ان تجعل استحلافه اليّ فاستحلفه بما أرى أن استحلفه به فافعل ؟ قال : ذلك اليك ، فاستحلفه بما شئت ..

وأقبل الصادق على الرجل فقال : تحلف بما استحلفك به ؟ قال : نعم . قال : اتق الله في نفسك ولا تحلف كاذباً . واستقل أمير المؤمنين ، وقل الحق ، قال : ما قلت إلا ما سمعته منك ولا أرجع عنه ، قال الصادق : اللهم أنت الشاهد عليه والعالم بما يقوله ، ثم أقبل عليه ، فقال له : قل — إن كنت حالفاً — : برئت من حول الله وقوته وأسلمت الى حولي وقوتي ، ان لم يكن جعفر بن محمد قال : كذا وكذا ، فقال الرجل ، فما برح مكانه حتى صرع ومات » .

وصعق المنصور أمام هذا المشهد وأخذ يعتذر الى الإمام الصادق ، ومنذ ذلك التاريخ أقلع عن سماع أية وشاية ضده ، كما توقف عن رصد حركاته . وتذكر المصادر أنه عندما توفي الإمام الصادق عام ثمانية وأربعين ومائة للهجرة (٧٦٥ م) بلغ خبر الوفاة الى المنصور حزن عليه وبكاه ، ووصفه بكل خير .

لقد ذكر علماء الاسلام الإمام الصادق ، وأثنوا عليه ، وقالوا بأنه « كان أعلم أهل زمانه ، وعنه تفرع العلم بالحلال والحرام ، في الخاص

والعام » وقد تتلمذ عليه عدد كبير من الرجال ونهل من علمه أئمة كبار مثل أبي حنيفة النعمان بن ثابت امام أهل العراق ، ومالك بن أنس امام أهل الحجاز ، وسفيان بن عيينة ، وسفيان الثوري ، ويحيى بن صالح ، وأيوب السجستاني ، وعمرو بن دينار ، ومحمد بن اسحق صاحب السير والمغازي ، مع عدد آخر كبير •

ولقد أسهب تلامذته في الحديث عنه وعن مجالس علمه فهذا الإمام مالك بن أنس يقول : لقد كنت آتي جعفر بن محمد ، وكان كثير المزاح والتبسم ، فاذا ذكر عنده النبي ﷺ أخضر واصفر ، ولقد اختلفت اليه زمانا ، فما كنت أراه إلا على احدى ثلاث خصال : إما مصلياً ، وإما يقرأ القرآن ، وما رأيته قط يحدث عن رسول الله ﷺ الا على الطهارة ، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء العباد الزهاد الذين يخشون الله »•

هذا وإن ما حدث بين الإمام الصادق والإمام أبي حنيفة النعمان مثير وفيه دليل على عمق تفكير الإمام الصادق ومنهجه في العمل مع مدى تمسكه بسنن ونهج وآداب جده ﷺ ، فقد دخل أبو حنيفة يوماً عليه ليسمع منه ، ثم خرجا معاً ، فقام الإمام الصادق يمشي يتوكأ على عصا « فقال له أبو حنيفة: ما بلغ لك من السن ما تحتاج معه الى العصا ؟ قال : ما هو كذلك ، ولكنها عصا رسول الله ﷺ أردت التبرك بها ، فوثب أبو حنيفة اليه ، وقال : أقبلها يا بن رسول الله ، فحسر الإمام الصادق عن ذراعه وقال له : والله لقد علمت أن هذا من بشر رسول الله ﷺ وهذا من شعره ، فما قبلته ، وتقبل عصاه ! فأهوى أبو حنيفة الى يده ليقبلها ، فأجتذبها منه ، وأسبل عليها كمه » •

وتحدث قاضي الكوفة ـــ سنة ١٢٠ هـ ـــ عبد الله بن شبرمة قال :

« دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد بن علي فسلمت ، وكنت له صديقاً ، ثم أقبلت على جعفر فقلت له : أمتع الله بك ، هذا رجل من أهل العراق له فقه وعلم ، فقال لي جعفر : لعـله الذي يقيس الدين برأيه ، ثم أقبل عليّ ، فقال : هو النعمان بن ثابت ؟ قال : ولم أعرف اسمه إلا ذلك اليوم ، قال : فقال له أبو حنيفة : نعم أصلحك الله .

فقال له جعفر : اتق الله ولا تقس برأيك ، فان أول من قاس إبليس، إذ أمره الله بالسجود لآدم فقال : « أنا خير منه خلقني من نار وخلقته من طـين » .

ثم قال لابي حنيفة : أخبرني عن كلمة أولها شرك ، وآخرها ايمان ما هي ؟ قال : لا أدري . قـال : قول الرجل : « لا إله » فلو قال : « لا إله » ثم أمسك كان مشركاً ، فهذه كلمة أولها شرك ، وآخرها إيمـان .

ثم قال : ويحك أيما أعظم عند الله تعالى ، قتل النفس التي حرم الله أم الزنا ؟ قا ل: لا بل قتل النفس ، فقال له جعفر : إن الله تبارك اسمه ، قد رضي وقبل في قتل النفس بشاهدين ، ولم يقبل في الزنا إلا أربعة ، فكيف يقوم لك قياس ؟!

ثم قال : أيما أعظم عند الله ، الصوم أم الصلاة ؟ قال : لا بل الصلاة ، قال : فما بال المـرأة إذا حاضت تقضي الصيـام ولا تقضي الصلاة ، اتق الله يا عبد الله ولا تقس ، نقف نحن غداً وأنت ومن خالفنا بين يدي الله عز وجل ،فنقول : قال رسول الله ﷺ وآله ، قال الله عز وجل، وتقول أنت وأصحابك : سمعنا ورأينا ، فيعمل بنا وبكم ما يشاء .

وعلى الرغم من اجماع غالبيـة المصادر التي تحدثت عن الإمام

الصادق على القول بأنه كان متماسك الذات ظاهره وباطنه واحد ، وان حال مثله ــ وهو سيد آل البيت وعالمهم وبقية الاخيار منهم ــ ما كان ليخفي على أحد ، رغم كل هذا فان بعض الفئات والمصادر تنسب إليه رسالة في التوحيد قيل بأن تلميذه المفضل بن عمرو قد دونها عنه ، وفي هذه الرسالة يتجه صاحبها الى اثبات وجود الله الواحد الأحد بأدلة يأخذها من الموجودات من أحياء وجمادات وغير ذلك .

وهناك من ينسب اليه رسائل في علوم الباطن ، ومعرفة المستقبل وغير ذلك ، كما تنسب إليه بعض الآراء حول ما كان يجري في عصره من مشاكل القدرية والجبرية ، مثل أنه كان يقول : « إن الله تعالى أراد بنا شيئاً وأراد منا شيئاً ، فما أراده بنا طواه عنا ، وما أراده منا أظهره لنا » .

ويبدو أن ما أثير حوله وما نسب إليه جعل بعض أئمة الحديث يقفون منه موقف الشاك أو الناقد ، وجمع الإمام ابن عدي في كتابه « الكامل في الضعفاء » أقوالهم وردها وأثبت أن الإمام الصادق كان « من ثقات الناس » حدّث عنه كبار الأئمة ، قال عنه الإمام أبي حنيفة : « ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد » ووثقه الإمام يحيى بن معين وقال عنه أحد معاصريه : « كنت اذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين » .

ومهما قيل عن شخصية الإمام الصادق فقد أوضح العلماء أن الثورة العباسية أثرت على حركات الشيعة ولقنت جميع الأحزاب الاسلامية درساً بليغاً ، فيه أن التحرك ينبغي أن يعتمد على الخطط الطويلة الأمد والواضحة الأهداف ،وأن النشاط الدعوي ينبغي أن يكثف في المناطق

النائية عن مركز السلطة الرسمي لتبعد الشبهات عن رجالها ، ولتكون أكثر قدرة على التخطيط •

كما أنه كان لنجاح العباسيين واستلامهم للسلطة أعمق الآثار على الخط الشيعي الإمامي ، فقد حدث ــ كما أسلفت الاشارة ــ انقسام بين صفوفه ، بحيث انشطر إلى قسمين واحد ظــل محافظاً على الخط القديم ، وآخر « راديكالي » متطرف جديد •

ومرة ثانية دون الدخول في متاهات المقالات اللاهوتية ، وتوزيع الأدوار على عدد من الرجالات ، حيث كفانا مؤونة ذلك كتّاب الفرق مع عدد من الباحثين في أيامنا هذه ، يكفي القول بأن الجماعة الجديدة قالت بأن الإمام بعد الصادق هو ابنه البكر اسماعيل ، وعلى الرغم من أن اسماعيل قد توفي أيام أبيه، فقد قالت هذهالجماعة بأن الإمامةانتقلت حكماً ونصاً إلىمحمد بن اسماعيل، الذي يعرف عادة باسم المكتوم،ذلك أن دعوة هذا الفرع الذي اتسم بالتطرف والعلمية في التنظيم دخلت في مرحلة من التكتم الشديد ، وباتت تعرف باسم السبعية أو الاسماعيلية وغير ذلك من الاسماء •

وقالت الفئة الأخرى من أتباع الصادق : إنه بوفاة اسماعيل ، ولغير ذلك من الأسباب فقد عين الصادق ابنه الآخر موسى الكاظم إماماً سابعاً، وتابع خط موسى هذا حتى الإمــام الثاني عشر : محمــد بن الحسن العسكري ، وهو عند الكثير من الناس إمام لم يولد بالحقيقة « ولم يكن لــه إلا الوجود الوهمي » وعرف هــذا الخط باسم الإمامية أو الاثناعشرية ، ولقد تهيأ لهذا الخط العديد من الفرص لاستلام السلطة

في العالم الاسلامي ، لكن انعدام الإمام ، وبقائه في الخفاء في غيبة دائمة جلب الاخفاق لهذه الفرص جميعاً •

وشكل القوم الذين تبعوا اسماعيل ، بعد عمل سري طويل ، فرقة فاقت في إعدادها المحكم وتنظيمها الدقيق المتقن في مجالات الجذب العقلاني الفلسفي ، والثقافي العالي مع الاثارة العاطفية والانفعال ، فاقت به كل الفرق التي سبقتها أو نافستها ، ففي مكان العمل المشنوش للفرق السابقة ، والايمان البدائي ، والاعتماد على الفورات العاطفية ، أحكم عدد من العلماء ، ذوي القدرات الخارقة والعقول الجبارة نظاماً جديداً للعقيدة الاسماعيلية على مستوى فلسفي في غاية الرقي ، وأنتجوا أدباً رفيعاً بدأ الآن رجال عصرنا بالاعتراف بقيمته وأثره •

لقد قدم الاسماعيليون للورعين احتراماً كبيراً ظاهرياً للقرآن والحديث والشريعة، ومسايرة للعقيدةالشعبية السائدة الظاهرة، وقدموا للمثقفين شرحاً باطنياً فلسفياً للكون ، اعتمد على مصادر الثقافات الشرقية القديمة والكلاسيكية وخاصة الفكر التأويلي والاشراقي من الأفلاطونية المحدثة •

وقدم رجال الاسماعيلية للصوفية والروحانيين ، مادة فيها الدفء العاطفي والعرفان مع الحب السامي المؤدي الى التحام الكائنات ووحدة الوجود ، ودعم هذا كله بأمثلة وشواهد مما عاناه الأئمة ومن تضحياتهم في سبيل أتباعهم ، وتم عرض هذا بمجمله وتقديمه في صيغ معارضة للنظام القائم ، وهادمة له ، فكان في ذلك سحر الثورة وحرارة العمل المعارض •

وفي عودة نحو تاريخ الدولة العباسية نلاحظ أن العباسيين وصلوا

إلى السلطة على طريق شرعية الثورة مع حق الميراث ، وذلك بعد عمل دعوي منظم • فقد قالوا بأنه عندما توفي النبي ﷺ كان واحـداً من أعمامه حياً وهو العباس ، وحيث أنه لم يكن للنبي ﷺ ولد ذكر يرثه ، ولما كان العم بمنزلة الأب فالعباس كان الوريث الشرعي للنبي ﷺ ، ومنذ أيام المنصور مارس العباسيون سياسة دينية خاصة ، أحلت عبد الله بن العباس في العلم محل علي بن أبي طالب وصار يعرف الآن بحبر الأمة ، وقرب العباسيون اليهم رجال الدين وعلماء الاسلام بشتى السبل من ترغيب وترهيب ، ولنذكر هنا على سبيل المثال أن الإمام مالك بن أنس صنف « الموطأ » بنـاء على طلب المنصور وارشاده وابن اسحق صنف « السـير والمغازي » أيضاً بطلب من المنصور ، ونحن عندمـا نقرأ كتب الأدب والتاريخ والتراجم نراها تتحدث لنا ملياً عن العلماء وعلاقتهم بالخلفاء ونشاطاتهم في مجالس الخلفاء ، والجوائز التي كانوا يحصلونها ، حتى ليكاد المرء يقول بأن رجال الدين صاروا احدى أدوات الخلافة العباسية ،وأن الفكر الاسلامي السني تمت صياغته عباسياً •

ونحن حين ندرس تاريخ الخلافة العباسية خاصة في القرن التاسع للميلاد نرى مدى التطورات التي ألمت بالمجتمع العباسي ، فقد حدثت تحولات اجتماعية كبيرة مـع انقلابات اقتصادية وصناعية ، وتجمعت الثروات في أيد قليلة وصار للبيوتات التجارية مكانتها علىصعيد السلطة وغير ذلك ، كما أن الاقطاع الزراعي عظم ، وبات رجال السلطة يملكون العديد من القرى ، ويطلبون المزيد ، ويحصلون عليه بشتى السبل من شراء أو اغتصاب،وفي تاريخ الخلافة العباسية نقرأ عن« ديوان للمظالم » كان يجلس فيه الخلفاء ، ويحدثنا الكتاب عن عدالة بعض الخلفاء ، حيث

نجد مثلاً في المتخاصمين الى الخليفة شخصاً اغتصبت ضعيته والمغتصب ابن للخليفة أو قريبه ، أو أحد الوزراء أو الكتاب أو القادة .

واستخدم الاقطاعيون أعداداً من العمال في مزارعهم ، وجلبوا كميات من الرقيق ، خاصة الأسود منه ، للعمل الزراعي المرهق .

ومع منتصف القرن الثالث بدأ الضعف يلم بالكيان العباسي ، وأخذت المشاكل تنفجر ، وترافق هذا مع استيلاء ضباط القصر الأتراك على السلطة وتحكمهم بالخلفاء ، وبعدما فعل الجند الأتراك هذا انعدم الاستقرار السياسي، وكثرت الصراعات على الخلافة والانقلابات، وهكذا ازداد تدهور الأوضاع من كافة الجوانب ، وأثناء ذلك استمر ارتباط رجال الدين السنة بالسلطة وقصر الخلافة ، وتورط بعضهم بالنزاعات السياسية ، وكانوا يسدلون ثوب الشرعية على كثير من الأعمال غير الشرعية ويقدمون المسوغ لما لا يقبل التسويغ ، يضاف الى هذا أنه منذ أن سيطر الحنابلة على شارع بغداد شغلوا أنفسهم بمشاغل فكرية لاهوتية لا تسمن ولا تغني من جوع غافلين أو متغافلين عن المشاكل التي باتت تهدد كيان الأمة بالخطر .

ولا غلو إذا قلنا بأن الفكر السني أفلس أو كاد في العطاء الاجتماعي، وأن الناس فقدوا ثقتهم بعلماء السنة نظراً لتورط هؤلاء مع رجال السلطة ، ولشغل أنفسهم بقضايا التجسيم ومسائل علم الكلام .

وأمام هذا الحال بدأ الناس يفتشون عن البديل ، وأخذوا يسعون في البحث عن الحل ، وعن طريق الانقاذ والنجاة ، وقد فرّ البعض الى الخيال فأغنى صورة المهدي المنتظر ، وجعله في أنواع من الشخصيات ، وهذا ما نشهده في كتاب « الملاحم والفتن » لنعيم بن حماد الذي جاءنا من هذا العصر .

وقامت الدعوة الاسماعيلية بتقديم البديل ، وهكذا ما أن حلت نهاية القرن التاسع للميلاد حتى كان قد تم للاسماعيلية السيطرة على مسارات التفكير الاسلامي ، وعلى عقول الفلاسفة ، وتغلغل تأثيرهم الموجه الى جوف نظم وأفكار الثورة وحركات العدالة والمساواة في بلاد الاسلام ، كما حصل لدى العامة شعور بدنو النصر ، وقرب ساعة التحرير ، وروجوا لهذا عن طريق فكرة الامام المهدي المنتظر ، الذي سيخرج عندما يحين الوقت فيعلن القيامة ، والقيامة هنا ليست نهاية الحياة ، بل نهاية كلية أو جزئية للشرائع والنظم القائمة وتحرير الانسان من كافة الأغلال والقيود التعبدية وسواها .

وكان لهذا ردات فعل عنيفة للغاية ، نرى أثرها في كتب الفرق على ألوانها وأزمانها ، فكلها تعزو إلى الاسماعيلية القول بالاباحية وحتى ممارسة ذلك ، وإذا صح هذا فإنه مورس فقط في مناسبات اعلان القيامة بصورة استثنائية ، ولم يأخذ شكل الممارسة الدائمة .

ورغم توفر المعطيات الممتازة لم تورط الحركة الاسماعيلية نفسها في عمل ثوري مباشر ، تتحمل أعباء نشاطه بشكل علني ، بل سعت نحو استغلال القوى غير الموالية لها تماماً ، لكن المتأثرة بها ، إلى أبعد الحدود ، في سبيل زيادة إضعاف النظام السني العباسي ، وإضعاف هذه الحركات في ذات الوقت .

وهنا لا بد من وقفة أمام سؤال فيه : أين كان مركز القيادة الاسماعيلية خلال هذا كله ، ثم ما هو موقف السلطات العباسية من النشاط الاسماعيلي ، والى أي مدى كان تأثير القيادة الاسماعيلية في كل ما حصل ؟

من الصعب اعطاء جواب مقنع موثق لهذا السؤال ، فنحن حين تتحدث عن دعوة اسماعيلية ، الأجدر بنـا أن نستبدل عبـارة دعوة بدعوات ، ذلك أنه كما حصل في تاريخ التشيع حين انضوى العديد من الحركات المناوئة والمعارضة تحت لواء التشيع عن إيمـان أو للتمويه ، حصل ذات الشيء في الاسماعيلية •

فلربما وجد عدد لا بأس به من الحركات المطالبة بالعدالة وذات الفكر« الراديكالي »القريب من الفكر الاسماعيلي ، ولشهرة الاسماعيلية صنفها الناس بين الحركات الاسماعيلية ، فنحن عندما نقـرأ في كتب الملل والنحل نرى الكتا بيعزون انتماء بعض الشخصيات والحركات الى أكثر من فرقة ، ويطلقون العـديد من الأسماء ويحلونها بكمية من الصفات والنعوت •

ثم علينا أن نأخـذ بعين الاعتبار تغير الأئمة بالوفـاة وغير ذلك وبالتالي التعديل في السياسة ، وفوق هذا مشكلة المواصلات فـكل داعية من الدعاة في منطقة من المناطق كان سيد عمله ، ينشط حسب معطياته ويعلل الأمور كما يراها من منظاره الخاص ، ومنظار بيئته ، ومع الأيام قد يكشف ، أو تكتشف القيادة ذلك فلا ترضاه ، ويؤدي هذا الى طرده أو الى انشقاق داخل الحركة •

لهذا أصوب لنا أن نستخدم عبارة حركات بـدلاً من حركة ، ونحن عندما نعـود الى المصادر الاسماعيلية وسواها ، خاصة كتـاب « عيون الأخبار » للداعي المطلق ادريس القرشي ، نستخلص منها عدم اتفاق بينها على سلسلة الأئمة بعد اسماعيل وحتى قيام الخلافة الفاطمية، فالأسماء مختلف عليها والصفات والأعمال متمازجة ، ثم هناك عدم

وضوح بين ما ينسب الى الأئمة وإلى دعاتهم خاصة المباشرين منهم ، حيث يبدو أن الأئمة منذ أيام محمد بن اسماعيل اتخذ كل منهم لنفسه حجاباً من أسرة واحدة عرفت بأسرة القداح ، كما يبدو أن بيت الإمامة انتقل من الحجاز الى العراق ، ومن العراق الى خراسان ، واستقر فترة من الزمن في منطقة جبال الديلم ، ثم غادرها فجأة الى بلاد الشام ، وكان هذا في حوالي منتصف القرن الثالث للهجرة ، واستقر بيت الإمامة أولاً في منطقة جبل الأربعين في محافظة أدلب السورية حالياً ، ثم تحول الى منطقة مصياف ، وأخيراً الى بلدة السلمية على طرف البادية ، وكانت هذه البلدة مأهولة من قبل عدد من الهاشميين ، ومنها يمكن بسهولة الاتصال بقبائل باديـة الشام ، حيث المـادة البشرية للعمل السياسي والعسكري لأصحاب المطامح ، كما يمكن الوصول إليها من العراق وغير العراق من بلاد الاسلام ، وبالتالي السفر .

وتوحي بعض المصادر الاسماعيلية بأن مهمة آل القداح انتهت في السلمية ، وأن الأئمة أخذوا يتخذون حجابهم من آلهـم ، لكن مصادر أخرى غير اسماعيلية تذكر استمرار آل القداح لا بل تتحدث عن استيلاء آل القداح على منصب الامامة ذاته ، والمرجح هو الرواية الأولى وأن الأئمة أخذ كل منهم يعين واحداً من اخوانه بوظيفة امام مستودع ، وهنا تتحدث المصادر عن نوعين من الإمامة ، إمامة استيداع وإمامة استقرار ، وان الاستيداع كان يتم لغايات أمنية أو لأسباب مرضية أو سواها .

كما نستخلص هنـا من المصـادر الاسماعيلية بأن بعض الأئمـة المستودعين أرادوا تحويل أنفسهم الى أئمة استقرار ، وهذا كله يشير الى أن بيت الإمامة الاسماعيلي عانى وهو في السلميـة من انقسامات داخلية خطيرة يمكن على ضوئها أن نفهم المشاكل التي حدثت في أواخر

القرن الثالث للهجرة خاصة العلاقات مع القرامطة ، أو بكلمة أصح العلاقات القرمطية الاسماعيلية .

ليست الغاية من هذه المقدمة دراسة تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، وإنما الحديث عن حركات القرامطة ، لكن لما كان من المسلم به وجود علاقات عضوية أساسية بين الاسماعيلية والقرامطة ، فان كـل حديث عن القرامطة لا بـد له من مقدمة ، ولا بد أن يبـدأ بالبحث في تاريخ الاسماعيلية، على الرغم من أن تاريخ العلاقات بين القرامطة والاسماعيلية قد مرَّ بأطوار تباينت فيها المواقف ووصلت الى حد المواجهات المسلحة .

ان هذا على خطورته ينبغي أن لا ينسينا أن الحزب الواحد يتمزق ويرمي أفراده بعضهم البعض بأقسى التهم وأشنعها ، وأن هذا قد يحدث أثناء الاعداد للثورة ، ثم يتطور الحال بعد الوصول الى السلطة، فالملك عقوق عقيم ، والانسان في السلطة هو غيره في الواقع النظري ، ومقتضيات السياسية تتباين عن مقتضيات المبادىء والمثل ، وها نحن الآن في أيامنا هذه أمامنا صورة الأحزاب الشيوعية في العالم ، نسمع كل يوم أخبار ما يجري بين العملاقين الشيوعيين الأعظم ــ أعني الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية ــ أوليس كل منهما يرى أن الخطر المحدق به آت من قبل رفاقه ، أوليس هناك تحالف أو تفاهم متبادل بين الصين الشيوعية من جهة وأمريكا الرأسمالية الامبريالية من جهة ثانية للوقوف ضد الاتحاد السوفياتي .

إننا ونحن نرى مثل هذه الصور على مسرح أحداثنا ينبغي أن تتقبل بكل يسر وسهولة فكرة الأصل المشترك بين القرامطة والاسماعيلية، وبعد هذا كله لا بد لنا من سؤال جديد هو : اين بدأت حركات القرامطة وتفجرت ثوراتهم للمرة الأولى ؟ ومن أين كسبوا اسمهم هذا ؟

الرأي الرائج لدى الباحثين هو أن حركـة القرامطة نشـأت في البداية في سواد العراق ، وتفجرت أولاً هناك لفترة قصيرة ثم انتقلت الى الشام وبعدها عادت الى العراق حيث انتقلت الى الأحساء •

ومشكلة هذ االرأي قائمة أساساً في إهمال ما حدث في اليمن ، ذلك أن في عدم الإقدام على دراسة تاريخ الحركات الشيعية في اليمن ومن بينها حركات القرامطة ، نقص وثغرة كبيرة في الدراسات القائمة حول هذا الموضوع ، يقتضي سدها ، متذكرين أنه ما تزال تعيش على مقربة من حدود اليمن الشمالية السياسية الحالية بعض القبائل العربية المحافظة على مواريثها القرمطية ، وأخص بالذكر منها قبائل يام ، وأن اليمن هي التي أرسلت الداعي أبو عبد الله الى شمال أفريقية حيث نجح في اقامة الخلافة الفاطمية •

من المشاكل الأساسية في التاريخ الاسلامي ، أن المؤرخ المسلم رصد فقط الحركات عندما كانت تصطدم بالمؤسسات السياسية القائمة أو عندما كانت تتحول الحركات الـى مؤسسات سياسية ، وهنـا كان المؤرخ يعمد الى البحث عما سلف ، فيجد نفسه في بحر من الروايات الممتزجة مع الخيال والأسطورة •

لهذا يلجـأ الباحث الآن الى أقدم الوثائق وأقرب الروايات من الحادث المبحوث فيه • وفيما يتعلق بالقرامطة ، فإن أقدم من كتب عنهم ووصلتنا كتاباته المتعلقة بالجوانب العقائدية هم : سعد القمي ، الحسن ابن موسى النوبختي ، والامام أبو الحسن الأشعري ، وهؤلاء الثلاثة يمكن تصنيفهم بين الذين عاصروا القرامطة ، فقد توفي القمي وهو أقدم الثلاثة مع نهاية القرن الثالث ، وتوفي النوبختي بعده بحوالي عقدين من الزمن ، وجاءت وفاة الإمام الأشعري سنة ٣٣٠ هـ •

وقد جاء عند القمي في كتابه « المقالات والفرق » [٨٣–٨٦] :

وتشعبت بعد ذلك فرقة ••• ممن قال بإمامة محمد بن اسماعيل تسمى القرامطــة ، سميت بذلك لرئيس كان لهم من أهــل السواد من الأنباط كان يلقب بقرمطوية ••• وقالوا : يكون بعد محمد ﷺ سبعة أئمة : علي ، وهو إمام رسول ، والحسن والحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، ومحمد بن اسماعيل بن جعفر ، وهو الامام القائم المهدي ، وهو رسول ، وهؤلاء رسل أئمة، وزعموا أن النبي عليه السلام انقطعت عنه الرسالة في حياته في اليوم الذي أمر فيه بنصب علي بن أبي طالب للناس بغدير خم ، فصارت الرسالة في ذلك اليوم إلى أمير المؤمنين وفيه ، واعتلّوا في ذلك بخبر تأولوه وهو قول رسول الله : « من كنت مولاه فعلي مولاه » وأن هذا القول منه خروج من الرسالة والنبوة ، وتسليم منه ذلك لعلي بن أبي طالب بأمر الله ، وأن النبي ﷺ بعد ذلك صار تابعاً لعلي ، محجوباً به ، فلما مضى لأمير المؤمنين صارت الإمامة والرسالة في الحسن ، ثم صارت من الحسن في الحسين ، ثم صارت في علي بن الحسين ، ثم في محمد بن علي ، ثم كانت في جعفر بن محمد ، ثم انقطعت عن جعفر في حيــاته ، فصارت في اسماعيل بن جعفر كمــا انقطعت الرسالة عن محمد في حياته ، ثم إن الله بدا له في إمامة جعفر واسماعيل فصيرها عز وجل في محمد بن اسماعيل ••• وزعموا أن محمد ابن اسماعيل حي لم يمت وأنه غائب مستتر في بلاد الروم ،وأنه القائم المهدي ، ومعنى القائم عندهم أنه يبعث بالرسالة وبشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد ، وأن محمد بن اسماعيل من أولي العزم ، وأولو العزم عندهم سبعة : نوح ، وإبراهيم ، وموسى وعيسى ، ومحمد وعلــي ،

ومحمد بن اسماعيل على معنى أن السموات سبع ، والأرضين سبع ، وأن الانسان بدنه سبع ... وقد كثر عدد هؤلاء القرامطة ، ولم يكن لهم شوكة ولا قوة ، وكانوا كلهم بسواد الكوفة ، وكثروا بعد ذلك باليمن ونواحي البحرين واليمامة وما والاها ، ودخل فيهم كثير من العرب فقوي حالهم بهم وأظهروا أمرهم » .

وتتفق رواية النوبختي [٦١-٦٤] من حيث الجوهر وحتى من حيث العبارات مع رواية القمي هذه ، اللهم إلا في قوله : وعددهم كثير ، الا أنه لا شوكة لهم ولا قوة ، وهم بسواد الكوفة ، واليمن أكثر ، ولعلهم أن يكونوا زهاء مائة ألف » .

وكان ما قاله الامام الأشعري [٩٨] هو : « والنصف الثامن عشر من الرافضة ، وهم القرامطة .

يزعمون أن النبي ﷺ نص على علي بن أبي طالب ، وأن علياً نص على إمامة ابنه الحسن ، وأن الحسن بن علي نص على إمامة أخيه الحسين بن علي وأن الحسين بن علي نص على إمامة ابنه علي بن الحسين ، وأن علي بن الحسين نص على إمامة ابنه محمد بن علي ، ونص محمد بن علي على إمامة ابنه جعفر ، ونص جعفر على إمامة ابنه محمد بن اسماعيل ، وزعموا أن محمد بن اسماعيل حي الى اليوم ، لم يمت ، ولا يموت حتى يملك الأرض ، وأنه هو المهدي الذي تقدمت البشارة به ، واحتجوا في ذلك بأخبار رددوها عن أسلافهم ، يخبرون فيها أن سابع الأئمة قائمهم » .

إن هذه النصوص الثلاثة بالغة الأهمية ، فهي أولاً متنبهة الى موضوع قرامطة اليمن ، ثم هي لا توجه الى القرامطة حين تعرض

عقائدهم التهـم التي نشهدها في المصادر المتأخرة التي كتبت بعد قيـام الخلافة الفاطمية ، وظهور عجز الخلافة العباسية تجاهها عسكرياً وفكرياً، لذلك لجأت الى طرح مشكلة النسب مع مسألة الاباحية الدائمة ، وكان لهذا تأثير فعال في مجتمع أقام مفاهيمه السياسية على أسس ارتبطت بقضايا النسب ، وهو ذات المجتمع الذي يعتبر أسس الأخلاق ومعيار الشهامة الجنس والمرأة وحفظ عرضها •

والأمر الثالث البالغ الأهمية في هـذه النصوص يرتبط بمسألة العلاقة بين القرامطة والاسماعيلية ، فالكتاب الثلاثة يرون أن القرامطة فرقة متفرعة عن الاسماعيلية • ثم إننا حين نعود الى الأدب الاسماعيلي نراه يردد ذات الأفكار والعقائد التي أوردها القمي والنوبختي ، ففي رسالة من رسائل القاضي النعمان ، أكبر علماء الاسماعيلية في وقته ثم من بعـد ، كتبها أيام المعز لدين الله الفاطمي ، وذلك قبل الانتقال الى مصر ، كما أرجح ، واسمها « الرسالة المُذْهِبة في الحكمة والتأويل » عرض القاضي النعمان ما عرضه القمي إنما بشكل أعمق وأكثر اتساعاً وكان مما قاله :

« وسالت عن السبب الذي أوجب أن النبي ﷺ كان في بدايـة أمره يتختم في يمينه ، فلما كان حين أوان نقلته [أي وفاته] حوّل خاتمه من يمينه الى يساره ؟ •

إعلم أيدك الله ! إنما سبب تختمه بيمينه في بداية أمره ، فإنما ذلك اشارة منه الى نفسه بتسلم منزلة النبوة والناطق ، وقيامه بتبليغ رسالات ربه كما جرى فيمن تقدمه من النطقاء والمرسلين ، وأنه لم يزل متختماً بيمينه أيام حياته دليل على العمل بشريعته ، وظاهر تنزيله ، وإقامة دعوة

الظاهر حتى نزل من الله تعالى اليه بنصب أساسه ووصيه ، فبلغ عن الله أمره ، ونصب وصيه يوم غدير خم ، وأقامه مقامه ، واستخلفه من بعده ، فحول خاتمه من يمينه الى يساره ، وأمر وصيه علياً عليه السلام ، أن يتختم باليمين ولا يحوله الى شماله ، فكان ذلك اشارة منه بتسليم المنزلة الى وصيه ، فكان الوصي يتختم باليمين دليلاً على ما قد صار اليه ، وتختم الرسول بالشمال دليلاً على انقطاع المواد عنه بتسليمه الأمر الى وصيـــه » •

وقال في مكان آخر متحدثاً عن النبي : « فالذي له اثنتا عشرة امرأة، مضى على تسع نسوة وسقط منهن ثلاث ، وقد تروى عامة الشيعة أنه رد طلاق نسائه بيد علي عليه السلام ، وذلك أنه لما أمر بالتسليم اليه ، فوض اليه أمر حججه ونقبائه ، فله أن يطلق منهن من شاء وينصب من شـــاء » •

وقد ذكر القاضي النعمان شخصية القائم وتحدث عنه على الاساس السبعي أكثر من مرة فبين أنه « سابع سبعة من آدم ودوره آخر الأدوار » كما أشار الى أنـــه من الأنبياء ذوي العزم يأتي بما يلغي كـــل الشرائع السابقة ، ويعلن الجهاد على معانديه ، وعلى ضوء هذا الأمر يمكن لنا أن نفهم ما أقدم عليه القرامطة من استعراض لخصومهم واغارات على قوافل الحجاج بلغت الذروة في مهاجمة مكة سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م وقتل الحجاج ، واقتلاع الحجر الأسود من الكعبة •

فلقد أرادت الدعوة الاسماعيلية عن طريق القرامطة ايقاف الحج بمهاجمة قوافل الحج ، لكنها عندما أخفقت قامت بمهاجمة مكة واقتلاع الحجر الأسود ، لأنهم اعتقدوا أنه « مغناطيس القلوب يجذب الحجاج »

ولأن الحج هو الشعيرة الاسلامية الوحيـدة التي تعلن بشـكل عالمي ظاهري عن استمرارية الاسلام والعمل بمبادئه أمميا • فالصلاة ، ودفع الزكاة وصوم رمضان مع التلفظ بالشهادتين يمكن أن تمارس بشكل فردي وسري ، إنما الحج لا يمارس إلا في بقعة محددة وبصورة علنية ، واستمرار الحج معناه اخفاق العمل في سبيل اعلان القيامة ونجاحها في تعطيل الشريعة واحلال دين القيامة محلها •

وبعد هذا نعود ثانيـة نحو سؤالنا عن البلد الذي شهـد أولى تحركات القرامطة ، وقبل محاولة الاجابة أرى أن تتذكر أن قيام أمر ما من : ثورة أو حركة قد تشير اليها دلالاتها قبل أن تعرف باسمها ، فعلى سبيل المثال نلاحظ أن أقدم اشارة الى العرب وذكرهم بالاسم تعود الى المئة الثامنة قبل الميلاد ، لكن هذا لا يعني أن تاريخ العرب بدأ آنئذ ، إنه أقدم من هذا التاريخ وأعرق، وفي الكتاب المقدس والكتابات القديمة اشارات لجماعات نحكم أنهم من العرب رغم عدم تسميتهم بهذا الاسم •

هذا هو حالنا مع القرامطة ، فقد تكون حركتهم نالت هذا الاسم في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة في العراق أولاً ، لكن هذا ليس فيه دليل مقنع على أن الحركة بدأت في العراق ، فنحن عندما نعود الى دراسة ما حدث بعد نجاح الثورة العباسية واخفاق ثورة النفس الزكية مع ثورة أخيـه ابراهيم ، نلاحظ أن جميـع الحركات المعارضة تلقنت درسها القاضي بالنشاط في المناطق النائية ، وهذا ما مارسه عبد الرحمن الداخل، وعبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت، وجماعة النفس الزكية الذين تتوجت جهودهم بقيام دولة الأدارسة في المغرب الأقصى ، وسواهم كثير •

ومن المعروف أن اليمن يمكن اعتبارها بين الأقاليم النائية ذات الطبيعة الجبلية المساعدة ، والقبلية الملائمة للعمل ضد السلطة المركزية ، ثم إن اليمن شهرت منذ القديم بولائها الشيعي ، ولهذا توجهت أنظار الدعوة الاسماعيلية اليها ، كما نشط بها بعض الشيعة الآخرون ونخص بالذكر منهم الأسرة الرسية التي نجحت أخيراً في الربع الأخير من القرن الثالث في تأسيس كيان سياسي ومذهبي لها في البلاد استمر طويلاً •

وجاء نجاح هذه الأسرة على يدي الهادي الى الحق يحيى بن الحسين الذي خرج الى اليمن سنة ٢٨٠ هـ ، وعندما نقرأ أخبار سيرته التي رواها أحد معاونيه نرى أن منطقة نجران بتراثها الديني العريق كانت تزخر بالنشاط الديني،حيث كانفيها كمية معتبرةمنالنصارى،ثم أهم القبائل فيها من بلحارث ويام كانت تدين بما دعي فيما بعد وشهر باسم « مذهب القرامطة » وأن هذا التدين قديم راسخ •

هذا من جهة ومن جهة ثانية تحدثنا المصادر الاسماعيلية وغير الاسماعيلية عن ارسال الدعوة الاسماعيلية في بداية النصف الثاني من القرن الثالث لداعيين هما علي بن الفضل وابن حوشب الى جنوب اليمن، وأنهما عندما حلا في اليمن وجدا من ينتظرهما من أبناء دعوتهما ، ووجدا الاجواء مهيأة ، لهذا حققا أكبر النجاحات في أسرع الأوقات •

ثم من جهة ثالثة تحدثنا المصادر المختلفة لتاريخ بلاد الشام والعراق والجزيرة أنه مع النصف الثاني للقرن الثالث ، أو قبيل ذلك تدفقت على بلاد الرافدين ثم الشام هجرة بدوية جديدة ، هي الثانية من حيث الحجم بعد هجرة القرن السابع للميلاد التي قامت بسبب الاسلام ورافقت الفتوحات الاسلامية •

وقد حملت الهجرة الجديدة عدداً كبيراً من القبائل ، مثل : كلب ، طيء ، فزارة ، أسد ، عقيل ، نمير ، قشير ، كلاب ، خفاجة وسواهم كثير • ومن المرجح أن هجرة هذه القبائل كان « للدعوة القرمطية » النصيب الأكبر في قيامها ، ومما لا شك فيه أن رجال هذه القبائل هم الذين قدموا المادة البشرية لدعاة القرامطة وقادتهم فيما بعد في الشام والعراق والجـزيرة •

ولننتقل الآن نحو الإجابة على شطر آخر من سؤالنا الاساسي ، وهو من أين جاءت التسمية « قرامطة » وما هو معناها ؟

لقد أكثر الاوائل والمعاصرون في البحث في هذه القضية ، لكن عجزوا عن الوصول الى رأي حاسم حولها ، ومثل هذا ليس بغريب في التاريخ العام والخاص ، فهناك أسـماء كثيرة شهيرة لا نعرف مؤكداً أصلها ، مثل « دمشق ، سورية » وغير ذلك وعلـى صعيد الحركات الاسماعيلية هذا ينطبق على عبارتي « قرامطة » و « حشيشية » المتأخرة ومع هذا نحاول أن ندلي بدلونا في هذه المسألة عارضين أولاً لأهم الآراء والروايات حول الموضوع ثم محاولين بعد ذلك الوصول الـى نتيجـة ما •

في المصادر المبكرة والمعاجم اللغوية نجد معنى القرمطة : اللون الأحمر أو مقاربة الخطوة ، أو دقة الكتابة وتداني الحروف والسطور أو النقص ، هذا ومن أفضل ما قيل في تعريفها ما أورده ابن العديم في كتابه بغية الطلب حيث قال: « وانما سموا القرامطة : زعموا أنهم يدعون الى محمد بن اسماعيل بن جعفر بن علي ، ونسبوا الى قرمط ، وهو حمدان بن الاشعث ، كان بسواد الكوفة ، وإنما سمي قرمطاً لانه كان

رجلاً قصيراً ، وكان رجلاه قصيرتين ، وكان خطوه متقارباً ، فسمي بهذا السبب قرمطاً ••• وذكر بعض العلماء أن لفظة قرامطة ، إنما هي نسبة إلى مذهب يقال له القرمطة خارج عن مذاهب الاسلام ، فيكون على هذه المقالة عزوه الى مذهب باطل لا الى رجل » وذكر بعض آخر انما هو نسبة الى « بني قرمطي بن جعفر بن عمرو بن المهيأ ••• بن عامر بن صعصعة » •

إن ما رواه هنا ابن العديم في غاية الأهمية ، أقصد قوله : « إنما هو نسبة الى مذهب يقال له القرمطة خارج عن مذاهب الاسلام » حيث من الثابت أن القرامطة كانوا من جماعات الدعوة الاسماعيلية ، ثم هذا يتوافق مع ما ذهب اليه بعض الباحثين المعاصرين من القول بأن كلمة « قرمطة » هي كلمة آرامية تعني « العلم السري » •

ومعلوم أن من أسماء الاسماعيلية التي شهرت بها « الباطنية » ذلك لأنها قالت بالتأويل وبوجود علم ظاهري عام وعلم داخلي باطني خاص : وعلى هذا الأساس يكون معنى « القرامطة » هو « الباطنية » •

إن هذه تتيجة منطقية معقولة يمكن اعتمادها حتى يظهر ما ينقضها أو يزيدها قوة ورسوخاً ، والآن وقد وصلنا الى هذا بقي علينا التعرض الى مبادىء القرامطة وخططهم •

إن هذا ليس بالأمر الصعب ، خاصة وقد قررنا أن القرامطة فرع من فروع الاسماعيلية ، وبصرف النظـر عن الجانب اللاهوتي ، فمن المعروف أن الاسماعيلية قد أولت الإمام مكانة خاصة عالية للغاية وجعلته محور عملها ومنحته من الصفات الشيء الكثير ، ولهـذا اذا ما أردنا البحث عن البرامج الثورية للقرامطة في الجانب النظري يمكننا أن نجد

ذلك في صفات الامام الذي حين يخرج يكون مهدي زمانه ، يحل العدل مكان الظلم ، والمساواة محل التفاوت وبكلمة اسماعيلية موجزة حين يخرج الامام المهدي القائم « حينئذ يشرب الثور والسبع من حوض واحد ، ويخلف الراعي الذئب على غنمه » ولا يدع « بدعة من البدع إلا أطفئت ومحقت ويرد الحق الى أهله حتى يعود الانسان كما ولد » [الكشف لابن منصور اليمن : ٣٢-٣٥] .

قد يكون هذا من حيث الواقع النظري ، خاصة لطالما تساءل الباحثون في أيامنا عن برامج الثورة عند القرامطة ، لكن ماذا عن الجانب التطبيقي العملي ؟ .

اننا حين نعود الى مختلف مصادرنا عن قرامطة العراق أولاً نشاهد نوعاً من أنواع التطبيق الاشتراكي في توزيع الثروات واقبال الجميع على العمل ، وهذا ما يمكن للقارىء أن يتلمسه في نصوص كتابنا هذا الذي نقدم له اليوم ، وأما بالنسبة لدولة الاحساء ، فمما لا شك فيه أن هذه الدولة طبقت نظاماً يمكن تصنيفه بين النظم الاشتراكية ، والثغرة الوحيدة في هذا النظام هي مشكلة الرقيق ، ذلك أن هذه الدولة احتفظت بنظام الرقيق ، وجعلت الرقيق أداة الانتاج ، وقامت من حيث الواقع على طبقتين اجتماعيتين : الأحرار وجلهم من المقاتلين ، والرقيق ، وكان الأحرار يقتسمون بينهم موارد الدولة .

إن هذا الوضع دفع بعض الكتاب الى القول بأن دولة الأحساء لم تكن دولة اشراكية ، إنما كانت دولة طبقت نظام رأسمالية الدولة،دولة المحاربين ، ثم إن باحثين آخر قالوا : إن دولة القرامطة في البحرين

والأحساء قامت في منطقة خضعت دائماً للتأثير الفارسي، خاصة الساساني منه ، وهنا يرى البعض أن نظام دولة البحرين لم يكن سوى نظام متطور للنظام الاقطاعي الساساني الذي عرف بنظام اقطاعيات الفرسان ...

المسألة ما تزال عرضة للجدل ، وتترك الحكم فيها لكل قارىء من القراء على أساس أنني أقدم مقدمة لمجموعة من النصوص حول القرامطة، ولا أقوم الآن بدراسة مستفيضة حولهم .

والغاية من المقدمة هنا مساعدة القارىء على الدخول في الموضوع، وعرض أخبار القرامطة عن طريق النصوص ، هي أحدث طرائق العرض التاريخي ، ذلك أنها وثائقية ، لا يتدخل فيها الكاتب أو الباحث في توجيه القارىء وانتقاص حريته في الاستنتاج والفهم ، ذلك أن من المفترض أن قارىء هذا العصر هو رجل متحضر يملك زاداً ثقافياً يمكنه لوحده من المشاركة في فهم أي علم من العلوم الانسانية أو قضية من قضايا التاريخ[١] .

(١) بالاضافة الى نصوص كتابنا انظر : كتاب الكشف المنسوب إلى الداعي جعفر ابن منصور اليمن نشره ز. ستروطمان اكسفورد ١٩٥٢ . كتاب المقالات والفرق تصنيف سعد القمي ط. طهران ١٩٦٣ . كتاب فرق الشيعة للحسن بن موسى النوبختي ط. استانبول . كتاب مقالات الاسلاميين لأبي الحسن الأشعري ط. القاهرة ١٩٥٠ . كتاب الزينة لأحمد بن حمدان الرازي ط. القاهرة ١٩٥٧ . كتاب التنبيه والرد لمحمد بن أحمد الملطي ط. القاهرة ١٩٦٨ . كتاب الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ط. القاهرة ١٣٢٨ هـ . كتاب البدء والتاريخ لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي ط. باريس ١٩١٦ . كتاب الفصل في الملل والنحل لابن حزم الأندلسي وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني ط . مكتبة المثنى بغداد . كتاب الألفين في إمامة أمير المؤمنين للحسن بن يوسف الحلي ط. النجف

إن النصوص المقدمة في كتابنا هذا بمجملها تقدم للقارىء صورة متكاملة لتاريخ القرامطة في جميع المناطق وكافة المراحل ، وهي تحوي زبدة ما جاء في المصادر العربية ، ولم يحدث قط أن حوى كتاب منفرد مثل هذا الحشد الذي يحويه مجلدنا هذا ، وهذه النصوص بعضها ينشر للمرة الأولى والبعض الآخر ، وإن سبق نشره فهو لأول مرة ينشر بشكل علمي دقيـــق ، دون تصحيفات في النص مع ما يكفـــي من الحواشي

١٩٥٣ • تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري ط• دار المعارف مع طبعة ليدن • كتاب الأئمة الاثنا عشر لمحمد بن طولون ط• بيروت ١٩٥٨، كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة للغزالي ط• القاهرة ١٩٦١ • فضائح الباطنية له ط• القاهرة ١٩٦٤ • قواصم الباطنية له ط• استانبول ١٩٥٤ • كتاب عيون الأخبار وفنون الآثار للداعي ادريس القرشي ط• بيروت ١٩٧٣ • المصابيح في إثبات الإمامة لأحمد بن حميد الكرماني ط• بيروت ١٩٦٩ • كتاب رجال الكشي لمحمد بن عمرو الكشي ط• كربلاء • كتاب اختلاف أصول المذاهب للقاضي النعمان بن محمد ط• بيروت ١٩٧٠ • الأرجوزة المختارة له ط• مونتريال ١٩٧٠ دعائم الاسلام مع التأويل له ط• دار المعارف القاهرة • رسالة افتتاح الدعوة له ط• بيروت ١٩٧٠ • الرسالة المذهبة في الحكمة والتأويل ، مخطوطة خاصة في خزانتي • المجالس المؤيدية للمؤيد في الدين هبة الله ابن موسى ط• القاهرة • العيون والحدائق لمؤلف مجهول ط• دمشق ١٩٧٢ـ ١٩٧٤ • مسائل الامامة للناشيء الاكبر ط• بيروت ١٩٧١ • كتاب الفهرست للنديم ط• طهران ١٩٧١ • كتاب الذخيرة في الحقيقة لعلي ابن الوليد ط• بيروت ١٩٧١ • كتاب المنية والأمل في شرح الملل والنحل لاحمد بن يحيى بن المرتضى ط• بيروت ١٩٧٩ • كتاب عمدة الطالب في انساب آل أبـي طالب ط• بيروت • كتاب الافحام لافئـدة الباطنية الطغام ليحيى بن حمزة العلوي ط• الاسكندرية • القرامطة لدي غويه ترجمة عربية ط• بيروت ١٩٧٨ • أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ط• القاهرة • قرامطة العراق لمحمد عبد الفتاح عليان ط• القاهرة ١٩٧٠ •

والشروح ، ويمكن أن أعتبر هذا الكتاب عملاً مطوراً للكتاب الذي سبق لي نشره عام ١٩٧٠م باسم « تاريخ أخبار القرامطة » .

نصوص هـذ االكتاب انتزع أولها من تاريخ ثابت بن سنان بن ثابت بن قر ةالصابيء الحراني الأصل ، وجمع في مجلد منفصل ، وتم ذلك من قبل شخص مجهول، ولعل هذا قد حدث خلال العصر المملوكي، وتاريخ ثابت بن سنان لم يصلنا ، وكل ما وصلنا هو وصفـه وبعض النقول منه ، ونصنا الذي ننشره اليوم ، ولعله أكبر قطعة تصلنا منه . وحسبما أعلم إن هنـاك نسخة مخطوطة واحدة من هذا النص ، هـي بحوزة المستشرق الانكليزي الكبير برنارد لويس ، استاذ تاريخ الشرق الأوسط فيجامعة لندن سابقاً.وتعود معرفتي بهذه النسخة الى عام١٩٦٧ عندما كنت آنذاك في لندن أحضر لنيل شهـادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي تحت اشراف الاستاذ لويس . ولقد تفضل الاستاذ لويس فأعارني نسخته وأخبرني أنه كان قد ابتاعها من القاهرة قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية ، واستفاد منها في دراسته عن أصول الاسماعيلية، وعزم علىتحقيقها ونشرها وحتى عمل على ترجمتها الى الانكليزية ولكن قيام الحرب وانشغاله بعدها لم يمكنه من إتمام عمله . وتكرم أيضاً فأعارني مجموعة تضم ما حضره لنشر هذه المخطوطة من جملة ذلك نسخـة تحوي نص المخطوطة مضروب علـى الآلة الكاتبة . ولقـد استخدمت هذه النسخة في عملي ولم أقم بنسخ المخطوطة وكل ما فعلته أنني قابلت المطبوعة على النسخة الأم ، وأثناء عملي بالتحقيق استفدت كثيراً من عمل الاستاذ لويس وملاحظاته القيمة ، ولهذا فانني مدين له في عملي هذا ، و لايسعني هنا سوى أن أقدم له شكري، واعترافي بالفضل، وشعوري بالامتنان .

وتتألف مخطوطة الاستاذ لويس من احدى وثلاثين ورقة من قطع ١٩×١٣٫٥ سم • وفي كل صفحة ما بين ٢٠ ــ ٢٣ سطراً ، في كل سطر ما بين ٧ ــ ٨ كلمات • وهذه النسخة قد كتبت من قبل ثلاثة نساخ على الأقل • وقد تم الفراغ من كتابتها « في سلخ شوال سنة ألف وسبع وخمسين » [٢٧ تشرين الثاني سنة ١٦٤٧] وقد نسخت كما يبدو عن نسخة من تاريخ ثابت تم نسخها في « سلخ جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وخمسمائة » [١١ تشرين الأول سنة ١١٨١] • وهذه النسخة قد نسخت ــ كما صَرح ــ عن مسودة المؤلف •

إن خط مخطوطة الاستاذ لويس هو نسخي مقروء وحالة المخطوطة حسنة إنما يبدو أن المستوى الثقافي لنساخها ومعرفتهم بقواعد اللغة العربية قد كان ضعيفاً ، لهذا تبعثرت الاخطاء النحوية والإملائية في كل مكان • وحين قمت بعملي في التحقيق قومت هذه الاخطاء ، ولكن لكثرتها لم أشر بالحواشي إلا لنزر يسير منها خشية ملء الحواشي بأمور لا فائدة منها •

ان المعلومات التي تتضمنها مخطوطة الاستاذ لويس هذه ، يمكن تقسيمها الى قسمين : قسم وردت معظم رواياته في تاريخ الطبري ، وقسم تمت أحداث رواياته بعد وفاة الطبري ، فقام ثابت بتدوينه ، وكثير من أخبار هذا القسم مما عاصره ثابت ، وقد نقل ابن الاثير معلومات ثابت ودونها في تاريخه الكامل دون الاشارة الى ثابت • على أنه رغم هذا هناك بعض التفصيلات ، والمعلومات في نصنا هذا غير موجودة عند ابن الاثير • ونشر نصنا هذا يوفر رواية متسلسلة لتاريخ القرامطة ويعين على دراسة حركة التدوين التاريخي عند العرب ، خاصة فيما يختص بعلاقة كتابات مسكوية بتاريخ ثابت بن سنان •

وثابت بن سنان هو أحد أفراد آل الصابىء ، الأسرة التي اشتهرت بالطب فنبغ منها عدد من الأطباء خدموا الخلفاء العباسيين ورجال دولتهم • ويذكر بعض من ترجم لثابت بأنه كان مختصاً بخدمة الخليفة الراضي [٣٢٢/٩٣٤ ــ ٣٢٩/٩٤٠] وأنه كان بارعاً بالطب ، تولى تدبير المارستان في بغداد وخدم عدداً من الخلفاء بعد الراضي • ولقد ذكر البعض بأن ثابتاً قد توفي في عام ٣٦٣/٩٧٣ ــ ٤،وهذا وهم، أصح منه أن وفاته حدثت في عام ٣٦٥/٩٧٥ ــ ٦ وهذا ما تثبته مخطوطتنا وما نقله ياقوت عن ابن أخت ثابت هلال بن المحسن الصابىء • وكان ثابت بن سنان كمعظم بقية آله متميزاً الى جانب كونه طبيباً باهتمامه بالتاريخ وتدوينه ، فكتب عدداً من التواريخ أشهرها تاريخه الكبير الذي انتزع منه ، نصنا الذي ننشره اليوم • وقد بدأ ثابت تاريخه هذا بفترة حكم الخليفة المقتدر [٢٩٥/٩٠٨ ــ ٣٢٠/٩٣٢] ، وتوقف عن متابعة الكتابة فيه قبيل وفاته بأيام • ولثابت تاريخ « مفرد في أخبار الشام ومصر في مجلد واحد » وله كتاب آخر دون فيه « وفاءات من توفي في كل سنة من سنة ثلاثمائة الى السنة التي مات فيها » أي سنة ٣٦٥ هـ • وتاريخ ثابت الكبير هو بداية سلسلة من التواريخ كتبت من قبل أفراد الصابىء وكلها تعتبر كذيول لتاريخ الطبري ، وهي في حد ذاتها على غاية من الاهمية تغطي فترات انفردت ــ تقريباً ــ في رواية أخبار أحداثها • ثم ان خدمة آل الصابىء للخلفاء العباسيين ورجالاتهم وشخصيات دولتهم قد أعطى معلوماتهم ورواياتهم التاريخيةمزيةخاصة وقيمة عالية • ومفيد هنا أن ننقل ما كتبه القفطي في هذا الباب : « واذا أردت التاريخ متصلا فعليك بكتاب أبي جعفر الطبري رضي الله عنه ، فانه من أول العالم والى سنة تسع وثلاثمائة ، ومتى شئت أن تقرن به

كتاب أحمد بن أبي طاهر وولده عبيد الله فنعم ما تفعل لأنهما قد بالغا في ذكر الدولة العباسية وأتيا من شرح الأحوال بما لم يأت به الطبري بمفرده ، وهما في الانتهاء قريبا المدة ، والطبري أزيد منهما قليلا . ثم يتلو ذلك كتاب ثابت فانه يداخل الطبري في بعض السنين ، ويبلغ الى بعض سنة ثلاث [الأصح خمس] وستين وثلاثمائة فان قرنت به كتاب الفرغاني الذي ذيل بـه كتاب الطبري فنعم الفعـل تفعله فان في كتاب الفرغاني بسطاً أكثر من كتاب ثابت في بعض الأماكن . ثم كتاب هلال ابن المحسن بن ابراهيم الصابىء فانه داخل كتاب خاله ثابت وتمم عليه الى سنة سبع وأربعين وأربعمائة . ولـم يتعرض أحـد في مدتـه الى ما تعرض له من أحكام الأمور والاطلاع على أسرار الدول ، وذلك أنه أخذ ذلك عن جده لأنه كان كاتب الانشاء ويعلم الوقائع ، وتولى هو الانشاء أيضاً ، فاستعان بعلم الاخبار الواردة على ما جمعه . ثم يتلوه كتاب ولده غرس النعمة محمد بن هلال وهو كتاب حسن الى بعد سنة سبعين وأربعمائة ... »[1] .

---

(١) القفطي (جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف) تاريخ الحكماء . ط. ليبسك ١٣٢٠ هـ ص ١٠٩ ـ ١١١ . ابن خلكان (أحمد) وفيات الأعيان ١/١٤٨ ط. باريس ١٨٣٨ . ياقوت الحموي ، ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدبـاء) حققـه د. س. مرجليوث القـاهرة ١٩٠٩ : ٢/٣٩٧ . الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان) تاريخ الإسلام ٨١ ط. مخطوطة المتحف البريطاني رقم ٤٨ .
ومما يفيد معرفته أن سبط ابن الجوزي (يوسف بن قزا أوغلي) قد أكثر في كتابه مرآة الزمان من النقول من تاريخ آل الصابىء حتى أنه نسخ في إحدى المرات جميع تاريخ غرس النعمة وضمنه في أحد مجلدات كتابه . انظر مقالنا في مجلة مجمع اللغة العربية عدد نيسان ١٩٧٠ . هذا وقد قمت بتحقيق هذا الكتاب وسأدفعه للنشر قريباً ، كما انتزعت نصوص آل الصابىء الواردة في المرآة وألحقتها بكتابنا هذا .

وانتزع النص الثاني من كتاب « سيرة الهادي الى الحق يحيى ابن الحسين » وهو كتاب كنت قد تعرفت إليه للمرة الأولى عام ١٩٦٩ حيث رأيت إحدى مخطوطاته في استانبول ، وقد قمت بنشر هذا المخطوط عام ١٩٧٢ في بيروت ، ويتحدث هذ االكتاب عن سيرة وأعمال الهادي الى الحق الذي خرج الى اليمن عام ٢٨٠ هـ ، وفيها عمل على تأسيس الدعوة الزيدية مع امامة شيعية معتدلة ، وفي اليمن حقق الهادي بعض النجاحات ، حيث استطاع دخول صنعاء لفترة قصيرة ، واصطدم الهادي خلال نشاطه في اليمن بالقرامطة في منطقة نجران من قبائل بلحارث ويام ، كما اصطرع مع قرامطة علي بن الفضل ومنصور اليمن في الجنوب .

وقد قـام مدون سيرته بتقديم تفاصيل ممتازة عن ذلك ، وأفرد فصلا خاصاً من الكتاب وقفه على القرامطة ، وذلك اضافة للمعلومات المتناثرة في ثنايا الكتاب ، ومدون السيرة وراويتها هو علي بن محمد ابن عبيد الله العباسي العلوي ، وكان من أبنـاء عم الهادي ورفاقه في اليمن ، وعلى هذا كان شاهد عيان للاحداث ، ومادته بذلك على درجة عالية من الاهمية ، تحمل الطابع الوثائقي ، لكن مع الانتباه الى أنهـا تروي الحدث وتصور الخبر من جانب واحد .

ان مادة سيرة الهادي الى الحق ، أقـدم ما عرف حتى الآن عن تاريخ القرامطة ، ومن خلالها استطعنا القول بأن حركة القرامطة بدأت في شبه الجزيرة العربية لا بالعراق ، هذا ولم نستطع الوصول الى ترجمة لمصنف السيرة ، انما من خلال دراسة نص الكتاب نعرف بأن والـد المصنف وهو محمد بن عبيد الله كان من أوائل من تلقى دعوة الهادي

الى الحق ، قبل خروجه الى اليمن ، فآمن بها كما آمن بامامته ، وقــام بمرافقته الى اليمن ، وهكذا كــان من أوائل رجالات دعوة الهادي ، وأعظمهم مكانة لديه ، فلقد اعتمد الهادي عليــه اعتماداً كبيراً وولاه جليل الأعمال ، وكلفه بخطير المهــام ، وظل في خدمــة الهــادي حتى استشهد أثناء تأديته لواجبه ، وكان ذلك في الصراع مع القرامطة •

وكان محمد بن عبيد الله عندما قرر الهجرة الى الهادي ، ومرافقته الى اليمن قد أعلم ولده علياً بذلك ، وأمره أن يلحق به ، وكــان علي آنذاك « غلاماً لم تجب لله عليه حجة » ، و « وفي ذي الحجة من سنة خمس وثمانين ومائتين » هاجر علي بن محمد بن عبيد الله الى الهادي ، والتحق بخدمته في اليمن ، وبقي معه حتى لقي ربه •

ورغم أنه قد سلف لي نشر ســيرة الهادي ، فلقــد أعدت النظر بالنص المنتزع منها حول القرامطة ضبطاً وتحشية ، آخذاً بعين الاعتبار ما رسمته لنفسي أثناء جمع نصوص هذا الكتاب بجعل هذه النصوص تشرح بعضها البعض ، وتقدم فهماً متداخلا ومتعاوناً في ذات الوقت •

والنص الثالث هو عبارة مذكرات أملاها ــ أو كتبهــا ــ أحــد رجالات البلاط الفاطمي أيام المعز لدين الله [٣٤٠ــ٣٦٥هـ/٩٥٣ــ٩٩٥م] وكان اسمه أحمد بن ابراهيم (أو ابن محمد) النيسابوري ويبدو أنه احتل مكانة رفيعة في قصر المعــز ، وكــان واسع الاطلاع على أخبار الدعوة الفاطمية ، ولربما شارك في العديد من أحداثها المبكرة ، نقول ذلك بسبب أنه لم يصلنا ترجمة له ، رغم أن رسالته كانت معروفة نقل عنها عدد من الكتاب الاسماعيليين •

ومادة هذه الرسالة على درجة كبيرة من الأهمية ، منهــا نسمع

أصداء اسماعيلية فاطمية رسمية تتحدث عن الانشقاق الذي ألم ببيت الامامة الاسماعيلي ، بعد استقرار هذا البيت في السلمية ، حيث يبدو أن هذا الانشطار كان من وراء اندلاع نشاط القرامطة في الشام وهو يساعد على تعليل قضية ادعاء قادة قرامطة الشام للنسب الاسماعيلي ، ومنه نرى ما صنعه الفاطميون بعد انتصار فرعهم ، وسيطرته على أطراف الدعوة الاسماعيلية والدعاة فيما يختص بقضية تحريف أنساب أئمة القرامطة •

وقد سبق أن تم نشر هذا النص ثانية سنة ١٩٣٧ في مجلة كلية الآداب لجامعة القاهرة المجلد الرابع [٨٩ ـ ١٠٧] اعتماداً على مخطوطة وجدت لدى جماعات البهرة المستعلية في الهند ، وجاء نشره جافاً خلواً من أية تعليقات ، محشواً بالأخطاء والتصحيفات،ولقد أعدت النظر فيه وتلافيت الأخطاء وقمت بضبطه ووضع بعض الحواشي الضرورية له •

اما النص الرابع فهو عبارة عن فصلة من كتاب اسمه التراتيب من تصنيف أحد رجالات الدعوة الاسماعيلية ، ويبدو أن تاريخ التصنيف مبكر ربما يعود الى ما قبل قيام الخلافة الفاطمية أو معاصر لها ، وهذا الكتاب قد أتيح لي الوقوف عليه مع مجموعة أخرى من الرسائل الاسماعيلية في احدى المكتبات الخاصة التي كانت موجودة في القدموس في سورية ، وهو مثل سابقه يقدم مادة تساعدنا على فهم النزاعات داخل البيت الاسماعيلي في السلمية وبذلك تسهل علينا مهمة معالجة أمر العلاقة بين قرامطة الشام والبيت الاسماعيلي الذي نجح في اقامة الخلافة الفاطمية ، ولقد جهدت في سبيل التعرف الى مصنف الكتاب فأخفقت ، انما هذا لا يؤثر كثيراً على قيمة محتوياته ، وهو بحيث ينشر

للمرة الأولى فيه إلهام جديد في معالجة قضايا الماضي ، وخاصة تاريخ القرامطة والاسماعيلية •

أما النص الخامس فقد انتزعته من « كتاب تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد » لقاضي القضاة عبد الجبار الهمذاني ، الفقيه المعتزلي الشهير المتوفى سنة ٤١٥ هـ أو ٤١٦ / ١٠٢٤ أو ١٠٢٥ م ، وقد وقفت على هذا النص للمرة الأولى سنة ١٩٦٩ ، وقمت بتصويره من نسخة الكتاب الفريدة الموجودة الآن في مكتبة شهيد علي باشا في استانبول ، وكان في نيتي حين صورتها العمل على نشرها ، لكن حال دون ذلك العديد من المشاغل ، ثم أقدم المرحوم الدكتور عبد الكريم عثمان على نشر الكتاب في قسمين تحت عنوان : « تثبيت دلائل النبوة » • [بيروت ــ دار العربية] •

وكتاب « تثبيت دلائل النبوة » من أعظم ما كتبه القاضي عبد الجبار شيخ المعتزلة في وقته ، حيث حوى مادة لا نكاد نجد لها نظيراً في كتاب آخر ، فيها تجلى سعة ثقافة القاضي عبد الجبار ، وعقله ومنطقه ، وفيها تجلى تعصبه الشديد للاسلام رغم اعتزاله ، ومن المؤسف أن هذا التعصب حرف القاضي عن جادة الصواب والحق ، وجعله يروي الأحداث ويصورها لا بصفته العالم العلم الاعتزالي الكبير ، بل بصفته الفقيه المتعصب الذي ألغى تعصبه أدوات المنطق والحياد لديه •

ورغم هذ افان القاضي عبد الجبار قد عاصر الخلافة الفاطمية ، وشهد بعض فصول الصراع بين هذه الخلافة وقرامطة الأحساء ، فقدم لنا مادة تاريخية تكاد أن تكون وثائقية ، إنما من وجهة نظر محددة ،

هي بلا شك معادية ، لا بل شديدة العداء ، وهذه المادة يمكن أن نرى فيها صورة تعكس بكل أمانة موقف أهل السنة من الدعوة الاسماعيلية والخلافة الفاطمية في مطلع القرن الخامس للهجرة ، وهي فترة على غاية من الأهمية ، لأنها مرحلة متقدمة في اليقظة الاسلامية المعادية للاسماعيلية التي كانت لتوها تستفيق من أزمات خطيرة شطرتها على نفسها ، وكان على رأسها ما تم في عصر الحاكم بأمر الله وقيام الديانة الدرزية .

اذاً عاصر القاضي عبد الجبار بداية تقهقر الفكر الاسماعيلي ، وتحول مدّه الى جزر ثم انحساره بشكل سريع ومريع للغاية .

لقد كان المرحوم الدكتور عبد الكريم عثمان مختصاً بالاعتزال وبالقاضي عبد الجبار وفكره بشكل خاص ، لكن مما يؤسف له ، رغم هذا الاختصاص لقد أخفق في قراءة كتاب تثبيت الدلائل ، وهكذا عجز عن تقديم متن صحيح منه للقارىء ، ولعل أحد أسباب ذلك ، أنه اعتمد على نسخة خطية واحدة للكتاب ، ثم أنه رحمه الله زين متن الكتاب بمجموعة من الحواشي والتعليقات تدل على أن خلفياته في التاريخ الاسلامي كانت في غاية الضعف، لكن هذا كله لا يغمط ما بذله من جهد في سبيل احياء هذا الكتاب الهام .

أما النص السادس فقد انتزعته من كتاب سفرنامة لناصري خسرو ، الرحالة الايراني المشهور ، وناصري خسرو كان قد ولد في احدى مدن خراسان لأسرة متوسطة الحال وكان ذلك سنة ٣٩٤ هـ / ١٠٠٣ م ، ونشأ مسلماً سنياً وتثقف ثقافة جيدة ، وفي مقتبل شبابه التحق بخدمة الادارة الغزنوية ، وكانت هذه الدولة قد شهد عصرها تطور اللغة والثقافة الايرانية الجديدة جنباً الى جنب اللغة العربية مع الثقافة

العربية الاسلامية ، لذلك أجاد ناصري خسرو العربية والايرانية ، وفي أيام ناصري خسرو انتزع التركمان بزعامة السلاجقة خراسان من الغزنويين ، وهكذا انتقل ناصري خسرو الى الادارةالسلجوقية،والتحق بخدمة جغري بك في مرو ، وكان جغري بك من أبرز زعماء السلاجقة وأخاً لطغرلبك أول سلاطنة السلاجقة .

وقد شهدت خراسان في بداية القرن الخامس نشاطاً دينياً كبيراً تجلى في الصراع بين مختلف المذاهب والفرق ، وتأثر ناصري خسرو بهذا الصراع فعايش الشكوك فترة من الزمن ، ثم تحول من السنة الى الشيعة لكن ذلك لم ينه حالة الشك لديه ، فقد احتار الى أي فرق الشيعة ينتمي ، وهنا قرر الرحلة نحو العراق وغيرها بحثاً عن الحقيقة .

وهكذا بدا رحلته الطويلة التي استغرقت سبع سنوات ، بدأت سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ ، ومرت بثلاث مراحل : وقد انتهت المرحلةالأولى سنة ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧ ، وهو تاريخ وصوله الى القاهرة حيث مكث حتى عام ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م ، وخلال هذه الاقامة حدث تحوله الى الاسماعيلية ، وصار واحداً من كبار دعاتها ، وغادر مصر ليبدأ المرحلة الثالثة والأخيرة من رحلته ، وزار خلال ذلك الحجاز ، وقضى فريضة الحج ، وبعد هذا توجه نحو الاحساء فزار عاصمة القرامطة ، وقدم لنا وصفاً لمشاهداته فيها ، ومن الأحساء ذهب الى البصرة ومن هنالك الى خراسان ، وكان على ذلك عام ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م تاريخ نهاية رحلته .

وبعد ما استقر في خراسان بدأ نشاطه الدعوي ، وقد كسب الى صفه جماعات كبيرة ، وكان ناصري خسرو شاعراً كبيراً ومصنفاً ، خلف

لنا تراثاً غنياً ، أوسعه شهرة رحلته ، التي يعتقد أنها فقدت ، وكان ما وصلنا منها مختصر لها ، وقد نشر هذا المختصر وترجم الى أكثر من لغة من بينها العربية ، وقام بالترجمة الى العربية الدكتور يحيى الخشاب وتم طباعة الترجمة أولا في القاهرة ثم أعيد طباعتها ثانية عام : ١٩٧٠ م في بيروت •

وقد انتزعت من هذه الترجمة وصف ناصري خسرو للاحساء ، والتزمت الى أبعد الحدود بهذه الترجمة مع تعديلات طفيفة قمت بها نتيجة لمقارنتها بترجمات أخرى خاصة الى الانكليزية ، ويكاد يكون وصف ناصري خسرو للأحساء أهم وثيقة تصل إلينا تتعلق بحياة ونظام دولة قرامطة البحرين •

ويحوي **القسم السابع** « كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة » من تصنيف محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي ، ومحمد بن مالك لا نعرف الكثير عن حياته إلا ما نستخلصه من كتابه ، ذلك لعدم وصول ترجمة منفردة له في أي من المصادر اليمنيةالمعروفة ، ومن خلال الكتاب يبدو أن المصنف كان من أهل الفقه والمعرفة ، عاش في أوائل القرن الخامس ، وعاصر قيام الدولة الصليحية في اليمن ، وقد تأثر بالدعوة الصليحية الاسماعيلية ، وصار واحداً من رجالاتها ، ثم ما لبث أن انقلب عليها ، فصنف كتابه في الرد على الاسماعيلية ، وجاء هذا الرد تاريخياً على درجة كبيرة من الاهمية ، والمعلومات التي وردت فيه تكمل المواد التي أوردها صاحب سيرة الهادي الى الحق ، وإذا قلنا بأن مادة سيرة الهادي الى الحق دونت من وجهة نظر زيدية ، فان مادة الحمادي رغم طابعها الردي ، فاننا يمكن أن نعتبرها قد دونت منوجهة نظر صليحية اسماعيلية لشدة صلة المصنف بهذه الدعوة في السابق •

لقد نشر هذا الكتاب للمرة الأولى في القاهرة عام ١٩٣٩ ، وجاء هذا النشر دونما تحقيق ، لذلك ألم بالنص العديد من التصحيفات ، قمت بتقويمها جميعاً ، كما حليت النص بالحواشي الضرورية ، وقمت بضمه إلى مجلدنا هذا ، ميسراً من جديد وصوله إلى القارىء والباحث.

أما القسم الثامن فهـو عبارة عن فصل من فصول كتاب المنتظم لابن الجوزي، وقفه خصيصاً للحديث عن القرامطة من الجانب العقائدي وابن الجوزي هو الامام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي ، ولد في بغداد حوالي سنة ٥١٠ هـ وفيها نال ثقافته على كبار علماء عصره .

كان ابن الجوزي قرشي النسب ، تيمي القبيلة ، بكري النسبة ، يعتز بذلك ويفاخر بأنه حفيد الصديق الخليفة الأول في تاريخ الاسلام وقد تأثر بفقه مدرسة الامام أحمد بن حنبل ، وصار واحداً من أعلامها في عصره .

اشتهر بقوة الحجة وسرعة البديهة ، والقدرة النادرة في الوعظ ، لذلك كان عظيم التأثير في الناس ، وصلنا جزء كبير من مواعظه ، فيها نرى صورة واضحة لملكاته ولعصره ، وللعربية الدارجة آنذاك .

لقد كان ابن الجوزي غزير الانتاج واسع التصنيف ، من أهـم ما كتبه في التاريخ كتاب « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » جاء في عشر مجلدات نشر منها خمس في حيدر أباد الدكن في الهند ، وأعيد طباعة هذه المجلدات بالتصوير ، لكن لم يقدم أحد بعد على إعادة النظر فيما نشر والعمل على نشر الكتاب بجميع مجلداته ، رغم العثور على مخطوطة كاملة منه تم تصويرها في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية.

اعتمد ابن الجوزي في الفصل الذي وقفه على القرامطة اعتماداً مطلقاً على كتاب « فضائح الباطنية » للامام الغزالي ، ويمكن اعتبار عمله مختصراً لكتاب الغزالي •

هذا وقد لاقى هذا الفصل عناية خاصة في أيامنا هذه فقام الاستاذ محمد صباغ بنشره أولاً عام ١٩٦٥ ، وجاء هنا في خمسين صفحة ثم أعاد نشره ثانية عام ١٩٦٨ في ثمانين صفحة ذات حجم صغير ، جعل منها سبع وعشرين صفحة مقدمةوالباقي أثبت فيه النص مع فهارس محدودة•

وعلى الرغم من عناية الاستاذ المحقق بنص الكتاب من حيث الضبط ، فانه تجاوز المعقول في تضخيم حجمه ، ثم جاءت مقدمته والحواشي التي ألحقها بالنص تنادي بأن صاحبها يرى الماضي من منظار التعصب الديني ، وهو على هذا يطلب من الماضي أكثر من الماضي ويعلل حوادثه طائفياً ، ويغمض ناظريه عن كل شيء إلا ما هو سلبي ، ولعل له عذره في ذلك ، فهو بالأصل اختصاصه بالأدب العربي وليس بالتاريخ الاسلامي وحضارته ، فهو على هذا يمكن تصنيفه بين الذين يقبلون على العمل في التاريخ بدافع الهواية لا الاحتراف ، ومقرر أن الهاوي يقود في عمله نحو الهاوية لأنه يعتمد الاثارة العاطفية ، دون تقدير للمسؤولية، وبلا التزام بشرط الحياد والعلمية والمنطق ، في حين أن المؤرخ المحترف ، يلتزم بقوانين علم التاريخ ، ويعتمد على الاقناع ، ويبتعد عن كل ما يثير العواطف لأن الحضارات لم يتم تشييدها بالعواطف بل بالعقول المفكرة بمنطق واتزان •

اما القسم التاسع فهو منتزع من كتاب « أخبار الدول المنقطعة » لعلي بن ظافر الأزدي ، وذلك اعتماداً على مخطوطتي المتحف البريطاني في لندن ومكتبة غوطا في ألمانية الشرقية •

وعلي بن ظافر الأزدي ولد في القاهرة سنة سبع وستين أو تسع وستين وخمسمائة ، وكان أبوه من كبار الفقهاء الأصوليين ، لذلك تفقه علي على والده ، ونال ثقافة عالية ، مما أهله لتسلم أسنى المناصب في الدولة الأيوبية في القاهرة ، وقد تقلب في المناصب من الوزارة الى بيت المال الى غير ذلك ، وظل في الخدمة مدة طويلة ، لكن ليس الى تاريخ وفاته الذي كان سنة ٦١٣ هـ وكان قد اعتزل الأعمال في أواخر أيامه وانصرف نحو التصنيف ، فاهتم بالتاريخ والسياسة والأدب كما أنه نظم الشعر وكان شعره رقيقاً ، ويعتبر كتابه أخبار الدول المنقطعة من أهم ما صنف في التاريخ ، حيث جعله في فصول متوالية وقف كل منها للتأريخ لدولة من الدول التالية : العبيدية الفاطمية، والساجية في الجبال، والاخشيدية في مصر ، والطولونية في مصر أيضاً ، والحمدانية في حلب، والخلافة العباسية ، والصنهاجية في افريقية ...

ومعلومات هذا الكتاب مفيدة في كثير من الجوانب وهي وإن دلت على أن مصنفها لم يكن مؤرخاً مبدعاً إلا أنها تدل على أنه كان قليل التعصب ولديه أحاسيس سياسية جيدة ، وهذا الكتاب ما زال مخطوطاً ، توجد منه أكثر من نسخة جيدة ، وهو جدير بالنشر ، وجاء اهتمامي به من خلال واحد من الأعمال التي قطعت شوطاً بعيداً فيها ، حيث جمعت أخبار الدولة الفاطمية من عدد من المصادر غير المنشورة ، على نية تحقيقها ودفعها إلى النشر ، بتوفيق الله وعونه[1] .

---

(١) انظر معجم الادباء لياقوت الحموي . ط . القاهرة ١٩٢٨ . التكملة لوفيات النقلة للمنذري . ط . بغداد ١٩٧١ ـ ٤/٢٣٧ ـ الأعلام للزركلي .

وقد انتزع القسم العاشر من كتاب « بغية الطلب في تاريخ حلب » لابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد المتوفي سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧ـ٦٨م).

ولد ابن العديم الذي كان سليل أسرة مرموقة جداً في حلب ، في ذي الحجة سنة : ٥٨٨ هـ [كانون الأول ١١٩٢م] وتحدث ابن العديم في سيرته لنفسه وأسرته ـ كما رواها ياقوت ـ بأنه عندما كان في السابعة من عمره ، أرسل إلى المدرسة ، وأنه وهو في التاسعة كان قادراً على قراءة القرآن.

وعلى العموم لقد تلقى ابن العديم ثقافة جيدة ، ونال حظاً وافياً من علوم عصره ، كما أن والده حرص على أن ينال ابنه تدريباً جيداً في الخط ، وهكذا غدا خط ابن العديم واحداً من أجمل الخطوط ، وأكثرها دقة وصواباً ، ومن الاطلاع على المجلدات العشر المتبقية من كتابه بغية الطلب ، والتي هي جميعاً بخط ابن العديم ، يمكن الحكم بأن ابن العديم كان واحداً من أعظم النساخ وأكثرهم ضبطاً في تاريخ الخط العربي.

وعندما بلغ ابن العديم الخامسة عشر من عمره زار القدس ودمشق التي زارها ثانية عندما أصبح في التاسعة عشر ، وعند بلوغه التاسعة والعشرين عين مدرساً في احدى مشاهير مدارس حلب ، ومنذ ذلك الحين ترقت به المناصب حتى غدا الشخصية الأولى بين أهالي حلب ، ونال درجة وزارة مملكة حلب. وكشخصية مرموقة زار ابن العديم في أكثر من مناسبة العراق ومصر وكثيراً من مدن بلاد الشام وذلك غالباً كمبعوث موفد من قبل مملكة حلب.

لقد كان تحت تصرف ابن العديم تراث أسرته العلمي ، ومكتبات

حلب الغنية ، ووثائق ومدونات المملكة ، يضاف الـى ذلك أن رحلاته الكثيرة ومكانته الرفيعة قد مكناه من مقابلة علماء عصره في مصر وبلاد الشام والعراق ، وهؤلاء الذين زاروا حلباً أو مروا بها ، كما مكناه من الاطلاع على مكتبات هذه الأقاليم وجمع المعلومات منها •

ولقد أفرغ ابن العديم المعلومات التي جمعها أو شاهد أحداثها مع تجاربه كلها في كتابه بغية الطلب ، وبالاضافة الى بغية الطلب فقد كتب ابن العديم عدداً من الكتب الأخرى التي تحوي مواضيع مختلفة ، لكن رغم هذا ان الطبيعة التاريخية تسيطر عليها جميعاً •

ولقد قيل بأن كتاب بغية الطلب كان يحوي أربعين مجلدة في كل واحدة منها ما قد يزيد علي الثلاثمائة ورقة• ومن سوء الحظ فقد وصلنا عشر فقط من هذه المجلدات الأربعين ، كلها كما سبق لي أن أشرت بخط ابن العديم نفسه، وتحوي هذه المجلدات العشر: الأول من الكتاب، وكذلك المجلد الأخير من الأربعين • وبهذا فإن فحص هذه المجلدات المتبقية يبين طريقة ومذهب ابن العديم في تصنيف كتابه •

لقد كتب ابن العديم أولاً حول الجزء الشمالي من بلاد الشام من الناحية الجغرافية ومن ناحية الفضائل ، وخصص فصلاً تحدث فيه عن القبائل العربية التي توطنت شمال بلاد الشام وخص بالذكر قبيلة كلاب، وبعد ذلك بدأ يسرد تاريخ هذه المنطقة على طريقة الحوليات ، وعند فراغه من هذا قام بوضع معجم ألف ــ بائي ترجم فيه لكل من نشــأ أو اجتاز بجزء من الشام الأعلى من الشخصيات السياسية أو العلمية أو الثقافية سواء أكان ذلك قبل الإسلام أو بعده •

لقد صرح عدد من المؤرخين المتأخرين بأن ابن العديم لم ينه كتابة كتابه بغية الطلب وانما كتب مسودته فقط ، وهذا في الحقيقة وهم ناتج

عن سوء فهم لطريقة ابن العديم ، وبتصوري طريقة أي انسان متقدم جمع كتاباً ضخماً كبغية الطلب • ان وصول المجلد الأول والأخير من الكتاب يبرهن على أن ابن العديم قد أنهاه قبل موته ، لا بل ان بعض السماعات التي دونت في حواشي الكتاب ــ وهي سماعات أولاد ابن العديم على أبيهم ــ تشير الى أن الكتاب ربما أنجز تأليفه قبل وفاة ابن العديم على الأقل بعشر سنوات • وربما أن الأسباب التي قادت بعض المؤرخين المتأخرين الى قولهم هي : أن ما من أحد منهم كان قادراً على رؤية أو قراءة الكتاب جميعه ، ثم وجود بعض أوراق بيضاء لم يكتب عليها في ثنايا بعض المجلدات • ويبدو أن كتاب ابن العديم قد عانى بعض ما عاناه صاحبه وبلاد الشام من الغزو المغولي فتبعثرت مجلداته ولم يتهيأ له من يقوم بنسخه ونشره بين الناس ، يضاف الى هــذا أن الأوراق البيض قد تكون قد تركت عن قصد لإضافة معلومات جديدة • ومن المفيد الذكر أن ولد ابن العديم قد قام بتدوين بعض ما لم يتمكن والده من اضافته في بعض هذه الفراغات •

ومهما كانت الحال فإن كتاب بغيــة الطلب هو عبــارة عن منجم غني جداً بالمعلومات التاريخية وغيرها مما يتعلق مباشرة بالشام الأعلى كجزء ، وبالشام جميعه ككل ، ثم بالعالم الاسلامي كوحدة دينية وثقافية وحضارية•في هذا الكتاب معلومات حول حياة وتاريخ الثغور الاسلامية البيزنطية ليس لها نظير في التفصيل والشمول والجدة ، حيث يمكن أن يقام عليها لوحدها دراسة رائعــة • وفي الحقيقة انــه لمن المستحيل أن أستطيع أن أقدم هنا في هذه المقدمة السريعة وصفاً كاملاً ، أو دراسة وافية لهذا الكتاب ، حيث أن ذلك يحتاج لأطروحة كاملة أو لمجلد منفصــل •

لم ينشر من المجلدات الباقية من بغية الطلب سوى نتف يسيرة ، ولأهمية الكتاب وحاجة المكتبة العربية والباحثين اليه أقوم الآن بالعمل على نشره ، وقد دفعت المجلدة الأولى منه للطباعة ، وأملي كبير بخروجها قريباً •

ان من بين التراجم البالغة الأهمية التي تحويها هذه المجلدات الباقية ترجمة لصاحب الخال القرمطي • وتحوي هذه الترجمة معلومات على غاية من الخطورة نقلها ابن العديم من تواريخ ومؤلفات عدد من المتقدمين الذين لم تصلنا معظم كتبهم ، وهم :[1] •

---

(١) إن جميع مخطوطات المجلدات العشرة المتبقية من بغية الطلب موجودة في مكتبات استانبول • واحد (وهو الاول) في مكتبة أيا صوفيا برقم٣٠٣٦ وثمانية في أحمد الثالث في طوب قبو سراي برقم ٢٩٢٥ • وواحد في فيض الله برقم ١٤٠٤ •
هذا ويوجد نسخة عن المجلد الثالث لاحمد الثالث في المكتبة الوطنية في باريس برقم ٢١٣٨ وهي لا بأس بها ، انما لا قيمة كبيرة لها طالما أن نسخة المؤلف موجودة • ويوجد في المتحف البريطاني في لندن نسخة سيئة عن المجلد الثامن من نسخة أحمد الثالث وهي برقم Add 23,354 وهناك كما أخبرت نسخة عن المجلد الاول لاحمد الثالث في مكتبة المرحوم داود جلبي في الموصل • لقد تمكنت من الحصول على مصورات العشر مجلدات الموجودة في استانبول ومجلد باريس لكنني أخفقت في الحصول على مصورة مجلد داود جلبي ولم أر فائدة في تصوير مجلد المتحف البريطاني ذلك أنني طالعته مباشرة وقارنته مع النسخة الام • لقد انتزعت النصوص التي أقوم اليوم بنشرها من المجلد الثالث لاحمد الثالث ١٢٩ ظ ــ ١٤٢ ــ و • ومن المجلد الخامس لنفس المكتبة ٢٣١ ظ ــ ٢٣٣ و •
انظر معجم الادباء ٦/١٩ ــ ٤٦ • زبدة الحلب ، تحقيق سامي الدهان• دمشق ١٩٥١ ، ١/١٣ ــ ٧٩ • اعلام النبلاء للطباخ (محمد راغب) حلب ١٩٢٥ ــ ١٩٣٣ ، ٤/٤٨٠ ــ ٥١٢ الاعلام للزركلي (عمر بن أحمد بن العديم) ٥٦٨ • Brock, 1, 404 (332) : S.1.568.
Historian of The Middle East, Edited by Bernard Lewis snd P. M. Holt. London 1964 : PP. 111 - 113 .

أ ــ أبو عبد الله محمد بن يوسف الأنباري الكاتب • ولعله هو الذي ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه (٣/٣٩٣) ولكن دونما اشارة الى حياته وعمله أو سنة وفاته • واذا صح وكان هو المقصود فإن في تاريخ الخطيب نفسه (١٤ / ٦٥) ما يوحي بأنه كان من رجال القرن الثالث للهجرة التاسع للميلاد •

ب ــ أبو محمد عبد الله بن الحسين القطربلي ومحمد بن مزيد (أو ابن أحمد بن مزيد) ابن محمود المعروف بابن أبي الأزهر • وهما قد اجتمعا وكان (من الزَوَل اجتماعهما على تأليف كتاب ، وقل ما يعرف مثل ذلك) • وكان هذا الكتاب كتاب تاريخ كان (أهل بغداد وأهل مصر يزعمون أنه لم يصنف في معناه مثله لصغر حجمه وكبر علمه) •

ولد ابن أبي الأزهر كما نقل الذهبي في سنة ٨٥٦/٢٣٢ وتوفي في جمادى الآخرة في سنة ٣٣٥ [كانون الثاني ٩٤٧] • وقد صنف في حياته بالاضافة الى الكتاب الآنف ذكره الذي عمله مع القطربلي ، عدداً من الكتب منها أخبار الهرج والمرج في أخبار المستعين والمعتز وكتاب أخبار عقلاء المجانين وكتاب قدماء البلغاء •

وفي حين أنني تمكنت من الاهتداء الى أكثر من ترجمة لابن أبي الأزهر أخفقت في الوقوف على واحدة للقطربلي • وقد وهمت الدكتورة عائشة عبد الرحمن حين ظنته أنه هو الذي ذكره ابن النديم في فهرسه [ص ١٨٦ • ط • القاهرة] • فهذا اسمه : أحمد بن عبد الله بن الحسين ابن سعيد القطربلي وكان يكنى بأبي الحسن في حين أن اسم صاحبنا كما ذكر ابن العديم ونقل حاجي خليفة عن ابن خلكان : عبد الله بن الحسين

القطربلي وكان يكنى بأبي محمد والذي ذكره ابن النديم أشبه بأن يكون ابناً له من أن يكون هو نفسه[1] .

ت ـ أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح الكاتب عم علي بن عيسى الوزير العباسي الشهير ، ولد سنة ٢٤٣/٨٥٧ وتوفي مقتولاً في شهر ربيع الآخر لسنة ٢٩٦/ كانون الثاني ٩٠٩ . تقلد بعض أعمال الدواوين للخلافة وتورط في مشاكلها مما سبب فقدان حياته . كان محمد بن داود « فاضلاً عارفاً بأيام الناس وأخبار الخلفاء والوزراء وله في ذلك مصنفات معروفة » من مصنفاته كتاب الورقة في أخبار الشعراء. كتاب الشعر والشعراء . كتاب من اسمه عمرو من الشعراء . كتاب الوزراء . وكتاب الأربعة على مثال كتاب أبي هفان « الأربعة في أخبار الشعراء » . وكتاب أخبار القرامطة[2] .

(١) مروج الذهب للمسعودي . ط. القاهرة ١٩٥٨ ، ١٦/١ . الفهرس لابن النديم ط. القاهرة في ٢١١ . رسالة الغفران لأبي العلاء المعري . ط. ١٩٦٩ : ٤٢٤،٢٩ . تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ـ ط. القاهرة ١٩٣١ : ٢٨٨/٣ . تاريخ الإسلام للذهبي مخطوطة المتحف البريطاني OR ٤٨ : ١٧١ و . بغية الوعاة لجلال الدين عبد الرحمن للسيوطي ـ ط : القاهرة ١٣٢٦ هـ . ص ١٠٤ . الاعلان بالتوبيخ للسخاوي ـ ط. بغداد ١٩٦٣ ، ص ٦٩٤ . كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ط. ليبزغ ١٨٣٧ : ١١٠/٢ ، ١٣٧ .

(٢) طبع كتاب الورقة في القاهرة بتحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج . ووصف الاستاذ حمد الجاسر مخطوطة لكتاب من اسمه عمرو من الشعراء وبدأ بنشرها وذلك في مجلته « العرب » عدد كانون أول وما بعده من أعداد سنة ١٩٧٠ . انظر أيضاً الفهرس لابن النديم ط. ليبزغ ١٨٧١ ، ١٢٨/١ . تاريخ بغداد ٢٥٥/٥ . المنتظم لابن الجوزي ـ ط. حيدر أباد سنة ١٣٥٧ هـ : ٧٩/٦ . والوافي بالوفيات للصلاح الصفدي، تحقيق هلموت ريتر ١٩٦١ : ٦١/٣ـ٦٢ . وفوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي ـ ط. بولاق الثانية : ٢٠٢/٢ .

ث ـ أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي المتوفي سنة ٩٤٧/٣٣٦ . وهو أيضاً كان من مشاهير كتاب الدولة العباسية وشغل عدداً من المناصب وألف عدداً من الكتب ، منها كتاب الأوراق . وأدب الكتاب . وكتاب الوزراء وعدداً آخر عددهم ابن النديم في فهرسه وكذلك فعل آخرون ممن ترجم له[١] .

ج ـ أبو غالب همام بن الفضل بن جعفر بن المهذب من أهالي معرة النعمان كتب كتاباً في التاريخ أكثر ابن العديم النقل منه . ولم أقف لابن المهذب على ترجمة انما ابن العديم قد ذكره بين تلاميذ أبي العلاء المعري الذي توفي سنة ١٠٥٧/٤٤٩ ، وهذا يعني أنه كان من رجال القرن الخامس / الحادي عشر . ومن المحتمل أن نسخة من تاريخ ابن المهذب قد كانت موجودة في العصر العثماني ذلك أن حاجي خليفة قد ذكر الكتاب في كتابه كشف الظنون[٢] .

ج ـ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر

---

(١) مروج الذهب للمسعودي : ١٥/١ . الفهرس لابن النديم ـ ط. القاهرة ص ٢٢١ . تاريخ بغداد ٤٢٧/٣ ـ ٤٣٢ . المنتظم ٣٥٩/٦ـ٣٦١ وفيات الأعيان . ط ، باريس ١٨٣٨ : ٧١٤/١ . ٧١٦ . البداية والنهاية : ٢١٩/١١ ـ ٢٢٠ .

(٢) بغية الطلب ، احمد الثالث : ١٩٦/١ و . الإنصاف والتحري في تعريف القدماء بأبي العلاء . ط. القاهرة ١٩٤٤ ص ٥١٧ . ومن المفيد ذكره أن الاستاذ حمد الجاسر قد أخبرني بأن أحد أحفاد ابن العديم قد كتب كتاباً اسمه سوق الفاضل في ترجمة القاضي الفاضل وأنه قد نقل النص الكامل للإنصاف والتحري وضمنه كتابه هذا ، ومخطوطة هذا الكتاب موجودة في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت في المدينة برقم /٤١٠/ قديم أو /١١٨/ جديد ، وهناك نسخة مصورة عن هذا الكتاب في معهد المخطوطات في القاهرة . انظر أيضاً كشف الظنون ١٠٥/٢ .

صاحب تاريخ دمشق . ولد ابن عساكر في دمشق سنة ١١٠٥/٤٩٩ وتوفي سنة ١١٧٥/٥٧١ . ان ابن عساكر أشهر من أن يعرف به في هذه المقدمة ويكفي هنا أن أحيل على مقدمة المجلدة الأولى من تاريخه التي صنعها الدكتور صلاح المنجد حيث أنها شاملة ووافية[1] .

خ ــ ثابت بن سنان وقد سبق وترجمنا له .

أما القسم الحادي عشر فقد تم انتزاعه من « كتاب نهاية الأرب » للنويري ، ومن المجلدة الخاصة التي وقفها من كتابه للحديث عن تاريخ الخلافة الفاطمية ، وهذه المجلدة هي واحداً من الكتب التي عزمت على نشرها ضمن مجموعة أخبار الدولة الفاطمية، وكان قد سبق لي الحصول على مصورة لهذه المجلدة عام ١٩٦٧ عن مخطوطة محفوظة في دار الكتب المصرية .

والنويري هو أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري ، عرف بلقب شهاب الدين ، وشهر بالنويري نسبة الى نويرة ، وهي قرية من قرى بني سويف في مصر ، كانت ولادته سنة ٦٧٧ هـ وحسب بعض الروايات ٦٨٢ هـ ، ذلك أنه توفي سنة ٧٣٢هـ وهو من أبناء الخمسين[2] .

نال النويري ثقافة جيدة ، ويبدو أنه عمل في الوراقة ، بحيث كان ينسخ بخط يده الكتب ويبيعها ، حتى أنه نسخ صحيح البخاري ثماني

---

(١) تاريخ مدينة دمشق . ط. دمشق ١٩٥١ ، ١/٥ ــ ٤٠ .

(٢) انظر المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لأبي المحاسن بن تغري بردي ــ ط. القاهرة ١٩٥٦ــ١/٣٦١ــ٣٦٢ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي ــ ط. القاهرة ــ ٢٩٩/٩ . البداية والنهاية لابن كثير ــ ط . القاهرة : ١٦٤/١٤ . الأعلام للزركلي .

مرات ، وكان خطه من الجودة والضبط بمكان ، وهو يأتي على رأس الموسوعين العرب ، ونال شهرته من خلال تصنيف كتابه « نهاية الأرب في علم الأدب » وجاء هذا الكتاب في ثلاثين مجلدة كبار ، وقد نشر حتى الآن قسم كبير من هذا الكتاب العملاق ، والأمل كبير بأن يتم نشر بقيته خاصة الأقسام التاريخية منه •

هذا وقد سبق لأكثر من باحث الاستفادة القصوى مما كتبه النويري وضمنه في موسوعته من معلومات ، خاصة فيما يتعلق بالقرامطة حيث وقف فصلاً خاصاً من كتابه لهذا الموضوع ، لسوء حظي أنه لم يتح لي بعد الحصول على نسخة منه •

وتم انتزاع القسم الثاني عشر من كتابي « اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا » « والمقفى الكبير في تراجم أهل مصر والوافدين عليها » لمؤرخ مصر الاسلامية المقريزي •

والمقريزي هو تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ولد في القاهرة سنة ٧٦٦ هـ من أسرة تنتمي بالأصل الى بلدة بعلبك، قيل أنها كانت تقطن في حي من أحياء بعلبك عرف باسم حي المقارزة ، زالت الآن معالمه ولم يعد أحد يعرفه •

نشأ المقريزي في كنف جده لأمه ، ويعرف بابن الصائغ ، وكان من علماء الحنفية ، لهذا تأثر الحفيد بالجد ، فكان حنفياً حتى غدا شاباً فتحول الى المذهب الشافعي •

حصل المقريزي على ثقافة عالية، والتحق بعدد من الوظائف السامية كما قام بزيارة عدد من بلدان العرب خاصة مكة ودمشق ، حيث أقام

في كل منهما فترة طويلة ، وقد انتهت حياته في القاهرة سنة : ٧٤٥هـ •

كان المقريزي غزير الانتاج ، وخاصة في ميادين التاريخ ، وهو قد عاصر ابن خلدون وقد تأثر به كثيراً أثناء اقامته في القاهرة ، وقامت بينهما وشائج من القربى ، ويمكن تصنيف نتاج المقريزي الى قسمين : المؤلفات الكبيرة ، والرسائل الصغيرة ، وقد وقف مؤلفاته الكبيرة إما لموضوع من مواضيع التاريخ الاسلامي العام ، أو لتاريخ مصر الاسلامية السياسي والعمراني ، عبر عدة مراحل أولها منذ الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية ، وثانيها تاريخ لهذه الخلافة حتى سقوطها ، وثالثها منذ نهاية العصر الفاطمي وحتى أيامه •

أما الرسائل الصغيرة فقد عالج فيها المقريزي عدداً من المواضيع الهامة للغاية ، وفي هذه الرسائل تظهر أصالة المقريزي وعبقريته العظيمة وصورة المقريزي في رسائله هي معاكسة لصورته في مؤلفاته الكبيرة ، حيث أنه في غالبية هذه المؤلفات الكبيرة هو كحاطب ليل يغير على مصنفات الذين سبقوه فينقل عنها ما شاء له الحظ أن يفعل دون أن يشير الى مصادره ، وهنا اذا حدث وورد ذكر مصدر من المصادر في نص من كتب المقريزي فهو في الغالب مصدر اعتمده صاحب الكتاب الذي أغار عليه المقريزي دون أن يسميه •

ورغم هذا فان كتب المقريزي على اختلاف أحجامها فيغايةالاهمية لأن المصادر التي اعتمدها هي محجوبة عنا الآن وتعتبر في حكم المفقود

لقد تجمع لدى المقريزي مادة تاريخية كبيرة للغاية أراد في أواخر أيامه تصنيفها في كتاب تاريخ كبير يؤرخ به لمصر والوافدين عليها يجعله في ثمانين مجلدة كبيرة مثل تاريخ دمشق لابن عساكر ، وقد لحق

المقريزي بربه قبل أن يتاح له اكمال مشروعه الكبير هذا ، الذي بوبه حسب حروف المعجم ، وقد قيل بأنه كتب منـــه ست عشرة مجلدة قبل أن يتوفى •

لا ندري مدى صحة هذه الرواية ، وبنفس الوقت لا ندري حجم المجلدة لدى المقريزي ، والذي أعرفه الآن هو أنني وقفت على خمس مجلدات من هذا الكتاب لدي مصورة لهـــا جميعاً ، أربع منها بخط المقريزي ، وهذه المجلدات واحد منها أعتقد أنه الأول محفوظ الآن في مكتبة برتو باشا في استانبول ، وهو كما صرح ناسخه قد نسخه عـــن نسخة بخط المقريزي وهو مجلد كبير للغاية ، أما المجلدات الأربـــع فثلاثة منها في ليدن وواحد في باريس وقد قمت باستعراض مواد هذه المجلدات واستخرجت منها ما يختص بالخلافة الفاطمية ، كما استخرجت منها كتاباً كاملا يؤرخ للدولة العباسية ، أنـــا في المراحل الأخيرة مـــن تحقيقه ، وأطمع أن أدفعه للطباعة الصيف المقبل بعونه تعالى •

من مجلدة برتو باشا قمت بانتزاع ترجمة الحسن الأعصم زعيم قرامطة الأحساء الذي تصدى للخلافة الفاطمية في بداية عهدها المصري الشامي كما أخرجت منه تراجم لكل من جوهر الصقلبي وجعفر بن فلاح وسواهما ، وقد سبق لي نشر هذه التراجم في كتابي « مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية » و « تاريخ أخبار القرامطة » الذي هو أصل كتابنا الذي نقدم له اليوم •

كما سلف القول بأن المقريزي وقف كتابه « اتعاظ الحنفا » على الخلافة الفاطمية ، وهذا الكتاب اعتبر فيما مضى وما زال يعتبر أفضل مصادر التاريخ الفاطمي ، وقد أثار هذا الكتاب جدلا حـــول المقريزي

وميوله المذهبية ، عالجها أكثر من باحث من بينهم المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال ، والدكتور محمد مصطفى زيادة[1] ٠

وقد تم التعرف أولا الى هذا الكتاب عبر نسخة خطية ناقصة عثر عليها في مكتبه غوطا بالمانية ، وقد نشرت هذه القطعة أولا سنة ١٩٠٩ بعناية المستشرق الالماني هوجر بونز ، وقد أعاد المرحوم الشيال نشر هذه القطعة ثانية بعناية أكبر سنة ١٩٤٨ في القاهرة ٠

وبعد هذا بوقت قصير تم التعرف الى نسخة كاملة من الكتاب تقع في مائة وسبعون ورقة ، وهي محفوظة الآن في مكتبة أحمد الثالث في طوب قبو سراي في استانبول ٠

واهتم المرحوم الدكتور الشيال مجددا بالكتاب واستطاع قبل وفاته نشر قسم من الكتاب عام ١٩٦٧ في القاهرة ، وفي هذا القسم أفرد المقريزي فصلا خاصاً وقفه للحديث عن القرامطة ، ومادة هذا الفصل غنية جداً وعظيمة الفائدة وهي مع ما نعرفه من نصوص أخرى تكمل صورة تاريخ القرامطة وتزيده وضوحاً ٠

وأثناء عملي بتاريخ حركات القرامطة عدت مراراً الى هذا الفصل، ولا حظت أثناء عودتي لطبعة المرحوم الشيال الأخيرة ، أنه رحمه الله رغم تخصصه بكتب المقريزي لم يحالفه الحظ تماما في قراءة فصل القرامطة ، لهذ اجاء محشواً بالتصحيفات خاصة أسماء العديد من المدن والقرى في سواد العراق ، حيث ذكر في الحواشي أنه لم يقف لها على ذكر ، لهذا عمدت الى اعادة النظر في تحقيق هذا الفصل وأدخلته ضمن

---

(١) انظر اتعاظ الحنفا ٠ ط٠ القاهرة : ١٩٦٧ : ١/١١ ـ ٢٣ ٠

كتابي هذا واعتمدت في عملي على مطبوعة عام ١٩٦٧ مع النسخةالخطية الكاملة للكتاب والمحفوظة في مكتبة أحمد الثالث تحت رقم ١٠١٣ ، حيث أنني أمتلك نسخة مصورة عنها ، ما زلت أنوي اعادة نشرها ضمن مجموعة تاريخ الخلافة الفاطمية ، والله هو الموفق والمعين •

أما القسم الثالث عشر فقد تم انتزاعه من كتاب « العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك » تصنيف علي بن الحسن الخزرجي •

ولد الخزرجي سنة ٧٣٢ هـ في مدينة زبيد ، وفيها نشأ ونال ثقافته وقد عاش في ظل الدولة الرسولية ، ولربما التحق بخدمة هذه الدولة ، وظل يعيش في كنفها حتى وفاته سنة : ٨١٢ هـ •

يعتبر الخزرجي كبير مؤرخي اليمن المتأخرين ، كتب في تاريخ اليمن العام كما كتب في التاريخ الخاص ، خاصة تاريخ الدولة الرسولية التي وقف على أخبارها « العقود اللؤلؤية » •

ولعل أهم كتبه في تاريخ اليمن العام كتابه الموسوم « بالعسجد المسبوك » ويبدو أنه أرخ به لليمن ، منذ ما قبل الاسلام وحتى أيامه ، وأن تصنيفه له قد مر بعدة مراحل في كل مرحلة عرف فيها باسم خاص ، لهذا تعددت أسماء نسخ هذا الكتاب ، انما يبدو أن آخر عنوان اعتمده هو « العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك » •

لقد وقف الخزرجي فصلا خاصاً من فصول كتابه هذا على تاريخ قرامطة اليمن ، وقدم في هذا الفصل مادة على درجة كبيرة من الأهمية ونص الخزرجي هذا هو ثالث نصوص كتابنا الذي نقدم له اليوم عن قرامطة اليمن ، ويمكن القول بأنه كتب من وجهة نظر يمانية محافظة والى حد ما محايدة •

واطلعت على هذا النص لاول مرة منذ سنوات بوساطة عالم العرب والجزيرة الاستاذ حمد الجاسر ، حيث كان لديه مأخوذاً عن نسخة الحرم المكي من الكتاب ، ومنذ بضعة أشهر جرى تكليفي من قبل وزارة الاعلام في صنعاء بالعمل على تحقيق هذا الكتاب ، وأرسل إليّ مصورة مخطوطة الجامع الكبير في صنعاء ، واعتماداً على نسختي الحرم المكي والجامع الكبير قمت بتحقيق هذا الفصل وألحقته بكتابي هذا [1] .

ان هذا الكتاب يحوي جل ما كتبه العرب حول تاريخ القرامطة ، ولم يحدث قط أن حوى كتاب آخر ما حواه ، على أنه للانصاف ينبغي القول بأنه ما زال هناك العديد من الكتب فيها مواد خطيرة حول تاريخ القرامطة ، من بينها تاريخ الطبري ، والحدائق والعيون لمؤلف مجهول ، وتجارب الأمم لمسكويه ، والكامل لابن الأثير وكذلك بعض كتب الفرق والملل .

ومع هذا فان نصوص كتابنا هذا تقدم صورة متكاملة لتاريخ القرامطة ، تزداد تدعيماً بما أوردته المصادر المشار اليها ، انما دون زيادة تفاصيل هامة تبدل الصورة أو حتى تعدلها ، مع التأكيد على ما سبق وذكرته أنه لم يسبق من قبل طرح موضوع تاريخ قرامطة اليمن في كتاب قبل كتابنا هذا .

لقد رتبت نصوص هذا الكتاب حسب سابقة المؤلف بالوفاة ، وليس حسب الموضوع الأول فيها ، لأن هذا أمر لم يلتزم به أي واحد

---

(١) انظر راضي دغفوس « اليمن في عهد الولاة » منشورات الجامعة التونسية ١٩٧٩ : ٥ـ٢٣ .

من المصنفين وبذلت في تحقيق هذا الكتاب غاية الجهد ، وأفرغت فيه محصلة أعمال بحث استمرت أكثر من عشر سنوات ، لكن رغم هذا فان جهدي هو جهد انسان محدود الطاقات ، بعيد عن العصمة قريب من مواقع الغلط والوهم ، وكما حدث معي حين قمت بتقويم بعض أغاليط جيل مضى من الباحثين أتوقع أن يأتي من يقوم لي أغاليطي ، ان وجدت ....

هذه دعوة الى القارى والباحث للنقد البناء المفيد بالمراسلةالخاصة أو عبر المجلات والصحف ، راجياً ممن يقوم بذلك اخباري أو ارسال نسخة من نقده ، وسأكون عظيم الحظ اذا أغنيت تجربتي بتجارب غيري .

والله تعالى من وراء القصد وله الحمد والمنة ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وسلم تسليماً كثيراً .

سهيل زكار


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أخبار القرامطة

في

الأحساء - الشام - العراق - اليمن

تصنيف

ثابت بن سنان بن قرة الصابئ وآله - علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي

الداعية الإسماعيلي أحمد بن ابراهيم النيسابوري - داعية إسماعيلي قديم مجهول

القاضي عبد الجبار الهمذاني - ناصر خسرو - محمد بن مالك اليماني

عبد الرحمن بن الجوزي - علي بن ظافر الأزدي - الصاحب كمال الدين بن العديم

أحمد بن عبد الوهاب النويري - أحمد بن علي المقريزي - علي بن الحسن الخزرجي


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تاريخ أخبار القرامطة

تصنيف حجة المؤرخين ، الثقة ، جهبذ[1] عصره ، ثابت بن سنان ابن قرة الصابيء ، صاحب التاريخ الشهير ، المتوفى في سلخ [ذي الحجة سنة خمس وستين وثلاثمائة هجرية[2] .

(١) في الأصل جهبذة .

(٢) أضيف هذا بخط مخالف لخط الأصل ، وعلى ورق مخالف أيضاً ، ربما أثناء تجليد النسخة هذه من قبل أحد الذين امتلكوها .

بيان مبتدى ظهور القرامطة

في سنة ثمان وسبعين ومائتين

أول ظهورهم بالكوفة .

ثم أبي سعيد الجَنَّابي بهجر .

ثم القَرْمَطيّ الذي كان يعبر عن نفسه أنه اذا أشار الى ناحية عدوه انهزم.

ثم أبي الشامة .

ثم ابن زَكَرَوَيْه .

ثم أبي طاهر .

ثم أبي الحسن .

والحسين بن بهرام .

ثم الحسن بن أحمد .

وبدءُ ظهورهم كان في عصر الخليفة المعتضد .

والخليفة المقتدر .

وابن المعتز .

وخلافة القاهر .

وخلافة الراضي .

وخلافة المتقي .

ومعز الدولة .

والمعز لدين الله بمصر وولده العزيز[1] .

---

(١) وقعت هذه الصفحة مقابل صفحة (٥٢) من الأصل .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي ومنه العون

الحمد لله جل جلاله ، منشىء الخلائق من العدم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ، سيد العرب والعجم .

وبعد فهذا كتاب توخيت في تدبيجه ، أخبار طائفة ، مما مضى من البشر ، تُدعَى بالقرامطة ، وأوضحت فيها ما كانوا عليها من النحلة والعقيدة ، مما كانوا عليه الى زمن انقراضهم ، واضمحلال أمرهم ، وهلاكهم وقطع دابرهم ، معتمداً في ذلك على آراء معاصريهم من المؤرخين الحجة الثقة ، والله ولي التوفيق .

باب بدء ظهور القرامطة ومنزلتها من التاريخ

في سنة مائتين وثمان وسبعين من الهجرة .

فيها : تحرك بسواد الكوفة ، قوم يعرفون بالقرامطة .

وكان ابتداء أمرهم ـ فيما ذكر ـ أن زعيم هذه الطائفة قدم من بلدة من خوزستان الى [1] عاصمة الكوفة فنزل بموضع يقال له النهـــرين ، وتظاهر بالزهد والورع والتقشف و [كان] يسف الخوص [2] ، ويأكل من كسب يده ، ويكثر من الصلاة ، وأقام على ذلك زمناً كبيراً [3] .

٣ وكان اذا جاءه شخص ، وجلس معه ، تحدث / معه في أمـــر الدين ، وزهده في الدنيا ، وأخبره أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة ، حتى فشا ذلك بموضعه ، ثم أعلمهم أنه يدعو الى امام من أهل البيت [4] . فأقام على الدعاية حتى اجتمع حوله جمع كبير .

واصطحب برجل بقال وكان يكثر الجلوس على باب حانوته ، فجـاء

---

(١) في الطبري ٢١٢٤ ـ سواد الكوفة ـ .

(٢) الخوص : ورق النخل ، وسف الخوص : نسجه . القاموس .

(٣) في الأصل ـ زمن كبير ـ والزيادة بما اقتضاه السياق .

(٤) الطبري ٢١٢٤ ـ من أهل بيت الرسول ـ .

يوماً [١] قوم الى البقال وطلبوا منه رجلا يحفظ عليهم مــــا صرموا من نخلهم ، فـدلهم عليه ، وقال لهم : « ان أجابكم الى حفــظ تمركُم [٢] فانه بحيث تحبون» فـكلموه في ذلك فأجابهم الى ذلك بأجر معلوم ، فـكان يحفظ لهم ، ويصلي أكثر نهاره ويصوم ، ويأخذ عند افـطاره رطلا [٣] من التمر من البقال فيأكله ، ويجمع النوى ويعطيه البقال .

فلما حمل التجار تمرهم حاسبوا أجيرهم عند البقال ودفعوا اليه أجرته ، وحاسب الأجير البقال على ما أخذه من التمر ، ودفع له ثمن النوى [٤]. فسمع أصحاب التمر محاسبته للبقال بثمن النوى ، فضربوه ، وقـالوا له : « لم ترض بأكل تمرنا حتى بعت النوى » / فقال لهم البقال « لاتفعلوا » [٥] ٤ وقص عليهم القصة ، فندموا على ضربه ، واستحلوا منه ففعل .

وازداد بذلك [نبلاً] [٦] عند أهل القرية لما وقفوا عليه من زهده ، ثم مرض ، فـمـكَـث على الطريق مطروحاً ، وكان في القرية رجل يدعى « كرميته » لحمرة عينيه - وهو بالنبطية [أحمر العينين] [٧] - يحمل على أثوار له ، فـكلم البقال [٨] في حمل المريض الى بيته ، فحمله وأقـام حتى برىء.

---

(١) في الاصل - يوم - .

(٢) الطبري ٢١٢٥ - ثمرتكم - .

(٣) في الاصل - رطل - .

(٤) الطبري ٢١٢٥ - وحط من ذلك ثمن النوى - .

(٥) في الطبري ٢١٢٥ - لاتفعلوا فإنه لم يمس تمركم وقص - .

(٦) زيادة من الطبري - ٢١٢٥ - .

(٧) زيادة من الطبري - ٢١٢٥ - والمقصود بالنبطية اللهجة المحليـــة لسكان سواد العراق ، فقد عرفوا في الماضي باسم النبط . وهي ذات صلة وثيقة بالآرامية كما هو معتقد.

(٨) الطبري ٢١٢٥ - فكلم البقال كرميته هذا في أن يحمل هذا العليل الى منزله ويوصي أهله بالاشراف عليه ، والعناية به ، ففعل .

ودعا أهل القرية الى اعتناق مذهبه فأجابوه . وكان يأخذ من كل رجل ديناراً ، ويزعم أنه للامام . واتخذ منهم اثني عشر نقيباً ، وأمرهم أن يدعو الناس الى نحلته ، وقال لهم : أنتم كحواريي عيسى . فاشتغل أهل كور [تلك الناحية] [١] عن أعمالهم ، بما رسم لهم [٢] من الصلوات ، وكان للهيْصَم [في تلك الناحية] [٣] ضياع فرأى تقصير أهل القرية في عمارتها ، فسأل عن ذلك ، فأخبر بخبر القرمطي ، فأخذه وحبسه وحلف أن يقتله لما اطلع على مذهبه ، وأغلق باب البيت عليه . وجعل مفتاح البيت تحت وسادته ، واشتغل بالشرب ، فسمع بعض من في الدار من الجواري [بقصته] [٤] فرقّت للرجل ، فأخذت المفتاح - حين نام سيدها - وفتحت الباب وأخرجته ، ووضعت المفتاح مكانه [٥].

فلما أصبح الهيصم/ فتح الباب ليقتله فلم يجده . وشاع ذلك في الناس فافتتن به خلق كثير من تلك القرية ، وقالوا : رُفع ، ثم ظهر في ناحية أخرى واجتمع بأصحابه وغيرهم ، وسألوه عن أمره فأخبر أنه لايمكن أحداً أن يصل اليه بسوء ، فعظم في ذاك الوقت في أعينهم ، ثم خاف على نفسه ، فخرج الى ناحية الشأم ، فلم يوقف له على أثر ، وسمى نفسه باسم الرجل الذي كان في داره « كرميته » ، صاحب الأثوار ، ثم خفف فقيل قرمط . هكذا ذكر [٦] أصحاب زكرويه عنه .

---

(١) الإضافة من الطبري - ٢١٢٦ - .

(٢) في الطبري - ٢١٢٦ - بما رسم لهم من الخمسين صلاة التي ذكر أنها مفترضة عليهم.

(٣) زيادة من الطبري - ٢١٢٦ - ولم تحدد المصادر هوية شخصية الهيصم .

(٤) زيادة من الطبري ٢١٢٦ - .

(٥) في الطبري - ٢١٢٦ - أخذت المفتاح من تحت وسادته وفتحت الباب وأخرجته، وأقفلت الباب وردت المفتاح الى موضعه - .

(٦) في الاصل ذكره .

وقيل ان قرمط لقب رجل بسواد الكوفة ، كان يحمل غلة على أثوار له واسمه حمدان [١] .

ثم فشا مذهب القرامطة بسواد الكوفة ، ورأس [٢] الطائي أحمد بن محمد على أمرهم ، فجعل على الرجل منهم ديناراً في العام ، فقدم قوم من الكوفة فرفعوا أمر القرامطة والطائي الى السلطان ، وأخبروه أنهم أحدثوا ماليس في دين الاسلام ، وأنهم يرون السيف على أمة محمد ﷺ الا من بايعهم [٣] ، فلم يلتفت اليهم ولم يسمع لهم .

وفيما حكي عن القرامطة عن مذهبهم أنهم جاؤوا بكتاب فيه « بسم الله الرحمن الرحيم يقول الفرج بن عثمان ـ وهو من قرية يقال لها نصرانة ـ داعية المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل » . وذكر أن المسيح / تصور له ٦ في جسم انسان وقال له : « أنت الداعية وانك الحجة ، وانك الناقة ، وانك الدابة ، وانك يحيى ، وانك روح القدس » ، وأخبره أن الصلاة أربع ركعات ، ركعتان قبل الشروق وركعتان بعد [٤] الغروب ، ويقيم الأذان في كل صلاة ، يكبر الله ثلاثاً « أشهد أن لا اله الا الله » مرتين « أشهد أن آدم رسول الله » ، « أشهد أن نوحاً رسول الله » ، « أشهد أن ابراهيم رسول الله » ، أشهد أن موسى رسول الله » ، « أشهد أن عيسى رسول الله » ، « أشهد أن محمداً رسول الله » ، وأشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله » ، ويقرأ في كل

---

(١) الطبري ٢١٢٧ ـ كان يحمل غلات السواد على أثوار له يسمى حمدان ، ويلقب بقرمط ـ .

(٢) في الطبري ٢١٢٧ : ووقف .

(٣) في الطبري ٢١٢٧ ـ بايعهم على دينهم وأن الطائي يخفي أمرهم على السلطان ـ .

(٤) في الطبري ٢١٢٨ ـ قبل ـ .

ركعة الاستفتاح [١] المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية ، والقبلة الى بيت المقدس [٢] ، وأن الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء ، والسورة « الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المتخذ لأوليائه بأوليائه ، قـل ان الأهلة مواقيت للناس [٣] ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام ، وباطنهـا أوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي ، اتقوني ياأولي الألبـاب وأنا الذي لا أسأل عما أفعل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي وأمتحن خلقي ، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري ألقيته في جنتي ، وأخلدته في نعمتي ، ومن زال [٤] عن أمري ، وكذب رسلي ، أخذته مهانا في عـــذابي ، وأتممت أجلي ، وأظهرت أمري على ألسنة رسلي ، وأنا الذي لم يعل علي جبار الا وضعته ولا عزيز / الا أذللته ، وليس الذي أصر على أمره [٥] ودام على جهالته وقالوا : لن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين [٦] « أولئك الكافرون » ثم يركع ويقـول في ركوعـه : « سبحان ربي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون » يقولهـا مرتـين ، فإذا سجد قال « الله أعلى » مرتين « الله أعظم » مرتين. ومن شريعته الصوم يومين في السنة ، وهما المهرجان ، والنيروز ، والنبيذ حرام ، والخمر حلال ، وألا يغتسلوا من الجنابة الا الوضوء كوضوء الصـلاة ، وأن من حاربه وجب قتله ، ومن لم يحاربه ممن خالفـه وجب عليـه الجزية ، ولا يأكل كل ذي ناب ولا كل ذي مخلب .

٧

(١) الطبري ٢١٢٨ - وهي من المنزل على أحمد. . - .
(٢) زاد الطبري ٢١٢٨ - والحج الى بيت المقدس - .
(٣) انظر سورة البقرة ٢ : ١٨٩ .
(٤) في الاصل - نزل - والتصحيح من الطبري ٢١٢٩ .
(٥) في الاصل - غليه أمري - والتصحيح من الطبري ٢١٢٩ .
(٦) في الطبري ٢١٢٩ - مؤمنين - .

١١

وكان مسير [١] قرمط الى سواد الكوفة قبل قتل صاحب الزنج . فسافر قرمط اليه وقال له : اني على مذهب ورأي ، ومعي مئة ألف ضارب سيف ، فتناظرني [٢] ، فإن اتفقنا على المذهب ملت اليك ، وان تكن الأخرى انصرفت عنك ، فتناظرا فاختلفت آراؤهما ، فانصرف قرمط عنـــه .

* * *

---

(١) في الطبري - ٢١٢٩ مصير - ومن أجل ثورة الزنج انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٣٠٨-٣١٠ .

(٢) في الطبري - ٢١٣٠ - إني على مذهب وورائي مائة ألف سيف فناظرني .

١٢

باب ذكر ابتداء أمر القرامطة بالبحرين

وفي سنة ست وثمانين ومائتين :

ظهر أبو سعيد الجنابي القرمطي بالبحرين ، فاجتمع اليه خلق كثير وجماعة من الأعراب والقرامطة ، وقوي أمره فقتل من [١] حوله من أهل القرى ، ثم سار الى القطيف [٢] فقتل [من] [٣] بها ، وظهر أنه يريد البصرة ، فكتب محمد بن يحيى الواثق - وكان / متولي البصرة - الى المعتضد [٤] بذلك ، فأمره ببناء سور على البصرة ، وكان مبلغ الخراج عليه أربعة عشر ألف دينار .

٨

وكان ابتداء القرامطة بناحية البحرين أن رجلاً يعرف بيحيى بن المهدي قصد قطيف ، فنزل على رجل يعرف بعلي بن المعلى بن حمدان ، مولى الزياديين - وكان يغالي في التشيع ، فأظهر له يحيى أنه رسول المهدي [٥] - وكان ذلك سنة إحدى وثمانين ومائتين - وذكر أنه خرج الى شيعته

---

(١) في الاصل - ما - والتصحيح من الطبري - ٢١٨٨ .

(٢) قصبة البحرين وأعظم مدنها في الاسلام . معجم البلدان .

(٣) زيادة من الطبري - ٢١٨٨ - وفيه:ثم صارإلى موضع يقال له القطيف بينه وبين البصرة مراحل فقتل من بها وذكر أنه ....

(٤) امتدت خلافة المعتضد من : ٢٧٩-٢٨٩ هـ / ٨٩٢-٩٠٢ م .

(٥) يرجح أن المقصود به هو المهدي الفاطمي الذي سيكون ظهوره في إفريقية سنة ٢٩٧ هـ حيث سيكون المؤسس الفعلي لحكم الخلافة الفاطمية .

في البلاد يدعوهم الى أمره ، وأن ظهوره قد قرب ، فأخبر علي بن المعلى الشيعة من أهل القطيف ، وقرأ عليهم الكتاب الذي مع يحيى بن المهدي اليهم من المهدي ، فأجابوه وأنهم خارجون معه اذا ظهر أمره ، ووجه الى سائر قرى البحرين بمثل ذلك فأجابوه . وكان فيمن أجابه أبو سعيد الجنابي ، وكان [يبيع] للناس الطعام ويحسب لهم بيعهم . ثم غاب عنهم يحيى بن المهدي مدة ، ثم رجع ومعه كتاب يزعم أنه من المهدي الى شيعته فيه: « قد عرفني رسولي يحيى بن المهدي مسارعتكم الى أمري فليدفع اليه كل منكم ستة دنانير وثلثين » فدفعوا ذلك ، ثم غاب ، وعاد ومعه كتاب فيه « أن ادفعوا ليحيى خمس أموالكم » فدفعوا اليه الخمس ، وكان يحيى يتردد في قبائل عبد القيس / ويورد اليهم كتباً يزعم أنها من المهدي ، وأنه ظاهر فكونوا على أهبة . ١

وحكى انسان منهم يقال له ابراهيم الصائغ ، أنه كان عند أبي سعيد الجنابي ، وأتاه يحيي ، فأكلوا طعاماً ، فلما فرغوا خرج أبو سعيد الجنابي من بيته ، وأمر امرأته أن تدخل الى يحيى [1] ، وألا تمنعه ان أراد . فانتهى هذا الخبر الى الوالي ، فأخذ يحيى فضربه وحلق رأسه ولحيته ، وهرب أبو سعيد ، وسار يحيى الى بني كلاب وعقيل والحريش ، فاجتمعوا معه ومع أبي سعيد ، فعظم أمر أبي سعيد وكان منه ما يأتي ذكره .

ومن أخبارهم في سنة سبع وثمانين ومائتين في ربيع الآخر ، عظم أمرهم بالبحرين ، وأغاروا على نواحي هجر [2] وقرب بعضهم من نواحي البصرة .

---

(١) غالباً ماتشير المصادر المعادية للقرامطة الى حوادث من هذا القبيل ، هي لاشك مخترعة استهدفت التشهير والضرب على النغمة الحساسة لدى شعوب الشرق الاسلامي .

(٢) الهجر بلغة حمير : القرية ، وفي بلاد العرب أكثر من هجر ، وهجر البحرين قاعدتها ـ معجم البلدان .

ذكر الحرب بين القرامطة وعسكر المسلمين
وهي أول موقعة

في سلخ ربيع الآخر : كتب محمد الواثقي الى الخليفة يسأل المدد فسير اليه سميريات [١] فيها ثلاثمائة رجل ، وأمر المعتضد باختيار جيش [٢] لينفذه الى البصرة ، وعزل العباس بن عمرو الغَنَوي عن بلاد فارس ، وأقطعه اليمامة والبحرين ، وأمره بمحاربة القرامطة وضم اليه زهاء ألف [٣] رجل ، فسار الى البصرة واجتمع / اليه جمع كبير من المطوعة ، والجند ، والخدم ، ثم سار منها الى أبي سعيد الجنّابي فلقوه مساء ، وتناوشوا القتال ، وحجز بينهم الليل ، فلما كان الليل انصرف عن العباس من كان من أعراب بنى ضبّة — وكانوا ثلاثمائة — الى البصرة ، وتبعهم مطوعة البصرة فلما أصبح العباس باكر الحرب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم حمل نجاح — غلام أحمد بن عيسى بن الشيخ — صاحب ميسرة العباس — في مئة رجل على ميمنة أبي سعيد فوغلوا فيهم ، فقتلوا عن [٤] آخرهم ، وحمل الجنابي ومن معه على أصحاب العباس فانهزموا ، وأسر العباس ، وأخذ الجنابي ما كان في عسكره .

---

(١) في الطبري ٢١٩٢ — بثماني شذوات — وهي نوع من السفن التي كانت مستعملة تلك الايام .

(٢) في الاصل — برجل ينفذه — والتصحيح من الطبري — ٢١٩٢ — .

(٣) الطبري ٢١٩٣ — ألفي — .

(٤) في الاصل — من — والتصحيح من الطبري.

فلما كان من الغد أحضر الجنابي الأسرى وقتلهم عن بكرة أبيهم وحرقهم . وكانت الواقعة آخر شعبان [١] .

ثم سار الجنابي إلى هجر بعد الواقعة فدخلها وأمن أهلها ، وأنصرف من سلم المنهزمين إلى البصرة – وهم قليل بغير زاد – فخرج اليهم من البصرة نحو أربعمائة رجل على الرواحل ، ومعهم الطعام والكسوة والماء، فلقوا المنهزمين ، فخرج عليهم بنو أسد ، فأخذوا الرواحل ، وما عليها ، وقتلوا من سلم من المنهزمين [٢] ، فاضطربت البصرة لذلك ، وعزم أهلها على الانتقال منها ، فمنعهم الواثقي [٣] وبقي العباس عند الجنابي أياما ثم أطلقه ، وقال له : « امض إلى صاحبك وعرفه ما رأيت » . وحمله على رواحل ، فوصل / إلى بعض السواحل ، وركب البحر فوافى الأبلة [٤]، ثم سار منها الى بغداد ، فوصلها في سابع رمضان ودخل على الخليفة المعتضد فخلع عليه . ١١

وبلغني أن عبيد الله بن عبيد الله بن طاهر قال « عجائب الدنيا ثلاث : جيش العباس بن عمرو يؤسر وحده ، وينجو وحده ويقتل جميع جيشه ، وجيش عمر بن الصفار يؤسر وحده ، ويسلم [٥] جميع جيشه ،

(١) في الطبري ٢٢٩٦ – وكانت هذه الوقعة فيما ذكر في آخر رجب وورد خبرها بغداد لاربع خلون من شعبان – .

(٢) في الطبري ٢١٩٧ – وقتلوا جماعة ممن كان مع تلك الرواحل ومن أفلت من أصحاب العباس – .

(٣) في الطبري ٢١٩٧ – فمنعهم أحمد بن محمد الواثقي المتولي لمعاونها من ذلك – .

(٤) الأبلة : بلدة كانت على شاطىء دجلة البصرة في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة ، وهي أقدم من البصرة – معجم البلدان .

(٥) في الاصل – ينام – ولعل الصواب ما أثبت .

وأنا أنزل في بيتي » وتولى ابن أبي العباس الجسرين ببغداد .

ولما أطلق أبو سعيد العباس ، أعطاه درجاً ملصقاً وقال له : أوصله إلى المعتضد فان لي فيه أسراراً ، فلما دخل على المعتضد عاتبه ، فأعطاه الكتاب فقال : والله ليس فيه شيء ، وانما أراد أن يعلمني أني أرسلتك اليه في عدد كبير ، فرجعت إلي فرداً .

وفي ذي القعدة : أوقع بدر - غلام الطائي - بالقرامطة على غرة منهم بنواحي ميسان[١] وغيرها وقتل منهم مقتلة كبيرة ، ثم تركهم خوفاً على السواد أن يخرب[٢] وكانوا فلاحيه ، فطلب رؤساءهم ، فقتل من ظفر به منهم .

وفي سنة تسع وثمانين ومائتين :

ظهر بالشام رجل من القرامطة ، وجمع جموعاً من الأعراب ، وأتى دمشق ، وأميرها طغج بن جف من قبل هارون بن خمارويه بن أحمد ابن طولون ، وكانت بينهما وقعات ، وكان ابتداء حال هذا القرمطي ان زكرويه بن مهرويه الذي ذكرنا[٣] أن داعيته قرمـــط لما رأى / أن الجيوش من المعتضد متتابعة إلى من بسواد الكوفة من القرامطة ، وأن القتل قد أبادهم ، سعى في استغواء من قرب الكوفة من الأعراب أسد وطيء[٤] وغيرهم ، فلم يجبه منهم أحد ، فأرسل أولاده الى كلب بن وبرة[٥] فاستغووهم

١

(١) في الطبري ٢٢٠٢ - رودميسان - وميسان اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط . معجم البلدان .

(٢) في الأصل - خوفاً أن تخرب السواد - والتقويم من الطبري ٢٢٠٢ .

(٣) أي في الكتاب الذي وصلنا مختصره .

(٤) في الطبري ٢٢١٧ - وتميم وغيرهم - .

(٥) كانت مساكن كلب في جنوب الشام .

فلم يجبه منهم الا الفخذ المعروف بني العليص بن ضمضم بن عدي بن جناب ومواليهم خاصة ، فبايعوا في سنة تسع وثمانين ومائتين بناحـــية السماوة (١) ابن زكرويه ، المسمى بيحيى المكني أبا القاسم ، فلقبوه الشيخ وزعم أنه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٢) - وقيل لم يكن لمحمد بـن اسماعيل ولد اسمه عبد الله - وزعم أن له بالبلاد مائة الف تابع ، وأن ناقته التي يركبها مأمورة ، فاذا تبعوها في مسيرها نصروا ، وأظهر عضداً له ناقصة ، وذكر أنه آيته . وأتاه جماعة من بني الأصبغ ، وسموا الفاطميين ودانوا بدينه ، فقصدهم شبل غلام المعتضد (٣) ، من ناحية الرصـافة (٤) فاغتروه فقتلوه ، وأحرقوا مسجد الرصافة ، واعترضوا كل قرية اجتازوا بها حتى بلغوا ولاية هارون بن خمارويه التي قوطع عليها طغج بن جف، فأكثروا القتل بها والإغارة ، فقاتلهم طغج فهزموه غير مرة .

وفيها انتشر القرامطة بسواد الكوفة فوجه المعتضد اليهم شبلاً - غلام أحمد بن محمد الطائي - وظفر بهم وأخذ رئيساً لهم يعرف بأبي الفوارس (٥) فسيره / الى المعتضد ، فأحضره بين يديه ، وقال له : « أخبرني هل تزعمون ١٣ أن روح الله تعالى وأرواح أنبيائه تحل (٦) في أجسادكم فتعصمكم من الزلل

---

(١) أطلق اسم السماوة على البادية مابين الكوفة والشام، وغالباً ما كانت السيطرة فيها لكلب . معجم البلدان .

(٢) يتفق هذا مع رواية ابن العديم في ترجمة صاحب الخال . ولاشك أن اظهاره لعلامة فارقة في جسده على أنها آيته هي مسألة استميرت من فكرة خاتم النبوة .

(٣) في الطبري - ٢٢١ - سبك الديلمي مولى المعتضد. وكذا في الكامل ٨ : ٥٠٥ .

(٤) الرصافة في الشام في مواضع كثيرة ، أشهرها رصافة هشام بن عبد الملك في غربي الكوفة بينها أربعة فراسخ على طرف البرية - معجم البلدان - .

(٥) في الطبري ٢٢٠٦ - ابن أبي خوارس - .

(٦) في الاصل - تعمل - وما أثبت هو مايقتضيه السياق أيضاً .

وتوفقكم لصالح العمل ؟ » فقال له : « يا هذا ان حلت روح(١) الله فينا فما يضرك ، وان حلت روح ابليس ، فما ينفعك ، فلا تسأل عما لا يعنيك واسأل عما يخصك » ، فقـــال : « ما تقول فيما يخصني ؟ » قال : « أقول ان رسول الله ﷺ مات وأبوكم العباس حي ، فهل طلب الخلافة ، أم هل بايعه أحد من الصحابة على ذلك ؟ ثم مات أبو بكر ، فاستخلف عمر ، وهو يري موضع العباس ، ولم يوص اليه ، ثم مات عمر ، وجعلها شورى في خمسة أنفس ، ولم يوص اليه ولا أدخله فيهم ، فبماذا تستحقون أنتم الخلافة وقد اتفق الصحابة على دفع جدك عنها ؟ » فأمر الخليفة بتعذيبه بعد تقطيـــع يديه ورجليه وخلع عظامه ، وشنع به .

وفي سنة مائتين وتسعين :

استفحل أمر القرامطة بعد وفاة الخليفة المعتضد .

ففي ربيـع الآخر : سير طغج بن جف جيشاً من دمشق ، وأمر عليه غلامه بشيراً ، فهزمه القرمطي ، وقتل بشيراً .

وفي سلخ جمادي الأولى : حصر القرمطي مدينة دمشق ، وضيق على أهلها ، وقتل أصحاب طغج ولم يبق منهم إلا القليل ، وأشرف أهلها على الهلاك فاجتمع جماعة/ من أهل بغداد(٢) وأرسلوا الى الخليفة ، فوعـدهم بالنجدة ، وأمد المصريون أهل دمشق ببدر وغيره من القواد ، فقاتـلوا الشيخ مقدم القرامطة وقتلوه على باب دمشق ، رماه بعض المغاربـــة بزراق(٣) منفط وملتهب ، فاحترق به شيخ القرامطة ، وقتل منهم خلق

---

(١) في الاصل ـ جاءت ـ وما أثبت هو مايقتضيه السياق أيضاً .

(٢) في الطبري ٢٢٢ ـ من تجار بغداد ـ .

(٣) الزراق : رمح قصير ـ القاموس ـ

كثير ، وكان هذا القرمطي يزعم أنه اذا أشار بيده الى الجهة التي فيها محاربوه انهزموا ، وكان يكنى بأبي القاسم ويسمى يحيى المعروف بالشيخ [١]

ولما قتل هو ومن معه ، اجتمع من بقي منهم على أخيه الحسين ، وسمى نفسه أحمد ، وكناها أبا العباس ، ودعا الناس اليه ، فأجابه أكثر أهل البوادي وغيرهم ، فاشتدت شوكته ، وأظهر شامة في وجهه وادعى أنها آيته .

فسار إلى دمشق ، فصالحه أهلها على خراج يدفعونه ، فانصرف عنهم وسار الى اطراف حمص فغلب عليها ، وخطب له على منابرها وكانت الخطباء في الخطبة تقول « اللهم اهدنا بالخليفة الوارث المنتظر المهدي صاحب الوقت ، أمير المؤمنين المهدي . اللهم املأ الأرض به عدلاً وقسطاً ، ودمر/ ١٥ اللهم دمر أعداءه » ، فلما بلغه ذلك أصدر أمره بأن لا يدعي عليهم ، بل يدعي [٢] لهم بالهداية ، والطاعة لأمره ، وان يجعل أعداءه له خاضعين ، وينصره على كل من يعاديه ، وكان ذلك في سلخ رجب سنة مائتين وتسعين .

وفي مستهل شعبان : حضر لديه ابن عمه عيسى بن المهدي المدعو عبد الله بن محمد بن اسماعيل ، فكناه بالمدثر وعهد إليه بالقيام بالأمر من بعده وزعم أنه المدثر المذكور في القرآن . ولقب غلاما له بالمطوق [٣] ، وقلده قتل أسرى المسلمين .

---

(١) كذا في الأصل والأفضل أن يقال - ويعرف بالشيخ - والذي جاء في الطبري ٢٢٢ : - هو - يحيى بن زكرويه الملقب بالشيخ - .

(٢) في الاصل يدعو ، وهو تصحيف الأصوب منه ما أثبتنا .

(٣) سنرى في النصوص المقبلة استعمال قادة قرامطة اليمن لاعوان حملوا ذات الالقاب

ولما أطاعه أهل حمص وفتحوا له بابها خوفاً منه ، سار الى حماة ، ومعرة النعمان ، وغيرهما فقتل أهلها ، وقتل النساء والأطفال ، ثم توجه الى بعلبك فقتل أهلها ولم يبق منهم الا القليل ، ثم سار الى سلمية فمنعه أهلها ، ولم يقدر على مقاومتهم ، فصالحهم وأمنهم ، ففتحوا له بابها ، وكان ذلك في مستهل رمضان ، فبدأ بمن فيها من بني هاشم ، وكانوا جماعة فقتلهم ولم يبق منهم أحداً ، وقتل الصبيان والفقهاء والشيوخ والبهائم ، وخرج منها وليس بها عين تطرف ، ودخل في القرى المجاورة لها يسبي ١٦ ويقتل وينهب ويقطع السبيل ويأتي من المنكرات مالا عين رأت ولا أذن / سمعت .

ومما يذكر عن متطبب بباب المحول[1] يدعى أبا الحسين قال : جاءتني امرأة بعدما أدخل[2] القرمطي صاحب الشامة بغداد ، وذلك في سلخ ذي الحجة . وقالت المرأة : أريد تعالج لي جرحاً في كتفي ، فقلت : ها هنا امرأة تعالج النساء ، فانتظرتها وقعدت وهي باكية مكروبة ، فسألتها عن قصتها فقالت : « كان لي ولد طالت غيبته عني ، فخرجت أطوف عليه في البلاد فلم أره ، فسرت من الرقة في طلبه ، فوقعت في عسكر القرمطي أطلبه ، فوجدته ، فحدثته عن حالي وحال إخوته ، فقال : دعيني من هذا وأخبريني ما دينك ؟ فقلت له : ياولدي الاسلام ، كما تعلم فقال : يا أماه اتركي هذا الدين ، وادخلي معي في هذه الدعوة ، والدين ما نحن فيه اليوم ، فتعجبت من ذلك ، وخرج وتركني ، وحضر لي بخبز[3] ،

---

(١) محلة كبيرة من محال بغداد ، انفردت الى جانب الكرخ - معجم البلدان .

(٢) في الاصل - دخل - والتقويم من الطبري - ٢٢٢٦ - .

(٣) في الطبري - ٢٢٢٧ - ثم وجه إليّ بخبز ولحم وما يصلحني ...

فلم أمسه ، وأتاه رجل من أصحابه ، فسألني هل أحسن من أمر النساء شيئاً ، فقلت : نعم ، فأدخلني داراً ، فاذا امرأة تطلق ، فقعدت بين يديها ، وجعلت أكلمها ، ولا تكلمني حتى ولدت غلاماً ، فأصلحته وتلطفت بها حتى كلمتني ، فأخبرتني عن حالها أنها امرأة من بني هاشم أخذها هؤلاء القوم « بعد ذبح عشيرتي جميعاً ، وأخذني زعيمهم فجلست عنده خمسة أيام ، ثم أمر بقتلي ، فطلبني منه أربعة من رجاله فوهبني لهم ، فأقمت معهم فوالله لادري ممن هذا الولد » .

ودخل علينا أحدهم فأشارت إلي أن أهنيه بالمولود ، فقلت له : « مولود مبارك » وهنيته فأعطاني قطعة فضة / ، وجاء آخر فأشارت إلي ، فهنيته ، فأعطاني قطعة من الفضة ، ودخل آخر ففعلت معه مثل الأول ، فأعطاني ثم حضر الرابع ومعه جمع ، فهنيته فأعطاني ألف درهم ، وبت عندها تلك الليلة ، فلما أصبحت ، قلت للمرأة : قد وجب حقي عليك فالله الله خلصيني ، قالت : ممن أخلصك ؟ فأخبرتها عن ابني فقالت : عليك بالرجل الذي أعطاك الألف درهم ، فأقمت عندها اليوم كله فلما كان آخر النهار حضر الرجل ، فقمت اليه وقبلت يديه ورجليه ، ووعدته أني أعود[1] بعدما أعطي بناتي ما معي ، فأمر غلمانه بحملي الى مكان ذكره لهم ، فساروا بي عشرة فراسخ ، فلحقني[2] ابني ، وضربني بسيفه فجرحني هذا الجرح ، ومنعه القوم من أن يصل الي ، وساروا بي الى المكان الذي سماه لهم سيدهم ، ثم تركوني وجئت الى ها هنا .

---

(١) في الطبري ٢٢٢٩ - فإن أذنت لي أن أمضي فأجيئك ببناتي حتى يخدمنك ويكن بين يديك .

(٢) في الطبري ٢٢٢٩ - وقال يافاعلة زعمت أنك تمضين وتجيئين ببناتك .

وقالت لما قدم الأمير بالقرامطة وبالأسرى ، رأيت ابني فيهم على جمل وعليه برنس ، وهو يبكي ، فقلت : لا خفف الله عنك ولا خلصك .

وفي هذا الزمن وصل الى المكتفي(١) كتب أهل الشام ومصر ، وفيها بث شكواهم ، وما يلقونه من القرامطة من القتل والسبي والأسر وتخريب البلاد ، فأمر الجند بالتأهب ، وخرج من بغداد في سلخ رمضان، وسار الى الشام وجعل طريقه على الموصل ، وقدم بين / يديه أبا الأغر (٢) بعشرة آلاف رجل ، فنزل قريباً من حلب ، فكبسهم القرمطي صاحب الشامة ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وسلم أبو الأغر ، فدخل حلب ومعة ألف رجل ، وكانت هذه الواقعة في مستهل شوال ، وتقدم القرمطي الى باب حلب فحاربه أبو الأغر ، وأعانه أهل البلد ، فرد القرمطي (٣)، ونزل المكتفي بالرقة ، وبعث الجيش ، وجعل أمره إلى محمد بن سليمان الكاتب .

وفيها في شوال : وقعت محاربة بن القرمطي صاحب الشامة ، وبدر مولى ابن طولون ، فانهزم القرمطي ولم يقدر أن يقاومه لشدة بأس جيوش مصر وجسارتهم وصبرهم على القتال ، وما أظهروه من الشجاعة ، ففتكوا بالقرامطة فتكاً ذريعاً ، ومزقوهم كل ممزق ، وهرب من سلم منهم نحو البادية ، فأرسل المكتفي في أثرهم الحسين بن حمدان ، وغيره من القواد .

وفيها كبس ابن بانو أمير البحرين حصناً للقرامطة ، فظفر بمن فيه

---

(١) كانت خلافة المكتفي من سنة ٢٨٩ وحتى ٢٩٥هـ/٩٠٢ - ٩٠٨ م .

(٢) انظر ترجمته فيمايلي من نصوص .

(٣) أورد الطبري - ٢٢٣١ - هذا الحدث في تفصيلات أكبر ، انظر أيضاً النص المقتبس من بغية الطلب .

ووقع بينه وبين [١] أبي سعيد الجنابي ، فهزمهم ابن بانو ــ وكان مقامه بالقطيف ــ ثم قتل في هذه المعركة ولي عهد الجنابي وأخذت رأسه وفتح القطيف .

وفي سنة إحدى وتسعين ومائتين :

سار محمد بن سليمان بأمر الخليفة المكتفي لمحاربة صاحب الشامة ، فالتقى به في مكان قبل حماة بعشرة أميال ، وذلك في مستهل المحرم فقدم القرمطي أصحابه لهم ، وبقي في جماعة من جنده ليحتفظ بمال جمعه ، ووقعت موقعة عظيمة بين جند الخليفة والقرامطة ، واشتدت رحى الحرب بينها ، فانهزمت القرامطة شر هزيمة وأسر منهم / الجم الغفير ، ١٩ وتفرق من بقي منهم في البوادي ، وتبعهم جند الخليفة .

فلما رأى صاحب الشامة ما حل بأتباعه حمل أخاه أبو الفضل مالاً ، وأمره أن يلحق بالبوادي إلى أن يظهر بمكان فيسير اليه ، وسار بابن عمه المدثر ، والمطوق [صاحبه [٢]] وغلام له رومي الى الكوفة عرضاً في البرية فانتهى الي الدالية وأرسل بعض من كان معه ليأخذ ما يحتاجون اليه فدخل الدالية المعروفة بدالية [ابن طوق] [٣] ليشتري لهم بعض حوائج فاشتبه فيه بعض أهل الناحية ، وأنكروا أمره ، وأخذوه الى الوالي المدعو بأبي خبزة خليفة أحمد بن محمد بن كشمرد ، فسأله عن حاله

---

(١) في الطبري ــ ٢٢٣٢ ــ قرابه لأبي سعيد الجنابي وولي عهده من بعده على أهل طاعته .

(٢) الإضافة من الطبري ــ ٢٢٣٨ ــ

(٣) الإضافة والتقويم من الطبري ــ ٢٢٣٨ ــ والداليه مدينة على شاطىء الفرات في قرب غربيه الرحبة . معجم البلدان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فأخبره أن القرمطي صاحب الشامة وراء رابية خارج البلد ، ومعه الثلاثة فأرسل اليهم ابن كشمرد جنده ، فأحضرهم لديه ، وأرسلهم إلى الخليفة بالرقة [١] ورجعت الجيوش من طلبهم .

وكان الحسين بن حمدان أشجع الفرسان في قتال القرامطة واستئصال شأفتهم من قتل وأسر ، وتتبعهم في كل مكان حتى ضرب به المثل ، فكتب محمد [بن] سليمان للخليفة يثني عليه ، وعلى بني شيبان فإنهم اصطلوا نار الحرب ، وهزموا القرامطة ، وحكموا السيف في أعناقهم ، وزحفوا عليهم وشتتوا شملهم ، وأسروا منهم ، ومزقوهم كل ممزق ، حتى لم ينج الا القليل .

وفي يوم الأثنين لأربع بقين من المحرم : أدخل صاحب الشامة الرقة راكباً جملاً ذا سنمين ، ومعه المدثر والمطوق ، وسار بهم / الخليفة الى بغداد ، وأدخل القرمطي بغداد راكباً فيلاً ، وأصحابه على جمل ، وبعد أن طاف بهم المدينة أمر بحبسهم .

وقدم بغداد محمد بن سليمان ومعه الجند ، ومعهم من ظفروا به من أعيان القرامطة ورؤوسهم ، فأمر الخليفة بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وقطع رؤوسهم ، وأخرج أبا الشامة وأصحابه من السجن فشنع بهم ، وضرب أبو الشامة مائة سوط ، وقطعت يداه ، وكوي فغشي عليه ، فأحرقوا خشباً ، وجعلوه على خواصر فصار يفتح عينيه ويغمضها ، فلما خشوا موته ضربوا عنقه ، ورفعوا رأسه على خشبة ، فكبر الناس حين رأوها وهللوا ونصبوها على الجسر [٢] .

---

(١) في الطبري - ٢٢٣٨ - « فمضى إليهم فأخذهم . وصار بهم إلى صاحبه ، فتوجه بهم ابن كشمرد وأبو خبزة إلى المكتفي بالرقة » . وهو الأصح .

(٢) من أجل تفصيلات أكثر انظر الطبري - ٢٢٤٣ - ٢٢٣٦ .

وفيها قدم إسماعيل بن النعمان ، من أعيان القرامطة — ولم ينج من رؤساء القرامطة غيره — فحضر بأمان من المكتفي ومعه مائة وستون نفراً فأحسن إليهم الخليفة ، ووصلهم بمال ، وسيرهم مع القاسم [بن سيما] [٢] إلى رحبة مالك بن طوق ، فأقاموا معه مدة ثم أرادوا الغدر بالقاسم وائتمروا على أن يفتكوا به [١] يوم الفطر وقت صلاة العيد ، فعلم بذلك القاسم فقتلهم ، فارتدع من بقي منهم ، وذلوا إلى أن جاءهم كتاب من الخبيث ابن زكرويه [٣] ، وفيه يخبرهم بأنه أوحي إليه أن صاحب الشامة وأخاه المعروف بالشيخ يقتلان ، وأن إمامه الذي هو حي [٤] يظهر بعدها ويظفر .

وفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين :

أنفذ زكرويه بن مهرويه بعد / قتل صاحب الشامة نصر بن عبد الله ابن سعيد [٥] ، ويكنى أبا غانم ، معلم الصبيان [بقربه تدعى] الزابوقة [٦] فدار على أحياء العرب من كلب وغيرهم يدعوهم إلى رأيه ، فلم يقبله منهم أحد إلا رجل من بني زياد يسمى مقدام بن الكيال ، واستغوى [٧]

١

---

(١) الإضافة من الطبري - ٢٢٤٧ - وكان ابن سيما آنذاك متولياً أحد أعمال طريق الفرات . وذكر الطبري أن الداعي القرمطي كان يكنى - أبا محمد - وأن الذين قدموا معه كانوا نيفاً وستين رجلاً ، وتقع بقايا الرحبة الآن قرب بلدة البوكال السورية على الفرات قرب الحدود السورية العراقية .

(٢) في الأصل بهم .

(٣) في الطبري - ٢٢٤٨ - الخبيث زكرويه ، وهو أقوم .

(٤) في الطبري - ٢٢٤٧ - الذي يوحي إليه .

(٥) في الطبري - ٢٢٥٦ - عبد الله بن سعيد ، ثم تسمى بعد انفاذه « نصراً » .

(٦) في الأصل - الراقوقة - والتقويم من الطبري - ٢٢٥٦ - وفيه أنها : كانت من عمل الفلوجة ، وهذا ما أورده ياقوت في معجم البلدان .

(٧) في الطبري - ٢٢٥٦ - استغوى له .

طوائف من الأصبغيين المنتمين إلى الفواطم وغيرهم من العليصيين وصعاليك من سائر بطون كلب .

وقصد ناحية الشام والعامل بدمشق والأردن أحمد بن كيغلغ ، وهو بمصر يحارب الخلنجي ، فاغتنم ذلك نصر بن عبد الله بن سعيد ، وسار إلى بصرى وأذرعات والبثنية [1] فحارب أهلها ، ثم أمنهم ، فلما استسلموا إليه ، قتل مقاتيلهم ، وسبى ذراريهم ، وأخذ أموالهم .

ثم قصد دمشق ، فخرج إليه نائب ابن كيغلغ المدعو صالح بن الفضل فهزمه القرامطة [وعسكره] وفتكوا فيهم فتكاً ذريعاً ، ثم أمنوهم وغرروا بهم وقتلوا صالحاً ، وقضوا على عسكره ، وأرادوا دخول دمشق فمنعهم أهلها ورموهم بقوارير النفط من : القلاع ، والحصون ، وسور المدينة ، فلم يتمكنوا من دخول دمشق .

فقصدوا طبرية ، وانضم إليهم جماعة من أطراف البوادي المجاورة لدمشق ، فتنهم القرمطي ، وعند وصولهم طبرية خرج إليهم يوسف بن إبراهيم بن بغامردي ، خليفة أحمد بن كيغلغ بالأردن ، فهزموه شر هزيمة ثم أمنوه وغدروا به وقتلوه ، ونهبوا طبرية وأعملوا في أهلها السيف ، وسبوا النساء ، وقتلوا الشيوخ والأطفال .

فوصلت الأخبار إلى الخليفة ، فأنفذ أمره إلى الحسين بن حمدان وبعض من القواد [للشروع] في قتال القرامطة واستئصال شأفتهم ، فقصدوا دمشق ، فلما علم القرامطة ، انسحبوا راجعين نحو السماوة ، وتبعهم الحسين

---

(١) بصرى ماتزال تعرف بهذا في جنوب سورية ، وأذرعات هي درعا الحالية في سورية وأطلق اسم البثنية على المنطقة الواقعة إلى جنوب دمشق ودرعا .

وجنده إلى السماوة ، فوجدهم يسدون العيون ويغورونها ، ويردمون البرك حتى لجئوا إلى ماءين يعرف أحدهما بالدمعانة/ والآخر بالحالة[١] فرجع ابن حمدان إلى الرحبة . ٢٧

وأسرى القرامطة مع نصر إلى هيت وأهلها غافلون فنهبوها ، فتحصن أهل المدينة بسورها فنهبوا السفن وقتلوا من أهل المدينة ماينيف عن مئة نفس ، ونهبوا الأموال والمتاع ، وأخذوا ثلاثة آلاف راحلة من الحنطة .

وبلغ الخبر إلى الخليفة المكتفي فبعث إليهم محمد بن اسحق بن كنداج فلم يقيموا[٢] لمحمد وانسحبوا إلى الماءين ، فتبعهم محمد واقتفى أثرهم ، فوجدهم سدوا العيون والآبار وردموها بالرمال والأحجار ، فوصل إليهم من بغداد الإمداد ، وكتب الى ابن حمدان بالمسير اليهم لينضم الى جيش محمد ، فساروا حتى التقوا ، فلما أحس الكلبيون بأخبار[٣] الجيوش اليهم قاموا الى نصر زعيم القرامطة فقتلوه ، وسار برأسه رجل منهم يدعى الذئب بن القائم الى الخليفة المكتفي ، وطلب الأمان والقرب ، فأمر الخليفة بذلك ، وأجازه بجائزة وأمر[٤] بالكف عن قتال قومه .

وحصلت موقعة بين القرامطة ، بعد مقتل نصر ، حتى صارت الدماء بينهم ، وافترقت فرقة منهم الى بني أسد بنواحي عين التمر[٥] ، وقدموا

---

(١) في الأصل ـ الحبالة ـ والتقويم من الطبري ـ ٢٢٥٨ ـ وياقوت مادة ـ الحالة ـ

(٢) الأصوب أن يقال ـ يقوموا ـ ولكن ماجاء في الطبري ـ ٢٢٥٩ ـ فلم يقيموا بها إلا ثلاثاً حتى قرب محمد بن إسحق منهم فهربوا منه نحو الماءين .

(٣) في الطبري ـ ٢٢٥٩ ـ فلما أحس الكلبيون باشراف الجند عليهم ..... وهو أفضل .

(٤) في الأصل ـ وأصر ـ

(٥) بلدة قرب الأنبار غربي الكوفة ـ معجم البلدان .

معذرتهم الى الخليفة المكتفي فعفا عنهم ، وبقي على الماءين فرقة ممن له بصيرة في دينه ، فأرسل الخليفة / الى ابن حمدان بقتلهم جميعاً حتى لا يبقى – منهم ديار ولا نافخ نار – ، فأرسل اليهم زكرويه بن مهرويه داعية له [يسمي[1]] القاسم بن أحمد ، ويكنى بأبي محمد [فأعلمهم] [2] أن فعل الذئب قد نفره منهم ، وأنهم قد ارتدوا عن الدين ، وأن وقت ظهوره قد حان ، وقد بايع له بالكوفة أربعون ألفاً ، وأن يوم موعدهم الذي ذكره الله في شأن موسى صلوات الله عليه وعدوه فرعون وهو يوم الزينة (وأن يحشر الناس ضحى) [3] ، وأوصي أن يخفوا أمرهم ، وأن يسيروا حتى يصلوا الكوفة يوم النحر في عام ثلاث وتسعين ومائتين فلا يجدون مانعاً منها ، ووعدهم بظهوره لهم ، وأن يأتوا اليه بالقاسم بن أحمد ، فأطاعوا أمره ، ودخلوا الكوفة وقت أن انصرف الناس عن مصلاهم ، وعاملها اسحق بن عمران ، وكانوا ثمانمائة فارس مدرعين بالآلات الحسنة ، وضربوا مخيماً على القاسم بن أحمد ، قبة من الديباج المزركش ، ونادوا حوله : هذا ابن رسول الله ﷺ ، وطلبوا بأخذ الثأر للحسين ، ويعنون بذلك الحسين بن زكرويه المصلوب ببغداد ، وينادون يا أحمد يا محمد ، يعنون بذلك أبناء زكرويه المقتولين ، ورفعوا أعلامهم البيض ، قصدوا بذلك استفزاز رعاع الناس والتفافهم حولهم ، فلم يلتفت اليهم أحد فأخذوا السلاح / وأعملوا القتل في أهل الكوفة فقتلوا أكثر من عشرين نفساً ، فبادر أهل الكوفة بأخذ السلاح ، وقدمهم

---

(١) الاضافة من الطبري – ٢٢٦٠ –

(٢) الاضافة من الطبري – ٢٢٦٠ –

(٣) سورة طه ٢٠ : ٥٩

اسحق ، ودخل مدينة الكوفة مائة فارس من القرامطة ، فقتل منهم عشرين شخصاً ، وخرجوا منها هاربين ، فهزمهم اسحق فتقهقروا نحو القادسية ، وكان فيمن يقاتل مع اسحق جماعة من الطالبية .

وأرسل اسحق الى الخليفة يطلب المدد ، فأنفذ أمره الى وصيف بن صوارتكين التركي ، والفضل بن موسى ، وبشر الخادم والأفشين ، وغيرهم من الغلمان فساروا في سلخ ذي الحجة ، ووافوا القادسية ونزلوا بالصوان[1]، فلقيهم زكرويه .

وأما القرامطة فانهم أخرجوا زكرويه من جب في الأرض كان منقطعاً فيه سنين كثيرة بقرية الردية[2] ، وكان على الجب باب حديد محكم العمل وكان زكرويه إذا خاف الطلب جعل تنوراً هناك على باب الجب ، وقامت امرأة تسجره فلا يفطن اليه ، وكان ربما أخفي في بيت خلف الدار التي كان بها ساكناً ، فاذا انفتح بابُ الدار ، انطبق على باب البيت ، فيدخل الدار فلا يرى شيئاً ، فلما استخرجوه حملوه وسموه ولي الله ، ولما رأوه سجدوا له .

وحضر معه جماعة / من دعاته وخاصته ، وأعلمهم أن القاسم بن أحمد من أعظم الناس عليهم ذمة ومنة ، وأنه ردهم الى الدين بعد خروجهم عنه ، وأنهم ان امتثلوا أوامره ، أنجز موعدهم ، وبلغوا آمالهم ، ورمز لهم رموزاً ، ذكر فيها آيات من القرآن ، نقلها عن الوجه الذي نزلت ٥،

---

(١) في الطبري - ٢٢٦٢ - الصوأر - والصحيح ماورد هنا انظر ص ١ من نص ابن العديم .

(٢) كذا في الأصل وفي الطبري - ٢٢٦٤ - الدربة - ولم يذكر ياقوت أياً من الاسمين .

فيه فاعترف له من رسخ حب الكفر في قلبه أنه رئيسهم وكهفهم ، وأيقنوا بالنصر ، وبلوغ الأمل . وسار بهم وهو محجوب ، يدعونه السيد ، ولا يبرزونه ، والقاسم يتولى الأمور ، وأعلمهم أن أهل السواد قاطبة خارجون اليه ، فأقام بسقي الفرات عدة أيام ، فلم يصل منهم الا خمسمائة رجل ، ثم وافته الجنود المذكورة من عند الخليفة ، فلقيهم زكرويه بالصوان ، وقاتلهم ، واشتد الحرب بينهم وكانت الهزيمة أول النهار على القرامطة ، وكان زكرويه قد كمن لهم كميناً من خلفهم ، فلم يشعر رجال الخليفة الا والسيف فيهم من ورائهم ، فانهزموا أقبح هزيمة ، ووضع القرامطة السيف فيهم فقتلوهم كيف شاءوا ، وغنموا سوادهم ، ولم يسلم من رجال الخليفة الا من دابته قوية ، أو من أثخن بالجراح ، فوضع نفسه بين القتلى ، فتحاملوا بعد ذلك .

وأخذ للخليفة من هذا المعسكر أكثر من ثلاثمائة جمازة عليها المال والسلاح ، وخمسمائة بغل ، وقتل سوى الغلمان ألف وخمسمائة رجل .

وقويت القرامطة ، ولما وصل خبر هذه الواقعة الى بغداد أعظمها الخليفة والناس ، وندب الى القرامطة محمد بن اسحق بن كنداج ، وضم اليه من الأعراب بني شيبان وغيرهم ، أكثر من ألفي رجل ، وأعطاهم الأرزاق ، ورحل زكرويه من مكانه الى نهر المثنية لنتن القتلى . /

وفي سنة أربع وتسعين ومائتين في المحرم :

ارتحل زكرويه من نهر المثنية يريد الحج ، فبلغ السلمان[1] وأقام ينتظرهم ، فبلغت القافلة الأولى واقصة [2] سابع المحرم ، فأنذرهم أهلها

---

(١) ماء على الطريق الواصلة بين تهامة والعراق ، وهو قديم جاهلي — معجم البلدان.

(٢) منزل على طريق العراق مكة — معجم البلدان .

وأخبروهم بقرب القرامطة ، فارتحلوا لساعتهم ، وسار القرامطة إلى واقصة فسألوا أهلها عن الحاج ، فأخبروهم أنهم ساروا ، فاتهمهم زكرويه ، فقتل العلافة وأحرق العلف ، وتحصن أهل واقصة في حصنهم فحصرهم أياماً ، ثم ارتحل عنهم نحو زبالة [١] وأغار في طريقه على جماعة من بني أسد ، ووصلت العساكر بأمر الخليفة من بغداد إلى عيون الطف [٢] فبلغهم مسير زكرويه من السلمان ، فانصرفوا وسار غيلان بن كشمرد [مع قطعة من فرسان الجيش] [٣] جريدة فنزل واقصة بعد أن جازت القافلة الأولى ، ورأى زكرويه القرمطي قافلة الخراسانية بعقبة الشيطان راجعين من مكة فحاربهم حرباً شديداً فلما رأى شدة بأسهم وأنه لاطاقة له بهم سألهم هل فيكم نائب السلطان ؟ فأجابوه : مامعنا أحد ، فقال : لست أريدكم ، وقد اطمأنوا لقوله ، وساروا ، فكر عليهم في سيرهم ، وأعمل فيهم السيف ، فلم ينج منهم أحد إلا الشريد ، وغنم ماكان معهم من زاد ومال ، وسبي النساء ، وشنع بالشيوخ والأطفال ولقي بعض المنهزمين غيلان بن كشمرد ، فأخبره بالواقعة ، وقالوا مابينك وبينهم إلا القليل ، ولو رأوك لقويت نفوسهم / فالله الله فيهم فأجاب : لا أعرض جيش الخليفة للقتل ، وكر راجعاً مع أصحابه ، وأرسل من نجا من الحجاج إلى رؤساء القافلة الثالثة يحذرونهم [٤] ، وأعلموهم بما

---

(١) قال ياقوت : منزل معروف بطريق مكة من الكوفة فيها حصن وجامع لبني غاضرة من بني أسد .

(٢) هي الأرض التي وقعت فيها كارثة كربلاء وقتل الحسين بن علي ، سبط النبي صلى الله عليه وسلم - انظر معجم البلدان .

(٣) في الطبري - ٢٢٧٠ - علان . والاضافة من الطبري نفس الصفحة .

(٤) في الأصل - يحذروهم -

جرى لهم من القرامطة وأن [١] يعدلوا عن المجيء من هذا الطريق ، والرجوع إلى فيد[٢] والمدينة الى أن تأتي جيوش الخليفة ، فلم يتعظوا بذلك وساروا لقضاء الله وقدره . « تهم الهمم ، ويسعي القدم ، لعمر دنا أو رزق قسم ، والمكتوب مامنه مهروب وما قدر كان » [٣] .

وسارت القرامطة من العقبة بعد قتل الحجاج وماغنموه وسبوه من النساء ، فسدوا الآبار التي[٤] على الطرق ، والبرك بالجيف والرمال والأحجار بواقصة والثعلبية والعقبة ، وغيرها من المسالك في جميع طرقهم وأقام بالهبير[٥] ينتظر في القافلة الثالثة فلما حضرت قاتلها ثلاثة أيام وهم على غير ماء ، ولم يجدوه من قبل مسيرهم بأيام ، فاضطروا للتسليم لشدة مابهم من العطش ، فوضع فيهم السيف ، وقتلهم عن بكرة أبيهم ولم ينج منهم أحد ، وجمع القتلى كقمة جبل ، وأرسل خلف من انهزم يبذل لهم الأمان ، فلما حضروا ، قتلهم وغدر بهم لعنه الله ، وكان في القتلى مبارك القمي وولده [وأسر][٦] أبو العشائر بن حمدان وكانت نساء القرامطة يطفن بالماء على القتلى ، فمن رأينه حياً قتلوه ، وعدد القتلى في الموقعة عشرون ألفاً ، ولم ينج منهم الا من هرب وقت اشتغال القرمطي بالحرب ، أو من نام بين القتلى ، ولم يفطن له . / ٢

---

(١) في الاصل - وأنهم -

(٢) قال عنها ياقوت : بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة .

(٣) يبدو أن هذه الجملة قد اقحمت في الأصل .

(٤) في الأصل - الذي -

(٥) قال ياقوت : الهبير : رمل زرود في طريق مكة .

(٦) الاضافة من الطبري - ٢٢٧٢ - وفيه أن ابن مبارك القمي كان يسمى المظفر.

وجملة ماغنموه من هذه الوقعة مائة ألف ألف دينـار ، وكان في جملة ما أخذوه أموال الطولونية ، فإنهم لما عزموا على الانتقال من مصر الى بغداد ، خافوا أن يستصحبوها فتؤخذ منهم ، فعملوها سبائك وجعلوها في حدائج الجمال ، وجميع مالهم من الحلي والجواهر ، وأرسلوا الجميع الى مكة سراً ، وكان جميع ما لهم في هذه القافلة فأخذت .

وبعث زكرويه يستطلع جند الخليفة الذي كان بالقادسية ، وأقام ينتظر وصول من كان في الحج من عسكر الخليفة وأصحابه ، وكانوا مقيمـين بفيد ومنتظرين الأخبـار ، هل القرمطي تعرض للحجيج ؟ وكان معهم جماعة من التجار وأرباب الأموال ، فلما بلغهم خبر من قبلهم ، وماجرى من القرامطة ، جلسوا ينتظرون وصول النجدات من عند الخليفة . فسار الملعون الخبيث زكرويه لعنه الله ـ وسد الآبار وردم البرك في الطريق والميـاه ـ الى فيد فاحتمى وتحصن أهل فيد ومن بهـا من الحجيج بالحصنين اللذين بفيد ، وحاصرهم القرمطي وضيق عليهـم ، وأرسل الى أهلها يأمرهم بالتسليم ويؤمنهم على ذلك ، فلم [يجيبوه] [1] ، وهددهم بالقتل والسلب والنهب ، فازداد امتنـاعهم ، فأقام محاصراً لهـم عـدة أيام ، ثم رحل الى النِّباج ثم الى حَفَر أبي موسى [2] .

(١) الزيادة في الطبري - ٢٢٧٥ -

(٢) في الأصل .. الساج ثم الى جعفر ـ والتقويم من بلاد العرب ص ٣٣٩ ، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي ، ط . بيروت ١٩٦٨ ، وياقوت مادتي ـ حفر والنباج ـ وكتاب المناسك ص ٥٧٩ ، تحقيق حمد الجاسر ، ط . بيروت ١٩٦٩ . وهـو يدعى الآن حفر الباطن .

خبر مقتل الملعون زكرويه

ولما تطايرت الأخبار الى الخليفة المكتفي ، وعلم بما جرى للحجيج عظم ذلك عليه ، وعلى كافة المسلمين ، فأنفذ أمره بتجهيز الجيوش ، وسيرها في ربيع الأول بقيادة وصيف بن سوارتكين ، مع بقية القواد وعلى طريق خفان [١] ، فلقيهم زكرويه ومن معه من القرامطة في ثامن ربيع الأول ، ونشب بينهم الحرب يومهم إلى أن حال بينهم / الظلام ، وباتوا يتحارسون ويحتاطون شدة الاحتياط ، فلما أصبحوا نشب الحرب بينهم ، ووقعت موقعة قتال عنيف ، قتل فيها من القرامطة مالايحصى عدده حتى وصلوا الى اللعون الخبيث زكرويه ، فضربه بعض الجند ـ وهو منهزم ومول الهرب ـ على رأسه ضربة شديدة بسيفه أفضت الى دماغه [٢] ، فوقع على الأرض مضرجاً بدمائه ، فحملوه أسيراً ، وأخذوا من هو خليفته ، وخواصه ، وأقرباؤه وكاتبه ، وزوجته وابنه ، واحتوى العسكر على كل ماكان عند زكرويه ، ومات [و] هلك الملعون زكرويه بعد مضي خمسة أيام ، فأرسلت جثته والأسرى الى بغداد ، وفر جماعة من أصحابه الى الشام ، فلقيهم الحسين بن حمدان فقتلهم جميعاً ، وأخذوا جماعة من

---

(١) موضع قرب الكوفة ، كان يسلكه الحاج أحياناً ، وهو فوق القادسية ـ معجم البلدان .

(٢) في الأصل ـ رأسه ـ والتقويم من الطبري ـ ٢٢٧٥ ـ

النساء ، والصبيان . وحملوا رأس الملعون زكرويه الى خراسان لئلا ينقطع الحج ، وأخذ الأعراب رجلين من أصحاب الملعون أحدهما يعرف بالحداد والثاني بالمنتقم ، وهو أخو امرأة زكرويه ، سارا اليهم يدعوانهم الى[1] اعتناق مذهبهم ، والخروج معهم ، فلما أخذوهما سيروهما الى الخليفة فقتلهما . وتتبع الخليفة القرامطة بالعراق ، فقتل منهم وحبس البعض ، ومنهم من مات في سجن الخليفة .

وفي سنة إحدى وثلاثمائة :

في هذه السنة قتل كبير القرامطة أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي[2] قتله خادمه في الحمام ، فلما قضي عليه وهلك خرج خارج الحمام وهمس في أذن / رجل عظيم من رؤسائهم يستدعيه بأن مولاه يريده ، فدخل معه الحمام فقتله ، وخرج ودعا آخر من عظماء القرامطة ، وفعل معه فعلته الأولى الى أربعة منهم ، فلما استدعي الخامس ، فطن لذلك ، فمسك يد الخادم وصاح ، فاجتمع النساء والرجال ، وحصل بينهم وبين الخادم مناظرات ، وقتلوه . ٣٠

وكان أبو سعيد الجنابي [قد][3] عهد لابنه الأكبر سعيد ، فعجز عن القيام بالأمر ، فغلبه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان ، وكان شجاعاً شهماً ، وسيرد من أخباره فيما بعد .

وكان أبو سعيد استولى على الأحساء والقطيف وهجر (والطائف) وسائر بلاد البحرين . وكان المقتدر كتب له كتاباً ليناً بشأن من عنده من

---

(١) في الأصل سار إليهم يدعوهم والتقويم من الطبري - ٢٢٧٩ -

(٢) الى هنا انتهى ما أورده الطبري - انظر المجلد الرابع . طبعة برل سنة ١٨٩٠م

(٣) الاضافة من الكامل ٨ : ٦٣ ط ، برل - ١٨٢٦ م - .

أسرى المسلمين ، ويناظره ويقيم الدليل على فساد مذهبه ، وأنفذ معه الرسل فلما وصلوا البصرة بلغهم خبر موته ، فأرسلوا الى الخليفة فأمرهم بالتوجه إلى ولده ، فأتوا أبا طاهر ، فأكرم الرسل ، وأطلق الأسرى ، وأرسلهم الى بغداد ، وأجاب عن الكتاب [1] .

وفي حوادث القرامطة

في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة :

تقوى أبو طاهر ، وفيها قصد البصرة فدخلها ليلاً في ألفي [2] وسبعمائة رجل ، ومعه السلالم الشعر ألقاها على السور ، وصعد اليها ، وفتح الباب وقتل النفر الموكلين بالحراسة ، وكان ذلك في ربيع الآخر ، وكان والي البصرة سُبُك المُفلحي ، فلم يشعر بهم الا/ سحراً ، ولا علم أنهم القرامطة وكان معتقده أنهم أعراب تجمعوا ، فركب اليهم فقتلوه ووضعوا السيف في أهل المدينة ، وهرب الناس الى الكلاء [3] ، وحاربوا القرامطة عشرة أيام بلياليها ، فظفر بهم القرمطي وقتلوا خلقاً كثيراً ، وطرح الناس أنفسهم في الماء فغرق أكثرهم .

وأقام أبو طاهر بالبصرة ثمانية عشر يوماً ، يحمل منها مايقدر على حمله من الأموال ، والأمتعة ، والنساء ، والصبيان ، ورجع الى بلده . وولى المقتدر على البصرة عاملا محمد بن عبد الله الفارقي ، فانحدر اليها ، وقد رحل عنها أبو طاهر .

---

(١) مرد هذا ليس لحداثة عهد أبي طاهر ، ولكن لقيام الخلافة الفاطمية ، وموقف قرامطة البحرين واليمن هنا .

(٢) كذا في الاصل ، والافضل أن يقال : ــ ألفين ــ . وجاء في الكامل ٨ : ١٠٥ ــ ألف ــ .

(٣) في ياقوت : ــ مادة الكلاء ــ اسم محلة مشهورة وسوق البصرة أيضاً ــ .

وفي سنة اثني عشرة وثلاثمائة :

تحرك أبو طاهر القرمطي الى الهبير ، ومعـــه جيش عرمرم ليلقى الحج في رجوعه في مكة ، فأوقع بقافلة تقدمت معظم الحاج ، وكان فيها خلق كثير من أهل بغداد وغيرهم ، فنهبهم ، واتصل الخبر بباقي الحجاج وهم بفيد ، فأقاموا بها حتى فني زادهم ، فارتحلوا مسرعين ، وكان أبو الهيجاء بن حمدان قد أشار عليهم بالعود الى وادي القرى ، وأنهـــم لا يقيمون بفيد ، فاستبعدوا الطريق ولم يقبلوا منه — وكان الى أبي الهيجاء طريق الكوفة — وكثر الحاج ، فلما فني زادهم ساروا على طريق الكوفة فأوقع بهم القرامطة وأخذوهم ، وأسروا أبا الهيجاء وأحمد بن كشمرد ونحرير ، وأحمد بن بدر ، عم والدة المقتدر ، وأخذ أبو طاهر جمـال الحجاج جميعهـا ، وما أراد من الأمتعة والأموال والنساء والصبيـان ، وعاد الى هجر وترك الحجاج في مواضعهم [١] فمات أكثرهم جوعاً وعطشاً من حر الشمس . وكان عمر أبي طاهر حينئذ سبع عشرة سنة . / ٢٠

وانقلبت بغداد واجتمع حرم المأخوذين الى حـرم المنكوبـين الذين نكبهـم ابن الفـرات وجعلن ينادين : القرمطي الصغير أبو طاهر قتل المسلمين من الحاج في طريق مكة والقرمطي الكبير ابن الفرات قتل من في بغداد من المسلمين ، وكانت صورة شنيعة وكسر العامة منابر الجوامع وسودوا المحـاريب يوم الجمعة [٢] لست خلون من صفر ، وضعفت نفس ابن الفـرات وحضر عنـد المقتدر ليأخذ أمره فيما يفعله ، وحضر نصر

---

(١) في الاصل — مواضع — والتقويم من الكامل ٨ : ١٠٨ ومسكويه ١ : ١٢١

(٢) في الاصل — الجميع — والتقويم من الكامل ٨ : ١٠٨ .

الحاجب المشورة ، فانبسط لسانه على ابن الفرات ، وقال له : الساعة تقول أي شيء نصنع ، وماهو الرأي ، بعد أن زعزعت أركان الدولة وعرضتها للزوال : في الباطن بالميل مع كل عدو يظهر ، ومكاتبته ومهادنته ، وفي الظاهر بابعادك مؤنساً ، ومن معه الى الرقة ، وهم سيوف الدولة ، فمن يدفع الآن هذا الرجل إن قصد الحضرة أنت أو ولدك ؟! وقد ظهر الآن أن مقصودك بابعاد مؤنس ، وبالقبض علي وعلى غيري أن تستضعف الدولة ، وتقوي أعداءها ، فتشفي غيظ قلبك ممن صادرك وأخذ أموالك ، ومن الذي سلم الناس إلى القرمطي غيرك لما يجمع بينكما من التشيع والرفض ، وقد ظهر أيضاً أن ذلك الرجل العجمي[١] كان من أصحاب القرمطي ، وأنت أوصلته . فحلف ابن الفرات أنه ما كاتب القرمطي ولا هاداه ، ولا رأى ذلك الأعجمي الا تلك الساعة ، والمقتدر معرض عنه ، وأشار نصر على المقتدر أن يحضر مؤنساً ومن معه ، ففعل ذلك وكتب اليه بالحضور ، فسارع الى ذلك ، ونهض ابن الفرات فركب في طياره فرجمته العامة حتى / كاد يغرق . ٢

وتقدم المقتدر الى ياقوت بالسير الى الكوفة ليمنعها من القرامطة ، فخرج في جمع كثير ومعه ولداه : المظفر ، ومحمد ، فخرج على ذلك العسكر مال كثير . وورد الخبر بعود القرامطة فعطل مسير ياقوت ، ووصل مؤنس المظفر الى بغداد . ولما رأى المحسن ابن الوزير ابن الفرات انحلال أمورهم ، أخذ من كان محبوساً عنده من المصادرين فقتلهم ، لأنه كان قد أخذ منهم أموالاً جليلة ، لم يوصلها إلى المقتدر ، فخاف أن يقروا عليه .

---

(١) لم ترد الاشارة الى هذا الرجل من قبل لنحدد هويته .

ثم ان الإرجاف كثر على ابن الفرات ، فكتب الى المقتدر يعرفه ذلك ، وإنما الناس عادوا لنصحه وشفقته وأخذ حقوقه منهم ، فأنفذ المقتدر اليه يطيب قلبه ، فركب هو وولده الى المقتدر ، فأدخلها اليه ، ولما خرجا من عنده ، منعهما نصر الحاجب من الخروج ووكل بهما ، فدخل مفلح على المقتدر وأشار اليه بتأخير عزله ، فأمر باطلاقهما ، فخرج هو وابنه المحسن . فأما المحسن فانه اختفى ، وأما الوزير فانه جلس عامة نهاره يمضي الأشغال الى الليل ، ثم بات مفكراً ، فلما أصبح سمعه بعض الخدم ينشد .

وأصبح لا يدري وإن كان حازماً اقُدّامه خير له أم وراؤه

فلما أصبح الغد – وهو الثامن من ربيع الأول – أتاه نازوك وبليق في عدة من الجند ، فدخلوا الى الوزير ، وهو عند الحرم فأخرجوه حافياً مكشوف الرأس / وأخذ الى دجلة ، فألقى عليه بليق طيلساناً ٣٤ غطى به رأسه ، وحمل الى طيار فيه مؤنس المظفر ، ومعه هلال بن بدر ، فاعتذر اليه ابن الفرات وألان كلامه ، فقال له : أنا الآن الاستاذ ، وكنت بالأمس الخائن الساعي في فساد الدولة ، وأخرجتني والمطر على رأسي ، ورؤوس أصحابي ، ولم تمهلني . ثم سلم الى شفيع اللؤلؤي فحبس عنده ، وكانت مدة وزارته هذه عشرة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وأخذ أصحابه وأولاده ، ولم ينج منهم الا المحسن ، فانه اختفى ، وصودر ابن الفرات على جملة على المال مبلغها ألف ألف دينار .

ولما تغير حال ابن الفرات سعى عبد الله بن محمد بن عبيد الله (بن)[1] يحيى بن خاقان ، أبو القاسم بن علي الخاقاني في الوزارة ،

(١) الاضافة من الكامل ٨ : ١١٠ .

وكتب خطه يتكفل ابن الفرات وأصحابه بمصادرة ألف ألف دينار ، وسعي له مؤنس الخادم وهارون بن غريب ـ الخال ـ ونصر الحاجب ، وكان أبو علي الخاقاني والد أبي القاسم مريضاً شديد المرض ، وقد تغير عليه لكبر سنه فلم يعلم بشيء من حال ولده . وتولى أبو القاسم الوزارة تاسع ربيع الأول وكان المقتدر يكرهه ، فلما سمع ابن الفرات وهو محبوس بولايته قال[1] : الخليفة هو الذي نكب لا أنا ، يعني أن الوزير عاجز لا يعرف أمر الوزارة .

ولما وزر الخاقاني شفع اليه مؤنس الخادم في اعادة علي بن عيسى من صنعاء الى مكة ، / فكتب الى جعفر عامل اليمن في الإذن لعلي ابن عيسى في العود الى مكة ، ففعل ذلك ، وأذن لعلي في الاطلاع على أعمال مصر والشام ، ومات أبو علي الخاقاني في وزارة ولده هذه .

وكان المحسّن ابن الوزير ابن الفرات مختفياً كما ذكرنا ، وكان عند حماتة حنزابه[2] ، وهي والدة الفضل بن جعفر بن الفرات ، وكانت تأخذه كل يوم الى المقبرة ، وتعود به الى المنازل التي يثق بأهلها عشاء[3] وهو في زي امرأة ، فمضت يوماً الى مقابر قريش ، وأدركها الليل ، فبعد عليها الطريق ، فأشارت عليها امرأة معها أن تقصد امرأة صالحة تعرفها بالخير تختفي عندها ، فأخذت المحسّن ، وقصدت تلك المرأة ، وقالت

(١) في الاصل قال له . والتقويم من الكامل ٨ : ١٠٠

(٢) في الكامل ٨ : ١١١ – حزانة – وعند مسكويه ١ : ١٣١ – جنزابة – والصحيح ما أثبتناه ، والحنزابة هو جزر البر ، شبهت به لقصرها . انظر القاموس مادة حنزب .

(٣) في الاصل – غشاة – والتقويم من الكامل ٨ : ١١١ .

لها : معنا صبية بكر نريد بيتاً تكون فيه ، فأمرتهم بالدخول الى دارها، وسلمت اليهم قبة في الدار ، فأدخلن المحسن اليها ، وجلست النساء اللواتي معه في صفة بين يدي باب القبة ، فجاءت جارية سوداء فرأت المحسّن في القبة ، فعادت الى مولاتها فأخبرتها أن في الدار رجلاً ، فجاءت صاحبتها ، فلما رأته عرفته ، وكان المحسن قد أخذ زوجها ليصادره ، فلما رأى الناس في داره يجلدون ويشقصون ويعذبون مات فجأة ، فلما رأت المرأة المحسّن وعرفته ، ركبت في سفينة وقصدت دار الخليفة / ٣٦ وصاحت : « معي نصيحة لأمير المؤمنين » ، فأحضرها نصر الحاجب فأخبرته بخبر المحسن ، فأنهى ذلك الى المقتدر ، فأمر نازوك صاحب الشرطة أن يسير ويحضره ، فأخذها معه الى منزلها ، ودخل المنزل وأخذ المحسن وعاد به الى المقتدر ، فرده الى دار الوزير ، فعذب أنواع العذاب ليجيب الى مصادرة يبذلها ، فلم يجبهم الى دينار واحد ، وقال : لا أجمع لكم بين نفسي ومالي ، واشتد العذاب عليه بحيث امتنع عن الطعام، فلما علم بذلك المقتدر أمر بحمله مع أبيه الى دار الخلافة فقال الوزير أبو القاسم لمؤنس وهارون بن غريب ـ الخال ـ ونصر الحاجب : إن نقل ابن الفرات الى دار الخلافة ، بذل أمواله ، وأطمع المقتدر في أمواله ، وضمننا منه ، وتسلمنا فأهلكنا ، فوضعوا القواد والجند حتى قالوا للخليفة: إنه لابد من قتل ابن الفرات وولده ، فاننا لا نأمن على أنفسنا ماداما[١] في الحياة ، وترددت[٢] ورود الرسائل في ذلك ، وتشاور [الخليفة] مع مؤنس وهارون ونصر الحاجب ، فوافقوا على قتلهما ، فجيء بهما[٣]

(١) في الاصل – ما داموا – انظر الكامل ٨ : ١١٢ .
(٢) في الاصل – وترددت – .
(٣) في الاصل – على قتلهم فجيء بهم – انظر الكامل ٨ : ١١٢ .

وذبحوهما كذبح الغنم .

وكان ابن الفرات قد أصبح يوم الأحد صائماً فأتوا اليه بطعام فلم يأكله ولم يفطر ، وقال : رأيت أخي العباس يقول لي : أنت وولدك عندنا يوم الاثنين ، ولا أشك اننا نقتل . فقتل ابنه المحسن [يوم الاثنين][1] لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر . وحمل / رأسه الى أبيه فارتعش واقشعر بدنه وأغمي عليه ، ثم عرض على أبيه السيف فقال: راجعوا في أمري ، فان عندي أموالاً طائلة ، وجواهر كثيرة ، فقيل له : جل الأمر عن ذلك ، وقتلوه وعمره يومئذ نيف وسبعون سنة ، وابنه ثلاث وثلاثون سنة ، وحمل رأساهما[2] الى المقتدر فأمر بتغريقها .

وقال أبو الحسن بن الفرات في بعض مجالسه : ان المقتدر بالله يقتلني فصح ذلك ، ومما يروى عنه أنه رجع يوماً من عند المقتدر ، وهو مفكر كثير الهم فقيل : ما بالك؟ فقال : كنت عند المقتدر فما خاطبته بكلمة ، إلا أجاب ، نعم . فقلت له : الشيء ، وضده ، أجاب ، نعم ، فقيل له : هذا لحسن ظنه بك ، وثقته بما تقول ، واعتماده على شفقتك، فقال : لا والله [ولكنه] أذن[3] لكل قائل ، وما يؤمني إذا قيل له : نقتل الوزير ، فيقول : نعم ، والله إنه لقاتلي .

ولما قتل ركب هارون الى الخاقاني ، وأخبره فاغمي حتى ظن من حضر أنه مات ، وصاح أهله وذووه وبكوا وولولوا عليه ، فلما أفاق من غشيته لم يفارقه هارون حتى أخذ منه ألفي دينار .

---

(١) الاضافة من الكامل ٨ : ١١٢ .

(٢) في الاصل – رأسها – .

(٣) في الاصل – بشفقتك فقال : لا والله أذن – . والتقويم والاضافة من الكامل ٨ : ١١٣ .

وأما أولاد ابن الفرات فشفع فيهم مؤنساً المظفر ـ وهمـــا عبد الله وأبو نصر ـ فأطلقـا من السجن ، فخلع عليهما ووصلهما بمـال ، وصودر ابنه الحسن على عشرين ألف دينار ، وأطلق إلى منزله . وكان الوزير أبو الحسن بن الفرات كريماً ذا رئاسة وكفاية [١] في عمله ، حسن الخطاب والجواب ولم يكن له سيئه إلا ولده المُحَسِّن .

ومن محاسنه أنه جرى / ذكر أهل الأدب والحديث وماهم فيـه من الفقر والقلة [٢] فأعانهـم بعشرين ألف درهم ، وكذا الشعراء والأدباء وكذا الفقهاء والصوفية لكل عشرين ألفاً . وكان إذا ولي الوزارة ارتفعت أسعار القراطيس والشمع والثلج لكثرة استعمالها ، ولم يكن فيـه عيب سوى أن ولده وأصحابه كانوا يفعلون الرذائل ، ويظلمون ، ولايمنعهم من ذلك أبداً ، « وعلى رأي المثل دار الظالمين خراب ودولة الظلم لاتدوم » [٣]، فمن ذلك أن رجلاً من أصحابه اغتصب أرضاً من امرأة ، فكتبت له غير مرة فلم يرد لها جواباً ، فوقفت له يوماً في طريقه ، واستحلفته بالله أن يرثي لحالها ، ويسمع منهـا ، فوقف لهـا ، فقالت : كنت كتبت لك في ظلامتي غير مرة ، فلم تجبني ، وقد تركتك ، ورفعتهـا إلى الله تعالى ، فلما كان بعد أيام و[رأى] [٤] تغير حاله ، قال : ما أظن إلا جواب رقعة تلك المظلومة قد خرج ، فكان كما قال !

وفي هذه السنة دخل أبو طاهر القرمطي الكوفة ، وسبب ذلك أن

---

(١) في الأصل – كفوا – والتقويم من الكامل ٨ : ١١٣ .

(٢) زاد ابن الأثير ٨ : ١١٣ – والتعفف – .

(٣) يبدو أن هذه الجملة قد قحمت في الاصل.

(٤) الاضافة من الكامل ٨ : ١١٤ .

أبا طاهر أخلى سبيل من كان عنده من الأسرى من الحجاج وغيرهم، وفيهم ابن حمدان وغيره ، وطلب من المقتدر البصرة والأهواز ، فلم يجبه إلى ذلك فارتحل من هجر يريد الحـــج ، وكان جعفر بن ورقاء الشيباني والياً على الكوفة ، وطريق مكة ، فلما سار الحجاج من بغـداد سار جعفر من بين أيديهم خوفاً من أبي طاهر ، ومعه ألف رجل من بني شيبان ، وسار مع الحجاج ثمل صاحب البحر ، وجني الصفواني ، وطريف السبكري وغيرهم في ستة آلاف رجل ، فلقي أبو طاهر جعفر ، وحصل بينهما موقعة قتال شديدة يشيب لها / الولدان ، فبينما هو في المركة ، وإذا بفريق من القرامطة طلع له عن يمينه ، فانهزم من بين أيديهم شر هزيمة فلقي القافلة الأولى وقد انحدرت من العقبة ، فردهم إلى الكوفة ، ومعهم عسكر الخليفة ، وتبعهم أبو طاهر إلى باب الكوفة ، واشتبك معهم في قتال عنيف ، فنهزم جند الخليفة وأعمل فيهم السيف ، ومكنـه من أعناقهم فلاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم .

وأسر جنيا الصفواني وهرب الباقون والحجاج من الكوفة ، ودخلها أبو طاهر وأقام ستة أيام يدخلهـا نهاراً ويجلس في المسجد إلى ما بعـد العشاء ويخرج يبيت في عسكره ، وحمل منها من الغنائم ما لاعين رأت ولا أذن سمعت من أموال ، وجواهر غوال وثياب من خز وديبـاج ، وغير ذلك ، وعاد الى وطنه هجر ، ودخل المنهزمون بغـداد ، فأنفـذ الخليفة أمره الى مؤنس المظفر بالخروج الى الكوفة ، فرحل اليها ودخلها وقد عاد القرمطي راجعاً الى وطنه ، فاستخلف عليها ياقوتاً وسار مؤنس الى واسط خوفاً من أبي طاهر وخاف أهل بغداد ، وانتقل الناس الى واسط خوفاً من أبي طاهر وخاف أهل بغداد ، وانتقـــل الناس الى الجانب الشرقي ولم يحج في هذا العام من الناس أحد .

وفي سنة أربع عشرة وثلاثمائة أمر الخليفة بتقليد يوسف بن أبي الساج نواحي الشرق ، وأذن له في جباية أموالها وصرفها على قواده وأجناده ، وسيره الى واسط ليسير الى هجر لمحاربة أبي طاهر القرمطي ./ فدخلها ٤٠ وواليها يومئذ مؤنس المظفر ، فسار الى بغداد ليقيم فيها ، وجعل له أموال الخراج ببلدان : همذان وساوة ، وقم ، وقاشان وماه البصرة ، وماه الكوفة ، وماسبذان ، ليجري منها النفقات على جنده ، ويستعين بها على محاربة القرمطي ، وذلك من تدبير الخصيبي[1] .

وفي سنة خمس عشر وثلاثمائة :

وصلت الأخبار الى الخليفة المقتدر بسير أبي طاهر القرمطي وجنده الى الكوفة ، ثم وردت الأخبار من البصرة بأنه اجتاز قريباً منهم نحو الكوفة ، فأرسل الخليفة الى يوسف بن أبي الساج بالتوجه لمحاربة القرمطي ، فسار الى الكوفة من واسط في آخر شهر رمضان ، وأعدوا له الانزال ولعسكره ، فلما وصلها أبو طاهر القرمطي ، هرب نواب السلطان عنها ، فاستولى على ذلك كله أبو طاهر القرمطي ، وكان فيها العلوفات والزاد ، وقد نفذ زاد أبي طاهر فغنم تلك الغنائم .

ووصل الكوفة يوسف بن [أبي] الساج ثاني يوم وصول القرمطي الى الكوفة ، وكان يوم الجمعة ثامن شوال ، فكتب للقرمطي بطاعة الخليفة ، فرد عليه : « لانطيع الا الله والحرب بيننا وبينك غداً » ، فلما أصبحا ابتدأ أوباش العسكر بالسب والشتم وقذف الحجارة ، ورأى يوسف

---

(١) هو أبو العباس الخصيبي وكان وزير المقتدر آنذاك ، مسكويه ١ : ١٤٣ ، الكامل ٨ : ١١٩ .

قلة القرامطة فاحتقرهم ، وقال : « ان هؤلاء لشرذمة قليلة بعد ساعة في يدي » . وتقدم بأن يكتب كتاب الفتح والبشارة بالظفر .

ماكل ما يتمنى المرء يدركه   تجري الرياح بما لا تشتهي السفن [1]

وزحف الناس بعضهم الى بعض فسمع أبو طاهر أصوات البوقات والزعقات ، فقال لصاحب له : ماهذا ؟ فقال : فشل ، قال : أجل ! لم يزد على هذا ، فاقتتلوا ضحوة النهار يوم السبت الى غروب الشمس ، وصبر الفريقان فلما رأى ذلك أبو / طاهر باشر الحرب بنفسه ، ومعه جماعة يثق بهم ، فطحن أصحاب يوسف ودقهم ، فانهزموا بين يديه ، ووقع يوسف أسيراً ، وكثير من أصحابه ، وذلك وقت غروب الشمس ، فحملوه الى عسكرهم ، ووكل به أبو طاهر طبيباً يداوي جراحه ، وطار الخبر الى بغداد فارتعد الناس ، وخافوا عاقبة أمر القرامطة ، وارتاعوا وخافوا خوفاً شديداً ، وعزموا على الهرب الى حلوان وهمذان ، ودخل المنهزمون أكثرهم حفاة عراة « يدعون بالويل والثبور وعظائم الأمور مما حل بهم ونكبهم » [2] ، فبرز مؤنس المظفر ليسير الى الكوفة ، وأتاهم الخبر أن القرامطة قد ساروا الى عين التمر ، فأنفذ من بغداد خمسمائة سميرية فيها المقاتلة لتمنعهم من عبور الفرات ، وسير جماعة من الجيش الى الأنبار ، فقطع أهلها الجسر ، ونزل القرامطة غربي الفرات ، وأنفذ أبو طاهر أصحابه الى الحديثة [3] فأتوه بسفن ، ولم يعلم أهل الأنبار ، وعبر فيها ثلاثمائة رجل من القرامطة ، وقاتلوا عسكر الخليفة ، فهزموهم

(١) يبدو أن هذا حشو ، وليس من الاصل .

(٢) يبدو أن هذه الجملة ليست من الاصل بل أقحمت فيه من قبل أحد النساخ .

(٣) في الأصل — رأمر أبو طاهر أصحابه الحديثة — والتقويم من الكامل ٨ : ١٢٥

وقتلوا منهم جماعة ، واستولى القرامطة على مدينة الأنبار ، وتقـــدوا الجسر ، وعبر أبو طاهر جريدة ، وخلف سواده بالجانب الغربي ، فوصل الخبر بعبور أبي طـاهر الى الأنبار ، وخرج نصر الحاجب في عسكـر جرار ولحق بمؤنس ، فاجتمعا في نيف وأربعين ألف مقاتـل ، سوى الغلمان ، ومن يريد النهب ، وكان ممن معه : أبو الهيجاء عبـد الله بن حمدان ، ومن اخوته أبو الوليد ، وأبو السرايا في أصحابهـم ، فوصلوا نهر زبارا / على فرسخين من بغداد عند عقرقوف ، فأشار أبو الهيجاء بقطع ٤٢ القنطرة التي عليه ، فقطعوها وسار أبو طاهر ومن معه [نحوهم] (١) ، فبلغوا نهر زبارا ، وفي أوائلهم رجل أسود فما زال يدنو من القنطـرة حتى وجدها مقطوعة ، فعاد والنشاب يأخذه وهو مثل القنفذ .

وأراد القرامطة العبور فلم يتمكنوا من ذلك ولما أشرفوا على عسكر الخليفة هرب منهم خلق كثير الى بغداد من غير أن يلقوهم ، فلما رأى ابن حمدان ذلك ، قال لمؤنس : كيف رأيت ما أشرت به عليكم ؟ فوالله لو عبر القرامطة النهر لانهزم كل من معك ولأخذوا بغداد ، ولـما رأى القرامطة ذلك كروا راجعين إلى الأنبـار ، وسير مؤنس صاحبه بليق (٢) بستة آلاف مقاتل إلى عسكر القرامطة غربي الفرات ، ليغنموه ويخلصوا ابن أبي الساج ، فبلغوا إليهم وقد عبر أبو طاهر الفرات في زورق صياد وأعطـاه ألف دينـار ، فلما رآه أصحـابه قويت قلوبهم ، ولـما أتاهم عسكر مؤنس ، كان أبو طاهر عندهم فقاتلوهم قتالاً شديداً فانهزم عسكر

---

(١) الاضافة من الكامل ٨ : ١٢٥ .

(٢) عند مسكويه ١ : ١٧٨ – بلبق حاجبه – وكذا في اتعاظ الحنفا – ص٢٤٢ ط. الشيال الأولى .

الخليفة ، ونظر أبو طاهر ابن أبي الساج وهو قد خرج من الخيمة ، ينظر ويرجو الخلاص ، وقد ناداه أصحابه أبشر بالفرج ، فلما انهزموا أحضره وقتله ، وقتل جميع الأسرى من أصحابه . وسلمت بغداد من نهب العيارين ، لأن نازوك كان يطوف ليلاً ونهاراً وكل شخص يجده [بعد العتمة] [١] يقتله ، فامتنع العيارون واكترى كثير من أهل بغداد سفناً ، ونقلوا فيها متاعهم وأموالهم ، ومنهم من هاجر إلى / حلوان ٤ وخراسان وإلى واسط وكان عدة القرامطة ألفين وسبعمائة رجل منهم خمسمائة فارس [٢] .

وقصد القرامطة مدينة هيت ، وكان المقتدر سير إليها سعيد بن حمدان وهرون بن غريب . فلما بلغها القرامطة وجدوا عسكر الخليفة سبقهم إليها فقاتلوهم على السور فقتل من القرامطة جماعة كثيرة فرجعوا عنها .

ولما علم [٣] أهل بغداد عودتهم من هيت سكنت قلوبهم ولما بلغ الخليفة عدد جنده وجند القرامطة ، قال : لعن الله نيفاً وثمانين ألفاً ، يعجزون عن ألفين وسبعمائة [٤] .

وحضر شخص إلى علي بن عيسى ، وأخبره أن في جيرانه رجلاً [٥]

---

(١) الاضافة من الكامل ٨ : ١٢٦ .

(٢) في الكامل ٨ : ١٢٦ — ألف رجل وخمسمائة رجل منهم سبعمائة فارس وثمانمائة راجل وقيل كانوا ألفين وسبعمائة — . وهذا ما أورده مسكويه — ١ : ١٧٩ — أيضاً .

(٣) في الاصل — علموا — وفي الكامل ٨ : ١٢٧ — بلغ — .

(٤) في الأصل وثمانمائة — والتقويم مما تقدم آنفاً ومن الكامل ٨ : ١٢٧ .

(٥) وفي الكامل ٨ : ١٢٧ —رجلاً من شيراز— . وكذا قال مسكويه ١ : ١٨١ .

على مذهب القرامطة ، يكاتب أبا طاهر بالأخبـار ، فـأحضره وسأله ، فأقر ، وقال : ماعرفت أبا طاهر إلا لما صح عندي مذهبه وأنه حق ، وأنت وصاحبك كفار تأخذون ماليس لكم ، ولا بـد لله من حجـة في أرضه ، وإمامنا المهدي محمد بن فلان بن فلان بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق المقيم ببلاد المغرب ، ولسنا كالرافضة والاثني عشرية ، الذين يقولون بجهلهم ، إن لهم إماماً ينتظرونه ، ويكذب بعضهم لبعض ويقول: « رأيته وسمعته وهو يقرأ » ، ولاينكرون ذلك لجهلهم وغباوتهم أنــه لايجوز أن يعطى من العمر ما يظنونه ، فقـال [له][1] : قـد خالطت عسكرنا وعرفتهم فمن فيهم على مذهبك[2] ؟ فقال : وأنت بهذا العقل ، كيف أسلم ناساً مؤمنين لقوم / كافرين يقتلونهم ؟ لا أفعـل ذلك أبـداً ، ٤٤ فأمر بتعذيبه فضرب ضرباً مبرحاً ، ومنع الطعام والشراب ، فهلك بعد ثلاثة أيام .

وكان ابن أبي الساج قبل قتاله القرامطة قبض على وزيره محمـد بن خلف البيرماني[3] ، وجعل مكانه أبا علي الحسن بن هرون ، وصادره على خمسمائة ألف دينار . وسبب ذلك أن البيرماني[3] كثر ماله وعظم شأنه ، فطمع أن يكون وزيراً للخليفة ، فكتب بذلك لنصر الحـاجب يخطب الوزارة ، ويسعى بابن أبي الساج ، ويقول إنه قرمطـي يعتقـد إمامة العلوي الذي بإفريقية ، واني ناظرته على ذلك فلم يرجـــع وانه لايسير الى قتال أبي طاهر ، وانما يأخذ المال بهذا السبب ، ويقوى به

---

(١) الاضافة من الكامل ٨ : ١٢٧ .

(٢) في الأصل —وعرفت من فيهم على مذهبك— والتقويم من الكامل ٨ : ١٢٧ .

(٣) في الكامل ٨ : ١٢٧ – ومسكويه ١ : ١٨٤ – النيرماني — .

على قصد حضرة السلطان وازالة الخلافة من بني العباس ، وطول في ذلك وعرض ، وكان لمحمد بن خلف أعداء قد أساء اليهم من أصحاب ابن أبي الساج ، فأخبروا يوسف ، وأطلعوه على جوابات جاءت من بغداد من نصر الحاجب في هذا المعنى ، وفيها الوعد له بالوزارة ، وعزل علي بن عيسى الوزير ، فلما علم ذلك يوسف بن أبي الساج ، قبض على محمد بن خلف ، فلما أسر ابن أبي الساج تخلص من السجن ، وكان ابن أبي الساج يدعى بالشيخ الكريم ، لما جمع الله فيه من خلال الكرم والكمال ، رحمه الله تعالى .

وفي سنة ست عشر وثلاثمائة :

سار القرامطة من الأنبار ، ورجع مؤنس الخادم الى بغداد ، فدخلها في ثالث المحرم ، وسار أبو طاهر القرمطي الى الدالية من طريق الفرات فلم يجد فيها شيئاً ، فقتل من أهلها جماعة ، ثم سار الى الرحبة ، فدخلها /٤١ ثامن المحرم بعد أن حاربه أهلها فأعمل فيهم السيف بعد أن ظفر بهم ، فأمر مؤنس المظفر بالمسير الى الرقة ، فسار اليها في صفر ، وجعل طريقه على الموصل ، فوصل اليها في ربيع الأول ، ونزل [بها] (١) . وأرسل أهل قرقيسيا (٢) يطلبون من أبي طاهر الأمان ، فأمنهم وأمرهم ألا يظهر أحد منهم بالنهار ، فأجابوه الى ذلك ، وسير أبو طاهر سرية إلى العرب بالجزيرة فنهبوهم ، وأخذوا أموالهم ، فخافه الأعراب ، وهربوا

(١) الاضافة من الكامل ٨ : ١٣٢ .

(٢) هي بلدة البصيرة الحالية في سورية حيث يلتقي الخابور بالفرات .

من بين يديه ، وقرر عليهم [١] إتاوة : على كل رأس ديناراً يحملونه الى هجر .

ثم صعد أبو طاهر من الرحبة الي الرقة ، فدخل أصحابه الربض وقتلوا منهم ثلاثين رجلاً ، وأعان أهل الرقة أهل الربض ، وقتلوا من القرامطة جماعة ، فقاتلهم ثلاثة أيام ، ثم انصرفوا آخر ربيع الآخر . وبعث القرامطة سرية الى رأس عين كفرتوثا [٢] ، فطلب أهلها الأمان فأمنوهم ، وساروا أيضاً الى سنجار ، فنصبوا الحبال ، ونازلوا سنجار ، فطلب أهلها الأمان فأمنوهم .

وكان مؤنس قد وصل الى الموصل ، فبلغه قصد القرامطة الى الرقة فجد السير اليها ، فسار أبو طاهر عنها ، وعاد الى الرحبة ، ووصل مؤنس الى الرقة ، بعد/ انصراف القرامطة عنها . ثم ان القرامطة ساروا الى هيت ، وكان أهلها قد أحكموا سورها ، فقاتلوهم فعادوا عنهم الى الكوفة ، فبلغ الخبر الى بغداد ، فأخرج هارون بن غريب ، ويُمْنَيٌّ بن نفيس ، ونصر الحاجب اليها ، ووصلت خيل القرمطي الى قصر ابن هبيرة [٣] فقتلوا منه جماعة . ٤٦

ثم ان نصراً الحاجب حم في طريقه حمى حادة ، فتجلد وسار ولما قاربهم القرمطي لم يكن في نصر قوة على النهوض والمحاربة ، فاستخلف أحمد بن كيغلغ ، واشتد مرضه وأمسك لسانه ، فردوه الى بغداد ،

---

(١) في الأصل – إليهم – والتقويم من الكامل ٨ : ١٣٢ ، ومسكويه ١ : ١٨٢ .

(٢) في الاصل – كفر قوثا – والتقويم من الكامل ٨ : ١٣٢ وياقوت – مادة كفر – .

(٣) بناه قرب الكوفة على طرف الفرات يزيد بن عمر بن هبيرة في أواخر العصر الأموي ، وقد سكنه في بداية العصر العباسي كل من السفاح والمنصور – معجم البلدان .

فمات في الطريق أواخر شهر رمضان ، فجعل مكانه على الجيش هارون ابن غريب ، ورتب ابنه أحمد بن نصر في الحجبة للمقتدر مكان أبيه ، فانصرف القرامطة الى البرية ، وعاد هارون إلى بغداد في الجيش فدخلها لثمان [بقين] [١] في شوال .

وفي هذه السنة تحرك أبو طاهر واجتمع معه السواد الأعظم ، ودخل في مذهبه خلق كثير يربو على عشرة آلاف رجل ، وأمر عليهم رئيساً حريث بن مسعود بواسط ، ودخل في مذهبه أيضاً من عين التمر ونواحيها ، وأمر عليهم عيسى بن موسى ، وهو ممن كان يدعو للمهدي، فسيره أبو طاهر إلى الكوفة / فنزل بظاهرها وجبى الخراج ، وصرف العمال عن أهلها ، وسير حريثاً الى أعمال الموفقي ، فبنى بها داراً سماها دار الهجرة ، واستولى على تلك الناحية ، فكانوا يسبون وينهبون ويقتلون وكان بواسط ابن نفيس فقاتله فهزمه .

٤

فسير الخليفة المقتدر بالله هارون بن غريب إلى حريث ، وصافياً [٢] إلى عيسى بن موسى فهزمهم هارون وصافي ، ودارت الدائرة على القرامطة فأسر منهم جمع كبير ، وقتل منهم مالا يحصى عدده ، وأخذت أعلامهم فكانت مكتوبة ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾[٣] ، فأدخلت بغداد منكسة ، واضمحل أمر القرامطة في هذه الواقعة وكفى الله الناس شرهم .

وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة خرج بالناس الي الحج من بغداد منصور

---

(١) الاضافة من الكامل ٨ : ١٣٣ .

(٢) جاء اسمه في الكامل ٨ : ١٣٧ رصافي البصري .

(٣) سورة القصص ٢٨ : ٥ .

الديلمي أميراً للحاج بأمر الخليفة ، ليحج الناس ، فسلموا في الطريق من بغداد الى مكة . فلحقهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية أي قبل طلوعهم عرفات بساعات قليلة ، فقاتلهم أمير مكة ومن معه ، ولم يكن إلا القليل حتى هزمهم [١] ، وأعمل فيهم السيف ، ونهب الحجيج وقتل الحجاج حتى في المسجد الحرام ، وفي البيت نفسه ، ورمى القتلى في بئر زمزم حتى امتلأت بجثث القتلى ، وخلع باب الكعبة ووقف يلعب بسيفه على باب الكعبة وينشد ويقول :

أنا بالله وبالله أنا　　　يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وأصعد رجلاً ليخلع ميزاب البيت ، فوقع صريعاً ميتاً ، ودفن باقي القتلى في / المسجد الحرام بدون تكفين ، ولا صلى عليهم ، وأخذ كسوة ٤٨ الكعبة فقسمها بين أصحابه ، ونهب دور أهل مكة ، وخلع الحجر الأسود من البيت « فوضعه على سبعين جمل [٢] فسيرهم به ، وهم يضرطون من ثقله الى هجر » [٣] . فلما بلغ ذلك المهدي أبا محمد عبد الله [٤] العلوي الفاطمي بافريقية ، كتب اليه ينكر عليه فعله ، وقال له : سجلت

---

(١) أي أبوطاهر القرمطي.

(٢) كذا في الأصل ، والصواب « جملاً » بالنصب .

(٣) لم ترد هذه الجملة في أي أصل آخر ويبدو أنها أقحمت في الاصل .

(٤) في الأصل عبيد الله ، وهو المتداول عند كتاب المشرق ، وهو خطأ متعمد ، فإسمه بالاصل عبد الله ، وعند الاسماعيلية اسم المهدي « اسم أبي النبي » والعباسيون هم الذين دعوه عبيد الله ، بعدما طعنوا في نسبه ، لأن في التصغير تحقير ، وقد ورد اسم المهدي « عبد الله » في الكتابات الاسماعيلية ، وقد رأيت في القيروان دينارين من دنانيره تاريخ أولهما ٣٠٢ هـ والثاني ٣٠٤ هـ ، وجاء اسمه عليهما « عبد الله » . انظر أيضاً كتاب عيون الاخبار وفنون الآثار للداعي ادريس . خاصة السبع الخامس منه

علينا في التاريخ نقطة سوداء لاتمحوها الليالي والأيام ، ويلومه ويلعنه ، ويقول له : قد حققت على دولتنا وشيعتنا ودعاتنا اسم الكفر والزندقة والإلحاد بفعالك الشنيعة هذه ، وان لم ترد على أهل مكة والحجاج ما نهبته منهم ، وترد الحجر الى موضعه ، وترد كسوة الكعبة كما كانت ، والا أتيت اليك بجنود لاقبل لك بها ، وأنا بريء منك كما برئت من الشيطان الرجيم في الدنيا والآخرة ، وأعوذ بالله من فعالك السوء ، وان لم تفعل ما آمرك به لايكن بيني وبينك الا السيف ، والبراءة منك ياعدو الله والناس أجمعين .

فرد الحجر الى مكانه « فرجع به جمل واحد بدلاً من سبعين جملاً وكان يمر به مر السحاب في رجوعه الى مكة ، وقيل إن الجمل كان مهزولاً ومريضاً فعوفي عند مسيره بالحجر الى مكة »[1] واستعاد ما أمكنه من الأموال الى أهل مكة ، وقال يعتذر للامام العلوي : « إن الناس اقتسموا كسوة الكعبة وأموال الحجاج ولا أقدر على ردها منهم » .

وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة :

خرج الناس للحج ، فلما بلغوا القادسية ، اعترضهم أبو / طاهر القرمطي ثاني عشر [ذي] القعدة ، فلم يعرفوه ، فقاتلهم جند الخليفة وأعانهم الحجاج ، ثم التجؤوا الى القادسية فخرج جماعة من العلويين بالكوفة ، الى أبي طاهر ، فسألوه أن يكف عن الحجاج ، فكف عنهم وشرط عليهم أن يرجعوا الى بغداد ، فرجعوا ولم يحج في هذا العام أحد .

وسار أبو طاهر الى الكوفة فأقام فيها أياماً ورحل عنها .

---

(١) لم ترد هذه الجملة في أي أصل آخر ويبدو أنها حشيت في الاصل .

وفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة :

اختل أمر القرامطة ، وبدأ فساد حالهم ، وقتل بعضهم بعضاً ﴿ يخربون بيوتهم بأيديهم ﴾[١] . وسبب ذلك أن رجلاً منهم يدعى ابن سنبر من خواص أبي سعيد [والمطلعين على سره][٢] له عدو من القرامطة اسمه أبو حفص الشريك ، فقصد ابن سنبر الى أصبهان[٣] لصاحب له هناك يدعى الصفوي ذو النور ، فتكلم معه وقال له : بما أني واقف على أسرار أبي سعيد ، وغوامض أحوال القرامطة وعلومهم واشاراتهم ، أريد أن أرشدك الى ذلك كله ، حتى أجعلك سيداً عليهم يطيعونك فيما تأمر وينتهون بنهيك ، بشرط أن تقتل عدوي أبا حفص الشريك ؛ فأجابه الى ذلك فجلس اليه يعلمه ويرشده ، حتى اذا أتم وصار أستاذاً ماهراً في دلائل القرامطة وأحوالهم ومعارفهم ، وعلامات كان يذكرها في صاحبهم الذي يدعون اليه ، فحضر عند أولاد أبي سعيد ، وذكر لهم ذلك وأشار اليهم بما يعرفونه من علامات وعلوم ومعارف ، وارشادات عالية في علومهم ، وأحوالهم الباطنة ، فقال أبو طاهر : هذا الذي ندعو اليه ، فأطاعوه ودانوا له ، حتى كان يأمر الرجل بقتل أخيه فيقتله ، وكان اذا كره أحداً / يقول أنه مريض - يعني قد شك في عقيدتهم -[٤] ويأمر بقتله .

---

(١) سورة الحشر ٥٩ : ٢ .

(٢) الاضافة من الكامل ٨ : ٢٦٣ . هذا وقام بنو سنبر بوظيفة الوزراء في دولة قرامطة الأحساء .

(٣) في الكامل ٨ : ٢٦٤ - فقصد ابن سنبر الى رجل من أصفهان - ولم يورد ابن الأثير الخبر بالتفاصيل التي جاءت هنا .

(٤) في الكامل ٨ : ٢٦٤ - في دينه - .

وبلغ أبا طاهر أن الصفوي يريد يأمر بقتله لينفرد بالملك بعده ، فجمع اخوته وتشاور معهم في أمره وقال : لقد أخطأنا في اعتمادنا هذا الرجل ، وجعلنا له السلطة المطلقة في أمرنا ، ولا بد من أن أكشف أمره ، وأقف على حقيقة حاله ، فأحضره وقال له : ان لنا مريضاً فانظر اليه ليبرأ فحضّروه الى منزلهم ، وكانوا مدبرين حيلة له ، وهو أنهم أضجعوا والدتهم ، وغطوها بإزار ، فلما دخل ورآها على هذه الصورة ، نظر نحو المريض ، وقال : ان المريض لا يبرأ بنظري ، فاقتلوه ، فقالوا : قد كذبت ، وهذه والدتنا ، وقاموا اليه وأوثقوه وقتلوه بعد أن أهلك منهم خلقاً كثيراً من عظمائهم وفرسانهم ، وكان هذا سبب تمسكهم بهجر وترك قصد البلاد والافساد فيها .

وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة :

أعادوا الحجر الأسود الى مكة بعد مكثه عندهم اثنتي وعشرين حجة . وقد بذلت لهم الأموال في رده فلم يجيبوا إلى ذلك لولا تهديد المهدي العلوي لأبي طاهر . ويروى أنهم علقوه في مسجد في الكوفة ، فرآه الناس فحملوه الى مكة وكانوا خلعوه من ركن البيت الحرام في سنة سبع عشرة وثلاثمائة [1] .

---

(١) جاء في مرآة الزمان ـ مخطوطة أحمد الثالث ـ ١١/٣١* و : وفيها ـ ٣٣٩ هـ ـ رد الحجر الاسود الى موضعه إلى مكة من البيت ، بعث به أخو أبي طاهر الجنابي ، مع محمد ابن سنبر إلى المطيع، وكان بحكم قد دفع فيه خمسين ألف دينار ، وما أجابوا ، وقالوا : أخذناه بأمر ، وما نرده إلا بأمر ، فلما كان في هذه السنة ردوه وقالوا : رددناه بأمر من أخذناه بأمره ، وقد ذكرناه في سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، فأقام عندهم اثنتين وعشرين ، فأعطاهم المطيع مالاً ، وبعث به إلى مكة ، وحج الناس وتمت مناسكهم ،

وفي سنة ستين وثلاثمائة :

في ذي القعدة وصل القرامطة إلى دمشق ، ونصبوا على أسوارها السلالم ، وتعلقوا بها وفتحوها قصداً ، وأوقعوا بأهلها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، وشنعوا بأهلها وقتلوا واليها جعفر بن فلاح ، وسبب ذلك أنهم لما رأوا أن جعفراً استولى على الشام أهمهم أمره وأزعجهم / ٥١ وقلقوا ، لأنهم كانوا قرروا مع ابن طغج أن يحمل إليهم في كل عام ثلاثمائة ألف دينار ، فلما ملكها جعفر علموا أن المال يفوتهم ، فعزموا على السير إلى الشام ، وصاحبهم وقتئذ الحسن بن أحمد بهرام القرمطي فأرسل إلى عز الدولة بختيار يستمد منه المعونة بالسلاح والمال ، فأجابه الى ذلك واستقر الحال أنهم اذا ساروا الى الكوفة سائرين الى الشام حملوا الذي استقر ، فلما وصلوا الكوفة أوصل اليهم ذلك وساروا الى دمشق ، وبلغ خبر وصولهم الى جعفر ، فاحتقرهم واستهان بهم « ولم يدر المخبأ له ولم يصل اليه قول القائل : « اذا كان عدوك نملة فلا تنام له » ، وقد تقتل النملة الثعبان والأسد »[1] ولم يحتط[2] ويحترز منهم ولم يعمل لهم حساباً ، فكبسوه بظاهر دمشق[3] وقتلوه من حيث لا يشعر بهم

---

(١) يبدو أن هذه الجملة حشيت في الاصل .

(٢) في الاصل – يحتاط – .

(٣) في مرآة الزمان ـ مخطوطة أحمد الثالث ـ ١١/٨٨ـو : وفيها [٣٦٠ هـ] وتوفي جعفر بن فلاح ، أحد قواد المصريين ، وأول أمير ولي لهم دمشق ، وكان فيمن خرج مع جوهر من المغرب ، وشهد معه فتوح مصر ، ثم بعثه جوهر إلى الشام ، فتغلب على الرملة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وأقام بدمشق .

ولخمس خلون من صفر من هذه السنة ، أمر المؤذنين بجامع دمشق أن يؤذنوا بحي على=

وغنموا ماله وأنعامه من ناطق وصامت [١].

=خير العمل ، وكذا بالمساجد ، وكان ينزل بمكان يقال له الدكة بين نهري يزيد وثورا ، وقيل هي فوق يزيد قريباً من دير مران ، فجاء أبو محمد الحسن بن أحمد القرمطي الى دمشق ويلقب بالاعصم ، وكان جعفر مريضاً ، فخرج ، فقاتله فقتله القرمطي في ذي القعدة وقيل في شوال .

(١) اصطدم الفاطميون أثناء فتحهم لدمشق بجماعات الاحداث فيها ، الذين شكلوا نوعاً من أنواع المليشيات الشعبية البلدية ، وكان محمد بن عصودا من بين زعماء أحداث دمشق الذين تصدوا لجعفر بن فلاح ، وعندما أخفق بالمقاومة غادر دمشق إلى الأحساء حيث استنجد بقرامطتها ، ومن حسن الحظ أن المقريزي حفظ لنا في كتاب المقفى تراجم لجعفر ابن فلاح والحسن الاعصم زعيم القرامطة ، وترجمة الأعصم بين نصوص هذا الكتاب . أما ماجاء عن علاقة جعفر بن فلاح بالقرامطة فها كم هو : (من مخطوطة مجلد برتو باشا في استانبول : ٣٠١ - ٣٠٢) .

. . . . وأما محمد بن عصودا فإنه لما انهزم ، سار إلى الأحساء ، هو وظالم بن مرهوب العقيلي ، وحثا القرامطة على المسير الى الشام ، فوافق ذلك منهم الغرض ، لان الاخشيدية كانت تحمل في كل سنة الى القرامطة مالاً ، فلما أخذ جوهر مصر، انقطع المال عن القرامطة فأخذوا في الجهاز للمسير الى الشام . . .

وكثرت الاخبار بمسير القرامطة الى الشام ، وأنهم نزلوا على الكوفة ، وكتبوا الى الخليفة ببغداد ، فأنفذ اليهم خزانة سلاح ، وكتب لهم بأربعمائة ألف درهم على أبي تغلب عبد الله بن ناصر الدولة بن حمدان ، من مال الرحبة ، وأنهم ساروا من الكوفة الى الرحبة وأخذوا من ابن حمدان المبلغ ، فكتب جعفر إلى غلامه فتوح وهو على أنطاكية يأمره بالرحيل فوافاه الكتاب مستهل شهر رمضان ، فشرع في شد أحماله ، ونظر الناس اليه فجفلوا ورموا خيمهم ، وأراقوا طعامهم ، وأخذوا في السير مجدين الى دمشق ، فلما وافوا جعفر أراد أن يقاتل بهم القرامطة ، فلم يقفوا ، وطلب كل قوم موضعهم ، ولم يبالوا بالموكلين على الطرق .

وعندما نزل القرامطة على الرحبة أكرمهم أبو تغلب ، وبعث الى الحسن بن احمد بن أبي سعيد الجنابي ، المعروف بالاعصم ، كبيرهم يقول له : هذا شيء أردت أن أسير فيه بنفسي لكني مقيم في هذا الموضع إلى أن يرد إلي خبرك ، فإن احتجت إلى سيري سرت إليك ،=

وبعد ملكهم لدمشق أمنوا من بقي من أهلها ، وعزمـوا المسير الى الرملة واستولوا على جميع مابينها ، فلما سمع من بها من المغاربة خبرهم ساروا منها الى يافا ، فتحصنوا بها ، وملك القرامطة الرملة بعد قتال شديد وخسائر جمة . وبعد استتباب الأمر لهم قصدوا المسير الى مصر وتركوا على يافا من يحصرها .

وعند دخولهم مصر اجتمع عليهم خلق كثير من العرب وغيرهم من الجند والإخشيدية والكافورية ، فنزلوا بفناء مدينة الشمس على مقربة من مصر قريباً من قرية البلسم أو البيلسان وتعرف (بعين) شمس ، واجتمع

=ونادى في عسكره من أراد السير من الجند الاخشيدية وغيرهم الى الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض لنا عليه ، وقد أذنا له في المسير والمعسكران واحد ، فخرج الى القرامطة كثير من الاخشيدية الذين كانوا بمصر وفلسطين ، ممن فر من جوهر وجعفر بن فلاح ، وكان جعفر لما أخذ طبرية بعث إلى أبي تغلب ابن حمدان بداع يقال له أبو طالب التنوخي ، يقول له : إنا سائرون اليك فتقيم لنا الدعوة ، فلما قدم الداعي على أبي تغلب وهو بالموصل ، وأدى الرسالة ، قال له : هذا ما لايتم لاننا في دهليز بغداد ، والعساكر منا قريبة ، ولكن إذا قربت عساكركم من هذه الديار ، أمكن ماذكرته ، فانصرف بغير شيء .

ثم ان الحسن بن احمد القرمطي ، سار عن الرحبة إلى ان قرب من دمشق ، فجمع جعفر خواصه واستشارهم ، فاتفقوا على ان يكون لقاء القرامطة في طرف البرية قبل ان يتمكنوا من العمارة ، فخرج اليهم ولقيهم ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، فانهزم عنه عدة من اصحابه ، فولى في عدة ممن معه . وركب القرامطة اقفيتهم ، وقد تكاثرت العربان من كل ناحية ، وصعد الغبار ، فلم يعرف كبير من صغير ، ووجد جعفر قتيلاً لايعرف له قاتل ، وكانت هذه الوقعة في يوم الخميس لست خلون من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة .

فامتلأت ايدي القرامطة بما احتووا عليه من المال والسلاح وغيره ، وخرج محمد بن عصمودا إلى جثة جعفر بن فلاح ، وهي مطروحة في الطريق . فأخذ رأسه وصلبه على حائط داره ، أراد بذلك أخذ ثأر اخيه اسحق بن عصمودا ، وملك القرامطة دمشق ، وورد الخبر بذلك على جوهر القائد ، فاستعد لحرب القرامطة . . . .

٥٢ جند جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله ، وخرجوا / اليهم ، فاقتتلوا غير مرة فلم يظفروا بهم في جميع تلك الأيام ، وما حصل منهم من الفظائع من قطع الطريق والنهب والسلب وسطوهم على القرى وهتكهم الأعراض يعجز القلم عن وصفه لعنهم الله .

ثم انهم تقدموا وزحفوا وحصروا عسكر جوهر وضايقوهم وحصروهم حصاراً شديداً ، ثم ان جند جوهر خرجوا يوماً من مصر وحملوا على القرامطة من الميمنة فانهزم من بها من العرب وغيرهم ، وقصدوا خيام القرامطة فنهبوها وكبسوهم فيها فاضطروا الى الهزيمة ، وولوا الأدبار راحلين الى الشام ، فنزلوا الرملة ثم حصروا يافا حصاراً شديداً وضيقوا على من بها ، فسير القائد جوهر نجدة من عسكره لأصحابه المحصورين بها ، ومعهم ميرة في خمسة عشر مركباً ، فأرسل القرامطة مراكبهم اليها فأخذوا مراكب جوهر ولم ينج منها غير مركبين ، فغنمها مراكب الروم .

وللحسن بن بهرام زعيم القرامطة شعر فمنه في المغاربة أصحاب المعز لدين الله العلوي الفاطمي الافريقي يقول :

زعمت رجال الغرب أني هبتها　　فدمي اذاً مـا بينهـم مطلول

يامصر إن لم أسق أرضك من دمي　　يروي ثراك فلا سقاني النيـل

وفي صباح الغد أخذ جند جوهر يرمون القرامطة بقوارير النفـط ، وأعملوا فيهم السلاح حتى اضطروهم الى الجلاء عن الحصار ، ورحلوا الى الشام فتبعوهم ، وواصلهم المعز وجوهر بالنجدات حتى أجلوهم عن بعض القرى والمدن [1] .

---

(١) جاء في ترجمة جوهر الصقلي ، في كتاب المقفى للمقريزي – مجلد برتو باشا : ٣١١ ، مزيداً من التفاصيل هاكم هي : =

وفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة تقوى القرامطة ، وعزموا / أن يعودوا ٥٣
لمحاربة المعز الفاطمي العلوي صاحب مصر وافريقية ، فتجمعت جموعهم ،
وساروا من الإحساء ، وفي مقدمتهم زعيمهم الحسن بن أحمد قاصدين ديار
مصر فنزلوا بها وحصروها . فلما سمع المعز لدين الله قصد القرامطة قبل
وصولهم الى مصر ، كتب اليهم كتاباً [١] ، يذكر فيه فضل نفسه وأهل
بيته ، وأن دعوة القرامطة كانت له وآبائه من قبله ، وتوعدهم وهددهم
وسير الكتاب اليهم ، فكتبوا اليه « [٢] جوابك : وصل الذي قــل
تحصيله ، وكثر تفصيــله ، ونحن حاضرون اليك على اثره والسلام » .

وساروا حتى وصلوا عين شمس فخيموا بها ، وأنشب القتال ، وحصروا
مصر حصراً شديداً ، وأفسدوا ونهبوا القرى وقطعوا السبيل ، وكثرت
جموعهم ، والتف حولهم من العرب وقطاع الطريق جمع كبير ، وكان

= . . . . ورد الخبر بقدوم الحسن بن أحمد الأعصم القرمطي إلى دمشق ، وقتل جعفر ابن فلاح ، واستيلاء القرامطة على دمشق ، وقصدهم مصر ، فتأهب جوهر لقتالهم ، وحفر جوهر خندقاً ، وعمل عليه بابين من حديد ، وبنى القنطرة على الخليــج ظاهر القاهرة ، وحفر خندق السري بن الحــكم ، وفرق السلاح على العساكر ، فوجد رقاعاً في الجامع العتيق فيها التحذير منه فجمع الناس ووبخهم ، فاعتذروا له فقبل عذرهم ، ونزل القرامطـة عين شمس في المحرم سنة احدى وستين ، فاستعد جوهر وضبط الداخل والخارج .

وفي مستهل ربيع الأول التحم القتال بين القرامطة وبينه على باب القاهرة ، فقتل من الفريقين جماعة وأسر كثير ، ثم استراحوا في ثانيه ، والتقوا في ثالثه ، فاقتتلوا قتالاً كثيراً قتل فيه ماشاء الله من الخلق ، وانهزم القرمطي يوم الأحد ثالث ربيع الأول ، ونهب سواده ، ومر على طريق القلزم ـ السويس حالياً ـ ونودي في مدينة مصر : من جاء بالقرمطي أو برأسه فله ثلاثمائة ألف درهم وخمسون خلعة وخمسون سرج محلى على دوابها ، وثلاث جوائز . . . .

(١) انظره في نص المقريزي في اتعاظ الحنفا .

(٢) كذا في الأصل والاحسن : وصل جوابك .

ممن حضر معهم وانضم اليهم الأمير حسان بن الجراح الطائي أمير العرب ببادية الشام ، ومعه جمع عظيم ، فلما رأى ذلك المعز استعظم الأمر ، وتحير وارتبك في أمره ، فجمع حاشيته ووزراءه وعقد مجلساً خاصاً ، فأشار عليه وزيره ابن غنام بأنه ليس حيلة أعظم من العمل على تفريق هذه الجموع من حوله ، وذلك يأتي بالسعي في تفريق كلمتهم ووقوع الخلاف بينهم ، ولايكون ذلك الا بواسطة أمير العرب ابن الجراح . فراسله المعز لدين الله واستماله بالمال ، وبذل له مائة ألف دينار ، ووعده بأكثر منها اذا تم له النصر على القرامطة ، فأجابه ابن الجراح / الى ما طلب منه ، وعاهده على ذلك ، فحلف اليمين أنه اذا وصل اليه المال المقرر انهزم بالناس ، وأوقع بالقرامطة الفشل ، فأحضروا المال فلما رأوه استكثروه ، فسبكوه من صفر وألبسوه الذهب ، ووضعوها في أسفل الأكياس وجعلوا الذهب الخالص على وجوهها وحملوها إليه ، فأرسل إلى المعز أن يخرج بعسكره يوم كذا ، ويقاتلونه فسينهزم بمن معه وهو في الجهة كذا ، فخرج المعز على حسب إشارته ، فانهزم وتبعه العرب وكافة من تطوع معهم ، فلما رآه الحسن القرمطي منهزماً تحير في أمره ، وثبت وقاتل بعسكره ، الا أن جند المعز تابعوا الهجمات عليه من كل جانب فأرهقوه فولى منهزماً ، فاتبعوه وأخذوا في أثره وظفروا بعسكره ، وأخذوا من فيه أسرى ، وكانوا نحو ألف وخمسمائة أسير ، فضربت رقابهم وأخذوا مافي معسكره غنيمة لهم ، وأرسل المعز لدين الله القائد أبا محمود بن إبراهيم بن جعفر [١] في عشرة آلاف مقاتل ، وأمره باقتفاء أثر

---

(١) وقع هذا الاسم في الاصل عدة مرات – كأبي محمد – واخرى – كأبي محمود وهو الذي جاء في الكامل ٨ : ٤٧٠ – ٤٧٢ – لذلك أثبتناه بهذه الصورة .

القرامطة ، واستئصال شأفتهم وقتلهم ، وتخريب ديارهم وإخراجهم من أرض الشام ، وضمها لمصر ، فاقتفى أثرهم وتثاقل في سيره خوفاً أن ترجع القرامطة إليه .

وأما القرامطة فإن من بقي منهم ساروا إلى بلدهم الأحساء ، ويظهرون أنهم يعودون ، فكتب أبو محمود القائد للخليفة المعز لدين الله الفاطمي يخبره بانهزام القرامطة من الشام ، وعودتهم إلى بلادهم ، فأمر المعز بتجهيز جيش تحت قيادة ظالم بن موهوب [١] العقيلي ، وولاه دمشق فسار إليها ودخلها / وعظم أمره وكثرت جموعه وأمواله وعدته ، لأن ●● ابن أبي المنجا وابنه صاحبي القرمطي كانا بدمشق ومعها جماعة ، فأخذهم ظالم وحبسهم وغنم أموالهم وجميع مايملكونه ، ثم إن القائد أبا محمود الذي كان سيره المعز يتبع القرامطة وصل إلى دمشق بعد وصول ظالم إليها بأيام قليلة ، فخرج ظالم متلقياً له مسروراً به لأنه كان شاعراً بعودة القرامطة ، فطلب منه أن ينزل بعسكره بظاهر دمشق ، فسلم إليه أبا المنجا وابنه ورجلاً آخر يعرف بالنابلسي ، وكان هرب من الرملة وتقرب إلى القرمطي وأسر بدمشق أيضاً ، فحملهم أبو محمود الى مصر فسجن أبا المنجا وابنه ، وقيل للنابلسي : أنت الذي قلت : لو معي عشرة أسهم لرميت تسعة في عسكر المعز ، وواحداً في الروم ؟ فاعترف ، فسلخ جلده ، وحشوه تبناً وصلبوه .

ولما نزل أبو محمود بظاهر دمشق ، امتدت أيدي أصحابه بالعبث والفساد وقطع الطريق ، فاضطرب الناس وخافوا ، ثم ان صاحب الشرطة

(١) يقع أحياناً في المصادر « مرهوب » ولانملك من المصادر مايمكن من الترجيح .

أخذ انساناً من أهل البلد فقتله ، فثار به النوغاء والأحـداث وقتـلوا أصحابه ، وأقام ظالم بين الرعية يداريهم ، وقد نزح أهل القرى منهـا لشدة نهب المغاربة أموالهم وظلمهم لهم ودخلوا [البلد] (١) ، فلما كان نصف شوال من السنة وقعت فتنة كبيرة بين عسكر أبي محمود وبـين العامة ، وجرى بين الطائفتين قتال شديد ، وظالم مع العامة يظهر أنه يريد الإصلاح ، ولم يكاشف أبا محمود وانفصلوا / ثم أن أصحاب أبي محمود أخذوا قفلاً من النوطة من حوران ، وقتلوا منه ثلاثة نفر ، فأخـذهم أهلوهم وألقوهم في الجامع ، وأغلقت الأسواق وزحف النـاس وزحف بعضهم الى بعض ، فقوي المغاربة وانهزم العامة الى سور البلد ، فصبروا عنده وخاف الناس ، وأرادوا القتال فنصحهم عقلاؤهم ، ثم ان المغاربة أرادوا نهب قينية واللؤلؤة (٢) ، فوقع الصائح في أهـل البلد فنفـروا وقاتلوا المغاربة في السابع عشر من ذي القعدة ، وركب أبو محمود في جموعه ، فخرج للعامة من تخلف عنهم ، وكثر النشاب على المغاربة فأثخن جراحهم فعادوا وحملوا على العامة فانهزموا وتبعوهم الى البلد ، فـخرج ظالم من دار الامـارة ، وألقى المغـاربة النـار من ناحيـة باب الفراديس وحرقوا تلـك الناحية ، فأخذت النـار الى القبلـة فأحرقت من البلد كثيراً ، وهلك فيهـا كثير من الناس وما لا يحـد من الأثاث والرجال الأموال ، وبات الناس في اضطراب وقلق شديد على أقبح صورة ، ثم اصطلحوا هم وأبو محمود ، ثم انتقضوا ولم يزالوا كذلك الى ربيع الآخر سنة أربع وستين وثلاثمائة ، ثم استقر الرأي بين الدمشقيين

---

(١) الإضافة من الكامل ٨ : ٤٧١ .

(٢) من محلات دمشق .

والقائد أبي محمود على اخراج ظالم من البلد ويخلفه جيش بن الصمصامة وهو ابن أخت أبي محمود واتفقوا على ذلك ، وخرج / ظالم ووليه جيش وسكنت الفتنة .

ثم ان المغاربة بعد أيام عاثوا ، وأفسدوا باب الفراديس ، فثار الناس عليهم وقاتلوهم وقتلوا من لحقوه منهم ، وصاروا الى القصر الذي فيه جيش ، فهرب منه هو ومن معه من الجند المغاربة ولحق بالعسكر ، فلما كان من الغد وهو [أول جمادى الأولى من السنة] (١) زحف الى البلد ، وقاتل أهلها وأعمل فيهم السيف وهزمهم ، وشنع بهم أكثر مما جرى لهم من القرامطة ، وحرق ماسلم منها ، ودام القتال بينهم أياماً كثيرة وذلك في جمادى الأولى ، فاضطرب الناس ودب فيهم الخوف وانزعجوا وهرب بعضهم وهاجروا ، وخربت المنازل ، وانقطعت المواد وانسدت المسالك ـ اللهم نجنا من المهالك يامالك الممالك ـ وبطل البيع والشراء والأخذ والعطاء ، وقطع الماء عن البلد وبطلت القنوات والحمامات ومات كثير من الفقراء على قارعة الطريق من شدة الهلكة والضيق والضنك ، ومن عناء ألم الجوع وشدة البرد ، فأتاهم الفرج بعزل أبي محمود .

ولما وصل الخبر إلى الخليفة المعز الفاطمي بما حصل أنكر ذلك ، وقال : إن هذه أعمال جنون واستعظم الأمر « ورمى بطيلسانه على الأرض وأرغى وأزبد وزجر ووعد » (٢) وأصدر أمره بانصراف أبي محمود عن دمشق و [أن] يصحب جيشاً (٣) معه ، وأرسل أمره الي والي

(١) في الأصل وهو راكب وزحف والإضافة والتقويم من الكامل ٨/٤٧٢

(٢) يبدو أن هذا مما حشي بالأصل .

(٣) أي جيش بن الصمصامة .

طرابلس بالتوجه الى دمشق لاستتباب الأمن فيها ومواساة أهلها ورد المظالم / عنهم ، فدخل ريان دمشق وصرف أبا محمود وجيشاً عنها ، وعمل بما أمر امتثالاً لأمر الخليفة ، وكشف أمور أهلها وأمنهم وواساهم ، وعوض عليهم ماأخذ منهم وبدل مكان السيئة الحسنة ، وكتب للخليفة بما ذكر واستتب له الأمر الى سنة أربع وستين وثلاثمائة ، فوافاه ألبتكين [1] التركي مولى معز الدولة ابن بويه من مولاه بختيار بن معز الدولة حينما انهزم في فتنة الأتراك ، فسار في طائفة صالحة من الجند والترك ، فنزل بظاهر دمشق ، وكان الأحداث تغلبوا عليها ، وليس للأعيان عليهم حكم ولا للسلطنة عليهم طاعة ، فخرج أشرافها وشيوخها اليه ، وأظهروا له السرور بقدومه ، وطلبوا منه أن يقيم عندهم ، وله منهم الطاعة ويملكوه بلدهم ويزيل عنهم حكم المغاربة ، فإنهم لاطاقة لهم بهم [لأنهم] يجبرونهم على التشيع ، ولمخالفتهم عقيدة أهل السنة ، ولما هم فيه من الزيغ والضلال والكفر والزندقة والإلحاد ولظلم عمالهم ، ويكف عنهم الأحداث فأجابهم الى ذلك واستحلفهم على الطاعة والمساعدة ، وحلف لهم على الحماية وكف الأذى عنهم منه ومن غيره ، ودخل .

فدخل البلد وأخرج منها ريان الخادم ، وقطع خطبة المعز ، وأعاد الخطبة للخليفة الطائع لله في شعبان ، وقمع أهل العيث والفساد ، وملأ البلد عدلاً وقسطاً ورفع عنها المظالم ، وهابه كافة الناس ، وأصلح كثيراً من أمورهم ، فقد كانت العرب استولت على سواد البلد وما يتصل به ،

---

(١) يرد رسم هذا الاسم في المصادر بأشكال مختلفة منها : هفتكين ، وألفتكين ، بفتكين وغير ذلك ، والصحيح ما أثبتناه « ألبتكين أي عبد جلد » انظر الكاشغري ، ديوان لغات الترك : ١/٣٤٦-٣٤٧ . من ط الآستانة ١٣٣٣ ﻫ .

٥٩ نقصدهم وأوقع بهم ، ورد جميع ما أخذوه « وأبان/عـن شجاعـة وقوة
نفس ، وحسن تدبير ، فأذعنوا له وأقطع البلاد ، وكثر جمعه وتوفر ماله
رثبت قدمه .

وأرسل للمعز بمصر يداريه ويظهر له الانقياد والطاعة ، فأرسل اليه
بشكره وطلب منه الحضور اليه ليخلع عليه ويعيده والياً من عنده ، فلم
يثق بقوله وامتنع من المسير اليه ، فتجهز المعز وجمع العساكر لقصده ،
فرض ومات على ماذكره في سنة خمس وستين وثلاثمائة ، وولي بعده ابنه
العزيز بالله فأمن ألبتكين .

ثم ان ألبتكين قصد بلاد العزيز التي بساحل الشام ، فعمد الى
صيدا فحصرها وبها ابن الشيخ ومعه جماعة من رؤساء المغاربة وظالم
بن موهوب ، فقاتلهم وكانوا في كثرة ، فطمعوا فيـه وخرجوا اليـه ،
فاستجرهم حتى أبعدهم ، ثم عاد عليهم فقتل منهم أكثر من أربعة آلاف
رجل ، وطمع في أخذ عكة ، فوجه جيشه اليها ، وقصد طبرية ففعل
فيها من القتل والنهب مثل صيدا ، ورجع الى دمشق .

فلما بلغ العزيز ذلك استشار وزيره يعقـوب بن كلس فيما يفعـل ،
فأشار اليه بإرسال جوهر يقود العسكر [الى] [1] الشام . فجهزه وسيره
فلما بلغ ألبتكين ذلك ، جمع أهل دمشق وتكلم معهم ، وقال : أنا وليت
أمركم برضاكم ، وطلب كبيركم وصغيركم لي ، وانمـا كنت مجتازاً ، وأنا
سائر عنكم لئلا ينالكم أذى بسببي ، فقالوا : لانمكنك من فراقنا فإننـا
مانجد خيراً منك يولى علينا ، ونحن نبذل كل غال من الأموال والأنفس
في نصرتك ونقوم معك / فاستوثق منهم فحلفوا له وأقام معهم . ٦٠

---

(١) الإضافة من الكامل ٨/٦٨٤ .

ووصل جوهـــر الى البلد في سلخ شوال[1] سنة خمس وستين وثلاثمائة فحصر دمشق ، وقد رأي من قتال ألبتكين وأصحابه ما استعظمه ودامت الحرب أكثر من شهر قتل فيهـا خلق كثير من الطائفتـين . فلما رأى أهل دمشق ذلك ، وطول حصار المغاربة لهم عقـدوا مجلساً وشاوروا ألبتكين بمكاتبة الحسن بن أحمد القرمطي لينجدهم ، ففعل ذلك فسار القرمطي اليه من الأحساء ، فلما قرب منه رحل جوهر عـــن دمشق ، وذلك في مستهل [ذي] القعدة ، خوفاً من الوقوع بين عدوين وبين نارين .

ووصل القرمطي واجتمع هو وألبتكين ، وساروا في اثر جوهر ، فلحقوه وقد نزل بالرملة ، وسير أثقاله الى عسقلان . وكان رجال[2] ألبتكين والقرمطي كثير العدد نحو من خمسين ألف فارس ، فنزلوا على نهر الطواحين ، وقطعوا الماء عن البلد فاضطروا جوهر للشرب من ماء الصهاريج ، وهو قليل لايكفيه ، فاضطر الى التوجه الى عسقلان ، فتبعاه : ألبتكين والقرمطي، وحاصراه حصاراً شديداً ، وطـال الحصار وقلت الميرة وغلت الأقوات واضطروا الي أكل الميتة ، وارتفـع سعر الخبز الى دينار ، وراسل جوهر ألبتكين يعده ويمنيه ويستجلب رضاه ويبذل له العطاء ، ويعده اذا وافقه الي الطاعة بالبذول الكثيرة ، فهـم أن يفعل فمنعه القرمطي وأخافه عاقبة الأمر ، فاشتد على جـوهر ومن معه فعاينوا الهلاك ، وكان الوقت شتاء ولايقدر على حمل الذخائر في البحر من مصر وغيرها ، فأرسل/ الى ألبتكين يطلب منه أن يجتمع بـه ،

---

(١) في الكامل ٨/٤٨٤ - ذي القعدة - .

(٢) في الكامل ٨/٤٨٥ - جمع - .

فتقدم اليه واجتمعا راكبين ، فقال جوهر : قد علمت ما يجمعنا من عصمة الإسلام وحرمة الدين ، وقد طالت هذه الفتنة ، وأريقت فيها الدماء ، ونهبت الأموال ، ونحن المؤاخذون بها عند الله تعالى ، وقد دعوتك للصلح والطاعة والموافقة [1] ..»

● ● ●

(١) ترجم المقريزي في كتاب المقفى ـ مجلد برتو باشا : ٣٠٦-٣١٢ ، ترجمة وافية لجوهر الصقلي ، وقد جاء بها عن علاقته بألبتكين مايلي :

وأقام ـ جوهر ـ بالقاهرة حتى مات المعز في ربيع الآخر سنة خمس وستين ، واستخلف بعده ابنه العزيز بالله أبو منصور نزار ، فانتدبه للخروج إلى الشام ، وحول اليه خزائن السلاح والأموال ، وسار من القاهرة في عسكر لم يخرج إلى الشام قبله مثله ، بلغت عدتهم عشرين ألفاً .

فبلغ ألبتكين الشرابي ، وهو على عكا مسير جوهر ، والقرامطة على الرملة ، فولت القرامطة منهزمين عجزاً عن مقاومته ، وسار ألبتكين إلى دمشق ، وجوهر في إثره إلى أن نزل بين داريا وبين الشماسية ، ظاهر دمشق يوم الأحد لثمان بقين من ذي القعدة سنة خمس وستين ، وحفر على عسكره خندقاً عظيماً ، وجعل له أبواباً ، وبنى البيوت من داخل الخندق ، وكان قد انضم اليه ظالم بن موهوب العقيلي ، فأنزله خارج الخندق ، وجمع ألبتكين الذعار ، وحمال السلاح من عوام دمشق ، وقدم عليهم قسام السناط التراب « السناط :الذي لا لحية له » وأجرى له الأرزاق ، وأخرجه الى قتال جوهر ، فاستمرت الحرب بين جوهر وألبتكين من يوم عرفة ، فجري بينهم اثنتا عشرة وقعة إلى سلخ ذي الحجة ، ولم تزل الحرب إلى يوم الخميس حادي عشر ربيع الاول سنة ست وستين وثلاثمائة ، فانهزم ألبتكين ، وعزم على الفرار إلى أنطاكية ، ثم ثبت عندما بلغه قدوم الحسن بن أحمد القرمطي إليه فاستظهر .

وبلغ ذلك جوهر فدعا الى الصلح ، وكان الشتاء قد هجم عليه ، وهلك أكثر مامعه من الكراع ، وصار معظم أصحابه رجالاً بغير خيل ، وقلت العلوفات عنده ، واشتد وقوع الثلوج ، فامتنع ألبتكين من إجابته ، ثم أذعن وأنفذ إلى جوهر بجمال ، ورحل عن دمشق بعدما أحرق ماعجز عن حمله من الخزائن والأسلحة ، وسار يوم الخميس ثالث جمادى الأولى=

والي هنا انقطع المؤلف لمرضه وتوفي في هذه السنة تغمده الله برحمته آمين والحمد لله رب العالمين .

• • •

تم نسخ هـذه النسخة من نسخة منقولة عن مسودة المـؤلف برسم الشريف أبي القاسم العلوي في سلخ جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة في سلخ شوال سنة ألف وسبع وخمسين على يد كاتبها الضعيف الفاني أحمد بن عمر بن خطاب بن رمضان الخاني ، أدخله الله دار التهاني وبلغه في الدارين الأماني وغفـــر له . آمين . آمين [1] .

=جداً لخوفه أن يدركه القرمطي ، فهلك كثير من عسكره لشدة الثلج ، وأخذ القرمطي يسير خلفه من طبرية إلى الرملة ، فتحصن جوهر بزيتون الرمـــلة ، وخرج ألبتكين من دمشق ، ولحق بالقرامطة ، واجتمعوا على قتال جوهر ، فجرت بينهم حروب طويلة شديدة آلت الى التجاء جوهر إلى عسقلان ، وقـــد فني معظم عسكره ، ونهبت أثقاله ، فنزل ألبتكين وحصره حتى بلغ منه الجهد الشديد ، وغلت عنده الأسعار بعسقلان ، فبلغ قفيز القمح أربعين ديناراً ، وتنكر عليه من معه من الكتاميين ، واحتقروه وتنقصوه وشتموه ، وكانوا قبل ذلك تخاذلوا ولم يصدقوا في القتال ، وكايدوا القائد جوهر ، فضاقت بجوهر ومن معه الارض ، ولاذ الى الصلح ، فبعث اليه البتكين : إن أردت الخروج بمن معك فأنا أؤمنك حتى تنصرف الى صاحبك ، فتعاقدوا على ذلك ، وصالح البتكين على مال ، وخرج وقد علق البتكين سيفه على باب عسقلان حتى يخرج جوهر ومن معه من تحت سيفه ، فسار الى القاهرة ، وقد بلغ العزيز ماهو فيه من الجهد ، فبرز يريد السفر الى الشام فسار معه ، وكانت مدة قتال القرامطة والبتكين لجوهر على الزيتون ظاهر الرملة وعلى عسقلان سبعة عشر شهراً ، فلما قدم جوهر على العزيز ، وبلغه تخاذل الكتاميين غضب من ذلك غضباً شديداً ، وعـــذر جوهر ، واظهر له انه قد تنكر له ، وعزله عن الوزارة ، وصير مكانه يعقوب بن كلس .

(١) إذا كان تاريخ ثابت بن سنان قد جاء على شكل ذيل على تاريخ الطبري ، فقد قام=

....

=بعض آل الصابىء بالتذييل على تاريخ ثابت ، وأهم هؤلاء : هلال بن الحسن ثم ابنه محمد بن هلال ، ولم يصلنا من هذه الذيول إلا قطعة نشرت منسوبه إلى عبد الملك الهمذاني الذي ذيل أيضاً على تواريخ آل الصابىء ، لكن فقد ماكتبه هو وبقي بعض مانقله ، ولحسن الحظ نجد سبط ابن الجوزي ، فقد اعتمد في كتابه مرآة الزمان على تواريخ آل الصابىء ، ونقل منها الكثير ، حتى أنه نقل تاريخ محمد بن هلال كاملاً ، وقد حققته ، وسأدفعه للنشر قريباً ، ومما نقله سبط ابن الجوزي عن موضوع القرامطةمن تاريخ هلال بن الحسن في حوادث سنة ٣٦١هـ مايلي : « مخطوطة أحمد الثالث المجلدات ١١-١٣ » .

ومن هاهنا نبتدىء بشيء مما ذكره أبو الحسين هلال بن الحسن بن ابراهيم الصابىء ، فإنه ذكر « مع ابنه » تاريخاً من أول سنة إحدى وستين وثلاثمائة إلى سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، سلك فيه اسلوب خاله ثابت بن سنان .

قال ابن الصابىء : في جمادى الآخرة ، ورد الخبر ، بأن أبا علي الحسن بن أبي منصور أحمد القرمطي ، سار الى مصر ، ونزل بعين شمس ، وجرت بينه وبين جوهر القائد وقعة ، وكان الاستظهار فيها لجوهر ، وانهزم القرمطي .

قال ابن الصابىء : لما دخل جوهر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، ووطىء الأمور للمعز ، وأقام له الخطبة ، سير القائد جعفر بن فلاح الى الشام ، فأسر الحسن بن عبيد الله بن طغج، وبعث به الى مصر ، ونهب الرملة ، وقصده النابلسي الزاهد ، واستكف جعفراً عن النهب فكف ثم استخلف ابنه على الرملة ، وسار الى طبرية ، وبلغه ان ابن أبي يعلي الشريف قد أقام الدعوة بدمشق للطيع ، فسار إلىدمشق فعصوا عليه ، وقاتلوه ، فظهر عليهم ، وهرب ابن أبي يعلي إلى البرية ، وجيء به اليه ، فأحسن اليه ، وبعث به إلى مصر مع جماعة من الأحداث الذين قاموا معه .

وعرف القرامطة استيلاء المغاربة على الشام ، واخذهم إبن طغج ، فانزعجوا من ذلك ، لما يفوتهم من المال الذي كان قرره ابن طغج لهم، وهو في كل سنة ثلاثمائة الف دينار ، فبعثوا أبا طريف عدي بن محمد بن الغمر صاحبهم الى عز الدولة بختيار،والوزير يومئذ ابو الفرج محمد ابن العباس ، يطلبون المساعدة على المغاربة بالمال والرجال ، فاستقر ان عز الدولة يعطيهم الف الف دينار ، والف جوشن ، والف سيف . والف رمح ، والف قوس ، والف جعبة ، وقال : إذا وصل أبو علي الجنابي الى الكوفة ، حمل اليه جميع ذلك . =

....

ولما وصل الجنابي الى الكوفة ، وكان في عدد كثير من اصحابه ، ومن الأعراب ، فبعثوا اليه بالمال والسلاح ، وسار يريد الشام ، وبلغ جعفر بن فلاح خبرهم ، فاستهان بأمرهم ، ثم لم يشعر بهم حتى كبسوه بدمشق بمكان يقال له الدكة ، فقتلوه ، واحتووا على سواده وامواله وكراعه ، وملك أبو علي دمشق ، وأمن اهلها ، واحسن السيرة فيهم ، وغلب على الشام ، واجتمعت اليه العرب ، وسار إلى الرملة ، وبها سعادة بن حيان ، فخرج إلى يافا . وتحصن بحصنها ، ودخل أبو علي الرملة ، وقتل من وجد من المغاربة ، ثم رحل طالباً مصر ، وخلف بالرملة أبا محمد عبد الله بن عبيد الله الحسني ، ومعه دغفل بن الجراح الطائي ، وجماعة من الاخشيدية والكافورية ، وجاء فنزل عين شمس على باب مصر .

واقتتلوا أياماً ، وظهر القرمطي على المغاربة ، وقتل منهم زهـاء خمسمائة رجل ، وغنم أموالهم واسلحتهم ، ودوابهم .

فلما كان يوم الأحد لثلاث خلون من ربيع الأول وقف الهجري على الخنـدق ، والمغاربة من ورائه ، ونشبت الحرب واقتتلوا الى العصر ، فخرجت المغاربة من الخنادق ، وحملوا على الهجري ، فاندق عسكره لايلوي على احد ـ وجعل يردهم ، وهم منهزمون ، فما وقفوا إلى الرملة ، وظن جوهر أن هزيمة القرمطي مكيدة ، فلم يتعرض لما كان في عسكره إلى ثلاثة أيام ، حتى تحقق الخبر ، فاستولى على الجميـع ، ونادى جوهر في الاخشيـدية ، ثم قبضهم وقيدهم وحبسهم ، وكانوا الفاً وثلاثمائة مقاتل ، وقال القرمطي في هذه الوقعة :

زعمت رجال الغرب أني هبتها   فدمي إذا مابينهم مطـاول
يامصر إن لم أسق ارضك من دم   يروي ثراك فـلا سقاني النيل

وقـال :

زعموا أنـني قصير لعمري   ما تكال الرجال بالقفزان
إنمـا المرء باللسان وبالقلـب   وهذا قلبي وهذا لساني

ثم عاد الهجري إلى بلده ، وتفرقت الأعراب في البرية . . . . . . وفيها عاد الهجري إلى الشام ، فلما وصل الأزرق ، انصرفت المغاربة إلى مصر ، ونزل الهجري إلى الرملة في آخر شعبان ، وصرف عنه أهل البادية ، وأقام في اصحابه الهجريين . . . . .

وفي وفيات حوادث سنة ٣٦٦ﻫ :

الحسن بن أحمد بن أبي سعيد

أبو علي ، وقيل أبو محمد القرمطي الجنابي ، ولد بالأحساء في رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين وغلب على الشام سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وقتل جعفر بن فلاح ، واستخلف على دمشق ظالم بن موهوب العقيلي ثم عاد إلى الأحساء وفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، توجه الى مصر ، ونزل بعيسول الطواحين ، ذلك المعز كان يصافيه لما كان بالمغرب ، ويهاديه فلما وصل الى مصر قطع ذلك عنه ، فوافى القرمطي بغداد ، وسأل المطيع على لسان عز الدولة أن يمده بمال ورجال ، ويوليه الشام ومصر ، ليخرج المعز منها ، فامتنع المطيع ، وقال : كلهم قرامطة ، وعلى دين واحد ، أما المصريون فأماتوا السنن ، وقتلوا العلماء ، وأما هؤلاء فقتلوا الحاج ، وقلعوا الحجر الأسود ، وفعلوا وفعلوا ؛ فقال عز الدولة للقرمطي : إذهب فافعل ماتراه ، وذكروا أنه أعطاه سلاحاً ومالاً ، فسار إلى الشام ، ومعه أعلام سود ، وأظهر أن المطيع ولاه وعلى الأعلام اسم المطيع ، وتحته مكتوب : « السادة الراجعين الي الحق » وملك الشام ، ولعن المعز على منبر دمشق وآباءه ، وقال : هؤلاء من ولد القداح كذابون مخرقون ، أعداء الاسلام ، ونحن أعلم بهم ، من عندنا ظهر القداح . ثم أقام الدعوة لبني العباس ، وسار الى مصر ، وحصر المعز في القاهرة فأرضاه بمال ، فرجع الى الأحساء ، ثم عاد الى الشام

فنزل الرملة ، فمات بها في رجب ، وهو يظهر بطاعة عبد الكريم الطائع وجده أبو سعيد الجنابي أول القرامطة ، وقد ذكرناه .

وكان أبو علي الحسن صاحب هذه الترجمة شاعراً فصيحاً ، قال الحسين بن عثمان الحرمي الحنبلي ، كنت بالرملة سنة ست وستين وثلاثمائة فوردها أبو علي الحسن القرمطي القصير الثياب ، ويلقب بالأعصم ، فاستدعاني ، فحضرت عنده ليلة ، وأحضر الفراشون الشموع ، فقال لكاتبه أبي نصر بن كشاجم : يا أبا نصر مايحضرك في صفة هذه الشموع فقال : ان من يحضر مجلس الأمير يستفيد منه ، فقال القرمطي بديهاً :

وجدولة مثل صدر القناة تعرت وباطنها مكتسي
لها مقلة هي روح لها وتاج على هيئة البرنس
اذا غازلتها الصبا حركت لسانا من الذهب الأملس
وان رنقت لنعاس عرا رقطت من الرأس لم تنعس
وتنتج في وقت تلقيحها ضياء يجلى دجى الحندس
فنحن من النور في أسعد وتلك من النار في أنحس

فقام ابن كشاجم ، فقبل الأرض بين يديه ، وسأله أن يأذن في اجازتها ، فأذن ، فقال :

وليلتنا هذه ليلة تشاكل أشكال اقليدس
فياربة العود حثي الغنا ويا حامل الكأس لاتحبس

فخلع عليه وعلى الحاضرين ، ووصلهم بصلات ، ومن شعر القرمطي :

ياساكن البلد المنيف تعززا بقلاعه وحصونه وكهوفه
لاعز الا للعزيز بنفسه وبخيله وبرجله وبسيوفه
وبقبة بيضاء تد ضربت الى جنب الخيام لجاره وحليفه

قرم اذا اشتد الوغى أردى العدى   وشفى النفوس بضربه ووقوفه
لم يرض بالشرف التليد لنفسه   حتى أشاد تليده بطريفـــه

وقال لما فل جيشه بعين شمس .

ولو أني ملكت زمام أمري   لما قصرت في طلب النجـــاح
ولكني ملكت فصار حالي   كحال البُدن في يوم الأضاحي
يقدن الى الردى فيمتن كرها   ولو يستطعن طرن مع الرياح

وقال :

له مقلة صحت ولكن جفونها   مراض بها تسبي القلوب وتتلف
وخد كلون الورد يجنى بأعين   وقد عز حتى أنه ليس يقطف
وعطفه صدغ لو تعلم عطفهـا   لكان على عشاقـــه يتعطف

وقال : وكتب بها إلى جعفر بن فلاح والي دمشق قبل لقائه :

الكتب معذرة والرسل مخبرة   والحق متبع والخير موجـود
والحرب ساكنة والخيل صافنة   والسلم مبتذل والظل ممدود
وان أنبتم فمقبـــول انابتكم   وان أبيتم فهذا الكور مشدود
على ظهور المطايا أو يردن بنا   دمشق والباب مهدوم ومردود
اني امرؤ ليس من شأني ولا أربي   طبل يرن ولاناي ولاعـــود
ولا اعتكاف على خمر ومجمرة   وذات دل لها دل وتفنيد
ولا أبيت بطين البطن من شبع   ولي رفيق خميص البطن مجهود
ولاتسامت بي الدنيا الى طمع   يوماً ولا غرني فيها المواعيد

وفي وفيات حوادث سنة ٣٦٨ هـ .

ذكر حال ألبتكين إلى أن توفي

وحقيقة شرح الجملة التي ذكرنا بها حصوله بدمشق ، واستقراره فيها وكان يكاتب المعز ويطيعه ، فلما مات المعز كاتبه العزيز ، ووعده الاصطناع ورفع المنزلة ، والبقاء على ما هو عليه ، ان وطىء بساطه ، فكتب اليه هذا البلد أخذته بسيفي ، وما أدين لأحد فيه بطاعة ، فغاظ العزيز جوابه واستشار يعقوب بن كلس وزيره ، فأشار عليه بأن يجهز القائد جوهر في العساكر الى الشام ، وبلغ ألبتكين ، فجمع وجوه الدماشقة وشيوخها ، وقال لهم : قد عرفتم أنكم سألتموني أن أتولى أمركم ، وما تصرفت الا على وفق مرادكم . وقد طلبني من لاطاقة لي به ، وأنا داخل بلاد الروم ، وأبصر مكاناً أكون مقيماً فيه لئلا يلحقكم بسببي ضرر ممن يقصدني ، وكان الدمشقيون يكرهون المغاربة ، لمخالفتهم اياهم في الاعتقاد ، ولأجل ماعاملهم به أمراؤهم وولاتهم فقالوا له : أقم ونفوسنا [نبذلها في نصرتك] .

وسار جوهر في عسكر كثيف بعد أن أخذ من العزيز أماناً لألبتكين وخاتماً من ثيابه ، وكتاباً اليه بالعفو عنه ، فلما حصل جوهر بالرملة كاتب ألبتكين بالرفق والملاطفة ، ودعاه الى السلم والطاعة ، ووعده أن يبلغه مايريد ، وأعلمه بما معه من الأمان ، فأجابه بالجميل والشكر على مابذله وغالطه بأن أحال على أهل دمشق ، وسار جوهر ، وقرب من

دمشق ، فخرج إليه ألبتكين في أصحابه ومن معه من العرب ، وأقامت الحرب بينهم شهرين ، وقتل من الفريقين عدد كثير ، وظهر من شجاعة ألبتكين والغلمان الذين معه ما عظموا به في النفوس ، وتقررت لهم الهيبة في القلوب ، وأشار عليه أهل دمشق بمكاتبة الحسن بن أحمد القرمطي واستدعائه ، وعرف جوهر خبره ، فعلم أنه متى حصل بين عدوين خيف عليه ، فرجع إلى طبرية ، ووصل القرمطي إلى ألبتكين ، واجتمعا وتعاهدا على قتال جوهر ، وسارا خلفه ، فسار من طبرية إلى الرملة ، فأقام بها ، وبعث بأثقاله الى عسقلان ، وكتب الى العزيز يعرفه الصورة ، ويستأذنه إن دعته الضرورة قصد عسقلان ، ووافى ألبتكين والقرمطي ، فنزلا على الرملة ونازلا جوهراً ، وكان معها خمسون ألفاً من الفرسان والرجاله ، وكان القتال على نهر الطواحين ، بينه وبين الرملة ثلاثة فراسخ ولا ماء لهم إلا منه فقطعاه عن جوهر ، فتضرر عسكره ، فسار الى عسقلان في أول الليل ، فوصل اليها في آخره ، فدخلها وأغلق أبوابها ، وتحصن بها ، وتبعه ألبتكين والقرمطي ، وحاصراه فيها ، وضاقت به الميرة ، وغلت الأسعار ، وكان الوقت شتاء ، فلم يمكن حمل الأقوات في البحر ، واشتدت الحال بجوهر ، وأكل أصحابه الدواب والميتة ، وكان يخرج فيقاتل ، فإذا وجد فرصة من ألبتكين دعاه الى الطاعة وأرغبه ، فيسترجع ألبتكين شجاعته ، ويهم أن يقبل منه ، فيثنيه القرمطي ، وكاتب ألبتكين رجلا يقال له ابن الجمار ، وكان يخالف اعتقاد المصريين ، ويقول : هؤلاء كفار ويجب قتالهم .

واشتد الأمر بجوهر ، فاحتال في الخلاص ، فراسل ألبتكين ، وسأله القرب منه ، فأجابه ووقفا على فرسيهما سراً ، وقال له جوهر : قد علمت مايجمعني واياك من عصمة الاسلام ، وحرمة الدين ، وهذه فتنة قد

طالت وأريقت فيها دماء ، ونحن المؤاخذون بها عند الله ، وقد دعوتك الى الصلح والموادعة ، وضمنت لك ما أردت فأبيت ، فقال : معي في الرأي القرمطي ، وبيني وبينه ايمان ، فقال : اذا كان الأمر كذا ، فأنا ألتمس منك أن تأذن لي في الخروج من عسقلان الى مصر بمن معي ، ونسير تحت ذمامك ، وسوف ترى ما أفعل ، فقال بشرط ، وهو أن أعلق سيفي على باب عسقلان ورمح القرمطي ، وتخرج أنت وأصحابك من تحتها ، فقال جوهر : جزاك الله خيراً ، قد تفضلت وأحسنت لآخذن به وعاد ألبتكين فأخبر القرمطي ، فقال : ما فعلت مصلحة ، ارجع عن عن هذا فإنها خديعة ، ودعهم يموتون جوعاً ، أو تأخذهم بالسيف ، فإنما جوهر صاحب مكر وخديعة ، فقال : قد كان وحلفت له ، وماأغدر به ، وأصبح جوهر وأصحابه ، فخرجوا من تحت سيف ألبتكين ورمح القرمطي ، وساروا الى مصر ، واجتمع جوهر بالعزيز وشرح له الحال ، فقال له : ما الرأي ؟ فقال : أن تخرج بنفسك والا فإنهم واردون على اثري .

ففتح العزيز بيوت الأموال ، وبرز بالعساكر واستصحب الذخائر ، وتوابيت آبائه وسار جوهر على مقدمته الى الرملة ، وألبتكين والقرمطي بها ، فنزل العزيز ، وبينها مقدار فرسخ ، والتقى الصفان ، وألبتكين يلعب بين الصفين بسلاحه ، فقال العزيز لجوهر : أرني ألبتكين ، فأراه اياه ، وعليه كزاغند أصفر ، وهو تارة يضرب بالسيف ، وتارة باللت ، وتارة يطعن بالرمح ، والناس يتحامونه ، فأعجب العزيز مارآه من فروسيته فانفرد العزيز وصعد على رابية ، وعلى رأسه المظلة ، وأرسل ركابياً الى ألبتكين ، وقال له : أنا العزيز ، وقد أزعجتني من سرير ملكي وأحوجتني

الى مباشرة الحرب ، وقد عفوت عنك ، فاترك ما أنت عليه ، ولك علي عهد الله وميثاقه أن أصطنعك وأجعلك أسفهسلار عسكري ، وأهب لك الشام بأسره ، فجاء الركابي اليه وأدى الرسالة ، فخرج من العسكر بحيث يراه الناس ، وترجل ، وقبل الأرض مراراً ، ومرغ خديه ، وقال : قل له : يامولاي لوتقدم هذا القول منك لسارعت الى أمرك ، فالآن فليس الا ماترى ، فأبلغه ذلك ، فأعاد الركائبي اليه ، وقال : قال له : يقرب ، يقرب مني بحيث أراه ويراني ، فإن استحققت منه أن يضرب وجهي بالسيف ، فليفعل ؟ فقال : قل لمولاي : ماكنت بمن أشاهد طلعته وأنابذه الحرب ، وقد خرج الأمر عن يدي ، ثم حمل على ميسرة العزيز فهزمها ، فأرسل العزيز الى الميمنة فأمرها بالحملة ، وكان هو في القلب ، وحمل وعلى رأسه المظلة ، فانهزم ألبتكين والقرمطي ، وقتل من أصحابها نحواً من عشرين ألفاً ، وقال من جاءني بألبتكين والقرمطي ، فله مائة ألف دينار .

وكان ألبتكين يميل الى المفرج بن دغفل بن الجراح الطائي ، وكان أمرداً وضيء الوجه ، فاتفق أن ألبتكين لما انهزم ، قصد ساحل البحر ومعه ثلاثة أنفس ، وقد أجهده العطش ، فلقيه المفرج في سرية من الخيل ، فسقاه ماء ، فقال له : احملني الى أهلك ، فجاء به الى قرية يقال لها يُبْنَى [١] ، فأجلسه هناك ووكل به جماعة ، وجاء الى العزيز ، فتوثق منه في المال ، ثم أخبره أن ألبتكين قد حصل في يده ، ومضى وجاءه به ، فأمر العزيز بأن يضرب له مضرب من مضاربه الخاص ، وفرش فيها فرشه ، وأحضر جميع ما يحتاج اليه ، وأنزله في المضرب ، ولم

---

(١) بلدة قرب الرملة ـ معجم البلدان .

يشك أنه مقتول ، وأمر بأصحابه الأسرى ، فضربت لهم المضارب وحملت اليهم فنون الفرش والأطعمه ، وبعث له العزيز دستاً من دسوته ، فقـام وقبل الأرض ، وبكى وعفر خديه في التراب ، وقال : ما أستحق إلا القتل ، ولكن يأبى مولانا الا ماتقتضيه أعرافه الشريفة ، ولم يقعد في الدست ، وبعث له الخلع والثياب والتحف مع الخدم ، وأعلموه أن العزيز قد عفـا عنه ، فلما كان الليل جاء العزيز الى مضربـه بنفسه ، فقام وقبل الأرض ، وحثا التراب على رأسه ، وجعل يبكي وينتحب ، فقال له العزيز : مانقمت عليك الا كوني دعوتك الى مشاهدتي لعلك أن تستحي مني ، فأبيت ، والآن فقد عفوت عن ماجرى ورضيت عنك ، وسوف ترى ما أفعل معك ، ثم أنزل أصحابه على مقاديرهم وأسنى أرزاقهم ورفع منازلهم ، واستحجبه العزيز ، وجعله من خاصتـه ثم بعث العزيز النجائب بالكتب ، فلحقوا الحسن بن أحمد القرمطي بطبرية ، فأعادوا عليه الرسائل ، وأن العزيز قد عفا عن ماجرى ، ويسأله أن يطأ البساط ، فامتنع ، وتقرر الحال على أنه يدخل في طاعة العزيز ، وأن يحمل اليه في كل سنة سبعون ألف دينـار ، فرضي ، وعجـــل له برزق سنة ، فأخـذه وعاد الى هجر ، ورجع العزيز الى القاهرة ، وأنزل ألبتكين في دار عظيمة ، ونقل اليها الآلات والمـال والتحف ، وسلم اليه بابـه وحجابه ، وشرع ألبتكين في التكثير على وزير العزيز يعقوب، ولم يلتفت عليه ، فدس اليه الوزير من سقاه السم ، فمات فحزن عليه العزيز ، واعتقل الوزير نيفاً وأربعين يوماً ، فانكسرت الأموال فأطلقه .

وفي حوادث سنة ٤٥٨ ﻫ

[قال غرس النعمة محمد بن هلال بن المُحسَّن الصابىء :]

وورد الخبر بأنه قد ملكت جزيرة أوالي ، المسماة بالبحرين ، وهي من أعمال القرامطة ، غلب عليها أهلها ، وأمروا عليهم أبا البهلول ، عوام بن محمد بن يوسف بن الزجاج ، فخطب بها للقائم ، وكان يخطب بها لصاحب مصر ، وبعث اليهم القرامطة جيشاً فهزموه .

وكان أبو البهلول ، وأخوه أبو الوليد من أهل الدين ، فأنفوا من القرامطة ، واجتمع أهل الجزيرة عليهما ، وبذلوا للقرامطة ثلاثة آلاف دينار حتي يمكنوهم من بناء جامع يـأوي اليه المسافرون ، والغرباء ، ويصلون فيه الجمعة ، فأجابوهم ، فلما تكامل الجامع ، صعد أبو الوليد المنبر ، فخطب للخليفة القائم ، فقال من يهوى القرامطة : هذه بدعة ، ويجب أن تمنع بني الزجاج من الخطبة ، ويصلون بغير خطبة ، وتقدموا اليهم بذلك ، فقالوا : مابذلنا ما بذلنا الا ليجلب الينا التجار والمسافرون فإن كرهتم ذلك ، فادفعوا الينا مابذلناه ، فمعيشتنا من هـذا الباب ، وكوتب القرامطة بذلك ، فجاء الجواب بأن لايعترض عليهم ، فمال اليهم أهل تلك النواحي ، فلما أخرج الخليفة من بغداد نوبة البساسيري [١] قال المخالفون لهم : الخليفة الذي كنتم تخطبون له زالت ايامه ، والخطبة لصاحب مصر ، فلم يمتنعوا من الخطبة للقائم[٢] ، وبعثوا الى القرامطة هدية

---

(١) انظر كتابي مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية : ٩٦ - ١٢٠ .

(٢) امتدت خلافة القائم من سنة ٤٢٢ وحتى ٤٦٧ ﻫ / ١٠٣١ - ١٠٧٥ م ، وقد شاب هذه الفترة الطويلة توقف لمدة سنة بعدما سيطر البساسيري على بغداد ، واعلن الغاء الخلافة العباسية ، ودعا للمستنصر الفاطمي .

وسألوهم أن لايعترضوا عليهم ، فجاء جوابهم أن يجروا على عادتهم في الخطبة لمن أرادوا ، وقوي أمر أبي البهلول ، ثم كتب القرامطة الى نائبهم بأن يصادر أهل البلد ، وكان عاقلاً ، فامتنع ، وعلم بنو الزجاج بذلك فولوا عليهم أبا البهلول ، وكانوا ثلاثين ألفاً ، وقدم وال جديد فعزم على القبض على أبي البهلول ، ومن وافقه ، فبادروه بالقتال ، وكان بالجزيرة رجل يقال له ابن أبي العريان ، كبير القدر ، فوافقهم ، وانحاز الى أبي البهلول ، وزحفوا الى الوالي الجديد ، فقتلوا من أصحابه جماعة ، وهرب ، وكان الوالي العتيق الذي لم يصادرهم يقال له ابن عزم ، فجاء الجواب بأن لازده والعساكر واصلة ، وبعث أبو عبد الله بن سنبر وزير القرامطة ، أحد أولاده الى عمان ، لحمل مال وسلاح منها ، وعرف أبو البهلول ، وابن أبي العريان ذلك ، فكمناه ، وكمنا له في الطريق عند عوده ، فقتلاه وأربعين رجلا معه صبراً ، وأخذا ماكان معه ، وهو خمسة آلاف دينار ، وثلاثة آلاف رمح ، ففرقا المال والسلاح على أصحابها ، وبلغ ابن سنبر ، فمال الى ابن أبي العريان ، وكاتبه سراً وبذل له الأموال ، وأن يوليه الجزيرة ، فمال الى قوله ، وأجابه الى الفتك بأبي البهلول ، وأنه اذا بعث عسكراً في البحر الى الجزيرة ، وقرب منها ، وثب على أبي البهلول فقتله ، وقتل أصحابه ، ثم قال لأهله وعشيرته : هذا الذي نحن فيه أمر لايتم ، ومالنا بالقرامطة قدرة ، ويجب أن ندبر أمرنا معهم ، فقالوا : افعل ماتراه فنحن نتبعك ، وبدأ في نقض ما اتفقوا عليه .

وعرف أبو البهلول ذلك ، فانزعج وجمع أهله وعشيرته ، وأطلعهم على الحال ، وقال : مالنا قدرة بابن أبي العريان ، هو أقوى ، وأكثر رجالاً ومالاً ، فاطلبوا قتله غيلة بوجه لطيف ، وألا يتقرب بنا الى

القرامطة ، فرصدوه حتى نزل الى عين ، تسمى عين ثور ، يغتسل ، فنزل اليه رجل فقتله ، وقيل بل قتله أحد بني أعمامه ، وجاء أصحابه فرأوه قتيلاً ، فجاءوا الى أبي البهلول واتهموه بقتله ، فحلف لهـم أنـه ما قتله ، فصدقوه .

وجاء ابن سنبر ، وزير القرامطة بالمسكر ، على ما كان استقر بينه وبين أبي العريان ، في مائة وثمانين شداه [١] ، من عامر وربيعة وغيرهم فخرج اليهم أبو البهلول في مائة شداه ، وجاء على فرسه ، فوقع فانكسرت ساقه ، فأقسم عليه أخوه أبو الوليد ، أن يرجع ، فأبى ، ونزل على حاله في شداه ، وأمر بضرب الدبادب والبوقات ، ونشر الأعلام ، واتفق لابن سنبر من السوء أنه أن كان معه في الشداة خمسمائة غلام وفرس ، لعامر وربيعة ، تصوراً منه أن يدخل البلد من غير حرب ، ولم يشعر بقتل ابن أبي العريان ، فلما ضربت البوقات والطبول ، وسمعتها الخيل ، ورأت المطارد نفرت وغرق بعض الشداه ، ووقع العرب في البحـر ، وهرب ابن سنبر إلى الساحل ، واستولى أبو البهلول على باقي الشداه ، فأخـذ منها نحو مائتي فرس وسلاحاً كثيراً ، واستأمن اليه من كان فيهـا من أهل السواد ، وحلفوا أن ابن سنبر أخذهم قهراً ، وظفر بأربعين رجلاً من القرامطة ، فقتلهم صبراً ، وعاد وقد برئت ركبته ، وقوي أمره ، وانتظم حاله ، واستوزر أخاه أبا الوليد ، وكتب الى بغداد بالفتح ، وشرح الحال الى أبي منصور بن يوسف .

وقال محمد بن هلال الصابيء : حدثني أبو حفص الريحاني أحـــد المتفقهة حديث القرامطة ، وكان قد اجتاز بهم ، قال : ان جزيرة أوالي ثلاثة عشر فرسخاً ضياعاً ، ومزراعاً ونخيلاً وأشجاراً ، ونفس البـلد

---

(١) من انواع السفن .

لطيف ، وعدد قراه مائة وثلاثون قرية ، منها قرية تشتمل على مائة وثلاثين مسجداً ، تسمى تستر ، وهم يخطبون قديماً لبني العباس .

والقرامطة من بعدهم في بلد يعرف بالقطيف ، على ساحل البحر ، وجميع السواد الى الأحساء ، ولايخطب فيها لأحد ، ولا يصلى فيها جمعة ولا جماعة ، الا صلاة التراويح تعظيماً لأبي سعيد الجنابي المدفون بها ، وفيها قوم يعرفون بالسادة ، من أولاد القرامطة ، من ظهر أبي سعيد ، كلما نقص من عددهم واحد ، أقاموا واحداً مكانه ، وهم على سنن من العدل يقيمون الحدود ، ويحافظون على الصلوات ، ويبطلون المذاهب الفاسدة ، ولهم ستة وزراء من [بني] سنبر ، ولا يستبدلون بهم ، لأن أبا سعيد لما ظهر عاضدوه ، وشرطوا عليه أن تكون الوزارة فيهم ، والرئاسة فيه .

ومن مذهبهم اسقاط الجزية عن أهل الذمة ، ويصلون على أبي سعيد ، ولايصلون على النبي ﷺ ، وان صلى أحد عليه صفعوه ، وقالوا : لاتأكل رزقنا ورزق أبي سعيد ، وتصلي على أبي القاسم ، واعتقادهم أن أبا سعيد يعود اليهم ، ويخرج من قبره عليهم اذا طار طائر من حصن معمول في رأس قبة على ضريحه من دارهم بالأحساء ، وعند القبر فرس مشدود ، وخلعه ثياب ، ودست سلاح معد لخروجه .



سيرة الهادي إلى الحق
يحيى بن الحسين عليه السلام



بسم الله الرحمن الرحيم ، وبالله أستعين ، وبرسوله وآله الطاهرين .

سنة أربـع وتسعين ومائتين .

ومما كان من أخبار الهادي الى الحق صلوات الله عليه ـ يحيى بـن الحسين ابن رسول الله صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم :

انه لما كان في سنة الأربع وتسعين ومائتين : ظهر الفساد بنجران وظهر القرامطة ، وهمت بنو الحارث الخلاف على عامل الهادي ، محمد بن عبيد الله العلوي ، وساعدهم في ذلك الياميون[1] ، وكان القائم في ذلك الحارث بن حميد الخثيمي ، ومرزوق بن محمد المري ، وعلى بن الربيع المداني . ويزيد بن الأسود الكعبي ، ومنصور بن هشام الدهمي ، والذي حمل ياماً على الدخول مع بني الحارث ما كان من قتلهم لرجل مصري ، وفد على الهادى الى الحق عليه السلام ، فلما ظهر اجتماعهم على الحدث والفساد ، كتب محمد بن عبيد الله الى الهـادي الى الحـق ـ أعزه الله تعالى ـ يعلمه بالخبر ، ويحضه على الخروج الى البلد لإصلاحه ، واصلاح أهله .... [٧٥ ـ ظ] .

ثم أمر الهادي الى الحق عليه السلام محمـد بن عبيد الله بأخـــذ القرامطة ، وطلبهم في كل موضع ، فركب علي بن محمد ، وأخوه القاسم ابن محمد ، من الغد في السحر ، ومعهم مائة من العرب ، فتوجه علي

---

(١) ماتزال يام حيث كانت في الماضي وهي أيضاً محتفظـة بمعائدها القرمطية او الموروثة عنها .

ابن محمد الى موضع يقال له محضر [١] ، وكان فيه كل من تنسب اليه القرامطة وكان داعيهم رجل يقال له حسين بن حسن من حاشد ، من موالي بني أمية ، وكان نازلاً بقرية من نجران يقال لها رجلاء ، فمضى القاسم بن محمد ، فأحاط بمنزله ، فلم يجده هناك وأحاط على بن محمد بمحضر ، فأخذ خمسة عشر من القرامطة ، وانصرف هو وأخوه الى الهادي الى الحق ـ أعزه الله ـ ووجدا أباهما محمد بن عبيد الله ، وقد أخذ نفراً من القرامطة ممن بقرية الهجر [٢] ، منهم رجل يقال له ابن غبراء من آل حاشد ، من كبار القرامطة ودعاتهم ، فأخذ ابن بسطام نفراً من أهل قرية مينان [٣] ، من بني عمه ومواليه ، وصار بهم الى الهادي الى الحق عليه السلام فأمر بهم فصيروا في الحبس ، ثم عزم الهادي الى الحق أيده الله على الخروج الى صعدة ، وأمر خمسين فارساً ، ومائة راجل فيهم سعيد بن موسى بن أبي سورة ، وأمرهم بالمقام مع محمد بن عبيد الله بنجران ، وأمر بقبض الجباية الحسن بن أحمد البغدادي ، ومحمد بن أبي سعيد العصار ، وأمر محمد بن عبيد الله بتقوى الله ، وايثار طاعته ، والقيام في بلده ، والاحسان الى رعيته ، مع الشدة على السفيه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأخذ القرامطة ، وأوصاه بوصايا غير ذلك مما يحتاج اليها ، وخرج الهادي الى الحق يوم الثلاثاء ..... [٧٧ ـ ظ] .

ثم بلغ أبا جعفر [محمد بن عبيد الله] أن نفراً من القرامط بحصن

---

(١) من اوطان قبائل بلحارث في منطقة نجران ـ صفة الجزيرة : ٣١٨ .

(٢) الهجر بلغة حمير والعرب العاربة القرية ، وهجر نجران هي المعنية هنا .

(٣) من قرى قبائل بلحارث في منطقة نجران ـ صفة الجزيرة : ٣١٨ .

ثلا [1] عند نفر من بني الحارث ، يقال لهم بنو قطن بأوون اليـم ، ويبيتون عندهم ، فلما كان مع طلوع الفجر أمر العسكر فحضروا الى بابه ، فلما اجتمعوا أمر ابنيه علياً والقاسم ابني محمد بالمصير الى حصن ثلا عند طلوع الشمس ، فظفر برجلين من القرامطة ، يقـال لأحدهما محمد بن عبد الله ، فأخذهما وانصرف الى الهجر ، ثم ذكر له من بعد ذلك أن نفراً آخرين بموضع يقال الموفجة[2] ، من قرى نجران ، فأمر ابنه علي بن محمد بالمسير اليهم ، فسار حتى هجم على الموفجـــة .... [٧٨ - ظ] .

وكانت القرامطة قد ظهرت باليمن وملكوا الشرف[3] وطهام [4] ، وجبل مَسْور [5] ، وحاربوا جعفر بن ابراهيم المناخي ، وأخرجوه من بلدهم ، وملكوها في النصف من شهر ربيع الأول سنة اثنـين وتسعين ومائتين ، وهرب هو وولده وأهل بيته إلى موضع يقال له القـرتب [6]

---

(١) قرية وحصن للمرانيين من همدان ، عامرة فيها ينابيع نبـغ فيها عدد من العلماء. صفة الجزيرة : ٢٣٣ .

(٢) عدها الهمداني في صفة الجزيرة : ٣١٨ بين اوطان بلحارث .

(٣) الشرف هو العالي الذي يشرف على ماسواه ، وحـــين يطلق عاماً بالنسبة لليمن يقصد به شرف حجة ، وقد قاله عنه الهمداني في صفة الجزيرة : ١١٣ - ١١٤ : « جبل الشرف المطل على تهامة ، وهو جبل واسع وفيه قرى كثيرة » ومفيد ان نلاحظ ان العرب حملوا هذا المصطلحمعهم الى الأندلس فأطلقوه على سواد اشبيلية ، وهو عند الاسبان Ajarafe انظر الروض المعطار – ط. بيروت . مادة شرف .

(٤) كان سوقاً شهيراً في منطقة لاعه . انظر صفة الجزيرة : ١١١ ، ٢٤٨ .

(٥) مسور المنتاب، يطل على بلاد حجة وتهامة ، صفة الجزيرة : ١١١ . الاكليل : ٢ / ٨٠ .

(٦) بلدة في الضاحية الجنوبية لزبيد . صفة الجزيرة : ١٢٠ .

بناحية زبيد ، فسأل ابراهيم بن محمد على أن ينصره فلم يفعل ، فعاد الى طرف بلاده خشية واتقاء أن يكون آوياً عند أحد من الناس ، فصار الى موضع يقال له وادي نخلة ، فحاربهم ، وعامل عليه بعض من كان معه ، وأدخل عليه الحصن الذي كان فيه ، فهزم عسكره وقتل هو وابن عمه أبو الفتوح بن أبي سلمة .

وثبتت القرامطة في بلده ، حتى اذا كان مستهل المحرم مدخل سنة ثلاث وتسعين ومائتين خرج علي بن فضل وكان مولده الجند وأصله من الرحبة [١] من رقيق الأحماس ، وقد استجاش [٢] بأهل المخاليف ممن صار معه وأعانه على كفره ، حتى صار بمنكث [٣] ، أو بالقرب منها ، وكان اليافعي بذمار [٤] مقيماً بها ، فوجه عساكره في وجوههم ، فانهزم أصحاب اليافعي ، واستأمن ابنه الى ابن فضل ، وساروا يريدون اليافعي فانهزم وجميع من كان معه الى صنعاء واستأمن اليافعي عيسى بن المعان الى القرمطي ، وصاروا قصد صنعاء « فنزلوا بطبوة [٥] ، وخرج اليهم أسعد بن أبي يعفر ، فحاربهم وهم نيف على أربعين ألفاً ، وذلك ليوم الثلاثاء لست ليال خلت من المحرم ، هذا وقاتلهم قتالاً شحيحاً ، وقتل منهم أربعمائة رجل ، وانصرف أسعد آخر يومه الى صنعاء ، وسار

---

(١) انظر صفة الجزيرة : ١٥٦ . الاكليل : ٢/١٥٣ . معجم البلدان : رحبة صنعاء على ستة أيام منها .

(٢) في ص « وقد كان استجاش » .

(٣) في حاشية الأصل : « خروج علي بن فضل الى منكث » . وتقع منكث الى الشرق من يحصب بحيث تبعد عن بلدة يريم حوالي ٢٠ كم . صفة الجزيرة : ٧٩ .

(٤) من مدن اليمن المعدودة ، تقع الى الجنوب من صنعاء . صفة الجزيرة : ٧٩ . تاريخ المستبصر : ١٩٠ .

(٥) في شرقي صنعاء . صفة الجزيره : ١٥٣ .

القرامطة في ليلتهم حتى لزموا جبل نقم [١] ، فأقامـــوا بنقم ثلاثة أيام لاينزلون ، فلما كان يوم الجمعة احتركوا ، وبان عسكرهـم ، وخرج اليهم أسعد بن أبي يعفر فلم ينزلوا ، فلما كان ليلة السبت سار علي بن فضل في خمسة آلاف من مقاتلتهم ورجالتهم ، فدخلوا صنعاء ليلاً من ناحية سكة الشهابيين أدخله مهلب الشهابي ، فأصبحوا قد أموا غمدان ، ومسجد الجامع ، وذلك يوم عاشوراء ، فقاتلهم أسعد في عسكره ونفر من أهل صنعاء ، وهرب أهل صنعاء لما داخلهم من الفشل والخوف ، بحرمهم وصبيانهم ، وخلوا منازلهم وأموالهم [٢] ، فلم يزل أسعد يقاتلهم الى بعد صلاة العصر يوم السبت .

ثم خرج من صنعاء واستباح القرامطة صنعاء ، فنهبوا جميع الأموال والأثاثات ، واستخرجوا ما كان تحت الأرض ، فأقاموا خمسة عشر يوماً وكفوا عن القتل ، فلم يقتل إلا نفر قليل ، وفر [٣] أهـل صنعـاء ، وكان أسعد قد صار إلى شبام [٤] عند خروجه من صنعاء ، وصار ابن كبالة إلى ظهر ، وكاتب ابن فضل ، واستأمن إليه ، وتحرك القرمطي الكوفي [٥] من ناحية بيت ذخار ، فخاف أسعد فخرج من شبام بحرمه إلى بلد همدان وخلى ابن عمه من الحبس ، ومضى معه ، فأقاموا عند الدعام بن إبراهيم

---

(١) جبل مطل على صنعاء . معجم البلدان .

(٢) في « ص » نسخة صنعاء ، وصبيانهم .

(٣) في « ص » : وقهر .

(٤) شبام حمير هو الآن موضع قرية في الشمال الغربي من صنعاء . كان يعرف باسم جبل ذخار ، فيه حصن كوكبان . تاريـخ اليمن لعمارة : ٦٥ - ٦٦ ، ابن المجاور : ١٨٤ - ١٨٥ . صفة الجزيرة : ٢٣١-٢٣٤ . تاريخ صنعاء : ٥٦٦ .

(٥) أي المنصور الذي قدم مع علي بن الفضل ، وسيأتي ذكره .

بغرق ونواحيها [١] .

ثم كف ابن فضل أصحابه يوم الاحد لخمس باقية من المحرم عن النهب ، وخرج من صنعاء في ذلك اليوم إلى بلد قدم [٢] ، فأقام في حربهم نيفاً وخمسين يوماً لم يظفر بهم ، ولم يقربوه ، وقتل ابن اليافعي [٣] ومعه جماعة بها (٨٨ ـ ظ) وصار إلى شبام ، فالتقى هو وصاحبه ، وأقام عنده نحو شهر ، ثم صار الى المغرب ، ونزل ببيت خولان [٤] ، واستباحوا المغرب ، فنهبوه ، وسبوا النساء ، وأخذوا الأموال .

ثم خرج في عساكره يوم الاثنين لثلاث ليال من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائتين يريد إلى تهامة ، فلما صار في نقيل السود[٥] تخلف عنهم ابن كيالة وعاد إلى صنعاء وصعد غمدان ، وأرسل إلى محمد ابن الحسين الحسني يسأله المظافرة على الوثوب بالقرامطة ، على أن الدعوة للهادي إلى الحق صلوات الله عليه ، فظافره ، وقاتلوا من كان بصنعاء من دعاة القرامطة ، وقتلوا منهم ، وأخذوا ماكان لهم ، وذلك في يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من هذا الشهر ، وحبسا أيدي الناس ، وكتبا إلى

(١) غرق موضع بالجوف الأعلى ، عرف باسم سوق الدعام ، انظر صفة الجزيرة : ١٦١ . الاكليل : ١٠/١٧٧-١٨٦ .

(٢) قدم قبيلة معروفة من حاشد ، وبلدها شرقي حجة ، ولعله قصد بلدة الكلابح ، ففيها كان القتال . صفة الجزيرة : ١١٢ - ١١٣ .

(٣) في حاشية الأصل : قتل اليافعي في بلد قدم .

(٤) مازال معروفاً بهذا الاسم في اليمن في جبل حضور الذي يعرف باسم جبل النبي شعيب ، وذلك الى الغرب من صنعاء . انظر صفة الجزيرة : ١٠٨ . الاكليل : ١/٢٥٨-٢٨٦ . تاريخ اليمن لعمارة : ١١١ - ١١٣ .

(٥) على بعض يوم من صنعاء إلى مابين جنوبها ومغربها ، والنقيل عند اهل اليمن العقبة . صفة الجزيرة : ١٢٢ . تاريخ صنعاء : ١٨٩ .

الدعام ، فبعث ابنه الحسين إليهم في عسكره ، وكتبوا إلى الهـــادي صلوات الله عليه يعلمونه بما كان منهم ، ويستدعونه ، ويسألونه النصر لهم ، فأجابهم ، وبعث ابنه القاسم صلوات الله عليه . فصار إلى صنعاء في جمادى الأولى ، وخرج جماعة من أهل صنعـاء إلى الهـادي إلى الحق صلوات الله عليه ، يستنهضونه ، فخرج معهم ، ودخل صنعاء يوم الأربعاء لأربع ليال من جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، ودخل معه آل يعفر والدعام ، وولده وابنا الروية ، وولد جعفـــر بن إبراهيم ، ووجوه اليمن مطيعين له ، وكان ابن جعفر محمد بن الحسين وابن كيالة قد حاربا القرامطة في قلعة ظهر [١] ، ودخلا عليهم ، وحارباهم بشبام ، ودخلاها وأخذا ما كان بها .

وبعث الهادي إلى الحق صلوات الله عليه ابنه أبا القاسم عليه السلام إلى ذمار وولى القضاء أحمد بن يوسف الحداقي ، فكان محمد بن يحيى صلوات الله عليه يحارب القرامطة في تلك الناحية ، وصار ابن فضل إلى جبل واقر [٢] يحارب إبراهيم بن محمد بن علي على نحو شهرين ، ثم انهزم عنه ابن علي فصار إلى بلد حكم [٣] في جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، ودخل الكدراء [٤] والمهجم [٥] واستباحها .

---

(١) في ص جبل ظهر ، ويعرف اليوم جبل الظهرة . صفة الجزيرة : ٣١٥ .

(٢) ليس ببعيد من زبيد بينه وبين الكدراء القديمة قرابة ٣٠ كم . صفة الجزيرة : ١٢٢ - ١٢٣ .

(٣) انظر صفة الجزيرة : ٣٤٦ . تاريخ اليمن لعمارة : ٥٢ .

(٤) مدينة كانت ذات مكانة وشهرة . انظرها في صفة الجزيرة : ٧٤ . الاكليل : ٢ / ٢٣٨ .

(٥) انظرها في صفة الجزيرة : ٢٠٨-٢٠٩ . معجم البلدان .

وخرج في حرب أحمد بن محمد بن علي إلى زبيد ، فأجلى عنه ، فدخلها القرمطي ، وخالفه ابن علي إلى الكدراء ، فقتل من كان بها من أصحابه ، وقتل القرمطي من ظفر به بزبيد ، وانصرف غضب الله عليه ولعنته إلى المذيخرة [١] ، وعاد ابن علي إلى زبيد ، وعاد أخوه إلى الكدراء ، وقوي أمر القرامطة ، وأعانهم عيسى اليافعي ، وساروا يريدون إلى ذمار ؛ فخرج محمد بن يحيى صلوات الله عليه فلحق بأبيه الهادي صلوات الله عليه إلى صنعاء .

وصار أبو العشيرة أحمد بن محمد بن الروية إلى ثات [٢] ورداع ، والتفت إليه جماعة من عشيرته ، وانحاز معه عسكر كثير من أهل البلد ، فسار إليه ابن ذي الطوق وعيسى اليافعي وحاربوه بثات ، وقتل أبو العشيرة بن الروية ، واستبيح البلد ، وانحاز الناس إلى المسجد وأحرق [٣] بمن كان فيه من الرجال والنساء والأطفال ، على القرمطي والقرامطة لعنه الله ، وكان ذلك لتسع ليال خلت من ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين ومائتين .

وكان أسعد قد خرج إلى بلد همدان ، فأقام بورور [٤] ، فلما كان يوم عاشوراء من المحرم مدخل سنة أربع وتسعين ومائتين ، وثب ابن كيالة على الهادي إلى الحق صلوات الله عليه يحاربه ، فلم يقاتله يحيى بن

---

(١) كانت مقر الملوك المناخيين من حمير ، ثم غدت مقر ابن الفضل . انظرها في صفة الجزيرة : ١٠٢ - ١٠٣ . تاريخ اليمن لعمارة : ٦٤ . تاريخ ابن المجاور : ١٨٣-١٨٤ .

(٢) مخلاف رداع وثات من مخاليف اليمن المعروفة . صفة الجزيرة : ٢٢٠ .

(٣) في س : وأحدق .

(٤) شعاب وواد مشهور في الجوف . صفة الجزيرة : ١٥٧ .

الحسين صلوات الله عليه ، وخرج عنه من صنعاء إلى صعدة [١] ، وأقام ابن كيالة بصنعاء ، وكان جراح بن بشر [٢] بشبام فأخرجه القرمطي الكوفي عنها ، وانهزم إلى صنعاء ، وكتب جراح وابن كيالة إلى أسعد ابن أبي يعفر أن تقدم [٣] إلى صنعاء ، ففعل ، وأقاموا بها جميعاً ، وأقروا أحمد بن يوسف الحداقي على القضاء .

وصار ابن ذي الطوق القرمطي ، وعيسى اليافعي (٨٩ - و) إلى المغرب ، فأقاموا بحيب ومسيب [٤] ، وخرج إليهم جراح وابن كيالة في أهل صنعاء وعسكرهم فقاتلوهم ، وانهزموا عنهم ، وقتل من أهل صنعاء ومن غيرهم أربعمائه .

وعادوا إلى صنعاء والقرامطة في المغرب ، فلما كان يوم النصف من من هذه السنة وثب ابن ذي الطوق على عيسى اليافعي فقتله ، وجماعة من أصحابه غدراً ، واستأمن أصحاب اليافعي إلى صنعاء ثم نهض ابن فضل من المذيخره في آخر جمادى ، فسار يريد صنعاء حتى صار بحرير [٥] فخرج إليه أسعد ومن معه فقاتلوه ، وقتلوا من أصحابه نحو ستين رجلاً وأرجأ عليه جراح ومن معه إلى صنعاء فالتقي ابن فضل وصاحبه ابن ذي الطوق ، وبعث عسكراً إلى جبل نقم ، فلم يكن للقوم بهم طاقه [٦]

---

(١) في ص « من صنعاء هذا اليوم الى صعدة » .

(٢) في حاشية الأصل : جراح وابن كياله من موالي بني يعفر ، واسم كيالة الحسن.

(٣) في ص « يقدم » .

(٤) قريتان متجاورتان من منطقة حضور في مخلاف بني عياش . صفة الجزيرة : ١٥٥ - ١٥٦ .

(٥) جبل كبير عداده من الجنوب اليمني فيه قرى ومزارع . صفة الجزيرة : ١٤١ ،

(٦) في ص « طريق » .

فخرجوا من صنعاء وخرج أهلها [١] إلا نفرا [٢] أقاموا في منازل العلويين ، ودخل القرامطة صنعاء أول يوم من رجب سنة أربع وتسعين ومائتين يوم السبت ، فاستباحوها ، وقتلوا جميع من كان بها في دور العلويين وغيرهم ، وأنالوا من أهلها منالاً عظيماً ، وصار أسعد وابن كيالة إلى بلد قدم ، وجراح إلى عثر [٣] ، وأقام القرامطة بصنعاء ، ونواحيها ثلاث سنين إلا أحد عشر يوماً ، يخربونها ويقتلون الناس ، وأصابتهم علة فمات منهم من لايحصى ، والحمد لله كثيراً .

فلما كان في صفر سنة سبع وتسعين ومائتين ، نهض القرمطي من المذيخره ، ونهض ابن ذي الطوق يريدون إلى زبيد ، فظفروا بابن حاج وانهزم عنهم إلى المهجم واستباحوا زبيد وقتلوا بها خلقاً عظيماً ، وسبوا منها فيما بلغنا خمسة وثلاثين ألف امرأة ، وأقاموا بزبيد سبعة أيام ، ثم عادوا إلى المذيخرة وخلفوا أحمد بن علي بزبيد ، فسار إليه ابن حاج فأخرجه منها ولحق بالقرامط ، فلما صاروا إلى المذيخرة أظهر ابن فضل لعنه الله المجوسية ، وأمرهم بنكاح الأمهات والأخوات ، وشرب الخمر وحرم جميع الحلال ، وأحل جميع الحلال ، وأحل جميع الحرام ، وكفر بمحمد ﷺ ، وبما جاء به من عند الله عز وجل ، وتسمى برب العالمين ، عليه سخط الله ، ولعنة اللاعنين ، وأمر من كان معه أن يسلموا الأموال والحرم ، ويخرجوا إليه من جميع ما في أيديهم ،

(١) في س « إليها » .

(٢) في س « فأقاموا » .

(٣) لعلها عثر محرم التي سترد في نصي كشف اسرار الباطنية ، والعسجد المسبوك . وهي في جبل شبام . انظر تاريخ ابن المجاور : ١٨٤ .

فشذ منهم جماعة ، ولحقوا ببلدانهم ، وثبت هو ومن أقام معه على كفرهم فكان جميع من عنده من النساء في دار .

فإذا كان ليلة الجمعة جمع الرجال فأرسلهم على النساء ، فتقع الأم للابن والأخت مع الأخ فيفجروا بهن في ليلتهن تلك ، فمن امتنع من ذلك قتله ، وأباح حرمته لمن كان معه ، تمرداً وكفراً وجرأة على الله عز وجل [١] وعتواً وفجوراً .

فلما كان ذلك بعث الهادي إلى الحق أعزه تعالى رجلاً عباسياً ، من ولد العباس بن علي عليه السلام يقال له علي بن محمد بن عبيد الله في جماعة من أصحابه ، وكتب إلى الدعام أن يخرج معه ، ففعل ذلك ، وساروا حتى أتوا إلى صنعاء ، وكان بها صاحب للقرامط في عسكر فحاربوهم ، وأخرجوهم من صنعاء ، ودخلوها يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة باقية من شهر رجب سنة سبع وتسعين ومائتين ، فأقاموا بها أياماً ، وآمن أهلها .

ثم بعث الهادي إلى الحق عليه السلام ابنه أبا القاسم عليه السلام إلى صنعاء في جماعة من خولان وهمدان ، فدخلوا صنعاء يوم الاثنين ، لعشر ليال خلت من شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين ، فأقام بصنعاء ، وبعث إلى مقراء وألهان وحراز وهوازن ، فدخلت جميعاً ، وقتلت من دعاة القرامطة جماعة ، وأمنت العشائر وتألفت الرعية ، وبلغ ابن كيالة الخبر وهو بتهامة مع مظفر بن حاج ، فقدم حتى صار إلى ألهان [٢] ،

---

(١) في حاشية الأصل إظهار ابن فضل المجوسية ، وأمرهم بنكاح الأمهات ، لعنة الله عليه. ولعل مافعله ابن فضل هو اعلان للقيامة وهو أمر سنزيده تعريفاً فيما يلي من نصوص.

(٢) من جبال حمير كان كثير السكان انظره في صفة الجزيرة : ١٠٧ .

فمال إليه كثير من الناس رغبة (٨٩ ـ ط) في الشراب والفساد ، وانصرف محمد بن يحيى إليه ، فأرسل ابن كيالة إلى حراز [١] من أخرج من أصحاب محمد بن يحيى منها ، وقبضها ، فكتب أبو القاسم إلى أبيه الهادي إلى الحق عليهما السلام يعلمه بما كان منه ، وتقدم ابن كيالة ومن مال إليه ، فكتب الهادي إلى الحق إلى ابنه أبي القاسم يأمره بالانصراف عن البلد ولا يحارب ابن كيالة ، فيجمع عليه حرب ابن كيالة وحرب القرامطة ، فخرج من صنعاء ، وخرج معه جميع من كان بها يوم السبت لإثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة سبع وتسعين ومائتين ، حتى إذا صار بورور نهض إلى صعدة ، ولحق بأبيه صلوات الله على أرواحها ، وتخلف عنه من خرج من صنعاء معه ، وأتي من كان بشبام من القرامط ، فدخلوا صنعاء ، وأقاموا بها أربعة عشر يوماً ، ولم يجدوا بها أحداً .

ثم قدم جراح بن بشر من تهامة لما بلغه خبر ابن كيالة ، فوافق خروج محمد بن يحيى عليهما السلاّم من صنعاء ومصير القرامط بها ، فوصل إلى ناحية منها ، وخرج القرامط عنها لأنهم كانوا قليلاً ، وذلك في آخر شوال ، وعاد إليها كثير من أهلها ، ثم نهض أسعد بن يعفر من بلد قدم [٢] ، فدخل صنعاء ليلة النحر من ذي الحجة سنة سبع وتسعين ومائتين ، وولى القضاء والخطبة أبا القاسم عبد الأعلى بن محمد بن الحسن ابن عبد الأعلى بن إبراهيم بن عبد الله الأنباري في هذا الشهر ، وكان معه جراح في صنعاء ، ومخاليفها بيده . وابن كياله بذمار وبيده مخاليفها ثم خرج أسعد في حرب القرمطي الذي كان بشبام في شهر ربيع الأول

---

(١) سيأتي التعريف بها . انظر صفة الجزيرة : ١٥٨ .

(٢) بلاد قدم نسبة الى قدم من حاشد ، هي الآن مقاطعة غربي حجه . صفة الجزيرة : ١١٢ .

من سنة ثمان وتسعين ومائتين ، فوقع بينهم حرب شديـــد على درب شبـام وانهزم عنه القرامطة ودخل شبام ، وأقام بهـــا أياماً ، ثم أتى القرامط فنزلوا عليهم في بيت ذخار ، فخرجوا عنهم ، وقتل عبد القهار ابن أحمد بن يعفر ، وقدم ابن كيالة مادة لأسعد بن أبي يعفر ، فعادوا إلى شبام فدخلوها وصعدوا عليهم الجبل وطردوهم عـن الناحيـه ، وأقام ابن كيالة أياماً ، ثم انصرف وثبت أسعد بن أبي يعفر ومعه جراح يحارب القرامط في الجبل وقتاً ، وتوفي مظفر بن حاج بزبيـــد في شهر ربيع الآخر في هذه السنة وحمل في صندوق في البحر حتى دفن بمكـة ، وتولى الأمر بعده ابنه محمد بن مظفر ، وأقام بزبيد ، وانصرف أسعد من الجبل إلى صنعاء من غير حرب ولاهزيمة ، وعاد القرامط إلى شبام فخربوها ، وأقام أسعد بصنعاء ومعه جراح بن بشر ، ثم قدم ابن كيالة إلى صنعـاء يوم الإثنين لعشر باقيـــة من شعبان من هذه السنة فأخـرج جـراج ابن بشر عنها طرداً ؛ فصار إلى بلد قدم فأقام بباري [١] ، وانصرف ابن كيالة إلى ذمار . وأقام أسعد بن أبي يعفر بصنعـاء ، ثم عزل محمـد بن مظفر عن تهامة ، وشخص إلى عمه عج بن حاج إلى مكـة ، وتولى الأمر قائد كان مع أبيه يقال له ملاحظ بن عبد الله الرومي ، وذلك في شوال من هذه السنة ، فأقام بزبيد ثمانية عشر يوماً ، ثم قدم إليه إبراهيم ابن محمد بن علي في ذي القعدة ، فاستأمن إليه العسكر ، ودخل زبيد فانهزم عنه ملاحظ ، فصار إلى عثر إلى بني طريف ، وكاتب علي القرمطي ابن الفضل فأمده بالمال والرجال ، وأقام بزبيد .

---

(١) كتب فوقها في الأصل بادي، والصواب ماأثبتنا . انظرها في صفة الجزيرة: ١١٣

وتوفي الهادي إلى الحق ، يحيى بن الحسين صلوات الله عليه ، بصعدة يوم الأحد لعشر باقية من ذي الحجة ، آخر سنة ثماني وتسعين ومائتين ، ودفن يوم الإثنين قبل الزوال [١] ، وبايع الناس لابنه أبي القاسم محمد ابن يحيى صلوات الله عليه يوم الخميس مستهل المحرم ، مدخل سنة تسع وتسعين ومائتين ، وأقام بصعدة وفي يده بلد همدان ، وخولان ونجران .

ثم خرج أسعد بن أبي يعفر من صنعاء إلى شبام في حرب القرامطة يوم الخميس لثمانية أيام باقية من ذي الحجة سنة ثمان وتسعين ومائتين ، فدخلها وصعد عليهم [٢] الجبل فطردوهم ، ودخل (عليهم) [٣] حصن شريب [٤] قهراً ، وأقام أياماً ، فبلغه أن ابن فضل (٩٠ ـ و) قد نهض من المذيخرة يريد صنعاء ، وانصرف [٥] ابن كيالة من ذمار ، فدخل صنعاء يوم السبت لثلاث ليال خلت من المحرم مدخل سنة تسع وتسعين ومائتين ، وقدم ابن فضل لعنه الله يوم الخميس لتسع من المحرم ، فانهزم عنه الناس ، ودخل صنعاء ليلة الجمعة ليلة عاشوراء فأقام بها أحد عشر يوماً ، وصار أسعد وابن كيالة إلى الكلابح [٦] من بلد قدم ، فأقاما بها أياماً ، وخرج ابن فضل من صنعاء ، فصار إلى مدر [٧] ، فأقام بها أياماً ، ثم عاد إلى شبام ، وطلع بيت ذخار ، وأظهر حرب صاحبه الكوفي ،

---

(١) في حاشية الأصل : وفاة الهادي الى الحق صلوات الله عليه .

(٢) في الأصل « عليها » والتقويم من ص .

(٣) زيد مابين الحاصرتين من ص .

(٤) هو أحد جبلي كوكبان . صفة الجزيرة : ١٢٣ .

(٥) في ص « وانهزم » .

(٦) سبق ذكرها . انظرها في صفة الجزيرة : ١١٣ .

(٧) أكثر بلاد همدان قصوراً . انظرها في صفة الجزيرة : ١٥٨ .

فدخل شريب فأقام فيه أياماً ، ثم سار يريد حرب صاحبه ، فنهب تلك البلد ، وصار إلى موضع يقال له الظلمة يحارب صاحبه ، ويحاصره في جبله ثم نهض أسعد من قدم ، ومعه ابن كيالة يوم الجمعة لثمانية أيام باقيه من صفر من تلك السنة ، فصار إلى ذمار ، فقام بها ، ولقيـه ابن الروية وجميع مدحج ، ووعدوه المناصرة على حرب القرامطـة ، وأصيب ابن كيالة ، لارحمه الله تعالى ، ولعنه لعنة الدرك الأسفل من النـار ـ فما كان أشد عداوته لله ولرسوله ولأهل بيته (١) ـ بـذمار يوم الثلاثاء لعشر ليال خلت من شهر ربيع الأول لسنة تسع وتسعين ومائتـين ، وثبت أسعد في البلد ، وفرق عماله في النواحي ، وأقام بذمار .

ثم نهض مـلاحظ من عثر في شهر ربيع الآخر في هـذه السنة ، ونهض معه القاسم بن طريف في رجال بلد حكم ، وصار إليه جراح بن بشر (٢) ، وسار حتى دخل المهجم والكدراء وطرد من كان فيها لابن علي ، ثم سار بمن معه إلى زبيد ، فطرد عنهـا إبراهيم بن عـلى ، وقتل بها خلقاً كثيراً ، ونهبت البلد ، وصار ابن علي إلى المعافر هارباً .

ثم خرج أسعد من ذمار إلى قلعه كحلان (٣) ، وذلك أنه بلغه أن نفراً من أهل البلد كاتبوا ابن ذي الطوق (واستدعوه) (٤) ، فأخذهم وأقام بكحلان وقتل هؤلاء النفر المفسدين ، ثم عاد إلى ذمار في آخر

---

(١) في س « بيت نبيه » .

(٢) في الأصل « ابن جراج بن بشر » والتقويم من س .

(٣) حصن في مخلاف ذي رعين ، اتخذه أسعد بن أبي يعفر مقراً للكـه واستمر في أيدي أسرته حتى زالت . صفة الجزيرة : ٢١٦-٢١٧ .

(٤) زيد مابين الحاصرتين من س .

جمادى الآخرة ، وصنعاء في هذه المدة خالية ، والقاضي عبد الأعلى بن محمد يحضر لإقامة الخطبة والصلاة والتشديد في الأوقات ، ويخرج إلى قرية آدكة في بلد خولان .

وولى ملاحظ جراح بن بشر الكدراء ، فصار إليها ، ثم خالف على ملاحظ ، وخرج إلى المهجم ، فطرد والياً كان بها لملاحظ ، ونهبها في جمادى الآخرة من هذه السنة ، وبعث أسعد جماعة من الفرسان مع قائد من قواده ، فأقاموا بصنعاء ، ثم بعث علي بن الحسن الأقرعي ، والياً على صنعاء ، فقدم من ذمار في آخر رجب من هذه السنة ، ثم انصرف ابن فضل عن صاحبه لما لم يقو[1] عليه في حصنه ، فكاتبه وجامله ، والتقيا وبعث معه الكوفي ابنه ، فدخل صنعاء وبها الأقرعي ونفر يسير من أهل صنعاء يوم الإثنين لتسع[2] ليال خلت من شهر رمضان من هذه السنة ، فلم يعترض بأحد منهم ، ونزل المسجد الجامع فذبحوا وشربوا الخمر في رمضان [3] .

ثم سار يريد المذيخرة فانتزح عنه أسعد إلى عباصر [4] ، ثم صار

---

(١) في الأصل « يقم » والتقويم من ص . وصاحب ابن فضل كما سنرى هو المنصور أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زادان الكوفي ، وقد قدم المنصور هذا مع علي بن الفضل الى اليمن . انظر رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان بن محمد . تحقيق وداد القاضي ، بيروت ١٩٧٠ ص٣٢ - ٥٤ ، وانظر أيضاً نص العسجد المسبوك لأبي الحسن علي بن الحسن الخزرجي الزبيدي المتوفى سنة ٨١٢ (نسخة مكتبة الحرم المكي ص ٣٦ - ٤٨ مع نسخة الجامع الكبير في صنعاء) .

(٢) في ص « لتسع » .

(٣) زاد في ص « من هذه السنة » .

(٤) بلد على فرسخين من ذمار الى الجنوب منها . صفة الجزيرة : ٢٤٣ .

إلى المذيخرة مقيماً على كفره وفجوره ، وأظهر في أسعد قولاً جميلاً ، وكتب إليه في حوائج ، فرأى أن يدفع شره ، ويداري عن الإسلام وأهله ، ثم صار أسعد إلى صنعاء يوم الأربعاء لتسع [١] باقية من هذا الشهر ، فأقام بها ، وأثبت عماله في جميع مخاليفه ، ولم يعترض له ابن فضل ، ولا أحد ممن تحت يده ، وأصيب البرعي بن خيار ومن كان معه من بني عمه يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من شوال من هذه السنة ، ولما كان يوم الخميس لإحدى وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة من هذه السنة جمع أبو القاسم محمد بن يحيى بن الحسين صلوات الله عليهم وجوه العشائر قبله ، فبعث عليهم أسباباً كرهها منهم ، وتخلى عن [٢] الأمر وصرف عماله من بلد نجران وهمدان وغيرها ، ولزم منزله بصعدة وأقام الأمر على حاله ببلد خولان ، لم يظهروا له خلافاً ولا كراهية ، لأمره ، وأقام بصعدة بعض بني عمه يصلح بين الناس .

حتى إذا كان آخر ذي الحجة (٩٠ ـ ط) من سنة ثلاثمائة ، قدم أحمد بن الهادي إلى الحق صلوات الله عليه من الحجاز ، فأقام مع أخيه إلى أن كان يوم الأحد لثمان ليال خلت من صفر من سنة إحدى وثلاثمائة [٣] ، إجتمع إليه وجوه خولان ، فاستعانوا به على أخيه أن يقوم فيهم معه ، فكره ذلك ، فسألوا أحمد بن يحيى صلوات الله عليه القيام فيهم على ما كان والده ، فأجابهم إلي ذلك ، وأقام فيهم ، وأعطوه على طاعتهم له العهود والمواثيق ، وعلى القيام معه لكل من نابذه ، وقام

---

(١) في س « فنعى عليهم أشياء » . وهذا أقوم .

(٢) في س « من » .

(٣) في حاشية الأصل : ذكر قدوم الناصر لدين الله أحمد بن يحيى الهادي الى الحق عليهما السلام من الحجاز إلى صعده .

بالأمر وتولاه ، وأتاه رجال همــدان وأهل نجران فبايعـوه على ذلك ، وبعث قواده وعماله إلى[١] جميع مخاليفه .

وبعث ابن فضل صاحبه ابن ذي الطوق الجيشاني وكان عظيم البلاء مظهراً للكفر والردة ، فظفر به عبد الله بن أبي الغارات المحتدي بأخيه المعافى[٢] فقتله يوم الجمعة لثلاث عشر خلت[٣] من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين ، فبعث ابن فضل عسكره إلى أبي الغارات يحاربونـــه فهزمهم[٤] ونصره الله عليهم ، وقتل منهم جماعة كثيرة ، وذلك في صفر من سنة ثلاثمائة .

وبعث ابن فضل محمد بن درهم الجيشاني وحسن بن أبي الملاحف الصنعاني إلى مكه ، فظفر بها عج بن حاج ، فضربها بالسياط حتى ماتا ، وصلبها ولله الحمد .

وبعث ابن فضل عبد الرحمن بن درهم الرا[٥] وابـن هـارون إلى بلد بني حبيش ليفسدا أهلها فقتلا جميعاً ، ثم إن ابن فضل خرج يريـد ملاحظ قصد زبيد وكان جراح قد جرى بينه وبينه مراسلة ، ودخل في كفره ، فبعث إليه ابن فضل أن يخرج في اقمائه[٦] ، فخرج جراح من الشرف حتى صار إلى موضع يقال له المنور[٧] بتهامه ، وصار ابن فضل

---

(١) في الأصل « على » والتقويم من ص .
(٢) في ص « ناحية المعافر » .
(٣) في ص « عشر ليلة خلت » .
(٤) في الأصل وفي ص « فهزموهم » وهو خطأ صوابه ما أثبتناه .
(٥) كذا في الأصل وفي ص ولم تسعف المصادر المتوفرة في معرفة المقصود .
(٦) في ص « أمانه » .
(٧) انظر صفة الجزيرة ص : ٧٢ .

إلى زبيد ، فخرج ملاحظ من زبيد بجميع من معه ، وبأهل البلد ، فافترقوا بتهامة وصار ملاحظ إلى المهجم ، ودخل القرمطي زبيد ، فلم يجد بها مالاً ولا أحداً .

وخرج ملاحظ في حرب جراح بن بشر ، فظفر به ملاحظ فقتله ومعه أخ له يقال له محمد بن بن بشر ، وجماعة ممن كان معه ، وذلك يوم الثلاثاء ليومين باقيين من شهر ربيع الأول سنة ثلاثمائة ، وانصرف ابن فضل إلى المذيخره ليوم بقي من هذا الشهر . وعاد ملاحظ إلي زبيد وخلف بالمهجم والكدراء من يقوم فيها .

وانتثرت النجوم ليلة الأربعاء لثمانية أيام باقية من جمادي الآخرة من هذه السنة ، وكثر ذلك ، حتى أشفق الناس [١] .

وبعث أسعد بن أبي يعفر في عسكر من صنعاء في أول يوم حتى صار إلى ثات ورداع ، وقبضها ، والولي [٢] في هذه المدة عبد الأعلى بن محمد .

وخرج ابن فضل من المذيخرة يوم الخميس لست باقية من شوال من هذه السنة حتى صار إلى جيشان وهو يظهر أنه يريد حرب مدحج ، ثم سار إلي السرو [٣] ، ونزل في قلعة صناع [٤] ، وبها كان مقامه أول مرة ، وحاربه رزام المدحجي ومن أجابه من مدحج ، ثم جرت بينهم هدنة على أنه لا يطأ لهم بلداً ، وأقام حتى إذا كان آخر صفر من سنة

---

(١) في حاشية الاصل « ذكر انتثار النجوم » .

(٢) في ص « والموالي » .

(٣) كتب الى جانبها في حاشية الأصل « بلاد يافع » . انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٤٧ - ٥١ .

(٤) من قلاع يافع . صفة الجزيرة : ٢٠١ .

إحدى وثلاثمائة بلغ ابن فضل أن ملاحظاً قد جهز عسكراً يريد المذيخرة فخرج من السرو سراً في الليل ، ولم يعلم به غير عسكره ، فسار يريد المذيخرة ، فوجد القوم قد نهبوا القرية وما حولها وافترقوا ، ولم يصب إلا خمسة نفر وأقام بالمذيخرة على كفره وردته .

وقتل محمد بن الدعام بغرق قتله ابن عمه إبراهيم بن إبراهيم على شراب ليلة السبت لثلاث عشرة ليلة باقية من ذي الحجة سنة ثلاثمائة .

وهلك القرمطي المقيم بجبل مسور يوم السبت لإحدي عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة إثنتين وثلاثمائة وثبت ابنه أبو الحسن في موضعه هو وإخوته لم ينازعهم أحد فيما كان في أيديهم [١] .

وتوفي ملاحظ بزبيد في أول شهر ربيع سنة ثلاث وثلاثمائة (٩١-و) وأقام من بعده عبد الله بن أبي الغارات ، فأقام بزبيد خمسين يوماً .

ثم تولى الأمر إبراهيم بن محمد الحرملي ، وهو من قواد السلطان مع ملاحظ ، فأقام بزبيد ، وانصرف إلى بلده في آخر شهر ربيع الآخر من هذه السنة .

وأصاب ابن فضل لعنه الله مرض في بدنه ، فتفجر من أسفل بطنه ، وأماته الله على أسوأ حال لعنه الله ، وكانت وفاته يوم الأربعاء للنصف من شهر ربيع الآخر من هذه السنة [٢] ، وقام من بعده ابنه لعنهما الله تعالى بالمذيخرة ، وقتل نفراً كثيراً من أصحاب أبيه .

---

(١) ذكر الخزرجي أن الامور آلت بعد المنصور الى رجل من أصحابه يقال له عبد الله الشاوري ، انظر تفصيلات ذلك فيما يأتي .

(٢) في حاشية الأصل : ذكر وفاة علي بن الفضل لارحمه الله.ولقد أورد الخزرجي في العسجد المسبوك كما أورد غيره من المؤرخين أن ابن فضل مات غيلة بالسم أثناء فصده . انظر تفصيلات ذلك فيما يأتي .

ثم خرج أسعد بن أبي يعفر من صنعاء يوم الخميس لتسع من رجب من هذه السنة حتى صار الى ذمار وكاتبه أهل المخلاف واستدعوه ، وقدم إليه وجوه أهل البلد ، ثم نهض من ذمار الى كحلان ، فأقام بها أياماً قبل أن يبني فيها شيئاً ، ثم سار إلى مخلاف جعفر [١] ، واجتمعوا إليه ، وحلفوا له ، ونهض في حرب الكفر مجداً مجتهداً ، فكان الحرب بينهم سجالا ، ولزموا الحصون ، وأقاموا ، وهو يحاربهم ويحاصرهم ، وجعل يدخل حصونهم وهو يبذل نفسه ومن أطاعه ، وأعطي الظفر ، فدخل جميع الحصون ، وقتل بشراً كثيراً ، وألجأهم إلى دار المذيخرة ، وحصرهم فيها ، وفيها غيرهم .

فلما كان يوم الخميس لتسع من رجب سنة أربع وثلاثمائة ، دخل الدار قهراً ، وأخذ الكفرة أسراً واستولى على جميع ماكان هنالك ولله الحمد ، وأجاز أسعد أصحابه ومن كان معه الجوائز الكثيرة ، وانصرف فدخل صنعاء يوم الفطر مستهل شوال سنة أربع وثلاثمائة ، واستخلف في البلد إبراهيم بن اسماعيل بن العباس الحابي .

ولما كان في ذي القعدة من هذه السنة أمر أسعد بابن علي بن فضل وأخيه ومن كان أسر من الكفرة فضرب أعناقهم جميعاً ، وبعث برؤوسهم إلى العراق ، وكانوا نيفاً وعشرين رجلاً ، ووقع بين أهل مسور وبين القدميين حرب شديد ، حتى دخلت الكلابح وحرقت ونهبت ، واستغاثوا بأحمد بن الهادي صلوات الله عليهما ، واستنصروه ، فوجه معهم [٣] قائداً

---

(١) المخلاف هو المنطقة ، ومخلاف جعفر معروف باليمن . انظر تاريخ عمارة : ٤٨ - ٤٩ .

(٢) في س « الحصون » .

(٣) في س « إليهم » .

له مع عسكر ، حتى لزموا [١] باري ، وانحازت القرامـط ، فانهزمـوا عنهم ، وعادوا إلى جبل مَسْور ، وذلك في شهر ربيع الأول من هذه السنة ، وصارت بلد ُقدم في يده إلى الشرف والجَرِيب [٢] ، وبعث إليهم من قام فيهم وذلك في جمادي الآخرة من هذه السنة ، وكان أسعد بن أبي يعفر عند وصوله إلى كحلان أمر بعمارتها وتحصينهـا ، ثم صـار [٣] إليها في شوال سنة ست وثلاثمائة ، واستخلف أخاه عبـد الله بن أبي يعفر بصنعاء ، وأقام أسعد بكحلان حتى توفي يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

ولما كان في شعبان من سنة سبع وثلاثمائة وجه أحمد بن يحيى بن الحسين صلوات الله عليهم عسكراً في حرب القرامط ..... [٤] وكان من أهل مسور فالتقوا في الظاهر في موضع يقـال له نعاش يوم الثلاثاء مستهل شهر رمضان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ووقعت الدائرة على القرامط فقتل منهم ألف وخمسمائة رجل ، وهزموهم هزيمة عظيمة ، وأخـذوا ماكان معهم والحمد لله ، وأستأمن إليه كبير بلدهم وبعث القـواد معهـم وبث العساكر في وجوههم ، وحاربوهم في حصنهم حتى أيقنوا بالهلكة ،

---

(١) في ص « نزلوا » .

(٢) كان مدينة عظيمة شهرت بزراعة الموز . صفة الجزيرة : ١١٤ .

(٣) في ص « صاروا » .

(٤) فراغ في الأصل وفي ص، وفي غاية الأماني ١/ ٢١١ . وفي هذه السنة كانت وقعة نعاش المشهورة ، وسببها ان القرامطة لما اشتدت شوكتهم في ناحية مسور ، وعم منهم على من حولهم الضرر ، أجمع الناصر ـ أحمد بن يحيى بن الحسين ـ أجناده ، وحشد قواده ... واجتمعت القرامطة الى قائدهم عبد الحميد بن محمد المسوري (وكان من أهل مسور) فنهض بهم .. الخ .

فكاتبوا الحَرملي ، وأرسلوا إليه بمال ، فبعث عسكراً في نصرتهم ، فلما بلغ ذلك أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما ، كره حربه لئلا يقع عند السلطان أنه مُحارب قائده [١] ، فينقطع الموسم عمن في بلده من التجار ، وأخل عليه بعض أهل البلد فصرف عساكره (٩١ ـ ظ) وخلى البلد وعاد إلى بلده سنة ثمان وثلاثمائة ،

وتوفي أبو القاسم محمد بن يحيى صلوات الله عليهما بصعدة يوم الأحد لسبع [٢] ليال خلت من المحرم مدخل سنة عشر وثلاثمائة [٣] ، ودفن يوم الإثنين ضحى النهار .

وقام أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما بالأمر ، وتولاه [٤] ، وطلب القرامطة الهدنة ، وكتبوا إلى جماعة من همدان ، فوقعت الهدنة بينهم في شعبان من سنة عشر وثلاثمائة .

ودخل القرمطي [٥] صاحب البحرين مكة في موسم سنة سبع عشر وثلاثمائة يوم الاثنين لست من ذي الحجة ، فقتلوا في المسجد الحرام من المسلمين خلقاً ، وفي مكة ، وسبوا النساء ، وأخذوا الأموال ، وقلعوا الركن وكسوة البيت وباب الكعبة ، وحملوا ذلك ، وأسروا من المسلمين خلقاً عظيماً وأقاموا بمكة ثمانية أيام ، ثم انصرفوا يوم الثلاثاء لأربعة عشر خلت من ذي الحجة .

---

(١) في ص « يحارب قائده » وأراد بالسلطان أسعد بن أبي يعفر .

(٢) في ص « لتسع » .

(٣) في حاشية الأصل: ذكر وفاة المرتضى محمد بن يحيى الهادي إلى الحق عليهما السلام.

(٤) في الأصل « وتولى » والتقويم من ص .

(٥) أبو طاهر الجنابي مضى ذكره وسيأتي المزيد عنه .

وقد كان في أيام أسعد بعد موت ابن فضل ظهر رجلان من ناحيـة السرو من دعاة القرامط وتبعها خلق[١] ، وصارا إلى قلعة تسمى شكع[٢] فوجه أسعد القواد والعساكر في وجوههم ، فمنح الله النصر عليهـم ، فقتل داعيي الكفر ، وأخذت رؤوسها[٣] «وحملت» إلى كحلان ، وغنم المسلمون ماكان معهم ، وذلك يوم الجمعة ليومين باقيين من شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة .... [٧٢ – و] .

وقد كان في أيام أسعد خرج بالسرو رجل يدعى النبوة ، كاذباً ، عليه لعنة الله ، فمال إليه من بقي من أصحاب ابن فضل ، فوجه الأمير أسعد العساكر والقواد إلى رداع ، وكاتب العساكر فاستـأمن إليـه الناس ، وعمل في المدعي النبوة حتى أخذوه أسيراً من غير عهد ولا أمان ، فأتي به إليه أسيراً ذليلاً ، قد أخلف الله أمله ، وأذهب حيله ، يوم الفطر سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، فصيره في الحبس ، فهلك بالنعظ[٤] .... [٩٢ – ظ] .

---

(١) في الأصل « وتبعها خلق وصار » والتقويم من ص .
(٢) حصن وقرية من يافع السفلى . صفة الجزيرة : ١٤٢ .
(٣) أضيفت « وحملت » من ص .
(٤) النعظ هو الشبق .

كتاب

استتار الإمام عليه السلام

وتفرق الدعاة في الجزائر لطلبه



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً كما هو أهله ومستحقه ، وصلى الله على محمد سيد رسله وأبرار عترته الطاهرين وسلم كثيراً .

اعلم علمك الله الرشد أنه أول مافقد الامام عليه السلام ، بقي الدعاة متحيرين فاجتمع وجوههم بمدينة عسكر مكرم ، وهم سبعة نفر : منهم أبو غفير ، وأبو سلمة ، وأبو الحسن بن الترمذي ، وجياد بن الخثعمي وأحمد بن الموصلي ، وأبو محمد الكوفي ، وهو والد أبي مهزول ، الذي قتل موالي موالينا أهل البيت صلوات الله عليهم .

ولما اجتمع هؤلاء النفر المذكورون قالوا : قد فقدنا إمامنا ، ولا صلاة لنا ولا صوم إلا بامام ، ولا نعرف من نعطي زكاتنا ، واجتمعوا مع الأولياء والمحبين ، فجمعوا نفقات ، وقالوا لهؤلاء الدعاة المذكورين في صدر الكتاب : أمضوا فافترقوا على عمل خراسان ، والعراق وجزيرة حران ، واليمن ، واطلبوه . فخرجوا فتفرقوا مع كل واحد صفته وحليته ، وخرحوا في هيئة الطوافين على دوابهم ، وأخرجوا فيها الفلفل والريحان والمغازل والمرايا واللبان ، وما يصلح للنساء من أصناف البقط[1] ، وجعلوا بينهم موعداً يجتمعون فيه في كل إقليم على أقسام ، لكل واحد منهم قسم يمضي إليه ، فإذا فرغوا من الاقليم أتوا إلى الميعاد ويسأل بعضهم بعضاً : هل أصبتم شيئاً ، فإذا لم يجدوا في ذلك الموضع

(١) البقط قماش البيت ، وجمع المتاع ـ القاموس .

شيئاً انتقلوا إلى إقليم آخر ، فيتواعدوا إلى موضع آخر يجتمعون فيه .

وكان إذا اجتمع عليهم النساء والصبيان يسألونهم : هل وقع عندكم رجل في صفته كذا وكذا ؟ وكان هذا حالهم في كل موضع دخلوه ، فداروا حلب وإقليم الجزيرة وغيرها فلم يجدوا شيئاً ، فدخلوا إقليم حمص فنزلوا بمعرة النعمان وجعلوا الميعاد بينهم في الجامع ، وكان الامام ع م وقد وقع في معرة النعمان في جبل السماق في دير يقال له دير عصفورين عند كفر قوم [١] .

فخرج أبو غفير ومعه جياد إلى معرة النعمان في جبل السماق ، وهو ينادي مغازل لبان مرايا ، فاجتمع إليه النساء والصبيان فسألهم : هل وقع عندكم رجل صفته كذا وكذا ؟ فقال له صبي وامرأة هب لنا مما معك ونحن ندلك على هذه الصفة ، فوهب لهم مَصْطَكا [٢] ولبان وما يصلح للنساء والصبيان وقالوا له : الساعة جزنا بدير عصفورين وغلامه واقف على رأسه ، فقال لهم أبو غفير : الله الله دلوني على الطريق إلى هذا الدير ، فركب حماره ومضى حتى وصل الدير ، وأخرج الكتاب الذي معه فيه الصفة والحلية ، ولم تكن له به معرفة قبل ذلك ، ولما وقف عليه عرفه بالصفة ، فنزل وخر لله ساجداً شكراً له ، إذ وقع عليه وقبل الأرض بين يديه ، فقال له : من تكون ؟ فقال : أنا فلان بن فلان ونحن سبعة من الدعاة ، لنا اليوم سنة ندور عليك لما فقدناك ، ودعاتك في جميع البلدان افتقدوك وبقوا حائرين . فقال له : ياهذا إنما جئت إلى

---

(١) في هذه المنطقة الآن قريتان واحدة اسمها : كفرجوم ، والأخرى : كفرحوم. انظر التقسيمات الادارية للجمهورية العربية السورية . ط. دمشق ١٩٦٨ ص: ٢٦٥، ٣٠٧

(٢) علك رومي له منافع طبية ــ القاموس .

هذا الموضع لأستر نفسي فيه ، فجئتم لتكشفوني ، ولكنك بعد إذ جئت واجتمعت معي فارجع وعرف أصحابك ليجيئوا إلي بأجمعهم ، فاجتمع معكم لأعقد عليكم ماترجعون به إن شاء الله تعالى .

فخرج أبو غفير فرحاً مسروراً ، فاجتمع مع أصحابه وفرحوا بذلك فرحاً شديداً ، فمضوا بجماعتهم إلى دير عصفورين ، فاجتمعوا معه صلوات الله عليه . فقال لهم : ارجعوا وقولوا لدعاتي : إنا قد أصبناه في موضع كذا ، فمضى هؤلاء السبعة فاعلموا جميع الدعاة في جميع الآفاق ، وقدم إليه جماعة منهم بعد برهة فسلموا عليه ، وحمدوا الله عز وجل إذ جمع بينهم وبينه . فالتفت إلى الدعاة المذكورين فقال لهم : سكنت هذا الموضع فلا أجد فيه دواءاً ولا فصداً في أوانه ، ولاحماماً ، فداروا مدينة شيزر ومدينة حماة وكفر طاب[1] ، ثم أتو الى سلمية وكانت مدينة محدثة بناها محمد بن عبد الله بن صالح لما أخرجه الخليفة من بغداد[2] وقال له : ارحل عني وأطلب لنفسك مدينة تبني بها وتسكن بها . وكان بها أربعة وعشرون ديراً للنصارى ، فبنى عليها رسوماً وسكن بها مع عبيده وأخرج أهلها منها ، وبعث الى الخليفة ابن عمه ببغداد وقال له : اني قد وقعت في مدينة في طرف الدنيا ، ولكن أحب عمارتها فتأمر لي بالنداء في الأمصار والتجار أن يحضروا سوقها — يعني سلمية — حتى تعمر فجعل السوق يعمر ثلاثة أشهر لايفتر عنه كل يوم ، فكان التجار يأتون

---

(١) تقع خرائبها على بعد حوالي ثلاثة كيلومتر الى الغرب من خان شيخون الواقعة الى شمالي حماه على الطريق الواصل بين حماه والمعرة .

(٢) في ياقوت معجم البلدان : اتخذها صالح بن علي بن عبد الله بن عباس منزلاً ، وبنى هو وولده فيها الأبنية ، ومن المعتقد أن ذلك كان في عصر الرشيد .

اليه ويتسوقون فيه ، وهي مدينة كثيرة الخيرات ، وكان التجار اذا أتوها لايحبون الزوال منها ، ويسألون صاحبها أن يسكنوا بها ويأذن لهم ، فيقيمون ويوجهون بياعهم وعبيدهم يحملون اليهم بضائعهم ويسألون القام معه ، فحصلت سلمية قطائع لأولئك التجار . فقال لهم اختطوا ، فاختط أهل بلخ ، وأهل مدينة الرسول ﷺ ، وأهل حلب ، وأهل الرقة ، وأهل كل ناحية .

وأتى هؤلاء الدعاة الى محمد بن عبد الله بن صالح ، فقالوا له : ان هاهنا رجلاً بصرياً من التجار يسألك فيما يسألك به هؤلاء التجار ، فأمرهم أن أن يطلبوا موضعاً يصلح له ، وفرح به ، وأنزله في مجرى المدينة في ناحية سوقها فاشتروا له دار أبي فرحة ونزل ع م بسلمية كسائر التجار ، فلما نزل بها زاد دوراً كثيرة وهدم وبني وتأهل وأتى إليه طوائفه ، ودعاته وأحدث قصراً شامخاً .

وهو عبد الله الأكبر[1] ، وبعث دعاته إلى جميع البلدان سراً ، وعزل وولى على أنه رجل تاجر ، وولد له بها أحمد وإبراهيم ، وتوفي وكانت الامامة بعده لأحمد دون إبراهيم ، وولد لأحمد بن عبد الله الامام الحسين وهو والد المهدي ، وسعيد الخير ، وأقام الحسين إلي أن ولد له المهدي ع م ، فلما أتت نقلته استودع له أخاه سعيد الخير إذ كان ولده يومئذ في حال الطفولية ، واستبد سعيد بالإمامة ونص بها على ولده فهلك الولد ، ثم نص على ولده الثاني فهلك ، وكان له عشرة أولاد فلم يزل ينص على كل واحد منهم إلي أن هلكوا بأجمعهم ، فعلم حينئذ سعيد

---

(١) كذا ، وهو مخالف لغيره من المصادر اللهم إلا إذا كان المقصود عبد الله بن ميمون القداح .

الخير أن الحق لايفارق أهله ، فتاب وأناب إلى الله تبارك وتعالى ، وجمع دعاته وأعلمهم أنه مستودع للمهدي صلوات الله وسلامه عليه ، وسلم إليه الإمامة واعترف له بالوديعة ، وتنصل إليه مما تقدم منه قبل ذلك ، وصارت الإمامة إلى المهدي عم . فقال الشاعر :

الله أعطاك التي لافوقها وكم أرادوا منعها وعوقها
عنك ويأبى الله إلا سوقها إليك حتى طوقوك طوقها

فأول ما عمل المهدي عم بعث في طلب أبي الحسين بن الأسود إلى مدينة حماة ، وكان رجلاً عاقلا ، فقال : يا ابا الحسين قد قدمتك على جميع الدعاة ، فمن قدمت فهو المقدم ، ومن أخرت فهو المؤخر ، وأنت على على طريق النصر . وكان الدعاة يأتون إلى أبي الحسين ويؤدون إليه زكواتهم وهداياهم ، فيوجه بها أبو الحسين إلى المهدي بالله صلوات الله عليه .

فأول ماعمل أبو الحسين من تغيير الأحوال لما مات أبو محمد داعي الكوفة ، وكان قد خلف ثلاثة أولادهم : أبو القاسم ، وأبو مهزول ، وأبو العباس ، وكان معهم زوج أختهم فقتلوه ، وقالوا له : أنت مبغض لنا ، ومخالف على مولانا ، وصاحت أختهم وقالت : قتلتم زوجي ، فقالوا : نعم لأنه منافق ، فخلع أبو الحسين ، أبا القاسم بن أبي محمد عن دعوة الكوفة ، فغضب أبو القاسم وأخوته غضباً شديداً ، وكتبوا إلى المهدي صلوات الله عليه كتاباً يقولون فيه : لم نزع منا أبو الحسين دعوة الكوفة بلا ذنب ولاخيانة ؟ فلم يرد عليهم المهدي جواباً ، واجتمع الأخوة الثلاثة

وتحالفوا وتعاقدوا على أنهم ينحدرون إلى سلمية فيقتلون ابن البصري (١) هذا الذي كلف أبا الحسين أن يفعل بنا هذا الفعل ، ولانتركه ، وقالوا حتى ينقطع ذكر علي بن أبي طالب من الدنيا ، ونقتل بعده أبا الحسين إن قدرنا عليه ، وإلا وشينا بذلك إلى عمال الشام.

فاتصل ذلك بدعاة بغداد وهم : حامد بن العباس وابن عبد وجماعة من الشيعة ، فكتبوا إلى المهدي ع م : إن بني أبي محمد قد عزموا على قتلك وقتل أهلك ، فإن كنت قاعداً فقم ، فإنهم قد زحفوا إليك ، وهم عازمون على قتلك فإن لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً وشوا بك إلى أحمد بن طولون ، وهم يقولون إنك مخالف للمذهب ، ويشهرون أمرك ، فاعمل على على خلاص نفسك ولاتقم ساعة واحدة.

فأمر المهدي ع م في الوقت الذي وصل إليه هذا الخبر بالرحيل ، فأخذ معه أبا القاسم ولده وجعفر الحاجب وابن بركة الحاضن لاغير ، وترك القصر كما هو بفرشه وستوره وأمواله وعبيده وبني عمه وبني أخيه الذكور والاناث وأولاد إبراهيم ، وأوصى على جميع ماخلفه في القصر من النعمة والرباع والمتاع والمستغلات حسن بن معاذ ، وخرج وقت صلاة العصر ، ولم يعرف به أحد ، وأسلم جميع الأشياء.

فلما خرج وصار إلى ظاهر المدينة قعد ساعة يشاور نفسه ويستخير الله ربه ، فبعث إلى غيلان الرياحي ، وكان رجلاً من العرب مذكورا كان في قرية يقال لها سلهب ، وكان مطاعاً في بني عمه ، فقام إليه غيلان ، ومعه ثلاثون فارساً ، فمشى معه الليل كله حتى وصل إلى حمص

(١) أي الإمام المهدي لأن أباه عندما استقر في السلمية ادعى أنه تاجر من أهل البصرة.

صلاة الغداة ، ورجع عنه غيلان ، وتمادى هو يومه ذلك حتى وصل طرابلس الشام ، فأقام بها يوماً واحداً ، ثم توجه إلى فلسطين الرملة فأقام بها ثم اتصل به أن أولاد أبي محمد وصلوا إلى سلمية وطلبوه ، فلم يجدوه .

فبعد سنة كاملة قاموا يدورون عليه ، فجاؤوا إلى أخيه أبي محمد ، فقالوا: هو صاحبنا، فقال لهم أهل سلمية: ليس هو صاحبكم وقد خرج صاحبكم وهو هربة ، وهو مستخف بالرملة ، فاستقصوا على ذلك فأصابوا الخبر صحيحاً حقاً ، وأنه بالرملة ، فرجع واحد من أولاد أبي محمد وهو محمد إلى العراق ، وبقي أبو القاسم ، وأبو مهزول بسلمية ، وكانا يكثران الاختلاف إلى أبي الحسين إلى حماة سراً يستقصون عليه ، ويرجعون إلى سلميه ، فلما يئسوا منه ، وعلموا أنهم لايجدونه ، وأنه قد فاتهم ، خرج أبو القاسم وكان معه دفاتر وكان غلاماً شيطاناً ، وبقي أبو مهزول بسلميه . فتوجه أبو القاسم بن أبي محمد إلى العليصيين[1] ووقع اختياره عليهم دون القبائل ، وكانت الدعاة تدعو فيهم وكانوا من دعوة أبي الحسين ، قد دعا مشايخهم سعدون بن دعلج من بني مالك ، وبني معرش ، وبني هجيني ، وبني البلوي ، وبني فخداش ، وبني هذيل ، وبني زياد ، فعاقده هؤلاء القبائل وحالفوه ، وثاروا معه إلى طغج والي دمشق[2] ، وكان طغج قد طغى وجار في دمشق جوراً عظيماً ، فبعثهم الله نقمة عليه وقاتلوه بقرية يقال لها مزة الأفاعي ، فهزموا طغج هزيمة فاضحة ،

(١) من قبيلة كلب .

(٢) في هذا إشارة لثورة صاحب الجمل زعيم قرامطة الشام ، انظر ترجمة صاحب الخال فيا يلي .

وقتلوا رجاله وحصروه بدمشق . ثم اجتمعوا أيضاً مرة أخرى بموضع يقال له المزة على باب المدينة ، فهزموه أيضاً ، وردوه إلى دمشق وضيقوا عليه ، فبعث طغج إلى بدر الحمامي إلى مصر يستنصره ، وقال له : إن هذا الرجل قد ضيق علي ، فجاءه بدر الحمامي بعسكر مصر فدخل بدر الحمامي دمشق ، ولم يعرف به القرامطة .

وكان أبو مهزول اللعين قد خرج من سلمية حتى وصل إلى الرملة ، وأبو القاسم أخوه مقيم على دمشق ، والقتال في كل يوم ، فلما وصل أبو مهزول إلى الرملة رأى جعفر الحاجب في السوق يشتري حوائج ، فقال له إنسان ممن يعرفه هذا غلام صاحبك الذي تسأل عنه ، فتبع جعفراً حتى دخل الدار معه ، وقعد له في الدهليز ، وقال له : أبلغ مولانا السلام ، وقل له إني قد جئت أنا أبو مهزول بن أبي محمد ، ولا بد لي من الاجتماع به ، وإلا صحت وأشهرت أمره ، فدخل إليه جعفر الحاجب ، وعرفه بذلك ، فقال له المهدي عم : بعد أن رآك ، ووصل إلينا فاصعد به وإلا فهو يشهرنا .

وكان المهدي عم يسكن بالرملة دوراً كثيرة يستتر من دار إلى دار ، فصعد إليه فلما رآه قبل الأرض بين يديه ، فرحب به وعظم شأنه ، فقال : يامولانا خرجنا من بلدنا أنا وإخويي ندور عليك ، فالحمد لله الذي جمع بيننا وبينك ، أخي قدم بالعسكر ، وحصر دمشق وتركته على أخذها فارجع فقد استقام لك الأمر ، فما جئنا من بلدنا إلا لترضى عنا ولا تكن ساخطاً علينا ، وهذا من فعال أبي الحسين الذي أقلقنا وأقلقك ، فإن كنت لاتمضي أنت فاكتب كتاباً إلى أخي ليرضى عني ، فإنه ساخط علي .

فكتب له كتاباً إلى أخيه أن إرض عنه ، ولاتؤذه بشيء ، وأنا

قادم في إثر كتابي ، وكتب له إلى أبي الحسين كتاباً ، وأمره أن يدفع إليه خمسمائة دينار من المال الذي له عنده ، فخرج أبو مهزول من عند مولانا المهدي ع م ، فمضى حتى وصل إلى أبي الحسين فدفع إليه الكتاب ، وقال له : إدفع إلي ما أمرك به ، فقال أبو الحسين ياملعون وأين أصبته ؟ فقال : بالرملة ، فدافعه ولم يعطه شيئاً .

ورجع أبو مهزول إلى أخيه ، وهو على بلد دمشق ، فقال له : [جئت ياملعون والله لأقتلنك ، فدفع إليه الكتاب ، فلما رآه قبله وقرأه ، وقال له : أين أصبته ياملعون ؟ فقال له : بمدينة الرملة ، واجتمعت معه ، فقال : أو رأيته ، قال : نعم ، وكتب لي هذا الكتاب إلى أبي الحسين بدفع خمسمائة دينار ، وأوصلته إليه فلم يدفع إلي شيئاً ، وجئت إليك لأعرفك .

فعند ذلك جمع مشايخ العليصيين من بني زياد ، وقال لهم : هذا أخي قد قدم ، ونحن بالغداة نلتقي للقتال على باب المزة ، فبايعوا لأخي فإني غداً أطلع إلى السماء أقيم بها أربعين يوماً ، وآتي إليكم ، فبايعوا له على أربعين يوماً لاغير ، وقال : أعطوا أخي خمسمائة فارس يكمن في هذا الجنان ، فإذا وقع القتال خرج عليهم ، فعقدوا ذلك ، وباتوا عليه وأصبحوا بالغداة إلى القتال ، ومضى أبو مهزول بالكمين إلى الجنان وزحف طغج وبدر الحمامي ، فقال أبو القاسم : لايتحرك أحد من العسكر للقتال حتى تروني ركبت ناقتي ، وأقعد ناقته وأوقف عساكره يميناً وشمالاً ، وهو ينظر في دفتر وأبو محمد الداعي يختلف إليه ، ويقول له العدو قد أشرف علينا وتقارب منا ، فيقول له : اصبر حتى أقوم ، فلما ألح عليه

بالكلام ، وتقارب العدو منه دق التراب [١] ، وقال يارب أحرق بالنار أبصارهم ، ثم قدمت إليه ناقته ، ثم قال : يا أحمد ، يامحمد ، يانصر الله انزل ، لحمل المسكران بعضها على بعض ، فما كان إلا ساعـــة حتى ضرب بحربه ، ضربه بها رجل من عسكر بدر الحامي ، فانقلب ، فصاح بدر الحامي : انزلوا جزوا رأسه ، فهو يجز رأسه حتى جاءت زراقـة نفط فأحرقت القاتل والمقتول والناقة ، فخرج أبو مهزول لعنه الله بالكمين فرد الهزيمة حتى رجع بدر الحامي وطغج ، فقتلا قتلا عظيماً .

فلما رجعوا ، اجتمعت جميع العساكر فقالوا : صاحبنـا صعـد إلى السماء ، فافترقوا ، فقال لهم شيخهم أبو محمد الداعي : قد بايعنا لأخيـه أربعين يوماً ، فإن هو نزل وإلا فنحن قادرون على أن نفترق ، فصبرهم أربعين يوماً ، وكتب أهل حمص إلى أبي مهزول أن اقدم علينا ، ودع دمشق ، فإنا في طاعتك ، فقدم إلى حمص بالعساكر وخلى عن دمشق .

ومولانا المهدي ع م في هذا كله مقيم بالرملة ، والأخبار تتصل إليه فلما قدم أبو مهزول إلى حمص أطاعوه وسمعوا له ، وقدم إليه أبو الحسين من حماة للسلام عليه مع مشايخ البلد ، فلما رأى أبا الحسين نظر إليه نظر مغضب ، ففزع وهرب واختفى عند رجل من أصحابـه ، فلمـا أصبحوا دخل المشايخ إليه وسلموا عليه ، فافتقد أبا الحسين فـلم يره ، فسأل عنه فقالوا : هرب ، فأمر بالنداء ، فنـادوا : من آوى أبا الحسين فقد حل ماله ودمه . فأقام المنـادي ينادي سبعـة أيام حتى ظهـر أبو الحسين فجاؤوا به ، فقال : يا أبا الحسين قد تكاملت ذنوبك ، فقال أبو الحسين : لايكون مع الله إلا خيراً ، وضيق عليه وأركبه جمـلاً مـع

---

(١) يتشبه بفعله هذا بما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله في بعض مغازيه .

ولده وشهرها ، ونادى عليها وأنزلها بعد المناداة عليها في فازته[١] مكبلين فأتاه مشايخ العليصيين ، فقالوا له : إن هذا الرجل الشيخ نحن من دعوته فلا تحدث فيه حدثاً ، فقال لهم : ماينال منا مكروه ، ولا يرى إلا خيراً ثم رحل من حمص إلى سلمية ، ومعه أبو الحسين وولده .

فنزل بها بقرية يقال لها فياحة ، ونزل العسكر بها ، وأمر الفراش أن يحفر في وسط الفازة حفرة ليدفن فيها أبو الحسن حياً ، فلم يمكن له في هذا المقام شيء ، فأصبح العسكر راحلاً حتى وصل إلى سلمية ، ونزل العسكر وأبو الحسين معه لم يحدث فيه حدثاً ، وكان نزوله بالعسكر على باب الخندق فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم قتل أبو الحسين .

وخرج مشايخ الهاشميين فسلموا عليه ومعهم حسن بن معاذ وطوائف المهدي ع م وأهل بيته وقراباته ، وكان أبو محمد أخو المهدي عليلاً فتوفي ذلك اليوم الذي نزل فيه أبو مهزول لعنه الله ، فأقام فيها أياماً كثيرة ، ثم أخذ مشايخ الهاشميين فكبلهم وأخرجهم من دورهم الى العسكر ، وخلى طوائف المهدى لم يعترض لهم ، فلما رأى مشايخ العليصيين مافعله بالهاشميين ، اجتمعوا اليه ، وقالوا : هؤلاء الهاشميين قرابة الخليفة ببغداد ، أطلق سبيلهم ، ففعل ذلك ، ثم رحل بالغداة الى حماة والى دار أبي الحسين ودور بني عثمان بن حجاز ، فنهب جميع ما كان فيها للمهدي ع م ولأبي الحسين ، وكانت دار أبي الحسين خزانة المهدي ع م .

ثم أتي الخبر أبا مهزول لعنة الله عليه وهو بحماة أن أبا الأغر السلمي خرج بالعسكر من بغداد يريد اليه ، فعبأ عساكره وأخرج عليها عميطر

---

(١) كلمة بربرية يقصد بها الخيمة، وفي استخدام هذه العبارة مايوحي بأن هذا النص كتب في تونس .

المكنى بالمطوق فتوجه العسكر الى أبي اغر ، فوافاه على شاطىء الفرات فالتقوا هناك فانهـــزم أبو الأغر ، وأخذت فازته ، فاحتووا على جميع ماكان له ، وقتل ولد أبي الأغر ، ووجد في فازته ، كتب الهـاشميـين الذين بسلمية ، كتبوها الي المعتضد ينتصرون به ، ويقـولون له : الحـق اطفاء النار قبل أن تشتعل .

فلما أتوا الى أبي مهزول وبشروه بهزيمة أبي الأغر ونهـب ماكان له في فازته فأخبروه بما أخذوا من الكتب فأصاب كتب الهاشميين ، وجمـــع مشايخ العليصيين وأوقفهم على مافيها وقال لهم : هؤلاء الذين شفعتم فيهم هذه كتبهم كتبوها الى المعتضد [1] ليبرزوا علينـا وعليكم العساكر فيقتلونا ويقتلوكم معنـا .

وفي ذلك كله المهدي ع م مقيم بالرملة ، وطيب الحاضن يختلف اليه من سلمية الى الرملة يعرفه الأخبار ، ووصلت اليه أم علي الى الرملة اذ كان أبو القاسم طلبها وبكي عليها ، فوصلت اليه ، وامرأة أخـرى ، فوصلتا جميعاً الى الرملة . وكان بالرملة ينتظر مايكون من أخبار اللعـين أبي مهزول ومايكون من فعله بعد رجوعه من دمشق ، ووصـوله الى سلمية واتصل به ما فعل بأبي الحسين وولده ونهب ماله واحراق داره .

ولـا وصلت كتب الهاشميين التي كانت مع ابن أبي الأغر على أنـه يوصلها الى المعتضد ، قال له جميع الدعاة : اذا كان الأمر على هـذا ، وقد فعلوا ما فعلوا فشأنك بهم . فوجه في طلبهم الخيل فأتوا بهـم وهم أحمد بن محمد ، وابراهيم بن محمد ، وصالح بن محمد ، وفضل بن عبـد

---

(١) توفي المعتضد سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م ، وخلفه المكتفي ، وهو الذي سير أبا الأغر ، ثم تولى القضاء على صاحب الخال المنعوت بأبي مهزول هنا .

الله ، وعباس بن عبد الله ، وبلهجة بن عبد الله وجماعة الهاشميين ، وكان جملة عددهم خمسة وتسعين شيخاً ، فوقفوا بين يديه ، وقالوا له : لأي شيء وجهت في طلبنا ؟ فدفع اليهم الكتب ، وقال : أليس هذه كتبكم وخطوطكم بأيديكم كتبتم بها الى المتضد تنتصرون به يوجه الينا بالعساكر فقال أحمد بن محمد ، وكان لسان القوم : قد فعلنا ذلك ، ولكن عفوك يلحقنا ، قال أبو مهزول لعنه الله : لاعفا الله عني ان عفوت عنكم ، وأمر بهم أن يجروا بكبولهم الى باب اليهود ، وأمر رجلاً كان يهودياً أسلم على يديه من أهل تدمر أن يضرب رقابهم ، ولما كان من الغد بعث خيل العسكر الى دورهم فأحرقوا النساء والصبيان والبنات والأطفال ، وكان عدد من فعل ذلك به مائة واحدى وأربعين نفساً ، فقتلوا كلهم ، ونادى في جميع أهل سلمية أن لايدفن منهم أحد ولايستر ، ومن سترهم أو غطاهم لزمه عقوبة ، فبقوا كذلك حتى أكلتهم الكلاب والطير .

واجتمع أهل سلمية ، ومشى بعضهم الى بعض ، فقالوا : هذه الفعلة التي فعلها هذا الرجل في الهاشميين ، ولم يحدث في قصر المهدي ولارجاله شيئاً ، فهذا انما له قام . فحملوا أكثر قنيتهم ، وأكثر ماكان لهم في قصر المهدي ليستروا ويصونوا أموالهم .

وكان من مناظرة القرمطي مع الهاشميين ، قبل قتلهم ، أن قال لهم : انكم السبب في خروج ابن البصري من هذه المدينة ، وأخليتم قصره منه وتركتم أولاده وأولاد أخيه يتامى منه ، فلما سمع أهل سلمية كلامه معهم أيقنوا أنه لايفعل في أهل بيت المهدي الا خيراً ، واطمئنوا ، وأخفوا أموالهم ، وأمتعتهم في القصر ، فعند ذلك بعث الى المهدي كتاباً سراً

يقول له : اني قتلت أعداءك الذين عملوا على خروجك ، ودفع ابن عمك وولده الى العراق في الأول ، فاقدم ولاتتأخر .

وكان في ذلك مكيدة منه ليطمئن المهدي اليه حتى يرجع ، فلما قرأ المهدي ع م الكتاب ، كتب اليه قد أحسنت فيما عملته ، ولو لم تفعل هذا ماكنت من شيعتنا وأوليائنا ، وأنا قادم على اثر كتابي هذا ان شاء الله ، فلما قرأ الفاسق كتابه فرح به وأطمعه فيه ، وأبى الله أن يتم للفاسق أمله ، وأن يبلغ المهدى ع م ماهو أهله .

وقرأ أبو مهزول اللعين كتاب الامام على جميع الدعاة وقال لهم ان صاحبكم قادم الى بلده وقصوره ونعمه التي أخرجه منها هؤلاء الفسقة ، ففرح الدعاة وسرهم ذلك . وأقام الفاسق منتظراً لقدوم المهدي ع م أربعة أشهر من أول سنة احدى وتسعين ومائتين ، وهو منتظر لقدومه حتى وصل اليه الخبر أن محمد بن سليمان قد خرج من بغداد قادماً اليه ، فأمر تلك الساعة بخروج العسكر في ثمانية آلاف فارس ، وستة عشر ألف راجل ، وقدم عليه عطير بن الكرش وقرميز بن السهم من بنى الأحم ، فالتقوا عسكر محمد بن سلمان بموضع يعرف بقرية السيل ، وبقي الفاسق مقيماً بسلمية . وكان الرجال الذين أخرجهم في العسكر محبين للمهدي ع م وكانوا من دعوة أبي الحسين ودهمهم خروجهم ، فبقي مع جماعة منهم لم يخرجوا في العسكر .

وقال لأولئك الدعاة الذين بقوا معه : اني أحببت أدخل الحمام في مدينة سلمية ، ولم يكن دخل المدينة الا ذلك اليوم ، وانما كان نازلاً بظاهرها ، وكان ذلك حيلة منه لعنه الله لما مضى عنه أولئك المحبون وأيس أن المهدي لا يصل ، وخاف أن يفوته مايريده ، وحذر من محمد

ابن سليمان أن يخرجه من البلد ، ولم يخرج أهل بيت المهدي ع م ومن في قصره . فأمر له أن يطيب له الحمام فدخل على المدينة على بغلة مزورة من باب الشرقي ومعه نحو ألف فارس ، وكان طريق الحمـــام على باب المهدي ع م ، فدخل الحمام ، وخرج وأرى أنـه خارج الى المسكـر حتى جاز ووقف على باب القصر . وكانت جارية المهدي ع م معهـا ولد يقال له محمد ، فهربت مـع داية هـذا الصبي لمـا أحست أن الفاسق دخل من باب القصر الكبير خرجت من الخوخة بولدها ، وكانت هـذه الجارية يقال لها لعب ، قديمة بالقصر لأنها كانت للشيخ محمد بن أحمد ، ثم صارت للمهدي ع م من بعده . فهربت فرآها محمـد بن عزيزة وكان عارفاً بها ، فقال للذي كان معه : هذه جارية الشيـخ هاربة خائفة ، فتبعها ومعه خمسة نفر . فقال لها : أين تريدين يالعب ؟ فقـالت له : يامحمـد إنا ربيناك أنت وأباك ودخلت علينا ، وهذا الرجل قد دخـل قصرنا وليس نعلم مايريد بنا ، فاسترنا فانه لم يعرف بي أحد غيرك . فقال : هاتي جميع مامعك من الحلي وامضي لشغلك ، فأعطته جميع مامعها من الحـــلي ، ومضت حتى دخلت دار رجل من التجار يعرف بابن أبي مصحـف ، فقالت له : يامحمد استرني ، فقال لها : ادخلي إن كان لم يرك أحد ، وعرفته أن الفاسق قد دخل القصر . وكان قد تبعها أحد الخمسة فعـاد إلى أصحابه فخبرهم الموضع ، فلما دخل اللعين القصر نصب له كرسي جديد في فسقيته ، فقال الدعاة الذين كانوا في عسكر الفاسق لأبي محمد الداعي: أنت مدل على هذا الرجل ، فاعرف مايريد بهذا القصر ، وعرفه أن صاحب هذا القصر له في رقابنا بيعة وأبو الحسين دعانا لهذا القصر ، ودخل إليه أبو محمد فسلم عليه ، فقال له : ياهذا الرجل : أنا رسول الجماعة

اليك ، انهم يقولون لك : ان صاحب هذا القصر له في رقابنا بيعة ، فلا تحدث فيه حدثاً ولاتؤذهم بشيء ، فقال له الفاسق : لا يا أبا محمد لانحدث فيه حدثاً ، فاخرج وامض الى العسكر ، وأنا خارج خلفكم .

فخرج أبو محمد فمند خروجه أمر الصقالبة بطلب لعب لأنها أقدم من في القصر ، وأعلم بخبائه وأسبابه ، فداروا فلم يجدوها ، ووقعت الصيحة : لعب لعب ، فقال لهم محمد بن عزيزة : أنا أعرف موضعها وأنا أجيء بها ، فأدخلوه الى القرمطي ، فقال له : امض وجيء بها الساعة ، فمشى ابن عزيزة الى دار ابن أبي مصحف ، فدق الباب وقال أخرجي فإنا قد أخذنا بك ، وأخرجها صاحب الدار خوفاً على نفسه ، فأخذها محمد ابن عزيزة مع ولدها ودايته حتى أوصلها الى القرمطي . فسلم عليها سلام مودة ، ورحب بها وسألها عن مولاها ، فقال : كيف غبت عنا ونحن لانستغني عنك ، وما بلغك عن مولاك الهارب منا ؟ فقالت له : هو قادم عن قريب ان شاء الله ، ولا يتأخر أكثر من هذا . ثم قال لها لما فرغ من كلامه معها : وأين مال محمد ، وأين مال مولاك الهارب منا ؟ وأقبل يتجني عليها قليلاً قليلا ، فقالت له : ما أعرف أين أموالهم وأنا محدثة في هذا القصر ، ثم قالت له : كم تطيل الخطاب وتتجني علينا ، إنما دخلت لتقتلنا وتلحقنا بالهاشميين ، وتقتل الصبيان والله بيننا وبينك ، ثم قالت : يا عدو الله ، يالعين ، نسيت فضل مولاي عليك وعلى أبيك من قبلك ، وهجمت علينا ، وروعت أولادنا ، كفراً بما أنعم الله عليك ، ونفاقاً على أوليائه ، وأسمعته ما يكره لما علمت أنه يريد قتلهم ـ لعنه الله ـ ثم قالت : ياعدو الله ، وعدو أوليائه ان عزمت على قتلنا ـ قتلك الله ولعنك ، ولابد من ذلك ـ فلاتدعنا

كما تركت الهاشميين مكشوفين ، فليس نحن مثلهم ، واسترنا ولاتكشفنا .
فقال لها : ان أنا قتلتك أين تريدين أدعك ؟ قالت : استرنا في هــذا
الصهريج ، وكان قدامه صهريج ، فأمر الصقالبة أن يدخلوا اليه ابن
النداف السيف التدمري ، فدخل اليه وسيفه مجرد في يده ، فقال
اضرب عنق هذه وارمها في هذا ، فرميت في ذلك الصهريج ، وقتل
ولدها ومن كان معها . وفرق الصقالبة فأتوا اليه بجميع من في ذلك القصر
من صغير وكبير من الرجال والنساء ، فقتلهم كلهم ورمى بهم في ذلك
الصهريج ، وكانوا ثمان وثمانين نفساً ، فلما أتي عليهم قدموا اليه بغلته
فركب ، ووكل بالقصر من يحفظه ويحوط مافيه .

ومضى الى الأخبية فأقام بها سبعة أيام ، في اليوم الثامن جاءه عسكره
منهزماً هزمه محمد بن سليمان ، وقتل جمع من في عسكره من الرجالة
وأكثر الخيل . فقيل له : قد قتل عسكرك ، وجاءنا مالاقوام لنا به ؛
فارحل معنا ولاتقم ، فان محمد بن سليمان يأخذك ، فقال لهم : اقعدوا ،
فقالوا له : لك في رقابنا ذمة ، وقد عرفناك ، فان كنت ترحل معنا
فارحل ، والا فاقعد وحدك . فلما رأى الجد منهم رحل معهم ولم يرده
راد عن ساقية تدمر ، ونزلوا ورحل من تدمر الى الأرك .[1]

فبعد هزيمته لستة أيام وافي محمد بن سليمان بعسكره الي مدينة سلمية
فقال لهم : أين القرمطي ؟ فقالوا : قد رفع ، فقال قد أمرني المتعضد[2]

---

(١) الأرك ـ الورك ـ ذكرها ياقوت في معجمه . وما زالت تعرف بهذا الاسم ، حيث تقع في منطقة تدمر ، وتبعد عن حمص مسافة ١٩٥ كم انظر التقسيمات الاداريه للجمهورية العربية السورية ط. دمشق ١٩٦٨ . ص : ٨١ .

(٢) كذا والأصح : المكتفي .

اذا انهزم القرمطي أن أضع السيف في الحضر والبدو ، فقالوا : اتق الله قتلنا القرمطي وتقتلنا أنت أيضاً ؟ فقال لهم : ما الدليل على هـذا ، قالوا له تدخل الينا من تثق به لنوقفه على قتلانا ، فلما سمع ذلك منهم أشفق عليهم فقال : أغلقوا أبوابكم وحصنـوا أنفسكم فان العسكر مقبـل عليكم وأخاف أن ينهبكم ، وأنا أدخل اليكم من ينظر قتلاكم ان كان حقاً ماقلتم فأدخل اليهم محمد بن الديرجي وكان شيخاً ثقة فأوقفوه على القتلى ، فنظر الى الأطفال والنساء فقال : قتل الله من فعل هذا . وسأل محمـد بن سليمان : أين توجه القرمطي ؟ فقالوا له: الى ناحية تدمر و فوجه في طلبـه ألف فارس ، فقالوا : انه دخل الصحراء فافترق عسكره عنه ، ونهبوا جميع مامعه ، وقال له مشايخ المليصيين : أنت مشؤمنا ، فهـرب على دابته ومعه مال ودخل في سواد العراق ، على أنه يدخـل موضعـاً لايصاب فيه .

فكتب محمد بن سليمان الى المعتضد : ان القرمطي قد انهزم عسكره وقتل رجاله وهرب من كان معه وتفرقوا عنه ، وبقي وحده هارباً ، فمر بأمرك ، فكتب اليه يأمره بالرجوع الى بغداد ، فرجع بعد ذلك ، وكان بعده بأربعة أشهر أخذ اللعين القرمطي أبو مهـزول على شاطىء الفرات في موضع يقال له قرقيسيا [١] ، وأخذ معه غلامان ، فرفع الى المعتضد الى بغـــداد .

واتصل بالمهدي ما فعل بالقصر وقتل جميع من كان فيه ، ثم انـه

---

(١) قرقيسياء هي البصيرة حالياً في سورية، حيث يلتقي الخابوربالفرات ، ومشهوراً أن اعتقال القرمطي كان قد تم في منطقة الرقة .

اتصل به أن القرمطي وصل الى المتضد ، فرحل من الرملة الى مصر فأقام مدة ، ولما رجع القرمطي الى بغداد شهـر ونودي عليـه ونصبت الدكة للمعتضد ، وفرش له الزينة حتي يشرف على قتله ، وهـو يضرب بالسوط ، فقد يقولون : من أنت ، وأيش أصلك ، ولمن كنت تدعو ؟ فقال لهم : ما أنا من أهل الرياسة ، ولامن أهل القرامطة ، انما أمرني بالخروج رجل وهو فلان بن فلان من مدينة سلمية يعني المهدي ع م ، وهو من صفته كذا وكذا بصفته وحليته ، وكتبت صفته على ما وصف الملعون ، ثم مات لعنه الله بالعذاب وأحرق بالنار .

وفرق حينئذ المعتضد البريد في جميع الآفاق وأمر العمال أن يطلبوا هذه الصفة فلم يجدوه ، وكان قد خرج مع تجار بغداد ومع أبي العباس أخي أبي عبد الله الى طرابلس الغرب ، فقطع عليهم الطريـق بالطاحونـة ، وضرب أبو العباس أخو أبي عبد الله بسيف على وجهه ، فـوصلوا الى طرابلس على ملحق البريد وهو فيها ، فلما وصـل الكتـاب داروا على الصفة ، ودخل التجار الذين قدموا من مصر ، ثم دخلوا عليه الدار التي كان بها ، فلما رأوه قالوا : هذه الصفة صفتك وأنت المطلوب لاشك ، ولكنا نخليك عن الغفلة ، فارحل عن بلدنا ولاتقم فيه ، وكان أبو القاسم ابن حسان بها ، فرحل معه حتي وصل الى قسطيلية [1] ودخـــل الى سجلماسة [2] فأقام بها ثلاثة أشهر حتى لحقته الحرم مع يوسف القهرمان وطيب الحاضن ، ومع ذلك كتب أبي عبد الله تترى بطلبه حيث مازل ،

---

(١) في بلاد الجريد من المغرب الأوسط ـ معجم البلدان .

(٢) عاصمة دولة بني مدرار ، شغلت دوراً كبيراً في تاريخ المغرب الأقصى خرائبها الآن قائمة في اقليم الراشدية في المملكة المغربية .

فكتب اليه أن أقدم فقد استقامت لك العساكر ، فتأخر حتى قدم اليه أبو عبد الله سجلماسة ، وخرج المهدي ع م وولده أبو القاسم محمد الامام ع م وجعفر الحاجب وجميع من كان معه ، وكان من أمره ما هو مدون معروف . والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين .



كتاب التراتيب

وهي

سبع تراتيب على التمام والكمال



بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم يا أخي : الحمد لله المتعالي عن العلة والمعلول والمبدع بأمره جواهر النفوس والعقول ...

وقد جرى في مثل ذلك دور محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من انتساب الأئمة عليهم السلام بالبنوة له لما أراد تشريفه وتعظيمه ، وذلك مثل جعفر الصادق عليه السلام ، فإنه قام بالإمامة ، وكان زمانه زمان فترة [مثل] دور الرسول عليه السلام ، وكان في عصره ضد عظيم وشيطان رجيم ، وهو المعروف بأبي جعفر الدوانيقي [1] ، وكان هذا الضد يدس على جعفر الصادق عليه السلام ليقتله ، وأراد أن يطفىء نور الله ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، وكان له عيون عند جعفر الصادق عليه السلام ، يطالعونه بخبره يومابيوم وساعة بساعة ، فعلم الصادق عليه السلام مافي نفسه ، وما أضمره من كفره ونفاقه ، فأوجب ذلك أن يظهر منه تسليم الإمامة إلى ولده اسماعيل ، كيما تخمد نيران هذا العين ، فأحضر الصادق عند ذلك حججه ودعاته وأهل شيعته ، ومن يلوذ به ، وسلم إلى ولده اسماعيل ، بمحضر منهم ، وأمرهم بالدعاء له في جميع الجزائر [2] والأقاليم ، وأن يأخذوا له العهود ، وأن أمر الدعوة بيده ، وكلها له .

---

(١) المقصود أبو جعفر المنصور ، وصف بهذا لشدة بخله .

(٢) قسم الاسماعيليون العالم الى عدة جزائر ، وكل جزيرة الى عدة أقاليم .

فقام اسماعيل بذلك ، ورتب الدعاة ، ونصب الحجج ، وأمرهم بالدعاء له ، ورفع الأعمال والزكوات ، والفطر اليه ، ففعل الدعاة والحجج ذلك ، فانتشر خبره في جميع البلاد ، وعلم بتسليم الأمر إليه عيون أبي جعفر الدوانيقي ، [فرفعوا إليه] بأن الصادق عليه السلام سلم إلى ولده اسماعيل وأن الصادق قد صار صفراً من الامامة ، وأن الدعوة وأمرها كلها إلى اسماعيل فلما بلغه الخبر ، قصد بالأذية إلى اسماعيل عليه السلام ، ودس عليه من يقتله ، كما أراد أن يفعل بالصادق عليه السلام ، فأوجب ذلك نقلة [1] اسماعيل ، وأشهد الصادق عليه السلام بنقلته ، ولم يدفنه إلى ثلاثة أيام ، وهو يأخذ خطوط جميع الحاج بموته ، وأنه بعد ثلاثة أيام دفنه ، ونزل ليلحده ، فقال عند لحده : ما أسفي على إسماعيل ، بل إنما أسفي على وديعة أودعته إياها .

فعند ذلك أيضاً كتب عيون أبي جعفر الدوانيقي كتاباً يخبروه به عن موت اسماعيل ، فعندما بلغه ذلك انسر سروراً عظيماً ، واطمأن قلبه ، وسكن روعه ، وظن بجهله أن أمر أولاد الحسين قد انقطع ، وأنه لا بقية لهم ، فما قليل بلغه ممن يتولاه ويركن إليه أن اسماعيل قد ظهر في البصرة ، وأنه مر بمزمن له أربعون سنة بتلك الزمن ، وهو في محفل من الناس ، وهم يسمونه ويكنونه ، فقال له : خذ بيدي يابن بنت رسول الله أخذ الله بيدك ، فأقبل عليه ، وأخذه بيده ، وأقامه فبري من ساعته ، وفاق من علته ، فكان ذلك المزمن يقول لكل من سأله: من أبراك من علتك ؟ فيقول : هو أبراني ـ اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام ـ وإن أبا جعفر الدوانيقي لما بلغه ذلك — من ظهور اسماعيل ، وفعله ذلك الفعل —

---

(١) أي وفاة اسماعيل .

هاله وكبر عليه ، وبعث وراء الصادق عليه السلام ، فأحضره ، فلما حضر عنده قال له : تكتب لي بأن اسماعيل قد مات ، وأنك أخذت خطوط جميع الحاج بموته ، وبعد ذلك يلغني أنه قد ظهر ، فكيف هذا الأمر ؟ فعند ذلك أحضر الصادق عليه السلام الأوراق ، فيها شهادات جميع الحاج بموت ولده اسماعيل ، وكان في مجلسه من حضر ذلك ، ولم يزل الصادق عنده إلى أن سكن ما به ، ولم يدر عدو الله كيف يجري سر الله في أوليائه ، ولا كيف سياستهم للعالم !

وبيان ذلك أيها الأخ الفاضل أن الامامة المرضية ، والكلمة الإلهية قام بصورتها الإمام الحق اسماعيل [١] في حياة الصادق ، وهو الظاهر بالبصرة ، والمبرىء لذلك الزمن ، وأن موسى الكاظم نسب هذه الفضيلة لابن [٢] أخيه اسماعيل ، وأضافها إليه لكيما يرد كيد الضد العين ويبان عجزه وضعفه وكثرة جهله ، وأن اسماعيل عليه السلام ستر على نفسه حجاباً لعظيم الفترة ، وتغلب الضد ، وانتسب الامام الحق [بعد] [٣] اسماعيل الى ابن أخيه ، وهو محمد لشدة تعاظم الفترة وظهور الأضداد ، وأن محمداً لما حضرته النقلة سلم الأمر لولده الرضي عليه السلام ، وهو أول الأئمة المستورين ، فقام أحمد [٤] عليه السلام بالإمامة ، وكان حجابه

---

(١) هذا النص في سرده لأسماء الأئمة بعد جعفر الصادق عرض بشكل مضطرب ، اقتضى الحال أن يقرأ بشكل تأويلي ، ثم إن قائمة الأئمة فيه تختلف عن غيرها مما جاء في غالبية المصادر الاسماعيلية وغير الاسماعيلية . انظر عيون الاخبار للداعي المطلق ادريس ـ السبع الرابع ـ ط بيروت ١٩٧٣ ص ٣٣٢-٤٠٤ . أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس الترجمة العربية ص: ٢٠٧ .

(٢) أي محمد بن اسماعيل .

(٣) أضيف مابين الحاصرتين ليمكن استقامة تأويل السياق .

(٤) اسم الامام الرضي عند الداعي ادريس ص٣٥٧ «عبد الله بن محمد بن اسماعيل».

الذي احتجب به ، وستره الذي ستره ، والذي نصبه ، وأقامه مقامه ميمون القداح ، وأمره الامام عليه السلام أن يأخذ العهود لنفسه ، أعني لميمون القداح ، ففعل ما أمره به الامام ، ولم يزل قائماً بالأمر الى أوان نقلة أحمد عليه السلام ، فلما حضرته النقلة أحضر ولده محمداً عليه السلام وسلم الامامة له بحضر من خواص الدعاة البالغين في الدين ، وعندهم علم من الكتاب ، فقام محمد عليه السلام [بالأمر] ، وأمر الامام ابن ميمون القداح أن يقوم مقامه ، ويأخذ العهد لنفسه كفعل أبيه ميمون القداح ، ولم يزل قائماً بالأمر عن اذن الامام عليه السلام الى أن حضرت محمد النقلة ، فعند ذلك أحضر ولده أحمد عليه السلام ، وأكابر الدعاة ، وخواص الحجج ، وسلم اليه بحضر منهم كفعل من تقدم من آبائه عليهم السلام.

فأمر الامام أحمد أخاه أن يقوم مقام ولده ، ويأخذ العهد لنفسه ، وحجاباً لولده ، محمد المهدي عليه السلام، وأنه اذا حضرته النقلة يسلم الأمر اليه بحضر من الدعاة والحجج ويعلمهم أنه كان خليفة الامام مستودعاً لا مستقراً، فقام محمد المهدي عليه السلام بالامامة ، وقام عمه بالخلافة ، وانتسب محمد المهدي عليه السلام بالبنوة لعمه كما جرى ذلك فيما تقدم ، كيما تثبت فضيلته ويتم أمره ، وأن هذا الخليفة كان له عشرة أولاد ذكور ، فطمع في الأمر ، وأراد أن يكون في عقبه ، ويخرج ابن أخيه منه ، فلما قام ذلك في وهمه أحضر بعض أولاده ممن ارتضاه لذلك الأمر ، وأضاف مقاليد الدعوة ليده ، فما كان الا قليلاً حتى مات ذلك الولد الذي سلم اليه الأمر ، ولم يزل يسلم الى ولد بعد ولد وهو يموت حتى مات جميع أولاده ، وانبتر

الأمر من يده ، فلما أيس ، رجع بالأمر الى مستحقه ، وهو محمد المهدي ابن أخيه أحمد عليهما السلام ، وهو القائل هذين البيتين شعراً في حقه :

الله أعطاك التي لافوقها لما أرادوا منعها وعوقها
عنك ويأبى الله الا سوقها اليك حتى طوقك في طوقها

فكان هذا من كلام المهدي له هذين البيتين ، وبحمد الله ياعم ليس بحمدك [١] ، فقام المهدي بالامامة ، واشتهر بها ، وكان أمر الظهور قد اقترب بأوان طلوع الشمس من مغربها ، فحضرته النقلة دون الظهور الكلي ، فعندها أحضر المهدي ولده القائم ، وسلم اليه بمحضر من خواص الدعاة ، وأكابر الحجج ، وأمر أخاه عبد الله أيضاً بأن يقوم مقامه ـ أي ، الامام محمد المهدي أبو القائم ـ وينوب منابه ، ويتسمى باسمه ، وينعت نفسه بنعته ، وينسب القائم عليه السلام أنه ولده كيا تعلو كلمته وتثبت دعوته ، لأنه صاحب الكشف ، على يده يكون الظهور والفرج ، وبروز كل أمر من الدين مستور .

وقام القائم عليه السلام بصورة الجود الكلي ، والفيض الالهي ، وقام عمه عبد الله بالخلافة والنيابة ، وتلقب بالمهدي كما أمره الامام على ذكره السلام ، ودعا لنفسه ، وبسط الدعاة والحجج في الجزائر والأقاليم من قبله

---

(١) من المرجح أن هذه القصة بروايتها المتباينة هي ترداد لصدى الانشقاق الكبير الذي أصاب بيت الإمامة الاسماعيلي في فترة استقراره في السلمية ، ومع بداية نشاط القرامطة في الشام ، وربما يجد الباحث فيها تعليلاً أو مخرجاً لادعاء زعماء القرامطة في الشام النسب الاسماعيلي ، هذا وهناك خلاف في المصادر حول رواية البيتين وقائلها . انظر عيون الاخبار ـ السبع الرابع ـ ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ . ثم انظر نص استتار الامام من نصوص كتابنا هذا .

والدعاء له والطاعة لأمره ، وأنه الامام المقصود الذي دلت الحدود على طاعته ، وعلى يده يكون الظهور ، وبروز كلام من الدين المستور ، فلم يزل كذلك حتى ظهرت الدعوة باليمن على يد بعض دعاته ، وهو الملقب بمنصور اليمن ، فظهرت الدعوة بالغرب على يد أبي عبد الله الشيعي ، واستقام أمره ، وتم المراد ، وظهر بالإمامة والملك ، وخطب على المنابر في جميع الأمصار ، وسائر الأقطار ، وشد عند ذلك ماكان ضعف من شريعة جده محمد ﷺ ، وبتر ماكان من غيرها ، وأقام أركانها ، وشد بنيانها ، وكشف علم التأويل ، وأبان حقائق التنزيل ، وجاهد في الله حق جهاده ، ولم يزل كذلك الى أوان نقلته وحضور أجله ، فعند ذلك أحضر حججه وحدود دعوته ، وسلم الأمر الى صاحبه وهو القائم محمد بن المهدي ، والامام الحقيقي بمحضر منهم ، فأشهدهم على نفسه أنه أدى ماوجب عليه من الخدمة والخلافة ، وسلم الأمر لصاحب الأمر [1] .

وكان المهدي أبو القائم [هو أخو] المنتقل الى سجلماسة ، وكان المهدى

---

(١) جهدت المصادر الاسماعيلية الفاطمية في العمل على طمس هذه الواقعة ، والقول بأن القائم هو ابن المهدي ، لكن رغم ذلك يمكن استخلاص الحقيقة بشكل غير مباشر ، فقد أشار القاضي النعمان في كتابه المجالس والمسايرات - ط . تونس ، ص ٥٤٢ - ٥٤٣ ، وعنه نقل الداعي المطلق ادريس في عيون الأخبار - السبع الرابع - ص ٤٠٢ - ٤٠٣ ، السبع الخامس ص١٦٦-١٦٧ . بأن المهدي ولد له بالمهدية غلام ذكر دعاه بأبي الحسن ، ففكر بجعله ولياً لعهده ، لكن هذا الغلام جدر فذهب بصره ، وهكذا بقيت ولاية العهد للقائم ، وكانت أم الوليد المجدور تقول دائماً : « والله لقد خرج هذا الأمر من هذا القصر - تعني قصر المهدي بالله (صلع) - فلا يعود اليه أبداً ، وصار إلى ذلك القصر - تعني قصر القائم بأمر الله - فلا يزال في ذرية صاحبه مابقيت الدنيا » وكانت فيما بعد إذا رأت إحدى نساء قصر القائم تقول لها : « قد ولدت إماماً » .

صاحب الكشف هو المولود بسلمية ، المنتقل بالمهدية كما جاء بالتواريخ [١] ، ومن هذه الجهة أنكر أبو العباس أخو أبي عبد الله الشيعي إمامة المهدي الظاهر من سجلماسة ، لأنه عارف بالمهدي أبي القائم ، فلما رأى الأمر وسوس لأخيه أبي عبد الله الشيعي ، وقال : إن هذا الذي يـــدعي بأنه الامام ، وسلمت مقاليد الملك الذي بيدك اليه ، وقلت أنه المهدي المنتظر ، ما هو كما قلت ولا الأمر كما توهمت ، ولا هو صاحب الأمر ، ولقد كنت أنت أحق بالخلافة منه ، وأولى بالنيابة .

وكان من أمر أبي عبد الله الشيعي ، وأخيه أبي العباس ماهو مسطور [٢]...



(١) في الاصل : أجابت التواريخ وهو تصحيف لعل صوابه ما أثبتنا .

(٢) قتلهما المهدي بتهمة التآمر عليه .



كتاب

تثبيت دلائل نبوّة سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم



[فِي أَحْوَالِ ٱلْبَاطِنِيَّةِ فِي زَمَنِ صَاحِبِ ٱلْكِتَابِ]*

. . . ألا ترى أن من بالأحساء من القرامطة والباطنية ، لما غلبوا شتموا الأنبياء ، وعطلوا الشرائع وقتلوا الحجاج والمسلمين حتى أفنوهم ، واستنجوا بالمصاحف والتوراة والانجيل ، وجاءوا بذكيرة الأصفهاني المجوسي[1] ، وقالوا : هذا هو الإله في الحقيقة ، وعبدوه ، وكان لهم معه ماهو مذكور معروف .

ومثل هذا صنع أبو القاسم الحسن بن حوشب بن زاذان الكوفي النجار حين ظهر بجبال لاعة من أرض اليمن ، وكذا صنع من كان معهم بالجند وعدن من أرض اليمن ، وسبوا العلويات ، وكل هؤلاء كانوا في أول أمرهم يخدعون الناس بأنهم شيعة ، وأن المهدي أرسلهم[2] .

وكذا صنع من كان منهم برقادة[3] والقيروان من أرض المغرب ، الى أن قام أبو يزيد مخلد بن كيداد[4] بمن معه ، وحاربهم خمس سنين وضيق

* أضيف هذا العنوان للايضاح .

(١) لقد سلف وذكر خروج ذكرويه في نص ثابت بن سنان وسيرد ذكره أيضاً فيما يلي في النصوص المقبلة .

(٢) انظر ماتقدم ثم مايلي من نصوص خاصة ما أورده الحمادي والخزرجي .

(٣) تبعد خرائب رقاده ـ عاصمة الأغالبة ـ عن القيروان قرابة عشرة أميال .

(٤) هو من الخوارج الأباضية النكارة ـ الذين أنكروا إمامة عبد الوهاب بن رستم صاحب تاهرت ـ وثورته مشهورته اشتدت أيام القائم وأخمدت أيام المنصور ، ومع أنها كانت خارجية كانت ذات ارتباطات سياسية مهمة بقرطبة .

عليهم كما صنع الأصفر (٥) بأهل الأحساء فلما انكشف أمر أبي يزيد عمن بالمغرب، كفوا عن المكاشفة للعامة بشتم الأنبياء وتعطيل الشرائع، وصاروا يخدعون الناس سراً، وينقلونهم عن الاسلام بالحيل والأيمان من حيث لايشعرون شيئاً شيئاً، وانبثوا وانبسطوا، وبثوا ذلك في ممالكهم، ويقصدون بدعوتهم الديلم والأعراب، وكل من يقل بحثه ونظره، وله رغبة بالدنيا، وشغل بها، ثم يقطعونهم عن البحث والنظر بالعهود والأيمان المغلظة، ومن دخل بلدانهم وشاهد عساكرهم، وتأمل سيرتهم يعرف ذلك من قصدهم، بل من سأل واستبحث يعلم ذلك، وإن لم يصر إليهم، وقد صاروا حرماً للملاحدة والزنادقة والفلاسفة والدهرية، وجميع أعداء الاسلام، فمن هاجر اليهم أمن في إلحاده، وقال ماشاء كيف شاء، فيالها مصيبة بذهاب الاسلام، وموت أهله، وقلة العارفين به وبحقوقه، فإن من بقي ممن يظن أنه من أهله، فمنهم من يشبه الله بخلقه، ومنهم [٥١ - و] من يجوره في حكمه (٦)، والى غير ذلك. . .

---

(٥) من زعماء قبيلة المنتفق حاصر الاحساء سنة ٣٧٨ هـ. انظر المنتظم: ٧/١٧٠، الكامل لابن الأثير - ط. القاهرة ١٣٥٣ هـ. ٧/١٣٦. وانظر أيضاً ماذكره المقريزي في آخر نصه المقبل عن القرامطة.

(٦) يرد هذا إلى كون القاضي عبد الجبار كان من أهل الاعتزال.

في ابتداء ظهور الباطنية وهم القرامطة [1]

وتامل أحوال هؤلاء الباطنية الذين قد تستروا بالاسلام، وبقراءة القرآن وبالصلاة والصيام والحج، واظهار الالتحاق بأهل البيت، وقد أوثقوا أمورهم بالكتمان، وبأخذ الأيمان والعهود على من أجابهم، وتجنبوا استدعاء الأدباء والعلماء والفقهاء، وسلكوا الواسطة، وقصدوا الأطراف البعيدة التي قد استولى على أهلها الغفلة والجهل والقوة، وقصدوا أهل الترفه والعجب والشغل بالدنيا والملك، وتسموا بالاسم الحسن، من أنهم الشيعة، وغرّوا المسلمين، فانظر الى فضائحهم، مع هذه الأمور كلها [2].

فإن أبا القاسم بن الفرج بن حوشب / بن زاذان الكوفي النجار، عرف أهل عدن لاعة وجبال لاعة من أرض اليمن، وأنهم شيعة، فصار اليهم مع أبي الحسين محمد بن علي بن الفضل من أهل جيشان والجند والمذيخرة من أرض اليمن [3]. وكان هذا أحد المياسير والرؤساء من الشيعة من أهل تلك البلاد فمكن لابن حوشب، وتساعدا على الدعوة، وكل واحد منها بمكانه،

---

(١) نقل هذا العنوان من حاشية الاصل.

(٢) رغم أن القاضي عبد الجبار اعتبر هذا منقصة، لاشك أنه يدل على عبقرية دعوية، حيث سايرت الحركات الاسماعيلية العقائد الشعبية الرائجة، ولبت رغبات الطبقات العليا.

(٣) كذا والصحيح علي بن الفضل، انظر خبره وترجمته فيما يلي في نص الخزرجي صاحب المسجد المسبوك.

وتسمى ابن حوشب بالمنصور من آل أحمـــد [١] ؛ وتسمى الآخر بالولي . ومكثا مدة يتستران باقامة الشريعة ، ثم ظهر منهما الإباحة ، وليلة الافاضة ، وأولاد الصفوة ، ونكاح الأمهات والأخوات والبنـــات [٢] والمشاركة في الزوجات ، وتعطيل الشرائع ، وشتم الأنبياء عند التمكن والقدرة ، ثم ظهر بين ابن حوشب وبين ابن الفضل من المشاتمة وبرىء كل واحد من صاحبه ، ودعا كل واحد منهـما إلى نفسه ، بأنه إله ورب ، وغزا ، وقصد العلويين بالمكاره والقتل وسبي الذرية .

وقد كان نصب هذين ، الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح [٣] الذي زعم أنه الإمام ، وهو خليفة محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وقال لهذين وغيرهما ممن خرج معهما الى اليمن : إذا ملكتم وغلبتم خرجت اليكم ، وجعلنا الملك باليمن ، والمهدي يظهر باليمن ، وهكذا روينا عن أهل البيت ، فلما تمكنوا باليمن ، أخرج اليهم ابن ميمون القداح الحسين الأهوازي الداعيـة

(١) كذا في الأصل ، ولعل الاصح « منصور آل محمـــد » هذا وتصر المصادر الاسماعيلية على أنه دعي بهذا اللقب رغم كراهيته لذلك ، ومعروف أن لقب المنصور له معان مهدوية ، وهو مرتبط باليمن ، أي أن حامله إما يماني الاصل أو له صلة ما باليمن ، ولمزيد من المعلومات يراجع ماكتبه الامام نعيم بن حماد ــ ت ٢٢٨ هـ ــ في كتابه الملاحم والفتن ، وهو كتاب حققته وسأدفعه الى المطبعة قريباً إن شاء الله .

(٢) هذه تهمة ألصقت بجميع الحركات ذات المضامين الاجتماعية والاهداف الاقتصادية في الاسلام ، وقد ورثها الكتاب المسلمون من التراث الساساني حول المزدكية ، وتم الترويج لها بسبب ربط الاخلاق في الشرق بالجنس ، وتثبت الابحاث الحيادية الموثقة بطلان هذه التهمـــة .

(٣) من أجل دور آل القداح في الحركة الاسماعيلية ينصح القارىء الكريم بالعودة الى كتاب أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص ١٣٣ ــ ١٦٤ من الترجمة العربية ، منشورات مكتبة المثنى بغداد .

من قبله ، فطلب منهم مالاً يحملونه اليه ، فأعطوه مرة بعد مرة ، ثم رجع اليهم ، وعرّفهم أن الحجة خليفة محمد بن اسماعيل يخرج اليهم لينصروه ، فشتموه وردوه ، فقالوا : قد عرفنا أن هذا كله مخرقة ، وهو عرّفنا بهذا فلمَ نسلم الملك اليه ، فقال لهم : على كل حال هو عرفكم هذا ، وخلصكم من الشرائع والاسلام ، فاشكروا له وأطيعوه ، فشتموه وشتموا من وجّه به . فرجع الرسول الى الحسين بن أحمد / وعرّفه أن القوم قد أظهروا الباطن ، وعملوا به وفطنوا له ، وتشاتموا وتفاضحوا بينهم ، ثم صمد يحيى بن الحسين العلوي[1] رضي الله عنه لجهادهم ، وقد كان ابن حوشب هلك وبقي الفضل، فهلك هو وابنه امام يحيى بن الحسين العلوي كما هو مذكور ، وفضائحهم مشهورة عند أهل العلم .

ومن عند ابن حوشب انبثت دعوتهم باليمن والمغرب[2] .

ثم تأمل فضيحتهم بالبحرين ، فإن داعية لهم خرج الى من بها من الشيعة وقال : أنا رسول المهدي اليكم ، وقد قرب خروجه ، فأعدوا واستعدوا ، واحملوا اليه زكواتكم وأعشاركم ، وفضول أموالكم ، فاجتمعوا وكانوا نحو ثمانمائة ، وأعطوه ماطلب ، وغاب عنهم ورجع اليهم وأخبرهم عن المهدي : أن للأشياء كلها بواطن ، وأن خاصة المهدي لايحرم عليهم شيء ، وأن المهدي قد أحل لكم كل شيء ، وأنه يحل للمؤمن ان يشارك اخاه في ماله وأهله، وأن علامة إيمانه أن تطيب نفسه بذلك كله . وكان فيمن أجابهم : أبوسعيد

---

(١) هو الهادي إلى الحق ، وقد سبق لي نشر سيرته ، وهي تحوي في ثناياها أخبار صراعه مع القرامطة ، وسنحيل عليها فيما بعد في نص المسجد المسبوك .

(٢) يقصد بهذا توجيه مركز الدعوة في اليمن لأبي عبد الله الداعي الى المغرب .

الحسين بن بهرام الجنابي ، وكان يبيع الطعام والدقيق بالزارة [١] من أرض البحرين ، وكان شريراً فاسقاً جاهلاً لايعرف من كتاب الله شيئاً ، ولا من سنة نبيه ، ولاشيئاً من الأدب ، ولا شغل له إلا بالمعاش .

وكان له صديق منهم يعرف بابراهيم الصائغ داعية لهم ، قد وجهوه غير مرة إلى ناحية فارس والأهواز ، وكان يظنهم شيعـة ، فجاء يوماً إلى أبي بكر زكريا يحيى بن نبهان ، فقال له : اعـلم أن هؤلاء القوم على ضلال ، كنت مع أبي سعيد الجنابي وقد جاءه رجل من أهل جنّابة [٢] يقال له يحيى ابن علي ، فأكلنا عنده فلما فرغنا قام فأخرج امرأته ثم أدخلها مع يحيى هذا في بيت وقال لها : إن أرادك هذا الولي فلا تمنعيه نفسك ، فانه أحق بك مني . فمضى يحيى بن نبهان بابراهيم الصائغ هذا إلى الأمـير علي بن مسمار / فأخبره بما وقف عليه ، فرصده علي بن مسمار لذلك وتعرفه ، فأخذ الرجل فضربه بالسوط وحلق رأسه ولحيته ، ثم خلى سبيله ، وطلب أبا سعيد فهرب إلى جنابة ، وبحث عنهم وعن أحوالهم فاذا هم يتسترون بالتشيع ويبطلون الشريعة ، وبقي أولاد أبي سعيد وأصهاره في البحرين ، فبحث النـاس عن أحوالهم وأحوال بني سُنبر [٣] وأمثالهم فاذا هم على هذه الحال .

ثم تمكنوا وعاد أبو سعيد بعد أن صار الى النيل [٤] وسواد الكوفة ، ومعه الدعوة ورجالها ، مثل حمدان بن الأشعث ، وهو المعروف بقَرْمَط ، واليه ينسب القرامطة ، وخال ابن أبي المليح القرني وخال عَبْدان . وقد كان

---

(١) عين الزارة ، قرية كبيرة من قرى البحرين . انظرها في معجم البلدان .

(٢) بلدة صغيرة كانت قائمة على الجانب الايراني من الخليج . انظرها عند ياقوت .

(٣) وزراء دولة قرامطة الأحساء ، وسيرد ذكرهم فيما يلي كثيراً .

(٤) بلدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد ، انظرها في معجم البلدان .

بالبحرين يحيى الطهامي داعية لهم : فلما تمكن أفسد وغدر وأظهر الإباحة ، وكان شريك أبي سعيد الجنابي في الدعوة ، فوثب عليه أبو سعيد وغدر بـه وقتله واستولى على الأمر وغرر بالنـــاس لما ملكهم ، وأظهر من الإباحة وتعطيل الشرائع ماهو مذكور ، وقال إنه رسول الأمين الامام حجة الله على خلقه ، وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن الحنفية [١] ، وهو مقيم في بعض هذه الجبال ، وهو المهدي ، وأنه في سنة ثلاثمائة للهجرة يخرج ويملك الأرض كلها . وكان هذا القول والوعد من أبي سعيد في سني نيف وثمانين ومائتين للهجرة ، وكان يقسم قصور بغداد على أصحابه ، ويحلف لهم أنه يدخل بهم إليها ، ويملكها ، فلما كان في سنة ثلاثمائة ، قتل أبا سعيد خادم كان لأبي الفضل العباس بن عمرو الغنوي في الحمام [٢] ، وكذبت أخباره ، وظهرت فضائحه ، فخجلوا لذلك خجلة بالغا ، وتحيروا .

وقد كان علي بن عيسى بن داود بن الجـراح [٣] وزير المقتـدر بالله كاتب أبا سعيد يقول له : « زعمت أنك رسول المهدي ، وقد قتلت العلويين وسبيت آل الأخيضر العلويين ، ومن باليامة ، واسترققت العـلويات ، وغدرت بأهل البحرين » ، وقد كان حاصر أهل هجر [٤] أربع سنـين

(١) كذا ، وهو خطأ أساسه احدى روايات الطبري ، ومن المؤكد ان الاسماعيلية غير الكيسانية .

(٢) العباس بن عمر والغنوي واحدمن قادة الجيش العباسي ، ولاه المعتضد اليامة والبحرين وأمره بقتال القرامطـــة ، توفي سنة ٣٠٥ هـ ، يرد ذكره في كتابنا هذا أكثر من مرة ـ الأعلام للزركلي .

(٣) علي بن عيسى بن داود بن الجراح أبو الحسن البغدادي وزير المقتـدر العباسي والقاهر ، توفي ببغداد سنة ٣٣٤ ، له كتب ورسائل متعددة ، كما تمتع بشهرة ادارية كبيرة ووصف بالزهد والاستقامة ـ انظره ومصادر حياته في أعلام الزركلي .

(٤) الهجر بلغة حمير : القرية ، وفي بلاد العرب أكثر من هجر ، وهجر البحرين قاعدتها ـ معجم البلدان .

ومنعهم الأقوات ، وحبس عنهم الماء ، ثم وصل اليهم وما بهم رمق فأتى عليهم ، وقتلهم عن آخرهم ، وقد كان صنع بأهل القطيف شبيهاً بذلك ، وغدر بهم أقبح غدر .

فأجاب ولد أبي سعيد علي بن عيسى عن كتابه بأن أهل البحرين بغوا علينا ، وغدروا بنا ، ورمونا ، وقالوا : إنا نشترك في أزواجنا ، ونرى الاباحة وتعطيل الشريعة ، وقد كذبوا علينا ، ونحن قوم مسلمون ، وما نُحل من اتهمنا بغير الاسلام .

فكتب اليهم علي بن عيسى : « إن كنتم صادقين فأطلقوا من في أيديكم من أسارى المسلمين » ، فأطلقوا منهم نحو ثلاثين ألفاً ، وأظهروا الاسلام والصلاة وقراءة القرآن ، وخجلوا من الفضيحة [١] .

ومما كانوا يقولونه ويقوله أبو سعيد عن خروج المهدي في سنة ثلاثمائة لحقهم الخجل والفضيحة . وكان بنو بسطام ، وبنو القاسم بن عبد الله ، وآل الفرات وأمثالهم يستولون على دولة المقتدر بالله [٢] ، وكانوا يتشيعون فراسلوا أولاد أبي سعيد وقالوا لهم : أنتم خرجتم أيام المعتضد والمكتفي فلما صار الأمر إلى هذا الصبي المقتدر بالله قعدتم ، قوموا فنحن كتابه وأصحابه ، والدولة لكم ، ولايوحشنكم قتل أبي سعيد وما كان منه ، فإن الناس قد تناسوا ذلك . فقالوا : هذا الرجل علي بن عيسى رجل

---

(١) في هذا اشارة الى التقارب بين قرامطة البحرين وبغداد، إثر قيام الخلافةالفاطمية وماسبق ذلك ولحقه من انشقاقات داخل الحركات الاسماعيلية .

(٢) هو جعفر بن المعتضد بن أبي أحمد المتوكل ، وهو أخو المكتفي ، وقد قتل سنة ٣٢٠ ﻫ . اما المكتفي فقد توفي سنة ٢٩٥ ، بينما توفي أبوهما سنة ٢٨٩ ﻫ ، ومن اجل عصره انظر الكامل لابن الأثير ط. القاهرة ١٣٥٣ : ٦/١١٨-٢٢٠ .

صالح ، ومادام هو الناظر فما نختار مخالفته ، فلما قبض السلطان على علي بن عيسى أطلق من بغداد والكوفة من الشيعة الطيور إلى البحرين بذلك ، فغزوا البصرة على غفلة وغدروا بهم أقبح غدرة ، ثم غزوا الكوفة ، وسر بهم الشيعة وقالوا : أبو طاهر بن أبي سعيد ، ولي الله وحجة الله ، والمهدي بالبحرين ، يخرج عن قرب ، وأبو طاهر خليفته ، وهو الذي يأخذ الأرض له ، ويكون ملكه بالبحرين . فبادر من أهل الكوفة وسوادها خلق كثير ، وقالوا : نهاجر إلى بلد المهدي قبل ظهوره ، فنقلوا أموالهم وعيالهم ومن منهم ببغداد والكوفة وسوادها يراعون أمر المقتدر ، وينقلون أخباره إلى أبي طاهر بن أبي سعيد .

وقد كان حصل لأبي / طاهر من أموال الحجاج والخراسانية والكوفة والبصرة بيوت كثيرة ، وأطمعه الشيعة ببغداد في السلطان ، وعرّفوه ضعفه ، وأن النجوم تدل على أن أبا طاهر يغلب السلطان ، وأنه يدخل بغداد ويستولي على الملك ، فتجمل أبو طاهر ، وحمل أهله وعياله ، وسار يريد بغداد ، وقال: أنا أدخلها وأدخل دار الخلافة على هذا الحمار ، وأشار إلى حمار أسود كان في كراعه . وسار ونزل ظهراً بالكوفة ، ولقيه ابن أبي الساج فهزمه ، ونادى مناديه إنه سيكون لنا وقعة مع مؤنس الخصي برصافة الكوفة ونهزمه ويستغني أهل الكوفة من ذلك النهب ، وأسير فأدخل بغداد في يوم الثلاثاء ، وفي يوم طش[1] ، واستكتب علي ابن عيسى ، واستعمل على الشرطة أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان . وجلس بظهر الكوفة يقسم قصور بغداد ونزل بطباطبا[2] ، وهي من بغداد على فراسخ يسيرة .

---

(١) يوم طش : يوم يمطر مطراً خفيفاً ـ اللسان .

(٢) انظر الكامل لابن الأثير : ٦/١٨٦-١٨٨ .

وطال انتظار أبي طاهر له ، وكان من ببغداد من الشيعة قد راسلوا أبا طاهر أنه مابقي عند السلطان الا مؤنس الخصي ، وهو الذي يلقاك وهو أضعف من ابن أبي الساج بألف طبقة ، وأنت تهزمه وتدخل بغداد ، فصبر مؤنس ولم يبرح من طباطبا ، وأبو طاهر يراسله : ما انتظارك : وإن كنت رجلاً فابرز ، ومؤنس لايبرح . فسار أبو طاهر وعبر الفرات ، وجاء فنزل بالقرب من مؤنس ، فانقلبت بغداد ، وعبر الكثير من أهل الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي ، الا من كان من الشيعة ، وانحدر كثير منهم وأحدروا عيالهم الى البصرة ، وخرج الى أبي طاهر من أهل بغداد [جماعات] من الشيعة وغيرهم من الكتاب سراً ، وبشروه بضعف السلطان ، وأنهم قد قلبوا له بغداد بالأراجيف ، وقالوا له : بغداد بلد عظيم ، وان لم ترهب أهله بالقتل لم تملكه ، فقال : نبيح المؤمنين القتل فيه ثلاثة أيام ، قالوا : لاتصنع هذا ، ولكن سبعة أيام ، وتنظم جانبي دجلة / بالطالبيين من بني هاشم ، والقراء ، والفقهاء ـ الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ـ فقال : كذا نفعل .

وأظهر من بالكوفة لعن بني العباس والسلف ، وخرج أبو الغيث بن عبيدة العجلي في ثلاثين ألفاً ، وأقام أبو القاسم عيسى بن موسى ختن عيدان في البقية من أصحابه ، وأظهروا الخلاف ، وقالوا : ظهر الحق ، وقام المهدي ، وانقضت دولة بني العباس والفقهاء والقراء وأصحاب الحديث ، وقال قائلهم : مابقي شيء ينتظر وماجئنا لاقامة دولة ، ولكن لإزالة شريعة ، فقيل لهم : ان الخصي[1] قد قطع قنطرة نهر طباطبا ، فقالوا : قد عبر أبو طاهر الفرات أفلا يعبر نهر طباطبا ، وانما هو كالساقية

(١) أي مؤنس .

بالإضافة الى الفرات .

فسار أبو اسحاق ابراهيم بن ورقاء الشيباني الأمير ، وكان رجلاً صالحاً لا يعين السلطان الا فيما يحل ويحسن ، فسار الى الفرات في السماريات(١) ومنع القرامطة من العبور ومن ورود الماء ؛ فضاق صدر أبي طاهر من تأخرهم عنه ، فرحل عن مؤنس ورجع الى الفرات ، وصاعد نحو الرقة يقتل وينهب من ظفر به ، وقد ظن بعض الناس أنه كان يتوقع من بالمغرب (٢) من القرامطة أن يوافيه لوعد بينهم ، فما جاءه أحد ، فرجع الى الأحساء ، وكذبت أخباره تلك كلها ، وكانت لهم من الفضائح ما لا يكاد يحصى .

وكان أصحابه ومن بالكوفة وسوادها له على أحسن طاعة . لا يشكون أنه ولي الله وحجة الله ، فلما رجع بتلك الخيبة ، وقد كذبت أخباره وأقاويله ، أخذ خواصه يلقون الى من معه من البوادي اذا قالوا لهم : قتلنا عيالنا ، واقتسمنا قصور بغداد ، ثم رجعنا خائبين ، وقد قتل ابن أبي الساج صناديدنا وعيون من بقي منا ، فيقولون مرة : لهذا القول وهذه المواعيد باطن . ومرة يقولون : ان في كتب الحدثان والملاحم أنا نرجع ، ومرة يقولون : سرنا بأمر ، وأمثال هذا من الحيل والمخاريق .

/ ثم سار من البحرين الى مكة ، فوصل اليها في عشر ذي الحجة ، وبها الحجاج من أهل الدنيا كلها ، والإسلام أكثر ما كان . فمنعه من بمكة من الحجاج وغيرهم من دخولها ، ونقلوا صناديق البيت الى ناحية دار ابن داوود وحاربوه أياماً ، فلما لم يطقهم ، أظهر أنه جاء حاجا ومتقرباً الى الله ،

---

(١) نوع من انواع السفن .

(٢) اي من في الشام فكل بلد وقع غربي الفرات مغرب .

وأنه لايحل لهم ان يمنعوه من بيت الله ، وانه اخوهم في الإسلام ، واظهروا أنهم محرمون ، ونادوا بالتلبية ، واستدعى من قريش من أهـــل مكة من راسلهم بها ، هو أبو الامام بها والقاضي في يومنا هذا ، فقـــالوا : كيف تكون حاجاً وأنت في عشية وردك الحرم قد قتلت المسلمين ؟ فقال : هذا كان بغير أمري ولا رضاي ، وقد يكون مثل هذا من الأتباع ، ومن معرة العساكر ، ووجه اليه بخاتمه وسوطه ليؤمنهم ، وحلف لهذا القرشي بالأيمان الغليظة أنه قد أمنهم على دمائهم وأموالهم وحرمهم ، وأنه لايؤذى أحداً منهم وأنه ماجاء إلا ليحج ، إلا أصحاب الجند والسلطان فإنه لايؤمنهم وقال : أنا لا أغدر ولا أغر من نفسي ، ولو أردت ذلك لأمنت أصحاب السلطان ثم غدرت بهم ، لكن لا أؤمنهم ، لأنهم يشربون الخمر ، ويلبسون الحرير ، ويعينون السلطان الذى يحجب عنه الرعية ، ويظلم اليتيم والأرملة ، ويشرب الخمر . ويسمع القيان . فازداد الناس به اغتراراً ، وقبلوا أمانه ، وأفرجوا له حتى دخل ، ووضعوا السلاح .

فلما دخل وتمكن وسكن النـــاس ، وثب بهم أغرّ ما كانوا ، وقال لأصحابه ضعوا السيف واقتلوا كل من لقيتم ، ولا تشتغلوا إلا بالقتال ، فلم يزل كذلك ثلاثة أيام ، ولاذ المسلمون بالبيت وتعلقوا بأستار الكعبة ، فما نفعهم ذلك وقتلوهم في المسجد الحرام وفي البيت ، وما زالوا يقتلونهم ويقولون لهم : « ومن دخله كان آمناً »[1] أفآمنون أنتم يا حمير ، أما ترون كذب صاحبكم ، وأمروا من يصعد لقلع الميزاب ، فصعد وهو يقول مستهزئاً : / هو في السماء وبيته في الأرض ، وسلب البيت وقلع الحجر الأسود ، وأبو حفص عمر بن زرقان صهر أبي سعيد واقف حذاء البيت والسيف يأخذ

---

(١) آل عمران : ٩٧ .

الناس ، وهو على فرسه يضحك ويتلو : « لإيلاف قريش » حتى [وصل][١] إلى قوله : « وآمنهم من خوف » قال : ما آمنهم من خوفنا ، ظهر الباطن يا أهل مكة ، حجوا إلى البحرين ، وهاجروا الى الأحساء من قبل ان نطمس وجوهاً ، فنردها على أدبارها .

ثم أمر أصحابه بالنهب ، فجمع شيئاً عظيماً من العين [٢] والورق والجوهر والطيب ، ومن متاع مصر واليمن والعراق وخراسان وفارس وبلدان الاسلام كلها ، وحمل مقدار مائة الف جمل وأحرق الباقي . وسبى من العلويات والهاشميات وسائر الناس نحو عشرين الف رأس ، وسار الى الأحساء ، فكانت حادثة في الاسلام لم يكن مثلها قط ، وأحصوا القتلى عند الدفن فكانوا عشرين الف وثمانمائة ، ولعلك تستكثر مائة الف جمل لما ترى في زمانك من سوء حال الاسلام المسلمين . واذا تأملت الحال في ذلك الزمان استقللتها ، فان الاسلام إذ ذاك قد كان من السعة ما كان، مستولياً على الدنيا إلا القليل ، وكان يسار أهله على حال عظيمة ، وإذا تصورته استقللت ذلك ، وإذا تأملت خراسان وحدها ، والمسلمون يصلون من نواحي الصين ، ثم من نواحي الهند ، وكابل ثم عُمان ، وشحر عُمان [٣] ، ثم اليمن وجزيرة العرب وهي اوسع من بلاد الروم ، ثم المغرب من الأندلس والقيروان ، والمغرب تشبه لكثرة رجالها وجمالها وبلدانها بخراسان . وأما أذربيجان فتشبه من السعة بما يقارب فارس او العراق . وإنما ذكرت ذلك لأننا أردنا ألا نخلي مانقوله من حجة ، وإن كان الناس قد ذكروه .

---

(١) زيد مابين الحاصرتين كيما يستقيم السياق.
(٢) العين : الذهب ، والورق : الفضة .
(٣) الشحر : الشط ، خاصة الضيق منه ـ معجم البلدان .

فلما صار أبو طاهر الى البحرين ، سلم الأمر إلى ذكيرة الأصفهاني المجوسي [١] وجمع الناس بالبحرين وقال : معشر الناس إنا كنا ندخل عليكم بحسب أهوائكم ، مرة بمحمد / ومرة بعلي ، ومرة باسماعيل بن جعفر ، ومرة بمحمد بن اسماعيل ، وبالمهدي . وهذا إلهنا وإلهكم ، وربنا وربكم ، يعني ذكيرة الأصفهاني ، فان عاقب فبحق ، وإن عفا فبفضل ، أظهروا اللعن على الكذابين : آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد معشر الأجمين يعني بالأجمين مسلمين وذمة [٢] ، وعرج على من كان عندهم بالبحرين من سواد الكوفة وأهل الكوفة . وقال : معشر الدعاة والخاصة ، اذكروا ماعندكم ، فذكروا معنى ماجرى بين عبد الله بن ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان وبين محمد بن الحسين بن جهار بختار المعروف ببندار [٣] من اعمال الحيلة على المسلمين والتستر بالتشيع والدعاء إلى المهدى ، فاذا وقع التمكن وصاروا في ملك وسيف أظهروا تكذيب الأنبياء وتعطيل الشرائع ، وقتلوا المسلمين ، مما هو مذكور في كتاب ابن زرام ، وكتاب عطية ، وغيرهما من العلماء [٤] .

---

(١) انظر أصول الاسماعيلية : ١٨٥-١٨٧ حيث عالج لويس هذه القضية ووازن بين مختلف الروايات حولها .

(٢) العبارة في الاصل غير واضحة ، لعل وجه الصواب ما أثبتناه ؟ .

(٣) كذا في الاصل ، وفي المصادر المتوفرة « محمد بن الحسين المعروف بدندان او بزيدان » انظر الفهرس لابن النديم ـ ط. طهران : ٢٣٨-٢٣٩ . أصول الاسماعيلية : ١٣٤-١٣٦ ، ١٥٧-١٦٠ .

(٤) ابن رزام هو أبو عبد الله ، عاش تخميناً في اوائل القرن الرابع للهجرة ، ولعل عطيه هو اخو محسن ، وهو علوي عاصر المعز لدين الله الفاطمي ، ونقل عن ابن رزام ، انظر الفهرس لابن النديم : ٢٣٨ . أصول الاسماعيلية : ٥٦-٥٩ .

فأخذهم ذكيرة بلعن الأنبياء جهاراً في الأسواق ، وتقـدم باحراق المصاحف وبراءة الذمة ممن ترك عنده شيئاً من المصاحف او التوراة والانجيل وجمع هذا كله . وأمر بطرحه في الحشوش ، والاستنجاء به ، ونادى بنكاح الأمهات والبنات والأخوات وذوات المحارم ، وبإباحة اللواط ، وبأن تطعن البهائم في خواصرها الى أن تموت ثم تموت ، وبأشياء كثيرة يطول شرحها ، وهي مذكورة في كتب العلماء ، وقال لهم : تأهبوا فاني سائر الى العراق لاستئصال دين محمد وقتل أتباعه ، فقد انقضت دولته وقد أحييته ثلاث مرات واستتبته من اضلال النـــاس فما تاب . فالعنوه والعنوا الكذابين - يعني الأنبياء - فكانت الأصوات ترتفع بـذلك في الأسواق وقتـل بني زُرقان وبني سلمان ، ومن وجوه عسكره في مدة ثمانين يوماً سبعمائة رجل / ، وأمرهم بأن يعرضوا عليه نساءهم من بيت أبي سعيد وغيره فعرضوهن فاختار منهن من أراد ؛ فكان فيمن اختار زينب بنت أبي سعيـد امرأة عمر بن زرقان وقد كان قتل زوجها ، وكان له منها ابن ، فأمر ذكيرة أبا طاهر بذبحه فأخذه أبو طاهر خاله فذبحه .

ثم بعد مدة ، قال أبو دلف لأم أبي طاهر : إن ذكيرة الأصبهاني قد عزم على قتل ابنك وإخوتك ، وكان لأبي طاهر خمسة إخوة . وهم ولد أبي سعيد . فاتفق قتلهم له نهاراً . فماج القصر لذلك . فقال لهم الحسن بن سُنبَر : أغلقوا باب القصر ، فأغلق ، وأشرف على الناس ، فقال : مالكم اجتمعتم ؟ قالوا : بلغنا أنكم قتلتم الإله ، قال : قد فعلنا ذاك ، قالوا له : ولم قتلتموه ، قال : مازيد أن نذكر لكم السبب في ذلك فأمسكوا ، وقال لهم ابن سنبر : إن شئتم أن تذهبوا فاذهبوا ، فمـــا نعرفكم السبب ، ثم قال لهم : ياقوم لاتفضحونا وأنفسكم ، ولاتشمتوا بنا

المسلمين وبكم ، وارجعوا عن جميع ماقاله لكم أبو طاهر إلى ماكنتم عليه وكنا من قبل ذلك ، من أنا أصحاب المهدي ؛ والدعاة إلى المهـــدي ، والمؤمنون والشيعة ، فإنه كنا نحدث أن ستكـون للمؤمنـين زلة ، وهي هذه ، فالله الله في أنفسنا وأنفسكم ، فمـــا أدخلناكم في شيء إلا بعد أن دخلنا فيه . قالوا : نريد أن نراه إن كان مقتـولاً ، وخافـوا أن لاتكون حيلة من جملة حيلهم وكذبهم الذي كان لأبي طاهر ، ففتحـوا الباب وأدخلوهم ، فرأوا ذكيرة مقتولاً ، وجاءت زينب بنت أبي سعيد امرأة ابن زرقان ، فشقت جوفه ، واستخرجت كبده فأكلتها ، وكانت فضيحة عظيمة ، فقال ابن سنبر لأبي طاهر : فرق المـال في الرؤساء وأرضهم ، فإن هذه سقطة عظيمة سقطناها ، فوجه/أبو طاهر في الليل إلى الرؤساء وتلافاهم ، وخضع لهم ، ولم تكن عادته .

ثم إنه غزا بعد قتل ذكيرة ونهب ، وجاء إلى الكوفـــة ، فصار أصحابه لايمتثلون أمره كما كان ، وقد كانوا لايخالفونه في شيء البتـة ، وكان أي شيء نهبوه أو غنموه يسلموه اليه ولايخونونه في شيء منه ، لأنه حجة الله ، وأن المـال يجبيه للمهدي ، فصار بعد قصة ذكيرة لايعطونه ماينهبونه ، وصاروا يشربون ، ويسمعون القيان ، ويطلبون المواخير ، وإذا جاءهم العرفاء ، وقالوا لهم : هاتوا ماغنمتم ، لم يعطوهم ، وإذا قالوا لهم : السيد يأمركم بكذا ، قالوا : ناك السيد أمه ، وفي است أم السيد فرحل بهم راجعاً إلى البحرين ، فقال العويمل العقيلي وغيره لبني عمهم[1] :

---

(١) يلاحظ أن قرامطة البحرين وسواهم اعتمدوا على القبائل العربية، وكان لحركاتهم الاثر الكبير في هجرة العديد من القبائل الى الشام والعراق والجزيرة ، وكانت قبائل عامر ابن صعصعة من كلاب وعقيل ونمير وقشير على رأس القـــبائل المهاجرة . ولاشك ان طباع القبائل ومفاهيمها كان بعيد الأثر على خطط القرامطه .

ياويحكم ، اعتزلوا هذا الكذاب بن الكذاب فإنه يصير بكم إلى البحرين ويسترهن عيالاتكم ، ويطالبكم بما غنمتم ، ويأخذه منكم ويستعبدكم ، فبلغه قوله ، فأخذه وقيده ، ورجع إلى الأحساء ، فقتل من أصحابه وثقاته نحو أربعمائة ، وأقام بالأحساء وقال : قد نهيت عن الغزو ، وأمرت بعمارة الأحساء ، فأخذ المسلمين الذين أسرهم واستبعدهم بالعمارة ، وأقام مدة ، ثم غزا وأقام ناحية من الكوفة ، ووكل بالعسكر من يراعيه لئلا يدخل اليه غريب ، وطمع أن يعود أصحابه كما كانوا ، فما فعلوا ، ودخل على أهل السواد من الكوفة ، ومن كان يلتجيء اليه من المتشيعين من الحزن والفضيحة ، وشماتة الأعداء ما قتلهم حزناً .

وكان مثل عيسى بن موسى ختن عيدان وأصحابه وأمثاله ، يعاتبون أبا طاهر وأصحابه بينهم سراً ، فيقول لهم : ما الحيلة ، ما اخترنا هذا لأنفسنا ، وقولوا لنا من كان من أهل هذه الدعوة لم تكن له سقطة وفضيحة .

ألم يفتضح المنصور بن حوشب / بعدن لاعة ، ألم يفتضح علي بن الفضل بجيشان [١] ، ألم يفتضح سعيد [٢] بسجلماسة ، حتى شيخ المشائخ أبو موسى هرون وهو شيخ الشيعة [٣] ، قال لسعيد في وجهه : ويلك ، أنت الناوي لا المهدي ، تزني ، وتلوط ، وتشرب الخمر ، وتكذب ، وتغدر ،

---

(١) سنأتي على ذكرهما في النصوص المقبلة .

(٢) يريد به المهدي عبد الله أول خلفاء الفاطميين .

(٣) المشهور أن هذه الحادثة وقعت للمعز لدين الله ، بعد انتقاله الى مصر ، ثم إن الحديث عن شيخ مشايخ للشيعة في المغرب هو ضرب من الوهم . انظر نهاية الارب للنويري قسم اخبار الخلافة الفاطمية نسخة مصورة لدي : ٤٣ . أخبار الدول المنقطعة لعلي بن طاهر الأزدي ـ نسخة مصورة لدي : ٤٨ .

وتسفك الدم ، ويلك ، أي شيء أنت ، وابن من أنت ؟ قال : قد قال لكم أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الكوفي [1] الداعية أني أنا المهدي ، فجاءوا بأبي عبد الله ، فقالوا له : هذا هو المهدي ؟ فقال : لا ، فقال له سعيد : ألم تقل لأهل العسكر بسجلماسة : هذا هو المهدي الذي كنت أدعو اليه ، فأقبل أبو عبد الله على أبي موسى والجماعة فقال : ياهؤلاء غلطت كما يغلط الناس ، أنا رجل من أهل الكوفة من الشيعة ، وكنا نذهب إلى إمامة موسى بن جعفر وولده ، فرجع ابن حوشب ورجعنا لما مات الحسن العسكري [2] ، ووقع علينا من دعانا إلى إمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر ، ولقيت الامام من قبل محمد بن إسماعيل بالكوفة ، وودعته وخرجت إلى ابن حوشب باليمن ، وبين يدي الامام بالكوفة غلامان ، فقال لي حين ودعته : يا أبا عبد الله ، هذان إماماك ، فمن دعاك منهما فأجبه ، فخرجت إلى اليمن ، ومنها إلى مكة ، ومنها اليكم إلى المغرب .

وبلغنا أن الامام قد مات وخلفه ولده ، وكانت الكتب تأتيني من هذين ، وفيها بعض العلامات التي كانت بيني وبين الامام ، فظننته المهدي وماهو بالمهدي ، ولكنه رجل سوء ، كذاب ، شرير ، عدو الله ، وعدو رسوله ، وعدو أهل بيته ، وعدو الشيعة ، وعدو المهدي ، فوافق سعيد أبا عبد الله على غدراته وأكاذيبه وماكان له في كتامة ،

---

(١) كذا وهو مشهور بالصنعاني اكثر من الكوفي . انظر رسالة افتتاح الدعوة ط. بيروت : ٥٩-٦٣ . عيون الاخبار للداعي ادريس : ٥/٤٤-٤٦ . اتعاظ الحنفا : ١/٥٥ .

(٢) الامام الحادي عشر لدى الشيعة الامامية الاثنا عشرية وكانت وفاته سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م .

وتشاتما وانفرد سعيد ومعه الأموال ، وأعمل الحيلة . وقتل أبا عبد الله/ وشيخ المشائخ .

وقام أبو العباس زكريا محمد بن أحمد بن زكريا أخو أبي عبد الله ، وكان أجل منه وأخص بسعيد وأعلم بالدعوة ، فنادى على سعيد بأنه كذاب عدو لرسول الله ﷺ وأهل بيته ، وواقفه وتشاتما ، ومازال ينادي عليه برقادة وأرض المغرب إلى أن دس عليه من قتله .

وقام أبو زاكي تمام بن معارك[1] ، وكان أخص الناس بسعيد وأوثقهم عنده ووجهاً في الشيعة ، فما زال ينادي : احذروا هذا الشرقي الكذاب فإنه لادين له إلى أن بذل سعيد الأموال في العبيد والجهال إلى أن قتل أبا زاكي وأصحابه .

أو ليس حين مات سعيد وقام ابنه[2] قد رجع عنه خاصته ، وقالوا هذا أكفر من أبيه ، أو ليس قد أظهروا بأرض المغرب شتم نبي العرب وأصحابه فقالوا : العنوا الغار ومن حوله ، العنوا عائشة وبعلها ، ولعنوا جميع الأنبياء وأظهروا الباطن كله ، وبعثوا الدعاة ، فدعوا إلى سعيد أنه إله حق ، وأنه خالق رازق ، وأنه هو الذي فتق ورتق وأمات وأحيا ونكحوا البنات ، حتى كان مثل أبي الأسود وأبو طلحة من الدعاة قد نكحوا بناتهم ؛ حتى ذهبت الشيعة إلى أبي يزيد مخلد بن كيداد ، وهو

---

(١) كذا وهو يتعارض مع الروايات المتداولة من اسماعيلية وغير اسماعيلية . انظر رسالة افتتاح الدعوة : ٢٥٩ - ٢٦٠ . عيون الاخبار : ٥/١١٦ - ١٢٤ اتعاظ الحنفا: ١ / ٦٧ - ٧٠ .

(٢) المقصود هنا القائم ، انظر ماسلف وذكرناه عن العلاقة بين القائم والمهدي .

من الشراة [١] وشكوا اليه ذهاب الإسلام بهؤلاء المشارقة [٢] ، وقالوا : هذا وإن كان من الشراة فليس ينكر الربوبية ولا يكذب الرسل ولا يلعن الأنبياء ومعه حفظ الأموال ، فساروا معه إلى ابن سعيد بعد موت أبيه فأنفذ إليه ابن سعيد عسكراً بعد عسكر ، فما زال يهزمهم إلى أن وافى باب المهدية فأغلق بابه دونه ، فأخذ الحلقة بيده وهو شيخ كبير لا يمكنه لعجزه وكبره أن يركب فرساً ، فكان يركب حماراً [٣] ، فحاصر ابن سعيد في المهدية مع عساكره فمات في حصاره/فرقاً منه .

وقام اسماعيل ابنه من بعده ، وحاصرهم صاحب الحمار حتى أكلوا براذينهم ، وحتى ذلوا له وخضعوا ، وقد دوخهم خمس سنين ، واستولى مع عجزه وضعفه على أكثر ممالكهم ، إلى أن تمت حيلته عليه .

وأعان أبو الحسين بن عمار اسماعيل [٤] - القائم الثالث منهم - على أبي يزيد حتى ظهر عليه ، فلما خرج أظهر اسماعيل الرجوع إلى الاسلام وقتل الدعاة ، ونفى بعضهم إلى أرض الأندلس وغيرها . فقال للعامة : من سمعتموه يلعن الأنبياء فاقتلوه وأنا من ورائكم ، وأذن للفقهاء والمحدثين ، وخضع للعامة ، وزعم أن الذي كان من الدعوة ومن النائحة [٥] والمنشدين كان بغير علم أبي ولا علم جدي ، وخفف الخراج ، وأظهر الشغل بالفقه .

---

(١) من أسماء الخوارج ، وسبق أن ذكرنا انه كان من أباضية إفريقية النكاريين .

(٢) عرف أبو عبد الله الداعي ، والمهدي وآله ومن انضم الى الفاطميين من المشرق باسم المشارقة .

(٣) كذا وفيه مافيه .

(٤) كذا في الاصل ، وعرف اسماعيل بلقب المنصور وهو ابن القائم .

(٥) النوح والانشاد يتم في مناسبات شيعية كثيرة مثل ذكرى كربلاء وسواها ، هذا وفي رواية القاضي عما كان من المنصور ما لا يمكن تصديقه . انظر اصول الاسماعيلية : ١٨٤

فسقطات غيرنا من أهل هذه الدعوة أكثر من سقطاتنا ، أم تظنون أنا بالبحرين لانعرف أخبار إخواننا وأهل دعوتنا بالمغرب واليمن والعراق ، فكانوا يحتجون بمثل هذا على من عذلهم من إخوانهم في إظهار الباطن ، وكان الدعاة مثل أبي القاسم عيسى بن موسى ، وأبي مسلم بن حماد الموصلي وأبي بكر أخيه ، وأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي الكلابي [١] وغيرهم يحدثون أسفاً وحسرة بما أتاه أبو طاهر من كشف الدعوة ، حتى سقطت هيبته واستخفت العرب به بعد ذلك التعظيم ، وحتى كان أبو طالب بن عيسى بن موسى وأمثاله يقولون إذا ذكروا هتيكة أبي طاهر : لعنك الله ويلك ، لم سلمت الأمر إلى ذكيرة الأصبهاني . ويلك ، ألا مضيت على غرتك ـ وقد ظن الناس أنك المهدى ، وفيهم من ظن أنك فوق المهدي ، ويلك ـ إلى بخارى قدماً ماردك أحد . لعنك الله ، وصلى الله عليك يامحمد .

لايلعنون أبا طاهر براءة منه ، ولا/يصلون على النبي ﷺ موالاة له وتصديقاً بنبوته ، ولكن يذهبون إلى أنه وإن كان كذاباً محتالاً مثل أبي طاهر والذين بالمغرب ـ وحاشاه ﷺ من قولهم ـ فما افتضح مثل فضائحهم ، ولقد رجع أبو الغيث العجلي عنهم ، وكان نابأ من أنيابهم ، ومطاعاً في عشيرته ، وكانوا نحو ثلاثين ألفاً ، وكتب في ذلك كتاباً بين فيه أنه تموّه أمرهم عليه ، وظنهم شيعة وأصحاب المهدي ؛ ورجع غيره من رؤسائهم ممن قد ذكره ابن رزام من المراتب الخمس ، وفي الكتاب الكبير ، وذكرهم غيره .

---

(١) توفي حوالي سنة ٣٢٢ هـ ، وهو صاحب كتاب الزينة ، منشور .

ولقد بلغ الأمر بأبي طاهر أنه كان بعد ذكيرة يغير على الحاج ، وعلى بلدان المسلمين ، ثم يجيد بالعرب أن يعطوه شيئاً مما يأخذونه ، كما كانوا يفعلون من قبل ، ويقول : هذا مال المهدي ، فإن لم تعطونا كله ، كما كنتم ، فهاتوا بعضه ، فيقولون له : أتأمنا إن أعطيناك مناعتنا وقد عرفناك ؟ فلما رأى استخفافهم به ، بعد الكرامة ، قال : لاوجه لما أنا فيه ، أقتل المسلمين وأنهبهم ويذهب هؤلاء بالمال ، فجاء إلى الكوفة ، وآمن الناس ، ووجه الى الراضي بعد المقتدر وبعد القاهر ، [1] وكان هذا الراضي من الضعف وحجر بجكم والأعاجم عليه على حال قبيحة [2] ، وقد تفرقت الجنود عنه ، وأخذت الأموال منه ؛ فوجه اليه يطلب منه مالاً يعطيه ليخدمه ويبذرق الحاج [3] ، ففعل الراضي ذلك ، وأعطاه مالاً معلوماً وقال أبو طاهر هذا أربح لي ، آخذ هذا المال وأعطي بعض اصحابي وأعواني وأفوز ببعض . وكان العقلاء يعجبون ويعتبرون ، ويقولون عظم أمر أبي طاهر حتى ادعى قوم أنه إله ، وادعى آخرون له أنه نبي ، وادعي قوم أنه المهدي ، واقل ما ادعي له أنه ثقة المهدي ، وسيف المهدي ، واستقلوا له ملك الأرض ، وماشك الشيعة أنه يملكها ، وأظهروا / الروايات له بذلك ، وأنه مذكور في اللاحم ، وفي كتاب الحدثان وأنه حجة الله وصاحب حجة الله والمهدي المنتظر الذي يملك الأرض كلها ، وطمع في ذلك أشد الطمع ، وكان السلطان في زمانه مقصراً لايعرف من التدبير قليلاً ولا كثيراً ، وقد

---

(١) بويع للراضي بالخلافة بعد خلع القاهر في ٥ جمادى الاول سنة ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م ولم يزل خليفة الى أن توفي في ربيع الاول سنة ٣٢٩ هـ/ ٩٤٠ م .

(٢) بجكم الديلمي من امراء الجند أيام الراضي ، ومن كبار الذين تحكموا بالخلفاء .

(٣) البذرقة : فارسي معرب ، بمعنى الخفارة ، يقال : بعث السلطان بذرقة مع القافلة ـ اللسان .

قلد الخلافة وله اثنتا عشرة سنة مختلياً بالنساء ؛ كتابه وعماله وخاصته تغلب عليهم التشيع يظنون أبا طاهر من الشيعة ؛ فكانوا أعوانه على السلطان فخذله الله حتى صنع مع ذكيرة ماصنع ففضحه الله بلسانه ، ثم عاد فقتل ذكيرة ورجع عما كان عليه ، ثم لم يزل خذلان الله به حتى جاء الى الراضي وتلك حاله يطلب بذرقة الحاج منه ، وسأله أن يستخدمه في ذلك ، وضمن كل ما يجري على الحاج ، وخرج اليه الى الكوفة ابن مقاتل[1] صاحب ابن رائق[2] ووافقه على بذرقة الحاج بعد ان وبخه على ما كان منه ، فأنكر أن يكون ماجرى باختياره ، وأن البوادي كانت تفتات عليه ولا تطيعه ، وان السلطان قصر في أمره ، وقد كان ينبغي له أن يعرف مكانه ويعطيه مايرضي البوادي ، ويستخدمه ويجعله أحد صنائعه ، فقال الحجاج: لانسير معه ولا نثق به ولا كرامة له . فأقام السلطان أبا علي عمر بن يحيى العلوي أميراً عليهم ، يسير أبو طاهر مع أصحابه بسيره وينزل بنزوله ، ولا يكون له على أحد من الحاج امر ولا نهي . واذا تصورت حال أبي طاهر وكيف كانت والى أي شيء صارت ، حتى يرغب الى الراضي – وهو اول من زالت دولة بني العباس في يده ، واخذت الأموال منه ، واجرى له مقدار الكفاية ، وزال أمره عن تدبير الجند وعن الولايات ، وهو أول من حجر عليه منهم – في أن يستخدمه في بذرقة الحاج بشيء يعطيه ، علمت ان ذلك

---

(١) هو محمد بن علي بن مقاتل ، وقد أعطى القرامطة المال سنة ٣٢٧ . انظر أخبار الراضي من اوراق الصولي : ١١٩ .

(٢) هو محمد بن رائق ، أبو بكر ، ولاه الراضي إمرة الأمراء والخراج سنة ٣٢٤هـ وتوجه الى الشام فحارب الاخشيديين ثم عاد الى بغداد فشارك في الصراع السياسي ، ثم اضطر الى الهرب فالتجأ الى ناصر الدولة الحمداني صاحب الموصل ، وقد قام ناصر الدولة بقتله غيلة . انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٣٦٠ .

آية من آيات الله العظام ، فقد / كان أثخن في الاسلام ، وأخرب منازل الحاج ، وقد كانت في الأمن والعمارة كالأسواق القائمة ، ولعل قتلاه أكثر من قتلى بابك[1] وصاحب الزنج[2] ، وكانت هيبته قد ملأت القلوب حتى كتب ملك الروم الى السلطان كتاباً يظهر له الشماتة بأن أبا طاهر القرمطي قد أبادكم وأفناكم وشغلكم عن غزونا وأراحنا منكم ، وقصد بيت عبادتكم فقتل زواره ومن يعظمه ، وأنزل بدينكم كل هوان ، وكان العامة ومن ليس هو من الدعوة إذا سألوا اصحاب أبي طاهر عما أتاه في باب ذكيرة لايجيبون بل يقولون إنما سلم الأمر اليه ليمكر به ولينظر ماعنده ، وصبر عليه وعلى ما أتاه ليعرف آخر أمره ، فكان لتسليمه باطن غير ما ظهر للناس ، وهذا أعجب مايكون من فضائح المبطلين وبهتهم . وهذا ما لا يعجز عن إدعائه أحد ، فانهم قد افتضحوا وتقطعوا ندماً ، وانصرفت عنهم عقيل لهذه الفضائح ، وهانوا على جندهم بعد الكرامة ، وسقطت أقدارهم البتة ، ثم يبهتون هذا البهت .

وهذا كقولهم لو قالوا : ان خادم العباس بن عمرو الغنوي ماوثقنا به ولاسكنا اليه ولا وثق به أبو سعيد ، ولا ائتمنه ولا سكن اليه وإنما تركناه وقتل أبي سعيد وتلك الجماعة الذين قتلهم في الحمام لننظر ماعنده وليظهر آخر أمره[3] على علم منا بما سيأتيه ويفعله ، وأن ما أتاه الأصفر[4] من

(١) بابك الخرمي ، خرج في أواخر عهد المأمون وقضي على حركته في أيام المعتصم . انظر تاريخ العرب والاسلام : ٣٠٨ - ٣١٠ .

(٢) من أجل ثورة صاحب الزنج انظر تاريخ العرب والاسلام : ٣٠٨ - ٣١٠ .

(٣) في هذا إشارة الى احدى الروايات عن مقتل أبي سعيد الجنابي . انظر أيضاً الكامل لابن الأثير : ٦/١٧٤ - حوادث سنة ٣٠١ هـ .

(٤) سلفت الاشارة الى أن الاصفر كان من زعماء المنتفق وقد حارب القرامطة سنة ٣٧٨ هـ ، وجدير بالملاحظة أن الأصفر نعت وليس باسم ، والمنعوت بهذا الاسم هو نوع من أنواع المهديين في الاسلام .

قتل رجالنا ومنعنا من التصرف في البلاد والخروج لأخذ ضريبة الحاج وحصاره إيانا في الأحساء ليس عن عجز منا ولا لجهل منا بما كان منه قبل أن يكون وإنما تركناه على علم وقدرة ليظهر كل ماعنده ولكل أمر باطن .

/ أو كمن قال : إن الأصفر لم يصنع بهم هذا الصنيع عداوة لهم ، فكذا ماصنعه ابن أبي الساج ، وإنما أراد الأصفر ان يتحنهم بذلك ، ولهذا باطن وهذا خلق لأهل الدعوة حيث كانوا من مشرق الأرض ومغربها ، فإنهم متى افتضحوا ومتى بان كذبهم قالوا : لهذا باطن .

فقد كان سعيد أنفذ الجيوش في سنة اثنتين وثلاثمائة الى مصر وقال: تفتحونها وأنا في إثركم ، وكانت خالية ليس فيها الا القاسم بن الاخشيد الفرغاني في سبعة آلاف ، وعسكر ابن سعيد الذي ورد به الى مصر في نحو مائتي الف ، فهزمهم القاسم وردهم ، فرجعوا في سنة سبع وثلاثمائة في ثلاثمائة الف . وقال : تفتحونها ، فرجعوا منهزمين وكان ابن سعيد رئيس الجند ، وغزويه بن يوسف الكبير المدبر ، وهو يعجب من رجوعهم وقد قال تفتحون فقال: لهذا القول باطن فأخذ ابن يوسف هذا وقتله[١] .

وقد كان الرابع منهم لما ملك مصر والشام قال : الآن أملك الدنيا كلها وكان له برذون أشهب يقال له عين الفضة ، فقال : على هذا أدخل قسطنطينة وقال : انا لاأعطي اهل الأحساء عن الحاج ضريبة ، كما كان كافور الخصي الأسود قبلي يعطيهم ، فان خالفوني وجهت بكتامة فشدوا براذينهم على ابوابهم بالأحساء ، وساوم صاحبه وصاحب جيشه في ثياب بياض ، ثم قال : وهذه تجاب من نيسابور ، والى هناك نصير ، فنشتريه من معدنه ، فجاءه ولد أبي سعيد[٢] ، وأخذوا الرايات السود من بغداد ، وعليها الامام المطيع لله أمير

(١) انظر اتعاظ الحنفا : ٦٩/١ .

(٢) أي الحسن الأعصم وأصحابه، وقد سلف ذكره وسيلي كثيراً .

المؤمنين ، وكانوا في جيش قليل ، وأخذوا الشام منه ، وقتلوا ابن فلاح صاحبه [١] ، وقالوا له : ماتحتاج أن تنفذ / بكتامة الى الأحساء فقد جئناك ، فراسلهم وداراهم ، وقال لهم : لم رضيتم لأنفسكم ان تسيروا تحت الرايات السود وتقيموا الدعوة لبني العباس ؟ قالوا له : قد كان ينبغي ألا تمخرق علينا ولا تتكلم فينا ، ونحن نعرفك ونعرف أباءك ، فما زال يراسلهم ويتضرع اليهم ويقول : الدعوة واحدة وهذا البيت وبيت أبي سعيد سواء ، فساروا اليه الى مصر وضيقوا عليه ، فخندق على نفسه وبذل الأموال ، وبذل المال للبوادي ، فأخذوا سوادهم وانهزموا من باب مصر ، وأسر ابن المنجا [٢] وجماعة منهم ؛ فأكرمهم وصانهم وخلع عليهم وردهم الى الأحساء وأعطاهم أكثر مما كان يعطيهم كافور ، وقتل من كان في عسكرهم من السوقة والباعة وهم الوف كثيرة ، وقال لولد أبي سعيد: أنا مامنعتكم إنما منعكم هذا العبد جوهر ، وتقرب اليهم ، وذكرهم أن الدعوة واحدة وما ينبغي أن نختلف فيشمت بنا المسلمون ، ومازال هو ومن بعده يحمل اليهم المال الكثير ، والبر الكثير الى ان حاصرهم الأصفر ومنعهم ، ووافى ملك الروم لعنه الله فنزل الشام [٣] .

واتفق موت البرذون عين الفتنة ، وغا الخبر الى ابن الزيات [٤] وهو

---

(١) أي جعفر بن فلاح ، وقد سلف حديث مقتله .

(٢) من أعوان الأعصم المقربين .

(٣) في هذا اشارة الى حملة الامبراطور البيزنطي يوحنا تزيكس (ابن الشمشقيق) على الشام سنة ٣٦٣هـ ، والتي وصل بها الى أحواز دمشق . انظر ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي : ١٢ - ١٣ .

(٤) أبو بكر بن الزيات زعيم مدينة طرسوس الثغرية ، وقد صالح الامبراطور البيزنطي وسار معه الى الشام . ابن القلانسي : ١٢ .

بالشام فكتب اليه : قلت إنك تدخل القسطنطينية على عين الفضة ، وقد مات وبينك وبين القسطنطينية مسيرة ستة أشهر ، وملك الروم فقد نزل بالشام وبينك وبينه مسيرة عشرين يوماً ، وقد قرب الأمر عليك فالحق ، فترك الجواب عن هذا وكتب الى ابن الزيات : أنت رجل فاضل كامل ، أضعتك وأسأت اليك ، وأنكرت فضلك ، وما أدري كيف أعتذر اليك ، وأنا من أحوج الناس اليك ، وما هذا / سبيله من الملاطفة . وإذا طالبت خاصته والدعاة له بتلك الأقوال وبينت لهم كذبها وخلفها قالوا : تلك الأقوال لها باطن .

وعند الخامس[1] منهم من أهل خوارزم والمولتان[2] وغيرهما زوار كثير قد جاءوا بالأموال والهدايا ، وهم محجور عليهم وموكل بهم ، ومع هذا فقد تبلغهم ماهناك من الفواحش والإباحات ، فربما استفهم الواحد بعد الواحد من هؤلاء الزوار ، فيقال له : لهذا باطن ، وربما قيل لبعضهم : إنما يفعل هذا مولاكم عمداً ليريكم ويمتحن صبركم ، فأمسكوا ولاتتكلموا ثم لايؤذن بالرجوع لأهل الفطنة منهم .

وقد كان سعيد وهو بالمغرب ، قد جعل الرصد على من يرد ويصدر بباب البلد فيعرف أخبارهم ، فمن كان من الرسل والدعاة الذين يريدهم فلا يدخلهم إلا ليلاً ملثمين في هوادج وإن كانوا جماعة ، فرق بينهم ، وأنزلهم ووكل بهم ثقاته ، وأخرجهم كذلك ، لئلا يقفوا على شيء من أمره ، ويدس اليهم من يحدثهم من أخباره بما يرد ، ويبرهم ويصلهم ويخلفهم ويخرجهم في الاستخفاء كما دخلوا ، ويردهم إلى النسفي وأبي حاتم الرازي وابن حماد[3] ، فتأمل حال هؤلاء وهم في الأطراف ، وقد تستروا

---

(١) أي العزيز حكم مابين : ٣٦٥/ ٩٧٥ م – ٣٨٦/٩٩٦ .

(٢) المولتان بلد في بلاد الهند على سمت غزنة – معجم البلدان .

(٣) انظرهم في الفهرس لابن النديم : ٢٤٠-٢٤١ .

بدين الإسلام وأقاموا المؤذنين ، فكل من يستدعونه في أول أمره يقولون له : لسنا كالإمامية أصحاب موسى بن جعفر الذين يقولون : الصلاة إحدى وخمسين ركعة ، الذي يجب عليك عافاك الله ثلاث وسبعون ركعة في في اليوم والليلة . وتؤدي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، وتؤدي الأمانه ، وتحصن فرجك ، وماتحل لك المتعة كما تحله الرافضة ، وتجتنب الكذب والزنا والربا واللواط ، / ولاتشرب شيئاً من المنكر ، ومالك في شيء من هذا رخصة البتة ، وإذا كان عند الداعية أحد من المريدين ممن لايعرف حقيقة الدعوة يصلي الداعية بحذاءه الليل والنهار . ومع هذا فقد عرف أهل العلم حقيقة الدعوة فكيف بأمر النبوة وهو من الأمور المكشوفة . ولو أخذت تحصي فضائح هؤلاء في كل زمان مع هذا التحفظ لطال ، وينبغي أن تعنى بأمورهم ، فليس هاهنا من يطعن في النبوات سواهم كما قد تقدم لك ودعاتهم اليوم مثل جابر المنوفي ، وابن جبلة ، وابن الكميت ، والحسن بن محمد الميمذى [١] ، يقولون لمن قد بلغوا به أما ترون أتباع هذا الفاعل الصانع - يعنون رسول الله ﷺ - اليوم أربعمائة سنة ، قد أقاموا على شريعته مايفارقونها ، ماذا يرون فيها الخير ، وقد كدّهم بالصلاة والصوم والحج والجهاد ، أما يفطنون أما يفيقون [٢] .

والعجب ممن ذهب عنه ﷺ مع ظهور أعلامه وانكشاف براهينه ،

---

(١) لاتملك في المصادر المتوفرة معلومات عن هؤلاء الدعاة ، ولإشارة القاضي لهم أهمية كبيرة بسبب المعاصرة .

(٢) يمكن أن نرى في هذا مقدمات ماحصل في أيام الحاكم بأمر الله من اعلان قيامة عظمى - أي الغاء الشرائع القائمة - لاستبدالها بديانة جديدة هي التي ستعرف باسم الدرزية . انظر الحاكم بأمر الله في كتابي مائة أوائل من تراثنا ص: ٤٦١.

ولو كان لهؤلاء فطنة ، ومعهم تدبر لكفتهم أنفسهم وأحوالهم في معرفة صدقه ، فانهم مع اعتصامهم به وتسترهم باقامة شريعتــه ، والانتساب إلى أهل بيته ، ومع الأيمان والمواثيق ، يفتضحون في كل طرفة عين ، وهو ﷺ قد جاء ذلك المجيء وأعداؤه منذ أربعمائة سنة يطلبون عثرة له وزلة فلايجدونها ، وهو كما يقال : قد كان ينبغي أن يكون أصحاب الطب من أخشى خلق الله وأعرفهم به لكثرة مايرون من الشدائد النازلة بالنــاس وبأنفسهم ثم قل مايغني طبهم عن أنفسهم وأعزتهم ، ولكــن قــد سبقوا إلى الاعتقادات الباطلة والتقليد للرجال ، فتركوا النظر ، وقلت عبرتهم فتبلدوا وتحيروا ، فتاهت عقولهم ، وماتت / فطنهم ، فنعوذ بالله من طول الغفلة وموت على غرة ، وقدوم على حسرة ...

[في ذكر كبار أئمة الشيعة في زمان صاحب الكتاب][*]

وفي هذا الزمان منهم مثل أبي جبلة إبراهيم بن غسان ، ومثل جابر المنوفي ، وأبي الفوارس الحسن بن محمد الميمذي وأبي الحسين أحمد بن غسان ابن الكميت ، وأبي محمد الطبرى ، وأبي الحسن الحلبي ، وأبي يتيم الرلباي وأبي القاسم النجاري ، وأبو الوفاء الديلمي ، وابن أبي الديس ، وخزيمة ، وأبي خزيمة ، وأبي عبد الله محمد بن النعمان ، فهؤلاء بمصر وبالرملة وبصور وبمكا ، وبعسقلان ، وبدمشق ، وببغداد ، وبجبل السماق . وكل هؤلاء بهذه النواحي يدعون التشيع ومحبة رسول الله ﷺ وأهل بيته ، فيبكون على فاطمة وعلى ابنها المحسن الذي زعموا أن عمر قتله[1] ، ويذكرون لهم تبديل القرآن والفرائض ، ويذكرون ماقد تقدم ذكره ، ومادعواتهم في التشيع ومحبة الرسول ﷺ وأهل بيته وماقولهم : من أن خلافهم له وقتالهم إنما هو لعدوانه ﷺ وللشك في نبوته ، ويقيمون المنشدين والمناحات في ذلك ، ويأخذون على الناس العهود ، ويحلفونه بالأيمان.

(*) استعير هذا العنوان من حاشية الاصل .

(١) تذهب المصادر الشيعية ، خاصة الاسماعيلية منها ، الى أن فاطمة الزهراء كانت حاملاً حين استخلف أبي بكر ، وأنها حرضت زوجها على الامتناع عن البيعة ، لهذا جاء عمر ابن الخطاب مع عدد من أعوانه واقتحم بيتها ، وضربها مما سبب اجهاضها ، ثم كان ذلك سبباً لوفاتها ، وفي هذا يقول القاضي النعمان في الأرجوزة المختارة ط. مونتريال ـ ٧٩ :

فجاءهم عمر في جماعة	إذ لم يروا لمن أقام طاعه
حتى أتوا باب البتول فاطمة	وهي لهم قالية مصارمة
فوقفت عن دونه تعذلهم	فكسر الباب لهم أولهم
فاقتحموا حجابها فعولت	فضربوها بينهم فأسقطت

الغليظة ، فاذا حصلوا كذلك قالوا لهم : إياكم ومجالسة الفقهاء ، واستماع الحديث من أصحاب الحديث ، واستماع القرآن من العامة ، وعليكم برواية الخاصة ، فقد قال جعفر بن محمد كتابة : حديث العامة يعمي القلب ، واياكم وفقه أبي حنيفة ، ومالك ، والثوري ، والحسن البصري ، وأمثالهم فانهم كفرة وأعداء أهل البيت ، والرشد كله في خلافهم ، وإذا عمي على أحدكم الصواب فلينظر ما عليه الفقهاء ، فيعمل / بخلافه فانه يصيب الحق .

ثم يأخذونهم في مجلس يسمى مجلس التغذية بأن لكل شيء باطناً علمه عند مولاكم العزيز بالله ، يظهره لكم إذا ترقيتم الدرجات في طاعته ، ثم يأخذونهم بأن يقولوا لهم : لم صلاة الصبح يجهر بها والظهر لايجهر فيها ، ولم خرصة سعفة النخلة طويلة ، وورقة الكرم مستديرة ، وورقة الموز طويلة عريضة ؟ فاذا سألوهم الجواب قالوا لهم : أنتم من غير المجربين ومن المبتدئين ، والمبتدىء كالطفل يغذى باللبن ، ثم بعد اللبن بما هو أقوى منه ، ويقولون لهم : أليس قد قال الله : « حرمت عليكم الميتة »[١] ونحن وأنتم لانأكل لحم الذبيحة حتى تموت ، ولانأكل السمك حتى يموت وإنما معنى هذا أن النبي ﷺ قد مات وحرام أن تقام شريعته ، وينبغي أن يمتثل أمر العزيز مولانا الذي هو حجة الله ، وهذا علم الخاصة ، ولكن الفقهاء الحير وأهل الظاهر لايعرفون هذا ، لذهابهم على إمامهم ولي الله وحجة الله على خلقه .

ويقولون لطائفة أخرى : ماعليكم صلاة مادام في الدنيا لكم عدو يمنعكم من التمكن في الأرض ، فان الله يقول : « الذين إن مكناهم في

---

(١) المائدة : ٣ .

الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »[١]
ويقولون لآخرين : الصلاة شخص ، والصلاة عذاب على أهل الظاهر ،
ويرقون بالناس بحسب طبقاتهم واحتمالهم للشك والحيرة ، وهذه مجالس
الترقية كما هو مذكور لهم ، ومرسوم في البلاغ السابع والناموس الأعظم
ثم يرقون بمن يثقون به : بأنه لايحرم عليه أمه ولا ابنته ولا أخته ، ولاخمر
ولاخنزير ولازنا ولا لواط ولا ربا ، ولاشيء البتة ، وأنه لايحل لك أن
تمنع أخاك ، ومن هو مثلك في البلاغ السابع / والعلم الباطن من زوجتك
فانها تحل له كما تحل لك ، والاشتراك في الزوجات كالاشتراك في الطعام
والكريم هو الذي[٢] تنكح زوجته بحضرته كما يؤكل طعامه بحضرته [٣] ،
وقد قال افلاطن : الغيرة شح في الطبيعة .

فيقال لهؤلاء الدعاة : قد ادعيتم على رسول الله ﷺ وعلى إخوانه
من الأنبياء أنهم كذابون محتالون طلاب دنيا ورئاسة ، ونحن فقد ذكرنا
لكم مجيئه وسيرته وطرفاً من آياته وأعلامه ، وأن أهل الأرض بأسرهم
قد خاصموه وطلبوا عثرة تكون له فما وجدوا ، ولو كان كما قد ادعيتم
لكانت سبيله سبيل أئمتكم ، فقد علمتم حال سعيد ، [٤] الذي زعم أنه
ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان بن

---

(١) الحج : ٤١ .

(٢) جاء في الأصل بعد كلمة الذي « هو » وقد حذفناها لأنها زائدة .

(٣) وصلنا عدد لابأس به من كتب التأويل وعلم الباطن ، فيها نذر يسير مما ذكره القاضي عبد الجبار هنا ، لكن قطعاً ليس فيها ماقاله من شتائم وحملات على النبي كما أنها خالية من أمور تحليل الزوجات والاصول وغير ذلك ، مما لاشك فيه أنها تهم باطلة ، حمل القاضي على قولها شدة تعصبه ، فالتعصب يلغي العقل ، ويزيل المنطق ، ويعمي البصر والبصيرة . . .

(٤) جاء في حاشية الاصل : « ابتداء ظهور الفاطميين في المغرب بدعوى التشيع ».

سعيد الغضبان الخرمي ، وأبو القاسم بن الأبيض العلوي ، وغيره من أهل هذه الدعوة يزعمون ان سعيداً هذا ليس هو ابن الحسين ، وإنما هو ابن امرأة الحسين هذا ، وأبوه يهودي حداد من أهل سلمية من أرض الشام وأن الحسين لما تزوج بأمه حظيت عنده ، فأحب ولدها سعيداً هذا ، وإنما رغب فيها لفرط جمالها وكمالها .

وكان سعيد ابنها هذا يشبهها في الجمال ، وكان له ذكاء وفطنة ، فتولى الحسين زوج أمه تربيته وتعليمه ، وتخريجه على مايحب ويختار ، فقبل منه وأخذ عنه ؛ فعرفه حال هذه الدعوة ورجالها وأسرارها ودعاتها ، وأين هم وكم هم ، وكيف كان أولها وابتداؤها ، وزوّجه الحسين ـ زوج أمه ـ بنت أبي الشلعلع ، وأبو الشلعلع هذا من ولد عبد الله بن ميمون القداح ، وكان ذلك ، فولدت لسعيد ابن فسماه عبد الرحمن[1] .

ثم صار سعيد إلى سجلماسه / من أرض المغرب ، وتسمى بعبيد الله[2] واكتنى بأبي محمد ، وادعى أنه من نواحي الأهواز ومن بُيّانها ورؤسائها وأنه هرب هو وابوه من جور عمرو بن الليث[3] ، وان ضياعهم بكور الأهواز كثيرة ولهم بها [وكلاء][4] وان المواد تأتيه منها ،

---

(١) عالج أكثر السلف مشكلة نسب الفاطميين ، وتميل الابحاث الحديثة الى التسليم بصحة هذه الانساب أو تعليل المسألة تعليلاً قائماً على عقيدة الأبوة الروحانية لدى الاسماعيلية. انظر أصول الاسماعيلية : ١١٧-١٣٣ .

(٢) في الحقيقة تسمى بعبد الله ، لكن الدعاية العباسية المضادة سمته عبيد الله لأن في التصغير تحقير .

(٣) الصفاري ، انظر من أجل حركة الصفارين كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٣٤٥ - ٣٤٦ .

(٤) زيد مابين الحاصرتين كيما يستقيم السياق .

وكان يقول لمن يثق به ويأنس به في ابنه عبد الرحمن [١] انه يتيم في في حجره ، وأنه وصي أبيه ، وأن أباه من أهل البيت ، وكان يحتال على اليسع بن مدرار [٢] أمير سجلماسة وعلى أهل بيته بالدعاوى .

فلما تمكن وأمكنته الحيلة بأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا الكوفي الداعية غدر بني مدرار ، وقد كانوا أجاروه وأحسنوا إليه ، فغدر بهم ذلك الغدر الفاحش ، فقال له أبو عبد الله : قد كانت كتبك ورسائلك تأتيني بأنك مع بني مدرار بكل خير ، وأنك مازلت بأكرم منهم ، وقد قتلتهم فما أبقيت منهم رجلاً ، حتى قتلت صبياً من صبيانهم واستبحت أموالهم ونساءهم!! فقال له : هو كما كتبت إليك ، ولكن اليسع ما ألعقني لعقة عسل إلا ومعها لعقة صبر ، وأما هذا الصبي ، فانه جاءني برسالة من عمه ، أحمد بن مدرار جافية ، فكانت هذه أول فضائحه ولها تفصيل طويل .

وسمى ابنه عبد الرحمن الحسن ، ثم لما تمكن وملك قال هو ابني ، وسماه محمداً ، وكناه بأبي القاسم .

ولما أراد الرحيل من سجلماسة إلى القيروان في إفريقية من أرض المغرب دخل المغاربة أصحاب أبي عبد الله لإخراج رحله ، فوجدوا ملابس الحرير والديباج وأواني الذهب والفضة وخصيان رومة وآثار الانبذة ، فأنكروا ذلك في أنفسهم مع بلادة البربر ، وسألوا أبا عبد الله الداعية عن ذلك ، وإنما / أنكروا ذلك ، لأن أبا عبد الله هذا كان مقيماً

---

(١) يقصد به القائم ، وسلف لنا البحث في العلاقة بين المهدي والقائم .

(٢) أمير سجلماسة أوان تفجر الحركة الاسماعيلية في إفريقية ، ودولة بني مدرار كانت إحدى دول الخوارج في المغرب .

سنين كثيرة في كتامة يدعوهم إلى المهدي ، الذي هـو حجـة الله ويزعم أنه صاحبه ، وكان أبو عبد الله يتقشف ويلبس الخشن ويـأكل العشب ويعدهم عن المهدي بمثل ذلك ، فلهذا أنكروا وسألوا ، فقال لهـم أبو عبد الله هذه الآثار لأصحابه وأتباعه ، وكان معه أتباع كثير .

ثم إن عبيد الله بعد قتل أبي موسى هرون بن يونس شيخ المشايخ وأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا الداعية ، وأخيه أبي العباس محمد ابن أحمد بن زكريا ، وأبي زاكي تمام بن معارك وكان من كبار الشيعة ، بعد قتله لهؤلاء وتمكنه بالمغرب ، استصفى أهل الثروة وأخذ أموالهـم كلها ، وأرسل ابنه وجعله ولي العهد بعده والخليفة ، وسماه القائم ، فكان ينزل في العساكر على بلد بلد فيستصفي أمواله ، ويهدم حصونـه وقلاعه ، ويأخذ مافيه من الأسلحة والأمتعة ، ويقتل الرؤساء والوجوه والفقهاء وأصحاب الحديث ، ويتخذ جهالهم ويجعـل لهـم الأحوال والأموال ، ويسلطهم على أهل الفضل ، ويضع المكـوس والضرائب ، ويتوصل إلى إزالة النعم ، والتضييق على المسلمين بكل ما يقـدر عليـه ومايطول شرحه .

وكان يرسل على الفقهاء والعلماء فيذبحون في فرشهم ، وأرسل إلى الروم وسلطهم على المسلمين . وكان الشيعة ببغداد ، مثل بني بسطـام ، وبني أبي البغل ، وآل الفرات[1] ، يرجفون أن المهدي قد ظهر بالمغرب وهو هناك يحيي الموتى ، ويقف على المقبرة فينادي الموتى فيقومـون من

---

(١) أبرز أسر الوزارة والادارة العباسية في أواخر القرن الثالث وبداية الرابع ، انظر تحفة الامراء في تاريخ الوزراء لهلال بن المحسن الصابي مط. القاهرة ١٩٥٨ ص : ١٨- ٢٤٥ ، ٢٨٥-٣٠٤ .

قبورهم ، وكان أبو الحسن محمد بن أحمد النسفي صاحبهم بخراسان ، فذكر لنصر بن أحمد مثل ذلك [١] وأبو حاتم أحمد بن حمدان يذكر مثل ذلك بالري لأسفار بن شيرويه [٢] .

/ وكثرت الروايات عن رسول الله ﷺ وأهل بيته في أن المهدي يظهر بالمغرب ويملك الأرض كلها من اولها إلى آخرها ، وينفذ امره فيها ، واحكامه على اهلها في سنة ثلثمائة للهجرة ، وهو معنى ماجاء في الحديث من طلوع الشمس من مغربها ، وكم كان لهم من الخطب المنسوبة إلى امير المؤمنين بأن ولده المهدي يظهر من المغرب ، ويملك الأرض في سنة ثلثمائة للهجرة ، وان هذا موجود في الملاحم .

وصدرت رسل بني بسطام وغيرهم من الشيعة إلي المغرب : بادر فان الأرض كلها لك والخليفة ببغداد يومئذ جعفر المقتدر [٣] ، وهو صبي ونحن اجلسناه ، وله اثنتا عشر سنة ، واولياؤه ومن حوله شيعته ، من آل الفرات وآل بسطام وآل القاسم بن عبد الله وآل ابي البغل والكرخيين وآل نوبخت ، فسير ابنه في سنة ثلثمائة في عساكر عظيمة في البر والبحر وعنده انه يظهر على الأرض كلها بسبب ماتقدم ذكره ، ولأجل من بخراسان والبحرين من اهل هذه الدعوة .

فقدم مصر ونزل عليها في سنة اثنتين وثلثمائة ، وإذا ابو سعيد الجنابي

---

(١) الساماني : ٣٠١هـ/٩١٤م - ٣٣١هـ/٩٤٣م . انظر كتاب تاريخ العرب والاسلام : ٣٤٧-٣٤٨ .

(٢) من زعماء الديلم الأوائل ، وأعماله هي مقدمة اولى لظهور أسرة بني بويه قتل سنة ٣١٤هـ . انظر تجارب الأمم لمسكويه : ١٦١/١-١٦٢ - العيون والحدائق - ط. دمشق ١٩٧٢ : ٢٣٣/٢-٢٣٤ .

(٣) بدأت خلافته سنة ٢٩٥هـ/٩٠٨ وانتهت سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م .

قد قتل بالبحرين ، وقد ظهرت الفضيحة بها ، ولقيه بظاهر مصر القاسم ابن سياء الفرغاني في سبعة آلاف فرد تلك العساكر كلها ورجع ابن عبيد الله إلى ابيه بالمغرب بالخيبة والهزيمة ، وذهبت تلك الأموال ، وجاءت جواسيسه إلى الشيعة المقدم ذكرهم بالعراق تعنفهم فيما كان من إطماعهم له ، وما كان من القاسم بن سياء الفرغاني . فاعتذروا إليه وقالوا له : ارجع . فرد ابنه في سنة سبع وثلثمائة بأكثر من تلك الجيوش في البر والبحر ، فنزل على مصر سنين متوالية ، ونزل على / عسكره في الماء ثمل الخادم من طرسوس في ثمانية عشر مركباً فهزمهم ، فرجع إلى ابيه بالخيبة والهزيمة ، ثم رد العسكر إلى مصر ، وقد قتل المقتدر ، فرجع بالخيبة والهزيمة . وكان مع هذه الحال يشتد على اهل القيروان وماعلكه من ارض المغرب بالجور وقتل الرجال واستصفاء الأموال ، وقصد الفقهاء والعلماء ، وقد كان بث دعاته فيها يدعون الناس إليه وإلى طاعته ، ويأخذون عليهم العهود ، ويلقون إلى الناس من امره بحسب عقولهم واحتمال كل طبقة منهم ، فمنهم من يلقون إليهم انه المهدي ابن رسول الله ، وحجة الله على خلقه ، ومنهم من يلقي انه رسول الله وحجة الله ، ومنهم من يلقي انه الله الخالق الرازق ، فكان إذا ضج الناس من هذا ، وظهر منهم الإنكار ، يأخذ الدعاة ، فمرة يحبس بعضهم ومرة يقتلهم ، ويقول : ما أمرتُ بهذا ، ويقول الدعاة : هو أمرنا وبأمره فعلنا ، وله أن يمتحننا . وكان من جوره وكذبه وفضائحه مايطول فانه مكث في ملكه نيفاً وعشرين سنة .

ولما هلك ، قام ابنه الذي قد تقدم ذكره مقامه ، وتسمى بالقائم أمير المؤمنين ، وزاد شره على شر أبيه أضعافاً مضاعفة ، وجاهر بشتم

الأنبياء ، فكان ينادي في أسواق إفريقية والمهدية ، وهي مدينة كان بناها أبوه وحصنها ، فكان يقال : العنوا عائشة وبعلها ، العنوا الغار ومن حوى ، وقتل الفقهاء والعلماء القتل الذريع ، واستولى من بلدان المغرب على أكثر ما استولى عليه أبوه ، فان بلدان المغرب واسعة عظيمة وهي تشبه بخراسان في السعة وكثرة الرجال وهي في يد عدة من الملوك ، وكان يقول في هذا أنه هو الذي يظهر ويملك الأرض ، وأنه هو الحجة والمهدي ، وكتب إلى أبي طاهر القرمطي المقيم بالبحرين البلاغ / السابع ، والناموس الأعظم ، وهو سر الدعوة وحقيقتها ، وحثه على قتال المسلمين ، وإحراق المساجد والمصاحف ، وكان قد كتب هذا الكتاب في حياة أبيه ، وكان أبوه في أول أمره يقول : إن هذا يتيم في حجري وهو علوي من ولد إسماعيل بن جعفر بن محمد ، وكان في أول أمره يظن أنه لا يتم له أمر الملك ، فلما تمكن وفعل هذا قال : هذا ابني وهو علوي ، وشرح ظلم هذا القائم وقسوته وفجوره يطول ، وهو أكثر مما أتى أبوه .

وكان لهذا الذي يسمى بأمير المؤمنين القائم بن المهدي ، ابن يقال له القاسم ، وكان قد تأدب وقال الشعر ، وكان فارساً ، فاستخلفه ونص عليه ، وقال : هذا القائم الإمام الذي آمر باستخلافه عليكم ، وهو القائم بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فمات هذا القاسم في حياة أبيه ، فكان يقال بالقيروان ما أكثر كذب هؤلاء المشارقة .

ولكثرة ما كان من جور هذا وقتله للناس واستصفائه الأموال ، اجتمع قوم من أهل الجبل بالمغرب على رجل من الأباضية يقال له أبو يزيد مخلد بن كيداد فبايعوه ، وكان شيخاً كبيراً ضعيفاً لا يمكنه لضعفه أن

يستمسك على فرس ، فكان يركب حمارا ، وكان له وزيره يستشيره أعمى فأنفذ إليه هذا الذي تسمى بالقائم بن المهدي بعسكر فكسره ورده ، وتسامع به الناس ، وأنه ينكر المنكر ، فاجتمعوا إليه وأتوه ، وسار من الجبل إلى الأمصار ، ولقيته العساكر فكسرها كلها ، ودخل إفريقية ، وأزال الظلم والمكوس ، وملك كل ماكان في أيدي هؤلاء القرامطة من أرض المغرب إلا المهدية ، فانه حاصرهم فيها ، وإلا صقلية وطرابلس من أرض المغرب ، ومات هـذا المسمى بالقائم بن المهدي في الحصار ، وعرض له وسواس ، وزال عقله مما نزل به من الذل ، / وقتل الرجال ، وزوال الملك ، وجوع من بقي معه بالمهدية بالحصار .

وقام بعده ابنه أبو طاهر إسماعيل ، وضمن للناس تغيير سيرة أبيه وجده ، وأنه لايتعرض لدياناتهم ، وحلف على ذلك ، وأكد واشهد ، واستعان بأبي الحسين بن عمار ، فأشار عليه بهذه الأمور . وقد كان أبو يزيد مخلد بن كيداد ملك خمس سنين ، وكثرت عساكره ، فانتشر عليه أمره ، وأظهر أصحابه دين الأباضية ، فكرهه النـاس ، وخـرج أبو طاهر إسماعيل وحاربه وكبسه في صحراء ، وأخذه وسلخـه وصلبـه ، ووفي للناس بما وعد ، وعدل وأنصف وأخذ الدعاة الذين كانوا لهـم فحلق لحاهم ، ونفاهم ، وقال لأهل القيروان : من سمعتمـوه ينـال من أصحاب رسول الله ﷺ فاقتلوه فاني معكم ومن ورائكم ، وأطلق المحدثين في الحديث ، والناس في إقامة التراويح ، وأطلق الناس في غزو الروم وأذلوهم ، وأعزّ المسلمين والثغور على يدي أبي القاسم بن أبي الحسن بن عمار ، والثغور في يد أولاده إلى هذه الغاية ، وهم قـوم مسلمـون فيهم خير كثير ، والشرك مقموع بهم هناك ، ولهم سيرة حسنة طويلة مذكورة .

واشتغل اسماعيل بأهل الجبال يقتلهم ويشردهم ، خوفاً من أن يثور عليه ثائر مثل أبي يزيد مخلد بن كيداد ، وتقدم إسماعيل إلى الفقهاء بأن يتركوا له حلقة في الجامع خاصة له يقعد فيها أصحابه تكون حلقة لجعفر بن محمد ، فجلس فيها جماعة لايختلطون بالفقهاء ، وكانوا يتذاكرون في حلقهم ذكر أفلاطن وبطليموس وأرسطو ، فقال الناس : هؤلاء ملحدة وزنادقة وأعداء الأنبياء ، فكيف تكون هذه الحلقة حلقة جعفر ابن محمد؟ : وإذا نية إسماعيل غير صافيه في الاسلام ، وإنما أظهر الرجوع عن سيرة أبيه/وجده خوفاً مما جرى .

وكان لإسماعيل أخ يقال له يوسف ، وكان ينظر في الكتب ويسأل العلماء ، وكان فيه فضل ، وكان يقول : إنا أولاد النبي ، ولانعظم إلا أعداء الأنبياء من الفلاسفة ، ودعاتنا كل سفلة كذاب ، ركاب لكل فاحشة ، ولو كنا من أولاد الأنبياء ، ونحب الأنبياء ، ماكانت هذه حالنا ، ثم يسمي الدعاة واحداً واحداً ويذكرهم بما فيهم ، فقد كان فيهم أبو الأسود وكان ينكح بنته . وقصة يوسف هذا معروفة ومات بأجدابية [1] في مصيره إلي مصر ، وفيما أظن أن ولده بمصر إلى هذه الغاية . ثم إن اسماعيل استخلف ابنه أبا تميم معدّاً وجعله وليّ عهده ، وسماه بالمعز لدين [الله] [2] . ومات إسماعيل في سنة إحدى وأربعين وثلثمائة وقام أبو تميم بعده ، وسار سيرته ، ورفق بالناس وتمكن ، وصفت له المغرب فما تحرك عليه أحد ، واتسع ملكه وجبى الأموال . ثم تغير وقرّب الدعاة : فقالوا : هذا هو المهدي ، وهو الذي يملك ، وهو

---

(١) بلد بين برقة وطرابلس الغرب ـ معجم البلدان .

(٢) زيادة اقتضاها السياق .

الشمس التي تطلع من غربها . واتفق أن الروم أخذت ثغور المسلمين من طرسوس وأذنة والمصيصة وعين زربة وغيرها في أيامه ، واحتوت فاشتد طمعه في الاسلام ، وسره المصائب التي نزلت بالمسلمين ، وبلغه أنه قد كتب على المساجد ببغداد لعن خلفاء رسول الله ﷺ ، فطار سروراً بهذا وطغى وتجبر ، وهمّ بغزو مصر لأن فيها شيعة كثرا ، وإنما سلطانها خصي أسود[1] مولى لموالي بني العباس وقال : عقله عقل امرأة والذين معه من الجند أسوأ حالاً منه ، وقد اعتادوا الترفه والأكل والشرب ، وليست لهم بالحرب عادة ، ومن بها من الشيعة يكاتبنا ويهون أمر هذا الخصي ، والثغور فقد ذهبت ، ومابقي للاسلام سلطان ولا / ملك ، والديلم الذين بالعراق والجبال شيعة لنا ومن قبلنا . فكان يقول له من حوله مثل ولد أبي الحسين بن عمار وجعفر بن فلاح بن مرزوق ، ومحمد بن سليمان : يا أمير المؤمنين ، مصر قد أفنت رجالكم وفرغت بيوت أموالكم ، وقد طمع فيها آباؤك مرة بعد مرة فما تم ما أرادوا ، وكان الدعاة يقولون : إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعز لدين الله الأرض كلها ، وبيننا وبينكم الحجر الأسود وليس هذا كغيره ، فان لم نملك هذه الأرض كلها فكلما نقول لكم باطل ، يعنون بالحجر الأسود كافوراً الخصي الأسود ، أمير مصر .

فمات كافور في سنة ست وخمسين وثلثمائة ، واختلف العسكر بمصر وكان أميرهم ابن عبيد الله بن الأخشيد وكان شيعياً قد دخل في الدعوة ، وكان رخواً مخنثاً ، فقال له أبو جعفر بن نصر : أيها الأمير ، أمير المؤمنين أبو تميم المعز لدين الله هو لك كالوالد ، والجند قد طمعوا فيك

---

(١) المقصود هو كافور الاخشيدي كما سيأتي .

فان شئت أن تدع الأمر له حتى يدبره لك ، فانه أبصر بتدبير الجند وأقدر ، فقال : إي والله أريد الراحة منهم ، وأقبل على أبي يعقوب ابن الأزرق الكاتب الأنباري[١] فقال له : يا أبا يعقوب ، قد جعل هؤلاء الجند في فؤادي كل دودة مثل هذه ، وأشار إلى إصبعه ، وأخذ ابن نصر كتابه إلى أبي تميم بذلك .

فأرسل أبو تميم صاحبه ، وهو عبد كان لهم من الروم ، يقال له جوهر ، فخرج في مائة ألف ، فوافى مصر ودخلها بلا حرب ولا قتال ، ولا خلاف ، في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، واستولى على الكنوز وبيوت الأموال ، وخرج أميرها أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن الأخشيد فأقام بالرملة ، فخرج إليه جعفر بن فلاح في عسكره فكبسه وأنفذه / إلى جوهر ، فأنفذه إلى المغرب ، إلى أبي تميم ، فلما حصل عنده أظهر له البشر والبشاشة وقال له : أنت ولدي ومن لحمي ودمي ، وإنما أنفذت جوهراً لنصرتك وطاعتك ، والله يابني ماحصل جوهر بقَلْشانة[٢] حتى لزمني عليه أربعة آلاف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار ، وقلشانة هو منزل بالقرب من افريقية . فظن ابن عبيد الله أن الأمر كما قال ، فقعد يسعى بجوهر والقواد الذين استأمنوا إليه من المصريين ، مثل نحرير الأزغلي ، ونحرير شويزان ، وشمول ، وغيرهم من القواد والأمراء وكان كل واحد منهم كقارون في الغنى ، فكتب المعز إلى جوهر فقبض عليهم وغدر بهم أجمعين ، وحملهم إلى المغرب وقبض نعمهم وكنوزهم ، وحصلوا بالمغرب مع ابن عبيد الله بن الأخشيد فما يعرف لهم خبر إلى هذه

---

(١) لعله الذي ذكره ابن ميسر في تاريخه في حوادث سنة ٣٥٧ ھ : ٢: ٦١ .

(٢) من مدن تونس - إفريقية - معجم البلدان .

الغاية ، ووافى أبو تميم معد بن اسماعيل مصر في سنة اثنتين وستين وثلثمائة [١] .

وقد كان للقرامطة الذين بالأحساء عليه أتاوه وجزية يأخذونها منه عن أعماله وما في يده ، فأخرها عنهم واستطال عليهم وعلى الناس كلهم بملكه مصر ، وقال جوهر ، وقد ذكرت له قرامطة الأحساء والجزية التي لهم عليهم فقال : من هؤلاء الكلاب ، الآن أنفذ كتامة إلى الأحساء فيشدون براذينهم على أبوابهم ويسبونهم .

واحتجب المعز بمصر ، فكان لايصل إليه إلا الواحد بعد الواحد من خواصه ، وبث جواسيسه وعيونه وثقاته من الرجال والنساء في الناس يتعرفون له أخبارهم ، من الجند والعامة ، ويأتون بها ، ويلقون من الأراجيف في الناس مايوصيهم به . وطال استتاره حتى أرجف الناس بموته ، وهو متوفر على التنعم والأغذية التي تشحّم وتسمّن ، والأطلية التي تنقي / البشرة ، وتحسن اللون والصورة ، ثم ظهر للناس بعد مدة طويلة [٢] ، وجلس لهم في حرير فائق رائق أخضر مذهب وعمامته منه ، وعلى وجهه الجواهر واليواقيت ، وهي تلمع كالكواكب ، وأوهم أنه

---

(١) ترجم المقريزي في كتابه المقفى ترجمة وافية لجوهر ، وأورد تفاصيل فتح مصر وحوادثها حتى مابعد قدوم المعز اليها ، وقد نشرت هذه الترجمة في ملاحق كتابي : مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ـ ط . دمشق : ٣٢١-٣٤٤ . وانظر أيضاً ترجمة جعفر بن فلاح في نفس الكتاب : ٣١٣-٣٢٠ .

(٢) هذه غيبة صغرى ، وفي العقيدة الاسماعيلية هناك أنواع من الغيبة منها مايكون لشهور ومنها مايمتد عبر دهور ، ولعل أصل الفكرة استعير مما جاء في القرآن وغيره من الكتب الدينيـة عن غيبة النبي موسى ، وتطور الأمر مع تطور عقيدة الامامة ومسألة المهدي المنتظر .

كان غائباً في السماء ، وأن الله رفعه إليه ، وكان يتحدث بما كان يأتيه به أصحاب أخباره في حال استتاره ، ويوهم أن الله أطلعه على تلك الغيوب ، ويعرض بالجمل دون التفصيل ، ويقول : قوم قالوا : كذا ، وقوم قالوا : كذا ، وقوم عزموا على كذا ، وبث الجواسيس بالأراجيف ، بأنه كان في السماء ، وأن الله استزاره ورفعه إليه ، فامتلأت قلوب العامة والجهال منه ، وظنوا ذلك ، وان كل مايتوعد به ويعد به من تلك الأرض كلها حق .

ووافى العراق أبو عليّ الحسن بن احمد بن ابي سعيد الجنابي من الأحساء في عسكر ، والسلطان ببغداد ابو منصور بختيار بن معز الدولة ، فسأله ابو علي ـ هذا القرمطي ـ ان يأخذ له عهداً ولواءاً من الخليفة المطيع لله وولايةً على مصر والشام ، وقال لهم : أنا أعرف بهذا المخرق أبي تميم منكم ، واعرف أصله وأبوته ، ومخاريق عبد الله بن ميمون القدّاح وأولاده ، وانا ابلغ به اقصى المغرب وارده من حيث جاء فقال الخليفة المطيع لله لبختيار ، وقد سأله ذلك : لا افعل هذا ، هؤلاء كلهم قرامطة ، وهؤلاء قتلوا الحجاج بمكة ، فان تابوا من ذلك وبرئوا ممن فعله وتركوا التسمي بالسادة [١] وليتهم ، وإلا لم أفعل . فثقل على أبي علي هذا ، وكان يعرف بالقصير [٢] ، وبريء من فعل إخوته وبني عمه ، ومن أبي سعيد وأبي طاهر وغيرهما من آبائه ، واخذ يعتذر لما صنعوا بمعاذير طويلة ، وانهم ما فعلوا ذلك عداوة للإسلام ولاخروجاً عن طاعة الخلفاء من بني العباس ، فما قبل / ذلك المطيع ، واقام على

---

(١) كان كل واحد من زعماء قرامطة الأحساء من آل الجنابي ينادى بلقب «سيد» .

(٢) شهر بالأعصم ، والأعصم هو القصير .

منهم ، وطال خضوع ابي علي هذا ، فما اجابهم المطيع ، فأشار عليه بختيار وغيره بأن يذهب ويدعي أن المطيع قد ولاه ، وقيل له : العسكر الذين معك جندك وأهلك وأصحابك ومن مالك تنفق عليهم ، ولست تطمع في أن يعطيك المطيع شيئاً من مال ولاجند ، فقبل ذلك[1] .

وماكان رغبته في تقليد المطيع إلا لتقبله العامة بالشام ومصر ، فلما لم يجبه المطيع إلى ذلك اتخذ هو لنفسه أعلاماً سوداً ورايات ، وكتب عليها المطيع لله أمير المؤمنين ، وتحته : « السادة الراجعين إلى الحق » ، ثم سار إلى الشام . فلقي عساكر أبي تميم وواقعهم وقتلهم ، وقتل أميرهم ابن فلاح ، وقتل أصحابه ، واستولى على الشام ، وأقام الدعوة للمطيع وللخلفاء بني العباس ، وأظهر تعظيمهم ووجوب طاعتهم ، وأخذ في لعن أبي تميم ، وذكر آبائه واحداً واحداً ، وأنهم ولد القداح ، وأنهم ماكانوا قط إلا كذابين مخرقين أعداء الاسلام ، يذهبون مذاهب الزنادقة ، وأبو تميم قد انحجز مع عساكره بمصر ، ومع هذا فيبذل له من الجزية والأتاوة أكثر مما كان يأخذ قبل هذا ، والحسن هذا يقرأ كتبه على الناس ويبين فيه عيه ومخاريقه ، وبلغ بأبي تميم الخوف منه إلى أن حصن مدينته بمصر ، وهي التي يسمونها بالقاهرة ، وشيد سورها وأوثقه وحفر خندقها وعمقه ، والحسن يبلغه ماينادي به أبو تميم من فضائحهم تحريضاً للناس عليه ، فيقوم بالشام وينادي بفضائحهم وعداوتهم للاسلام ، كما هو المذكور في كتبه واشعاره فيهم .

---

(١) كذا وقد مر معنا ، وسيتكرر بشيء أكبر من التفاصيل بأنه أحيل على أبي تغلب الغضنفر الامير الحمداني للموصل ، فأخذ منه مالاً ورجالاً .

ولكثرة ما قال وبين ، قال ابو بكر النابلسي [١] / رئيس الفقهاء بالشام : جهاد هؤلاء اولى من جهاد الروم ، وغزو هؤلاء أولى من جهاد الروم ، إذ الروم اهل كتاب ، وهؤلاء كفار مشركون ، ليسوا اهل كتاب ، بل هم اعداء جميع الأنبياء وجميع الكتب التي انزلها الله ، والروم لاتكتم دينها بل تضج بما تدعو إليه ، وهؤلاء يضمرون الشرك ويخدعون الناس بإظهار التشيع .

وسار الحسن هذا حتى نزل على خندق القاهرة وحاصر ابا تميم ، وأشرف على أخذه ، فبذل أبو تميم الأموال لابن الجراح [٢] الطائي هذا الذي هو حي ، وهو كثير العشيرة ، فغدر بالحسن هذا ، وأخذ سواده من ورائه وشغله بنفسه ، وأفسد تدبيره ، فانصرف عن الخندق ، وانهزم بمن معه ، ولحق أبو تميم المنهزمين من أصحاب الحسن ، فأخذهم وأخذ أتباع العسكر ، وأهل السوق في العسكر ، وأرسل إلى الشام وأخذ أبا بكر النابلسي الفقيه ، وسأله عما بلغه عنه ، وما أفتى فيه ، فاعترف به وقال له ماهو أغلظ منه ، فأمر بسلخه حياً فسلخ ، وهذه عادة لهم في سلخ المسلمين أحياء [٣] ، قد فعل ذلك سعيد وغيره ، وأخذ من ظفر به من قرامطة الأحساء فأكرمهم ووصلهم وخلع عليهم وعاتبهم وردهم مكرمين إلى الأحساء .

---

(١) اعتقل فيما بعد وتم قتله بصورة وحشية للغاية ، كما سيرد بعد قليل .

(٢) سيرد ذكر هذا فيما بعد في ترجمة الأعصم .

(٣) هذا صحيح ، وحفظ لنا التاريخ أخبار عدة أحداث من هذا القبيل ، من أشهرها نهاية علاقة الملاح الصوري حيث اعتقل وحمل « وأصحابه الى مصر ، فسلخ حياً ، وصلب بظاهر المنظر بعد أن حشي جلده تبناً ، وقتل أصحابه » ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي : ٥٠ - ٥١ .

وضمن أبو تميم لابن المنجا القرمطي ، صاحب الحسن ، الأموال له خاصة إلى أن أصلح بينه وبين الحسن وبين أهل الأحساء ، فضمن ابن المنجا ذلك له ، وكان من المأسورين فأطلقه وأطلق غيره من الأسارى فذهبوا وأصلحوا بينهم ، وقبلوا الأموال والأتاوة من أبي تميم وأجراها لهم في كل سنة ، فكفوا عنه ، وأخذوها منه في حياته إلى أن مات وأخذوها من ابنه هذا المتسمى بالعزيز ، وهو نزار أبو المنصور بن معد إلى أن حاصر الأصفر العقيلي/القرامطة بالأحساء ، وقتل من يخرج منهم فهم إلى هذه الغاية ماتخرج لهم سرية خوفاً من الأصفر[١] .

وبادر نزار[٢] بن أبي تميم هذا فهادى الأصفر بهدايا كثيرة نفيسة ، وحمل إليه أموالاً عظيمة ، وسأله أن يرسل إليه ثقة له ، فأرسل الأصفر ابن أخته ، فأكرمه نزار الكرامة التامة ، وحمل على سرج من ذهب ، وقاد بين يديه الخيول ، وأعطاه الأموال على أن يدعو خاله للدخول في دعوتهم على أن يقطعه البلدان العظيمة من أرض الشام ، فمنع الأصفر من ذلك رجل معه من أصحاب أبي حنيفة يقال له أبو بكر محمد بن محمد النيسابوري ، فقال له : لاتغتر بما يظهر نزار من أنه من المسلمين وأنه يدعو إلى الإسلام وإلى الحق ، فإنه شر من هؤلاء القرامطة الذين بالأحساء وهم الأصل في الفساد الذي وقع في الاسلام ، وخذ الأموال التي أعطوك فإنما هي هدايا أهدوها لك ، وابتدؤوك بها ، فأرسل الأصفر إلى نزار في جواب الرسالة : إني لست أجيبك إلى قبول مابذلت من الاقطاع بالشام إلى أن أفرغ من الأحساء وأهلها وأعرفك ماعندي ...

---

(١) سبقت الاشارة إلى أن هذا كان سنة ٣٧٨ هـ ، وأن الاصفر كان من المنتفق ، وهم وعقيل يعودون الى جد واحد ، والمفيد هنا ملاحظتهو تاريخ تصنيف القاضي لكتابه، وأنه كان شاهد عيان يصور لنا انفعالات أهل عصره .

(٢) هو العزيز : ٣٦٥ هـ/ ٩٧٥ م - ٣٨٦ هـ/ ٩٩٦ م .



كتاب سفرنامه



وصف الإحساء

والحسا مدينة في الصحراء ، ولبلوغها ، عن أي طريق ، ينبغي اجتياز صحراء واسعة ، والبصرة أقرب البلاد الاسلامية التي بها سلطنة إلى الحسا ، وبينهما خمسون فرسخ ، ولم يقصد سلطان من البصرة الحسا قط .

والحسا مدينة وسواد أيضاً ، وبها قلعة ، ويحيط بها أربعة أسوار قوية متعاقبة من اللبن المحكم البناء ، بين كل إثنين منهما ما يقرب من فرسخ ، وفي المدينة عيون ماء عظيمة ، تكفي كل منها لإدارة خمس سواق ، ويستهلك كل هذا الماء بها ، فلا يخرج منها ، ووسط الحصن ، مدينة جميلة بها كل وسائل الحياة التي في المدن الكبيرة ، وفيها أكثر من عشرين ألف محارب ، وقيل إن سلطانهم كان شريفاً ، وقد ردهم عن الاسلام ، وقال إني أعفيتكم من الصلاة والصوم ، ودعاهم إلى أن مرجعهم لايكون إلا إليه ، واسمه أبو سعيد ، وحين يسألون عن مذهبهم يقولون : إنا أبو سعيديون ، وهم لايصلون ولايصومون ، ولكنهم يقرون بمحمد ﷺ وبرسالته ، وقد قال لهم أبو سعيد : إني أرجع إليكم ، يعني بعد الوفاة ، وقبره داخل المدينة وقد بنوا عنده قبراً جميلاً ، وقد أوصى

أبناءه قائلاً : « يرعى الملك ويحافظ عليه ستة من أبنـائي يحكـون الناس بالعدل والقسطاس ، ولايختلفون فيما بينهم ، حتى أعود » ، ولهؤلاء الحكام الآن قصر منيف ، هو دار ملكهم [١] ، وبه تخت يجلسون هم الستة عليه ويصدرون أوامرهم بالاتفاق ، وكذلك يحكمون ، ولهم ستة وزراء [٢] ، فيجلس الملوك على تخت والوزراء على تخت آخر ، ويتداولون في كل أمر وكان لهم في ذلك الوقت ثلاثون ألف عبد زنجي وحبشي ، يشتغلون بالزراعة وفلاحة البساتين ، وهم لايأخـذون عشوراً من الرعيـة ، وإذا افتقر إنسان أو استدان يتعهدونه حتى يتيسر عمله ، وإذا كان لأحدهـم دين على آخر لايطالبه بأكـثر من رأس المـال الذي له ، وكل غريب ينزل في هذه المدينة وله صناعة ، يعطى مايكفيه من المال حتى يشتري مايلزم صناعته من عدد وآلات ، ويرد إلى الحكام ما أخذ حين يشاء ، وإذا تخرب بيت أو طاحون أحد الملاك ، ولم تكن لديه القـــدرة على الاصلاح ، أمروا جماعة من عبيدهم بأن يذهبوا اليه ويصلحوا المنزل أو الطاحون ، ولا يطلبون من المالك شيئاً .

وفي الحسا مطاحن مملوكة للسلطان ، تطحن الحبوب للرعية مجاناً ، ويدفع فيها السلطان نفقات اصلاحها وأجور الطحانين ، وهؤلاء السلاطين الستة يسمون السادات ، ويسمي وزراؤهم الشائرة ، وليس في مدينة الحسا مسجد جمعة ، ولاتقام بها صلاة أو خطبة ، إلا أن رجلاً فارسياً إسمه علي بن أحمد بنى مسجداً ، وهو مسلم حاج غني كان يتعهد الحجاج الذين يبلغون

---

(١) تهدم هذا القصر ، وبقي منه آثار ، ويسميه أهل تلك الجهة « قصر قريط » .

(٢) وزراء القرامطة كانوا من آل سنبر .

الحسا ، والبيع والشراء والعطاء ، والأخذ يتم هناك بواسطة رصاص في زبيل يزن كل منها ستة آلاف درهم ، فيدفع الثمن عدداً من الزنابيل ، وهذه العملة لاتسري في الخارج ، وينسجون هناك فوطاً جميلة ، ويصدرونها للبصرة وغيرها .

وإذا صلى أحـــد فإنه لايمنع ، ولكنهم أنفسهم لايصلون ، ويجيب السلاطين من يحدثهم من الرعية برقة وتواضع ، ولا يشربون [1] مطلقاً ، وعلى باب قبر أبي سعيد حصان مهيأ بعناية ، عليه طوق ولجام ، يقف بالنوبـة ليلاً ونهاراً ، يعنون بذلك أن أبا سعيد يركبه حين يرجع إلى الدنيـا ، ويقال إنه قال لأبنائه : « حين أعود ولاتعرفونني ، اضربوا رقبتي بسيفي فإذا كنت أنا حييت في الحال » ، وقد وضعت هذه الدلالة حتى لايدعي أحد أنه أبو سعيد .

وقد ذهب أحد هؤلاء السلاطين بجيش الى مكة أيام خلفاء بغداد ، فاستولى عليها ، وقتل من كان يطوف بالكعبة ، وانتزع الحجر الأسود من مكانه ونقله إلى الحسا ، وقد زعموا أن هذا الحجر مغناطيس يجذب الناس إليه من أطراف العالم ، ولم يفقهوا أن شرف محمد المصطفى ﷺ وجـلاله هما اللذان يجذبان الناس ، فقد لبث الحجر الأسود في الحسا سنين عديدة ، ولم يذهب إليها أحد ، وأخيراً اشترى منهم الحجـر الأسود ، وأعيـد إلى مكانه .

وفي الحسا تباع لحوم الحيوانات كلها : من قطط ، وكلاب ، وحمير وبقر ، وخراف ، وغيرها ، ويوضع رأس الحيوان وجلده بقرب لحمه ،

---

(١) أي الخمور .

ليعرف المشتري ماذا يشتري ، وهم يسمنون الكلاب هناك كما تعلف الخراف حتى لاتستطيع الحركة من سمنها ، ثم يذبحونها ويبيعون لحمها .

والبحر على مسيرة سبعة فراسخ من الحسا إلى ناحية الشرق ، فإذا اجتازه المسافر وجد البحرين ، وهي جزيرة طولها خمسة عشر فرسخاً ، والبحرين مدينة كبيرة أيضاً ، بها نخل كثير ، ويستخرجون من هـــذا البحر اللؤلؤ ، ولسلاطين الحسا نصف ما يستخرجه الغواصون منه ، واذا سار المسافر جنوب الحسا يبلغ عمان ، وهي في بلاد العرب ، وثلاثة جوانب منها صحراء لايمكن اجتيازها ، وولاية عمان ثمانون فرسخاً في مثلها ، وهي حارة الجو ، ويكثر بها الجوز الهندي المسمى نارجيل ، واذا أبحر المسافر من عمان نحو الشرق يبلغ شاطىء كيش ومكران ، واذا سار جنوباً يبلغ عدن ، فإذا سار في الجانب الآخر يبلغ فارس .

وفي الحسا تمر كثير ، حتى أنهم يسمنون به المواشي ، ويأتي وقت يباع فيه أكثر من ألف من[1] بدينار واحد ، وحين يسير المسافر من الحسا الى الشمال سبعة فراسخ يبلغ جهة القطيف ، وهي مدينة كبيرة بها نخل كثيرة ، وقد ذهب أمير عربي الى أبواب الحسا ، ورابط هناك سنة ، واستولى على سور من اسوارها الأربعة ، وشن عليها غارات كثيرة ، ولكنه لم ينل من أهلها شيئاً ، وقد سألني حين رآني عما تنبىء به النجوم ، قال : أريد أن استولي على الحسا فهل استطيع ام لا ، فإن اهلها قوم لادين لهم ؟ فأجبته بما طيب خاطره .

---

(١) المن وزن مائتين وسبعة وخمسين درهماً وسبعة دراهم . مفاتيح العلوم للخوارزمي طـ القاهرة ١٣٤٢ هـ ص : ١١ .

وعندي ان كل البدو يشبهون اهل الحسا ، فلادين لهم ، ومنهم اناس لم يمس الماء أيديهم مدة سنة ، أقول هذا عن بصيرة ، لاشيء فيه من المغـــالاة ، فقد عشت في وسطهم تسعة أشهر دفعة واحدة لا انقطاع بينها ، ولم أكن أستطيع أن أشرب اللبن الذي كانوا يقدمونه إلي كلما طلبت ماء لأشرب ، فحين أرفضه وأطلب المـاء يقولون : اطلبه حيثما تراه ، ولكن عند من تراه ؟ وهم لم يروا الحمامات أو المـاء الجـاري في حياتهم [1] ...



(١) انظر سفرنامه ط، بيروت ١٩٧٠ ترجمة يحيى الخشاب ـ ص: ١٤٢-١٤٥ .



كتاب
كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة



بسم الله الرحمن الرحيم

قال محمد بن مالك ـ رحمه الله عليه : اعلموا أيها الناس المسلمون ـ عصمكم الله بالاسلام ، وجنبنا وإياكم طرق الآثام ، وأصلحكم وأرشدكم ووفقكم لمرضاته ، وسددكم ـ إني كنت أسمع مايقال عن هـذا الرجـل الصليحي (١) كما تسمعون ، وما يتكلم به عليه من سيء الإذاعة ، وقبح الشناعة فإذا قال القائل : هو يفعل ويصنع ، قلت : أنت تشهد عليـه غداً ؟ فيقول ماشهدت ولاعاينت ، بل أقول كما يقول الناس ، فـكنت أتعجب من هذا أولاً ، ولا أكاد أصدق ولا أكذب ماقد أجـمـع عليه الناس ، ونطقت به الألسن ، فتارة أقول هذا ما لايفعله أحد من العرب والعجم ، ولاسمع به فيما تقدم في سالف الأمم ، إنما هذه عداوة له من الناس للآل الذي بلغه من غير أصل ولا أساس (٢) ، وكنت كثيراً ماأسمعه يقول : « حكم الله لنا على من يظلمنا ويرمينا بما ليس فينا » .

فرأيت أن أدخل في مذهبه لأتيقن صدق ماقيل فيه من كذبه ولأطلع على سرائره وكتبه ، فلما تصفحت جميع ما فيها وعرفت معانيها رأيت أن

---

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد الصليحي، أصله من أحواز صنعاء ، خرج سنة ٤٣٩هـ / ١٠٤٨ م فأسس الدولة الصليحية الاسماعيلية ، وظل يحكمها حتى سنة مقتله ٤٥٩ هـ / ١٠٦٨ م

(٢) بدأ الصليحي حياته دليلاً للحاج على طريق جبال السراة ، واستمر على ذلك مدة خمس عشرة سنة . انظر تاريخ اليمن لعمارة بن علي : ٩٥ ـ ١٣٦ .

أبرهن على ذلك ليعلم المسلمون عمدة مقالته ، وأكشف لهـم عن كفره وضلالته ، نصيحة لله وللمسلمين ، وتحذيراً لمن يحاول بغض هذا الدين ، والله موهن كيد الكافرين .

فأول ما أشهد به وأشرحه ، وأبينه للمسلمين ، وأوضحه أن له نواباً يسميهم : الدعاة المأذونين ، وآخرين يلقبهم المكلبين ، تشبيهاً لهم بكلاب الصيد ، لأنهم ينصبون للناس الحبائل ويكيدونهم بالغوائل ، وينقبضـون عن كل عاقل ؛ ويلبسون على كل جاهل ، بكلمة حق يراد بها الباطل يحضونه على شرائع الاسلام من الصلاة والصيام والزكاة ، كالذي ينـثر الحب للطير ليقع في شركه ، فيقيم أكثر من سنة يمعنون به ، وينظرون صبره ، ويتصفحون أمره ، ويخدعونه بروايات عن النبي ﷺ محرفـة ، وأقوال مزخرفة ، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ، ويحرفون الكلم عن مواضعه فإذا رأوا منه الانهماك والركون والقبول والاعجـاب بجميع ما يعلّمونه ، والانقياد بما يأمرونه ، قالوا حينئذ : اكشف عن السرائر ولاترض لنفسك ، ولاتقنع بما قد قنع به العوام من الظواهر ، وتـدبر القرآن ورموزه واعرف مثله وممثوله ، واعرف معاني الصلاه والطهارة ، وماروي عن النبي ﷺ ، بالرموز والإشارة دون التصريح في ذلك في العبارة ، فإنما جميع ماعليه الناس أمثال مضروبـة لمثولات محجوبـة ، فاعرف الصلاة وما فيها ، وقف على باطنها ومعانيها ، فإن العمل بغير علم ، لاينتفع به صاحبه ، فيقول : عم اسأل ؟ فيقول قال الله تعالى : « أقيموا الصـلاة وآتوا الزكاة »[1] فالزكاة مفروضة في كل عام مرة ، وكذلك من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار ، وأيضاً فالصلاة

---

(١) في أكثر من سورة ، انظر مثلا البقرة : ٤٣ .

والزكاة لهما باطن ، لأن الصلاة صلاتان ، والزكاة زكاتان ، والصوم صومان والحج حجان ، وما خلق الله سبحانه من ظاهر إلا وله باطن يدل على ذلك « وذروا ظاهر الاثم وباطنه »[١] و « قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن »[٢] ، ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن ، فالظاهر ما تساوي به الناس ، وعرفه الخاص والعام ، وأما الباطن فقصر علم الناس عن العلم به ؟ فلا يعرفه إلا القليل ومن ذلك قوله : « وما آمن معه إلا القليل »[٣] ، وقوله « وقليل ماهم »[٤] وقوله « وقليل من عبادي الشكور »[٥] ، فالأقل من الأكثر الذين لاعقول لهم .

والصلاة والزكاة سبعة أحرف ، دليل على محمد وعلي صلى الله عليهما لأنها سبعة أحرف ، فالمعني بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعلي ، فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة ، فيوهمون على من لايعرف لزوم الشريعة والقرآن ، وسنن النبي ﷺ ، فيقع هذا من ذلك المخدوع ، بموقع الاتفاق والموافقة ، لأنه مذهب الراحة والإباحة ، يريحهم مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله ، ويبيح لهم ما حظر عليهم من محارم الله ، فإذا قبل منهم ذلك المغرور هذا ، قالوا له : قرب قرباناً يكون لك سلما ونجوى ونسأل لك مولانا يحط عنك الصلاة ، ويضع عنك في هذا الإصر فيدفع اثني عشر ديناراً ، فيقول ذلك الداعي : يامولانا إن عبدك فلان قد عرف الصلاة ومعانيها ، فاطرح عنه الصلاة ، وضع عنه هذا الأصر

---

(١) الأنعام : ١٢٠ .
(٢) الأعراف : ٣٣ .
(٣) هود : ٤٠ .
(٤) ص : ٢٤ .
(٥) سبأ : ١٣ .

وهذه نجواه إثنا عشر ديناراً ، فيقول إشهدوا أني قد وضعت عنه الصلاة ويقرأ له « ويضع عنهم أصرهم والاغلال التي كانت عليهم »، فعنـد ذلك يقبل إليه أهل هذه الدعوة يهنئونه ، ويقولون الحمد لله الذي وضع « عنك وزرك . الذي أنقض ظهرك[٢] » ثم يقول له ذلك الداعي اللعون ، بعد مدة : قد عرفت الصلاة ، وهي أول درجة ، وأنا أرجو أن يبلغك الله إلى أعلى الدرجات ، فاسأل وابحث ، فيقول : عم اسأل ؟ فيقول له : سل عن الخمر ، والميسر الذي نهى الله تعالى عنهما : أبو بكر ، وعمـــر ، لمخالفتهما على علي وأخذهما الخلافة دونه ، فأما ما يعمل من العنب والزبيب والحنطة ، وغير ذلك فليس بحرام ، لأنه مما أنبتت الأرض ، ويتلو عليه « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق »[٣] إلى آخر الآية .

ويتلو عليه « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا[٤] إلى آخر الآية » والصوم : الكتمان ، فيتلو عليه « فمن شهد منكم الشهر فليصمه »[٥] ، يريد كتمان الأئمة في وقت استتارهم خوفاً من الظالمـــين ويتلو عليه « اني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً[٦] » فلو كان عني بالصيام ترك الطعام لقال : فلن أطعم اليوم شيئاً ، فـدل على أن الصيام الصمت .

---

(١) الأعراف : ١٥٧ .
(٢) الشرح : ٢ - ٣ .
(٣) الأعراف : ٣٢ .
(٤) المائدة : ٩٣ .
(٥) البقرة : ١٨٥ .
(٦) مريم : ٢٦ .

لحينئذ يزداد ذلك المخدوع طغياناً وكفراً ، وينهمك إلى قول ذلك الداعي الملعون ، لأنه أتاه بما يوافق هواه ، والنفس أمارة بالسوء .

ثم يقول له ادفع النجوى ، تكون لك سلماً ووسيلة حتى نسأل مولانا يضع عنك الصوم ، فيدفع اثني عشر ديناراً فيمضي به إليه ، فيقول يامولانا ، عبدك فلان قد عرف معنى الصوم على الحقيقة ، فأبح له الأكل برمضان ، فيقول له : قد وثقته وأمنته على سرائرنا ؟ فيقول له: نعم ، فيقول : قد وضعت عنه ذلك مدة فيأتيه ذلك الداعي الملعون فيقول له : قد عرفت ثلاث درجات ، فاعرف الطهارة ما هي ، ومعنى الجنابة ماهي في التأويل ، فيقول : فسر لي في ذلك ، فيقول له : إعلم أن معنى الطهارة طهارة القلب ، وأن المؤمن طاهر بذاته ، والكافر نجس لايطهره الماء ولاغيره ، وأن الجنابة هي موالاة الأضداد ، أضداد الأنبياء والأئمة ، فأما المني فليس بنجس ، منه خلق الله الأنبياء والأولياء وأهل طاعته ، وكيف يكون نجساً ، وهو مبدأ خلق الانسان وعليه يكون اساس البنيان ، فلو كان التطهير منه ، من أمر الدين ، لكان الغسل من الغائط والبول أوجب ، لأنها نجسان ، وانما معنى « وان كنتم جنباً فاطهروا »[1] ، معناه فإن كنتم جهلة بالعلم الباطن فتعلموا واعرفو العلم الذي هو حياة الأرواح ، كالماء الذي هو حياة الأبدان قال الله تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حي[2] » . وقوله « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق[3] » فلما سماه الله بهذا دل

(١) المائدة : ٦ .
(٢) الأنبياء : ٣ .
(٣) الطارق : ٥-٦ .

على طهارته ، ويوهمون ذلك المخدوع بهذه المقالة ، ثم يأمره ذلك الداعي أن يدفع اثني عشر ديناراً ، ويقول : يامولانا عبدك فلان قد عرف معنى الطهارة حقيقة ، وهذا قربانه اليك ، فيقول : اشهدوا أني قد حللت له ترك الغسل من الجنابة .

ثم يقيم مدة فيقول له هذا الداعي الملعون : قد عرفت أربع درجات وبقي عليك الخامسة ، فأكشف عنها ، فإنها منتهى أمرك ، وغاية سعادتك ويتلو عليه « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين [١] » فيقول له : ألهمني إياها ، ودلني عليها فيتلو عليه « قد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد [٢] » . ثم يقول له : أتحب أن تدخل الجنة في الحياة الدنيا ؟ فيقول : وكيف لي بذلك ؟ فيتلو عليه « وإن لنا للآخرة والأولى » [٣] ، ويتلو عليه « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » [٤] والزينة هاهنا ماخفي على الناس من أسرار النساء التي لايطلع عليها إلا المخصوصون بذلك ، وذلك قوله « ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن » [٥] ، والزينة مستورة غير مشهورة ثم يتلو عليه « وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون [٦] » ، فمن لم ينل الجنة في الدنيا ، لم ينلها في الآخرة ، لأن الجنة مخصوص بها ذوو الألباب ، وأهل العقول

---

(١) السجدة : ١٧ .
(٢) ق : ٢٢ .
(٣) الليل : ١٣ .
(٤) الأعراف : ٣٢ .
(٥) النور : ٣١ .
(٦) الواقعة : ٢٢ .

دون الجهال ، لأن المستجن من الأشياء ماخفي ، ولذلك سميت الجنة جنة لأنها مستجنة ، وسميت الجن جناً لاختفائهم عن الناس ، والجنة المقبرة لأنها تستر من فيها ، والترس المجن لأنه يستتر به ، فالجنة هاهنا ما استتر عن هذا الخلق المنكوس ، الذين لاعلم لهم ولا عقول ، فحينئذ يزداد هذا المخدوع إنهاكاً ، ويقول لذلك الداعي الملعون : تلطف في حالي ، وبلغني إلى ماشوقتني إليه ، فيقول إدفع النجوى إثني عشر ديناراً تكون لك قرباناً وسلماً ، فيمضي به فيقول : يامولانا إن عبدك فلان قد صحت سريرته ، وصفت خبرته ، وهو يريد أن تدخله الجنة ، وتبلغه حد الأحكام وتزوجه الحور العين ، فيقول له : قد وثقته وأمنته ؟ فيقول يامولانا قد وثقته وأمنته وخبرته فوجدته على الحق صابراً ولأنعمك شاكراً فيقول علمنا صعب مستصعب ، لايحمله إلا نبي مرسل ، أو ملك مقرب أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان فإذا صح عندك حاله ، فاذهب به إلى زوجتك ، فاجمع بينه وبينها ، فيقول سمعاً وطاعة لله ولمولانا ، فيمضي به إلى بيته ، فيبيت مع زوجته ، حتى إذا كان الصباح ، قرع عليهما الباب ، وقال : قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس ، فيشكر ذلك المخدوع ، ويدعو له ، فيقول له : ليس هذا من فضلي ، هذا من فضل مولانا ، فإذا خرج من عنده تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة ، فلا يبقى منهم أحد إلا بات مع زوجته ، كما فعل ذلك الداعي الملعون ثم يقول : له لابد لك أن تشهد المشهد الأعظم عند مولانا ، فادفع قربانك ، فيدفع اثني عشر ديناراً ، ويصل به ويقول يامولانا ، إن عبدك فلان يريد أن يشهد المشهد الأعظم ، وهذا قربانه ، حتى إذا جن الليل ودارت الكؤوس ، وحميت الرؤوس وطابت النفوس ، أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم ، فيدخلن عليهم من كل باب ، وأطفأوا

السرج والشموع ، وأخذ كل واحد منهم ماوقع عليه في يده ، ثم يامر المقتدي زوجته أن تفعل كفعل الداعي الملعون ، وجميع المستجيبين ، فيشكره ذلك المخدوع على ما فعل له فيقول: ليس هذا من فضلي ، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكروه ولاتكفروه ، على ما أطلق من وثاقكم ووضع عنكم أوزاركم ، وحط عنكم آصاركم ووضع عنكم أثقالكم ، وأحل لكم بعض الذي حرم عليكم جهالكم « وما يلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم[1] » .

قال محمد بن مالك رحمه الله تعالى : هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم ، والله تعالى لهم بالمرصاد ، والله تعالى علي شهيد بجميع ماذكرته ، مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم ، والله يشهد عليّ بجميع ماذكرته ، عالم به ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله ، ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين ، وأخزى الله من كذب عليهم بباطل له جهنم وساءت مصيراً ، ومن حكي عنهم بغير ماهم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته ، فأديت هذه النصيحة إلى المسلمين حسب ما أوجبه الله علي من حفظ هذه الشهادة ، فإن الله سبحانه أمر بحفظ الشهادة ، ومراعاتها وأدائها إلى من لم يسمعها ، قال الله سبحانه وتعالى « ستكتب شهادتهم ويسئلون[2] » ، والله أسأله أن يتوفانا مسلمين ، ولاينزع عنا الاسلام بعد إذ آتانا الله بمنه ورحمته .

---

(١) فصلت : ٣٥ .

(٢) الزخرف : ١٩ .

المقالة في أصل هذه الدعوة الملعونة ومبدئها :

وقد رأيت أيها الناس ـ وفقنا الله وإياكم للصواب ، وجنبنا وإياكم طرق الكفر والارتياب ـ أن أذكر أحبال هذه الدعوة الملعونة ، لئلا يميل إلى مذهبهم مائل ، ولايصبو إلى مقالتهم لبيب عاقل ، ويكون في هذا القدر من الكلام في هذا الكتاب إنذاراً لمن نظره ، وإعذاراً لمن وقف عليه واعتبره .

باب : اعلموا يا أخواني في الاسلام أن لكل شيء من أسباب الخير والشر والنفع والضر والداء والدواء أصولاً ، وللأصول فروعاً وأصل هذه الدعوة الملعونة التي استهوى به الشيطان أهل الكفر والشقوة ظهور « عبد الله بن ميمون القداح » في الكوفة ، وماكان له من الأخبار المعروفة والمنكرات المشهورة الموصوفة ، ودخوله في طريق الفلسفة واستعماله الكتب المزخرفة وتمشيته إياها على الطغام ، ومكيدته لأهل الاسلام .

وكان ظهوره في سنة ست وسبعين ومائتين ، من التاريخ للهجرة النبوية ، فنصب للمسلمين الحبائل وبغى لهم في الغوائل ولبس الحق بالباطل « ومكر أولئك هو يبور »[١] ، وجعل لكل آية من كتاب الله تفسيراً ولكل حديث عن رسول الله ﷺ تأويلاً وزخرف الأقوال ، وضرب الأمثال ، وجعل لآي القرآن شكلاً يوازيه ، ومثلا يضاهيه ، وكان اللعون عارفاً بالنجوم ، معطلاً لجميع العلوم « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون »[٢] ، فجعل أصل دعوته التي

---

(١) فاطر : ١٠ .
(٢) الصف : ٨ .

دعاها ، وأساس بنيته التي بناهـا الدعاء إلى الله وإلى رسوله ، ويحتـج بكتاب الله ومعرفة مثله وممثوله ، والاختصاص لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بالتقديم والامامة ، والطعن على جميع الصحابـة بالسب والأذى وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لعن الله من سب أصحابي » ، وقال عليه السلام « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديـتم » وقال ﷺ « من سب أصحابي فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله كبه الله على وجهه في النار [1] » فأفسد بتمويهه قلوب الجهال ، وزين لهم الكفر والضلال ، وله شرح يطول فيه الخطاب ، غير أني أختصر ، وفيما أشرحه كفاية واعتبار لأولي الألباب والأبصار .

وكان هذا الملعون يعتقد اليهودية ، ويظهر الاسلام ، وهو من اليهود من ولد الشلعلع من مدينة بالشام يقال لها سلمية [2] ، وكان من أحبار اليهود ، وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب ، وكان صائغاً يخدم اسماعيل ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام ، وكان حريصاً على هدم الشريعة المحمـدية لما ركب الله في اليهود من عداوة للاسلام وأهله ، والبغضاء لرسول الله ﷺ ، فلم ير وجهاً يدخل به على الناس ، حتى يردهم عـن الاسلام ، ألطف من دعوته إلى أهل بيت رسول الله ﷺ ، وكان قد خرج في أيام قرمط البقار ، وكان اسمه أو لقبه لأنه كان يقرمـط في سيره إذا مشى ، ولذلك نسب أهل مذهبه ومذهب ابن ميمون إلى قرمط ، لأنهـما

---

(١) انظر سنن أبي داود - ط. دار احياء السنة النبوية : ٤/١٢٩ ، ٢١٤-٢١٥ .

(٢) معروفة الى الشرق من حماة بينهما ٣٣ كم ، وكانت ومازال تتمتع بموقع ممتاز ، فهي بالاضافة لخصبها وثيقة الصلة بالبادية وأهلها ، ووقع اختيار الدعوة الاسماعيلية عليها لهذه المزايا .

اجتمعا وعملا ناموسا يدعوان إليه ، وكانا يعرفان النجوم ، وأحكام الأزمان فدلهما الوقت على تأسيس ماعملاه ، فخرج ميمون إلى الكوفة ، وأقام بها مدة ، وله أخبار يطول شرحها ، مما كان منه ومن علي بن فضـــل ، والمنصور صاحب مسور ، وأبي سعيد الجنابي ، وأنا أشرح ذلك عند إنتهائي إليه إن شاء الله تعالى ـ وأما قرمط البقار فإنه خرج إلى بغداد ، فقتل هنالك لارحمه الله .

باب ذكر ماكان من القداح وعقبه لعنه الله ومن تعلق بسببه ودخل في ضلالته ومذهبه :

وكان أول أولاده عبيد[1] وهو المهدي ثم « محمد » وهو القائم [2] ، ثم اسماعيل المنصور [3] ، ثم « المعز » [4] ثم « العزيز » [5] ، ثم « الحاكم » [6] ثم « الظاهر » [7] ثم « معد المستنصر » [8] ، هـؤلاء الذين ينسبون إليـه إلى عصرنا هذا ، فانتسبوا إلى ولد الحسين بن علي بن أبي طـالب كرم الله

---

(١) كذا ، وهو خطأ ، وصوابه عبد الله ، وهذه مسألة سنعود لها فيما بعد في ترجمة علي بن الفضل .

(٢) ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م — ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م .

(٣) ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م — ٣٤١ هـ / ٩٥٣ م .

(٤) ٣٤١ هـ / ٩٥٣ م — ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م .

(٥) ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م — ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م .

(٦) ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م — ٤١١ هـ / ١٠٢١ م .

(٧) ٤١١ هـ / ١٠٢١ م — ٤٢٧ هـ / ١٠٣٦ م .

(٨) ٤٢٧ هـ / ١٠٣٦ م — ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م ، وهـذا دليل على أن الكتاب صنف في عصر المستنصر .

وجهه ، وانتحالهم إليه انتحال كاذب وليس لهم في ذلك برهان وأهل الشرف ينكرون ذلك فإنهم لم يجدوا لهم في الشرف أصلاً مذكوراً ، ولاعرفوا لهم في كتاب الشجرة نسباً مشهوراً ، بل الكل يقصيهم عن الشرف وينفيهم عن النسب إلا من دخل معهم في كفرهم وضلالتهم فإنه يشهد لهم الزور ويساعدهم في جميع الأمور ، وقد زعموا أنهم من ولد محمد اسماعيل بن جعفر الصادق وحاشى لله ما كان لمحمد اسماعيل من ولد ولاعرف ذلك من الناس أحد بل هم «كشجرة خبيثة أجتثت من فوق الارض مالها من قرار»[١] .

الدليل على ذلك وعلى بطلان ماذكروه أنهم يقولون معداً المستنصر ابن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي وهو عبيد[٢] بن ميمون ، ثم يقولون ابن الأئمة المستورين من ولد اسماعيل ابن جعفر الصادق ، فإذا سألهم سائل عن هؤلاء المستورين[٣] حادوا عن الجواب وكان للسائل لهم الارتياب ، وقالوا : هم أئمه قهروا فتستروا ولم يؤمروا باظهارهم ولاذكرهم لأحد ، وهذا من أعظم الشواهد على بطلان ماذكروه وانتسبوا إليه .

والدليل على أنهم من ولد اليهود ، استعمالهم اليهود في الوزارة والرئاسة وتفويضهم اليهم تدبير السياسة ، مازالوا يحكمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم ، وذلك مشهور عنهم يشهد بذلك كل أحد .

---

(١) ابراهيم : ٢٦ .

(٢) كذا ، وهو مخالف لجميع المصادر على تباين رواياتها ومواقفها . انظر أصول الاسماعيلية : ١٣٣ - ١٥٦ .

(٣) المصادر الاسماعيلية غير متفقة على سلسلة الأئمة المستورين ، انظر اصول الاسماعيلية : ١١٥-١٣٣ .

باب خروج ميمون القداح من سلمية إلى الكوفة :

وقد ولد له عبيد وهو الذي يسمونه عبيد الله المهــدي ، فأقاما بالكوفة مدة طويلة حتي تهيأ لهما ما كانا يطلبان ، وإلى أن أجابهما إلى ذلك تسعة رهط ، يفسدون في الأرض ولايصلحون منهم علي بن فضل الجدني اليماني ، وأبو القاسم بن زاذان الكوفي المسمى المنصور عند كونه في اليمن في مسور ، وأبو سعيد الجنابي صاحب الأحساء والبحرين ، وأبو عبد الله الشيعي صاحب كتامة في المغرب ، والحسن بن مهـران المسمى بالمقنع الخارج فيما وراء النهر من خراسان ، ومحمد بن زكريا الخارج في الكوفة ، ولابد أن أذكر أصح خبر كل واحد منهم مختصر إن شاء الله تعـالى .

باب ذكر أبي سعيد الجنّابي لعنه الله :

كان فيلسوفاً ملعوناً ملك البحرين واليمامة والأحساء وادعي فيها أنـه المهدي القائم بدين الله فاستفتح[1] ... ودخل مكة وقتل الناس في المسجد الحرام ، ومنع الناس من الحج واقتلع الركن وراح به إلى الأحساء وقال في ذلك شعراً :

ولو كان هذا البيت لله ربنا	لصب علينا النار من فوقنا صبا
لأنا حججنا حجـة جاهليـة	مجللة لم نبق شرقـاً ولاغربـاً
وانا تركنا بين زمزم والصفـا	جنائز لاتبغي سوى ربهـــا ربا

---

(١) سقط في الاصل حوى أخبار أبي سعيد الجنابي حتى وفاته ، ومطلع أخبار أبي طاهر من بعده حتى دخول مكة انظر ماسبق بيانه في نص ثابت بن سنان : ٥٣ .

وله لعنه الله أشعار بالقدر في ذلك تركتها اختصاراً وكان دخوله مكة سنة سبع عشرة وثلثمائة وقتل فيها ثلاثة عشر ألفاً عليه لعنة الله .

باب ذكر الحسن بن مهران المعروف بالمقنع

خرج فيما وراء النهر وله أخبار شنيعة وكان حكيماً فيلسوفاً ملعوناً ذكروا أنه عمل قمراً بالطلسم يطلع في السنة أربعين ليلة ، ولقد كنت أكذب ذلك حتى صححه لي جماعة من أهل خراسان ، وذكروا أنه بنى حصناً وعمل فيه لوالباً ، فكان المسلمون إذا أتوا لقتاله قذفوا بالحجارة ولايدرون من أين يقذفون ، فمال إليه خلق كثير حتى بعث الله عليهم غلاماً حكيماً ، فأمر المسلمين أن يحفروا حول الحصن فوقعوا على اللوالب فاخرجوها ، ودخلوا عليه فقتلوه وقيل انه أحرق نفسه قبل دخولهم عليه فأمكن الله سبحانه وتعالى منه [١] .

باب ذكر محمد بن زكريا لعنه الله

أحسب أن اسمه زكرويه بن مهرويه القرمطي وكان قد خرج بالكوفة فخرج إليه المكتفي أمير المؤمنين من بني العباس فقتله لعنه الله ولارحمه .

باب ذكر علي بن فضل الجدني لعنه الله [٢]

من ذرية ذي جدن والأجدون من سبأ صهيب ، وأصله من جيشان ،

---

(١) انظر أخباره في تاريخ الطبري : ٨/١٣٥-١٤٨ .

(٢) ستأتي ترجمته مفصله في آخر هذا الكتاب ، وانظر أيضاً ماسبق تقديمه من أخباره في النصوص السابقة .

وكان في أوله يتنحل الإثني عشرية ، خرج للحج ثم زار قبر النبي ﷺ ثم مضى إلى الكوفة لزيارة قبر الحسين بن علي رضي الله عنه ، فلما وصل الكوفة وزار قبر الحسين رضي الله تعالى عنه بكى على القبر بكاء شديداً وجعل ينوح ويقول : بأبي أنت يا ابن الزهراء المضرج بالدماء الممنوع من شرب الماء ، وكان ميمون القداح على القبر ، وولده عبيد فلما بصرا به سرهما وطمعا به وعلما أنه ممن يميل اليهما ويدخل في ناموسهما ، فقال ميمون : أيها الشاب ما كنت تفعل لو رأيت صاحب هذا القبر ؟ قال : اذا والله أضع له خدي وأجاهد بين يديه حتى أموت شهيدا فقال له ميمون : أتظن أن الله قطع هذا الأمر ؟ قال له علي بن فضل : لا ولكني لا أعلم ذلك ، فهل عندك منه خبر أيها الشيخ ؟ فقال : أخبرك به إن شاء الله ، عند الامكان ، ثم قام ميمون فتعلق به ، فقال ميمون : تقف بهذا المسجد إلى غد فوقف أياماً فلم يرد له خبراً ، فودع أصحابه ، وقال لهم أما أنا فلا أبرح هاهنا حتى أتنجز وعداً قد وعدته فأخذ له من المؤونة ما يكفيه فوق أربعين يوماً وميمون وولده يرمقانه من حيث لا يعلم بها ، فلما رأى ميمون صبره أعجبه وعلم أنه لايخالفه في شيء من دعوته والميل إلى كفره وضلالته ، فأتاه عبيد فوثب إليه فاعتنقه وقال سبحان الله ياسيدي وعدني الشيخ وعداً فأخلفني ، فقال لم يخلفك وإنما قال أنا آتيك غداً ان شاء الله ، وله في هذا مخرج على ضميره ، ثم جلسا وجرى بينهما الكلام وقال له : يا أخي اعلم أن ذلك الشيخ أبي ، وقد سره ما رأى من صبرك وعلو همتك ، وهو يبلغك محبوبك ان شاء الله ، ثم أخذ بيده فأوصله الى الشيخ ، فلما رآه قال : الحمد لله الذي رزقني رجلاً نحريراً مثلك أستعين به على أمري ، وأكشف

له مكنون سري ، ثم كشف له أمر مذهبه لعنها الله فأصغى اليه ، واشرأب قلبه وتلقى كلامه بالقبول ، وقال له علي : والله ان الفرصة ممكنة باليمن ، وان الذي تدعو اليه جائز هنالك ، وناموسنا يمشي عليهم ، وذلك لما أعرف فيهم من ضعف الأحلام ، وتشتيت الرأي وقلة المعرفة بأحكام الشريعة المحمدية ، فقال له ميمون أنا موجهك والمنصور الحسن بن زاذان ، وكان ينسب الى ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، وكان أبوه ممن ينتحل مذهب الشيعة الاثني عشرية ، وكان من أهل الضلال ، وكان من أهل الكوفة ، فلما دخل ميمون الكوفة ظفر بالحسن بن زاذان وعلم أنه مسعود ، وانه ينال ملكاً وشرفاً ، وذلك من طريق معرفته بالنجوم والفلسفة ، فجعل ميمون يلطف به ويرفق ، فيكشف له مذاهب الفلسفة ومقالهم ، فلم يزل به حتى قبل منه ، وركن الى قوله ومازال به حتى مال الى معتقده وصار من دعاته الذين يدعون اليه والى ولده ، فعند ذلك قال ميمون : يا أبا القاسم ان الدين يماني ، والحكمة يمانية[1] ، وكل أمر يكون مبدؤه من قبل اليمن فإنه يكون ثابتاً لثبوت ذلك النجم ، وذلك أن اقليم اليمن أعلى الأقاليم الدنيا ، ولابد من خروجك الى هنالك أنت وأخوك علي بن فضل اليماني ، فسيكون لكما شأن وملك وسلطان في اليمن ، فكونا على أهبة فقال له : الأمر اليك ياسيدي ، قال المنصور : فكنت أنا وعلي بن فضل ، وعبيد لانزال نكثر المذاكرة في مجلس الشيخ ، وكان يقول عند تمام الوقت ومضي ستة أدوار من الهجرة المحمدية أبعثكما الى اليمن تدعوان الى ولدي هذا ، فسيكون له ولذريته عز وسلطان ، وأخذ علي ، وعلى علي بن فضل ،

---

(١) انظر تاريخ صنعاء ـ ط. دمشق ١٩٧٤ : ٦-٩ .

العهود والمواثيق لولده ، فلما كان أوان خروجنا قال لنا ميمون : هـذا هو الوقت الذي كنا ننتظر ، فاخرجنا في هذا الموسم ، ثم وجهنـا الى اليمن نتظاهر بالحج ، وعبد الينا ، ثم خلابي وأوصاني بالاستتـار حتى أبلغ مرادي ، وقال لي : الله الله بصاحبك فاحفظه وأكرمه بجهدك ، ومره بحسن السيرة في أمره فإنه شاب لا آمن نبوته ، وخلا بعلي بن فضل ، وقال الله الله بصاحبك ، وقره واعرف له حقه ، ولاتخالفه فيما يراه لك ، انه أعرف منك وانك ان خالفته لم ترشد .

قال المنصور : فلما صرت في بعض الطريق ، لحقني كمد عظيم لحال الغربة واذا بحاد يحدو ويقول :

يا أيها الحادي المليح الزجر   بشّر مطاياك بضوء الفجر
تـــدرك ما أملته من أمر

قال : فلما سمعت ذلك سررت به ، واستبشرت ، فوصلت مكة مع الحاج وذلك في أيام محمد بن يعفر الحوالي[1] ، ثم أقبلنا نسأل عن أخبار اليمن ، فقيل لنا : إن الأمير محمد بن يعفر رد المظالم ، واعتزل عـــن الناس ، ورجع إلى التنسك والعبادة ، فقلنا : ولم فعل ذلك ؟ فقيل لنا : إنه قيل له إن في هذه السنة يخرج عليه خارجي ، فيكون زوال أمره على يديه ، ويقال إنه رد في يوم واحد ألف دينار ، وقام في بـــني حوال رجل يقال له إبراهم فقال :

ياذا حـوال يا مصابيح الأفـق   تداركـوا عزكم لاينفتـق
فتطلبون رتق ما لا يرتـــق   فأيكم قام بهـــا فقـد سبق

---

(١) وربما سنة ٢٦٨ انظر رسالة افتتاح الدعوة : ٤٤ وانظر غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ـ ط. القاهرة ١٩٦٨ : ١/١٦٤-١٦٥ . أعلام الزركلي .

فقام ولد محمد بن يعفر :

قال محمد بن مالك الحمادي رحمه الله :

فلما خرج علي بن فضل مع الحاج هو والمنصور وصارا في غلافقة[١] افترقا ، وقال كل واحد منهما لصاحبه : أعلمني بأمرك ومايكون منك ، فوصل المنصور إلى الجند[٢] وصاحب الأمر يومئذ جعفر بن إبراهيم الناخي وخرج علي بن فضل إلى ناحية جيشان . فأما المنصور فإن ميموناً كان قال له : لايظهر أمرك إلا من موضع يقال له « عدن لاعة »[٣] فإنه أقوى لأمرك وأمضى لناموسك « وإنما دله على ذلك الفلسفة وعرف ماسطره في كتبهم من تسمية الأقاليم والبلدان وتقويم الكواكب السبعة » ، فلما صار المنصور إلى الجند سأل عن « عدن لاعة » فقالوا : لانعرف إلا « عدن أبين »[٤] فدخل « عدن أبين » بتجارة تصلح لعدن ، كما يفعل التجار فأقام أياماً فيها يسأل عن « عدن لاعة » مدة مقامه هنالك ، فبصر به شيخ من تجار عدن ، فأنكره فسأله عن حاله ، فقال : أنا رجل من أهل العراق ، وكنت حاجاً في هذه السنة ، قال : فهل عندك خبر[٥] ؟ قال : لست صاحب أخبار ، وعما تريد أن أخبرك عنه ؟ قال له العدني : هل حدث في الشام حدث ؟ قال : لاعلم لي بشيء ، فلم يزل به حتى أعلمه مافي ضميره ، فعاهده

---

(١) مدينة على ساحل اليمن مقابل زبيد ، وهي مرسى زبيد ، تعرف الآن بغليفقة معجم البلدان .

(٢) من أشهر مدن اليمن الى الجنوب من صنعاء . معجم البلدان .

(٣) هي اليوم أطلال في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة ثلاثةأيام منها . تاريخ اليمن لعمارة اليمني : ٦١ - ٦٢ .

(٤) عدن الحالية في اليمن الجنوبي .

(٥) في رسالة افتتاح الدعوة : ٤٤ « معك من علم آل محمد شيء » .

المنصور على كتمان سره ، وسأله عن « عدن لاعة » فقال هي معروفة ، ولايزال أهلها من التجار يصلون إلينا ، وأنا أعلمك بهم إذا وصلوا ، ويقال إن هذا المدني جد بني الوزان [1] فاسدي المذهب ، وبنو الوزان إلى اليوم رفضة شيع ، فلما وصل التجار من « عدن لاعة » ، ومن عزان [2] فسألهم عن الموضع فأخبروه عنه ، وأنه في ناحية بلادهم ، وهي قرية صغيرة ، [قالوا :] فمن أعلمك بها ؟ قال : الناس يسمون بذكر البلدان ، فلما عزموا على الرحيل تأهب للخروج معهم ، وقال : أنا رجل من أهل العلم ، وقد رغبت بالخروج معكم إلى بلدكم ، ففرحوا به وأكرموه وقالوا : مرحباً بك نحن أحوج إلى من يبصرنا في أمر ديننا ، ونحن نكفيك المؤونة ، ونحملك ، فأثنى عليهم وشكرهم ، وقال : لاحاجة لي عندكم ، وإنما أردت وجه الله تعالي ، فارتحل معهم ، فكان يسامرهم ، ويروي لهم أحسن الأخبار ، فأحبوه وأصغوا إليـــه وإلى قوله فكانوا يحدقون به إكراماً له وتبجيلاً حتى قدموا « لاعة » ، فادعى الفقه ومذهب السنة والجماعة فتسامع به الناس وأقبلوا إليه من كل ناحية ، وهو مستعمل للورع وحسن السيرة حتى مالت إليه مخاليف المغرب « لاعة ، وأقيان [3] وحجة وعزان ، وبلدان البياض [4] » فأمرهم بجمع زكاة أموالهم فاستعمل عليها منهم ثقات وعدولاً يقبضون أعشار أموالهم على مايوجبه الفقه فأقام

---

(١) في رسالة افتتاح الدعوة : ٤٤ « بنو موسى » .

(٢) انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٨٧-٨٨ . معجم البلدان ـ مادة عزان ـ

(٣) قرية كانت بها ملك بني حوال ـ صفة الجزيرة : ٢٣١ ، وقد صحف الاسم في الاصل ، ولعل وجه الصواب ما أثبتنا .

(٤) معظم هذه البلدان مازال معروفة بذات الاسماء في منطقة حجة . انظر صفة الجزيرة : ٢٣١-٢٣٤ .

سنتين بعد قتل « محمد بن يعفر »[(١)] واختلاف بني حوال فيما بينهم ، فقال لهم : قد رأيت أن تبنوا موضعاً منيعاً يكون لبيت مال المسلمين ، فعزموا على ذلك ولم يخالفوه فيما أمرهم به فأجمعوا على بناء موضع يقال له « عثر محرم »[(٢)] وهو جبل تحت مَسور[(٣)] وهو موضع بني العرجاء قوم من سلاطين المغرب همدان ، فلما بنى الجبل ، وحصنه ، حمل إليه كل مايحتاج إليه بعد أن ساعده إلى إرادته خمسمائة رجل ، وأخذ عليهم العهود والمواثيق ، ثم إنه بعد ذلك ارتكب الحصن هو وأصحابه ونقلوا حريمهم وأموالهم ، وذلك بعد أن اخرج الحوالي عسكراً في جنح الليل إلى مواضع كانوا فيه يقال له « الحيفة » في ناحية « لاعة » فقتل من أصحاب المنصور إثني عشر وارتكب «عثر محرم» بمعاملة لبني العرجاء وأنكر الناس أمره واضرموا النيران لحربه فكتب اليهم انيماطلعت هذا الجبل إلا لأحصن به نفسي من السلطان، فلم يقبلوا منه ، وجاءوا اليه فقاتلوه فهزمهم، وقتل منهم بشراً كثيراً فعظم حينئذ شأنه ، وشاع الى جميع المشائر ذكره ،وبلغ الأمير ذلك فكتب الى جميع المشائر حوله يحرضهم على قتاله ، فقاتلوه مراراً وهو ينتصر عليهم ، ثم استنجدوا عليه رجلاً من سلاطين شاور يقال له أبو اسماعيل وبالحوالي[(٤)]

---

(١) انظر الاكليل للهمداني : ١٧٧/١ - ١٨٦ . ط. القاهرة: ١٣٨٦هـ.

(٢) في الأصل « عبر » وفي غاية الأماني : ٢٢٠/١ « عين » ولم نعثر لأي منهما على ذكر ، فقدرنا أنه تصحيف صوابه ما أثبتنا . انظر صفة الجزيرة : ٢٤٨ - معجم البلدان تاريخ ابن المجاور : ١٨٤ . سيرة الهادي الى الحق : ٣٩٤-٣٩٨ .

(٣) انظره في صفة الجزيرة : ٣٤٩ تاريخ اليمن لعمارة : ٢٣٤ - ٢٣٥ . معجم البلدان . تاريخ ابن المجاور : ١٨٣-١٨٤ .

(٤) أي آل يعفر ، انظر الاكليل : ١٧٩/١٠ - ١٨٦ غاية الأماني : ١٦٤/١ - ١٦٥ .

صاحب صنعاء فأمدوهم بالعساكر الكثيرة فهزمهم وقتل منهم قتلاً كثيراً ، فازداد بذلك ذكره وعظم أمره ودخل في طاعته من كان حوله طوعاً وكرهاً ، واستعمل الطبول والرايات وأظهر مذهبه ودعا الى عبيد بن ميمون ، وكان يقول والله ما أخذت هذا الأمر بمالي ولا بكثرة رجالي وانما أنا داعي المهدي الذي بشر به ﷺ ، فانهمك اليه عامة الناس ودخلوا في بيعته ومذهبه ثم سمت به همته الى ارتكاب جبل مسور حصن يقال له « فايز » [١] فيه خمسمائة رجل وأمور للحوالي ، فلم يزل اللعون يتلطف حتى عامل مع عشرين رجلاً منهم ، فارتكب الجبل بالليل ، فأصبح في رأسه وقصد من كان في « بيت فايز » ، وفتح له المشرون الذين عاملوه ، وقال : « ادخلوها آمنين [٢] » ؛ فقال المنصور اخرجوا منها فإنا داخلون ، وسأله صاحب الحصن الأمان على نفسه ومن معه ، فأمنهم ، فلما رأى المنصور صاحب الحصن مقبلاً نزل عن دابته ومشى اليه واعتنقه فزال عنه الرعب ، وقال له : ان معي مالاً للسلطان فمن يقبضه ؟ فقال ـ المنصور لعنه ـ الله : لسنا ممن يرغب في مال السلطان ، وما طلعت هذا الجبل لأخذ أموال الناس ، وانما طلعت لاصلاح الاسلام والمسلمين ، خذ مال صاحبك فأده اليه ، فذكروا أنه لعنه الله طلع جبل مسور في ثلاثة آلاف رجل ، ومعه ثلاثون طبلاً ، فكانت طبوله اذا ضربت سمعت الى المواضع البعيدة من المغرب ، ثم انه حصّن الحصن ودربه وبنى فيه دار الإمرة وهو بيت

(١) هو فائس عند الهمداني . صفة الجزيرة : ٢٦٧ ، الاكليل : ٢/٨٢ . وهو يعرف اليوم باسم « فائز » ومخرج حرف السين مقارب لمخرج حرف الزاي كما هو معلوم لذلك يختلف الرسم عند اصحاب المصنفات .

(٢) الحجر : ٤٦ .

ريب[١] وهو أول من أسسه وجعل فيه من يثق به من أهل مذهبه ، ثم بنى بيت ريب ودرب الجبل من كل ناحية وجعل له بابين ، وبنى في بيت ريب قصراً وسماه دار التحية ، فعند ذلك أحل ما حرم الله ، وكان يجمع أصحابه في ذلك القصر ونساءهم يرتكبون الفواحش وأقام يحارب من حوله من القبائل ويبعث اليهم بالعساكر فأبادهم وأخذ أموالهم وقتل رجالهم حتى دخلوا في طاعته كارهين ذلك واستولى على جميع مخاليف المغرب قهراً واستعمل عليهم رجلاً من أهل مذهبه يقال له أبو الملاحف[٢] فأقام بناحية جبل تيس[٣] والياً للمنصور وخرج بنفسه وعساكره الى بلاد « شاور » فاستفتحها وحاصر صاحبها ابا اسماعيل الشاوري سبعة أشهر حتى استنزله من حصنه ورجع الى مسور ثم خرج الى ناحية « شبام حمير[٤] » فأقام يحاربهم مدة طويلة وخرجت عساكره الى ناحية المصانع من بلد حمير فأقام هناك في مراكز لحمير ، فتحموا عليه وقتلوا جماعة من عسكره فانهزموا الى مسور فغفل عنهم أياماً يسيرة وعامل رجلاً يقال له الحسين بن جراح وكان في الضلع « ضلع شبام » والياً على

---

(١) انظره ووصفه في صفة الجزيرة : ٣٤٥ - معجم البلدان

(٢) ذكر القاضي النعمان في رسالة افتتاح الدعوة : ٦١ ، وعنه نقل الداعي المطلق ادريس القرشي في عيون الأخبار وفنون الآثار : ٥/٤٤-٤٥ ، مايظن انه ولد أبي الملاحف واسمه عبد الله ، وأنه وجـه من اليمن في البداية برفقة أبي عبد الله الداعي ليتوجها نحو المغرب . انظر ماسبق في ص: ١٠٤

(٣) انظره في صفة الجزيرة : ١٢٣ .

(٤) شبام حمير الآن موضع فيه قرية يقع إلى الشمال الغربي من صنعاء ، وكان يعرف أيضاً باسم جبل ذخار ، فيه حصن كوكبان الشهير ، وفي سفحه مدينة شبام وذلك من الشرق انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٦٥-٦٦ . ابن المجاور : ٤ : ١-١٨٥ . تاريخ صنعاء : ٥٦٦ . صفة الجزيرة : ٢٣١ - ٢٣٤ .

أن يعضده على شبام ويكون أمرها اليه فماقده على ذلك ، وخرج بنفسه وعساكره وقام الحسين بن جراح ففتح « شبام الأهجر » فأخرج منها بني حوال ، وحمل الى مسور جميع ماغنمه من نمالك بني حوال وأموالهم وأقام هناك شهراً ، وندم ابن جراح على ماكان منه من معاملته ، وخاف على نفسه ، وحالف رجلاً يقال له ابن كيالة من قواد بني حوال ، كان والياً على صنعاء لجفاش ابن كيالة [١] بقبايل حمير وهمدان وخالف ابن جراح القرمطي فصار في وجهه وابن كيالة يقابله على درب شبام ، فضاق حال اللعون القرمطي وخرج منهزماً بالليل هو وأصحابه الى مسور ، فذكروا أنه ماخرج الا بنفسه وترك خيله وأقاما في شبام حتى رجع لهما القرمطي ثانية [٢] وذلك عند دخول علي بن فضل صنعاء ، وأنا أذكر ماكان منهما لعنهما الله .

وقد كان المنصور كتب قبل أن يختلف هو وعلي بن فضل الي ميمون وولده يخبره بما فتح من البلاد ووجه اليها بهدايا وطرف من طرف اليمن وكان ذلك في سنة وتسعين ومائتين ، فلما وصلت هديته الى القداح وولده سرهما ذلك ، وقال لولده : هذه دولتك قد أقبلت .

ثم ان المنصور أقام في مسور الى أن جرى بينه وبين علي بن فضل الجدني اختلاف ومحاربة ، وأنا أشرح ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى .

وكان موت المنصور لعنه الله سنة اثنين وثلاثمائة وولي الأمر من بعده عبد الله ابن عباس الشاوري [٣] .

---

(١) الحسن بن كياله من موالي بني يعفر . انظر سيرة الهادي : ٣٩٠-٣٩٣ .

(٢) انظر غاية الأماني : ١٩٢/١ .

(٣) انظر عيون الأخبار : ٤٤/٥ ، هذا وذكر الخزرجي في العسجد المسبوك —

باب ذكر علي بن فضل بن أحمد الجدني لعنه الله :

كان من خبره أنه لما افترق هو المنصور بغلافقة ، خرج إلى اليمن أيضاً وفيها جعفر بن ابراهيم المناخي ، وخرج إلى جعفر[١] من «أبين» وفيها رجل من الأصابح يقال له محمد بن أبي العلاء فخرج القرمطي إلى جيشان ثم خرج إلى «سروبافع»[٢] فتفرسهم فعلم أنهم أسرع الناس إلى إجابته فطلع رأس جبل وبنى فيه مسجداً وأخذ بالنسك والعبادة فكان نهاره صائماً وليله قائماً فأنسوا اليه وأحبوه وافتتنوا به ، ثم انهم قلدوه أمرهم ، وجعلوا حكمهم إليه فسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ويسكن بينهم فقال لا أفعل هذا ولست أسكن بين قوم جهال ضلال إلا أن تعطوني العهود والمواثيق أن لاتشربوا الخمر ، ففعلوا له ذلك ، وأنهم ينكرون المنكر ، وينكرون على أهل المعاصي بأجمعهم ، فلم يزل يخدعهم بعبادته حتى بلغ الى ارادته ، وأمرهم ببناء حصن في ناحية «سروبافع» فأطاعوه وسمعوا لأمره ، ثم أنه أنهبهم أطراف بلدان ابن أبي العلاء وأراهم أن ذلك جهاد لأهل المعاصي حتى يدخلوا في دين الله طوعاً وكرهاً ، وأمرهم

— انظره فيا بعد — أن منصوراً وصى الى ابنه الحسن والى عبد الله الشاوري ، ويبن أن منصور توجه الى المهدية ، حيث يبدو أنه مكث هناك فترة من الزمن وشارك في العديد من الأحداث ، كما يبدو أنه كان شاعراً ، وقد ذكر له الداعي ادريس عدداً من القصائد في عيون الأخبار ٥/٢٠٦ ، ٢٧٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٩ ، وخلال إقامة الحسن في إفريقية أوكلت المهدية أمور الدعوة في اليمن إلى الشاوري ، لكن بعدما عاد حسن بن المنصور إلى اليمن اغتال الشاوري واستبد بأمور الدعوة .

(١) أي مخلاف — منطقة — جعفر . انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٤٨ — ٤٩ .

(٢) انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٤٧ — ٥١ .

أن يتخطفوا بلاد ابن أبي العلاء فاشتد بأسهم ، وكانوا لايلقون جمعاً الا هزموه وظفروا عليهم ، وذلك لما سبق من علم الله من فتنة المسلمين على يديه لعنه الله ، فلما شاع ذكره وسمع به جعفر بن ابراهيم[1] ، كاتبه وفرح به ، وذلك لشحناء كانت بينه وبين ابن أبي العلاء لقرب القرمطي اليه فكاتبه جعفر على مطابقته على حرب ابن أبي العلاء ، ووجه من عنده عسكراً الى القرمطي وتعاقدا أن يكون جميع ما يفتح من بلدان ابن أبي العلاء بينهما نصفين فخرج القرمطي لحرب ابن أبي العلاء بقبائل يافع وعسكر جعفر ، فهزمهم ابن أبي العلاء وقتل منهم قتلاً كثيراً وانهزم القرمطي الى « سبأ صهيب »[2] فلما كان الليل جمع أصحابه ، وقال اني أرى رأياً صائباً ، ان القوم قد أمنوا منا ، وقد علمتم ما فعلوا بنا وأرى أن نهجم عليهم ، فإنا نظفر بهم ، فأجابوه الى ذلك ، وهجم عليهم الى « خَنفَر »[3] فقتل ابن أبي العلاء وعسكره واستباح ما كان له وأخذ من خزائنه تسعين ملحماً في كل واحد عشرة آلاف[4] ، فلما رجع الى بلاد يافع ، عظم شانه ، وشاع ذكره ، وأجابته قبائل مذحج بأسرها ، وزبيد ، ومالاً يحصى عدده ، فلما بلغ ذلك جعفراً اغتم غماً شديداً وسفر اليه ينظر ماعنده ، فسأله أن يقسم ما أخذ من « خنفر » فجمع القرمطي القبائل والعساكر ولقي السفير في أعظم زي من العدة والعدد ، فلما عرف السفير بما جاء به ، جمع العساكر ، وقال : ان جعفراً أرسل

---

(١) المناخي . انظر صفة الجزيرة : ١٣١ . الاكليل : ٢/٩٣-٩٥ .

(٢) انظر صفة الجزيرة : ٧٩ .

(٣) بلدة كانت تقوم وسط وادي أبين هي الآن أنقاض . صفة الجزيرة : ٧١ . الإكليل : ٢/١١١ .

(٤) من الدنانير ، ذلك أن خنفر شهرت بذهبها . صفة الجزيرة : ٧١ .

الي لما بيني وبينه من العهد بقسمة ماغنمت ، وقد أحضرتكم شهـودا على تسليمه اليه لأني لارغبة لي في المال ، انما قمت لنصرة الإسلام ، فشكروه على ذلك ثم أحضر المال فقسمه شطرين وسلم الى السفير ، وقال: انصرف الى صاحبك ليلتك ، وقل له يستعد لحربي ، وكتب معه كتابـاً اليه ، يذكر فيه : انه بلغني ما أنت عليه من ظلم المسلمين ، وأخذ أموال الناس ، وأنا قمت لأميت المظالم ، وأرد الحق الى أهله ، فإن أردت تمام مـا بيني وبينك فرد الظلامات الى أهلها ، وادفع لأهل دلال دية[1] ما قطعت من أيديهم ، وذلك أن جعفراً قطع أيدي ثمانمائة رجل من أهـل دلال على حجر المذيخرة ، يقال ان أثر الدم على الحجر الى اليوم ، فلما بلغه كتابه علم أنه منابذه الحرب فقطع مكاتبته .

فلما كان العام المقبل خرج القرمطي بالجمع الكثير ، فدخل المعافـر فأمر جعفر بلزوم نقيل بردان عند التَمْكر[2] وخرج في لقائه أكـثر من ألف فارس فانهزم القرمطي مولياً الى بلاد يافع لجمع جموعاً كثيرة ، ورجع فهزم جموع جعفر الى المذيخرة ، فتبعه القرمطي ، فدخل المذيخرة وانهزم جعفر الى تهامة ، فأقام القرمطي في مذيخرة فاستنجد جعفر بصاحب تهامة ، فأنجده بعسكر عظيم فطلع حتى صار في موضع يقال له الرواهد بناحية « نخلة » فلما سمع به القرمطي خرج اليه في جنح الليل فظفر به وقتل جعفراً في الجوالة بنخلة[3] .

---

(١) انظر صفة الجزيرة : ١٣٣ .

(٢) من معاقل اليمن الشهيرة والمتناهية القدم . انظر صفة الجزيرة : ١٠٢-١٠٤ ، ٤١٩ .

(٣) لازال وادي نخلة يحتفظ باسمه ، وجوالة حصن : ذكره الهمداني في صفةالجزيرة: ١٣١ ، وقال : « قتل فيه جعفر بن ابراهيم المناخي » وقد ذكر الهمداني بقية المواقع هذه=

قال محمد بن مالك الحادي رحمه الله تعالى : وكان هـذا جعفر بن ابراهيم ظلوماً ، غشوماً سفاكا للدماء ، وانه قال في شعر له طويل قدر مائتي بيت في حرب كانت بينه وبين أبي جعفر الحوالي ، وظفر جعفر على الحوالي ، في [شبام آخر المحرم سنة تسع وسبعين ، و] من شعره[1] :

اذا ما تجمظروا[2] بطشنا بقدرة ... ونفعل ماشئنا وما نتجمظـــر

فما قبلنا قبل ولابعـــد بعدنا ... لفتخر فخراً اذا عد مفخـر

سوى الطيبين الطاهرين الذين هم ... من الرجس والعاهات والسوء طهر

سلالة اسماعيل ذي الوعد والوفا ... ودعوة ابراهيم والبيت يعمـــر

محمد الهادي النبي وصنـــوه ... علي وسبطاه شبير و[3] شبر

ونسلهم الهادين بالحق والتقى ... بطاعتهم رب السماوات يـأمر

ومولاتي الزهراء التي عدل مريم ... وصهر رسول الله مولاي حيدر

=في صفة الجزيرة : ١٣٠ - ١٣٤ . كما ذكر نسب المناخي وبعض أخباره في الاكليل : ٢/٩٥-٩٦ ، ١٠٠/١٧٧-١٨٦ . وكان مقتل المناخي سنة احدى وتسعين ومائتين أو في السنة التالية . انظر سيرة الهادي الى الحق : ٣٨٩ . غاية الأماني : ١٩٤ - ١٩٥ .

(١) بالأصل : في شيء من شعره ، والزيادة والتقويم عن المسجد المسبوك للخزرجي نسخة الجامع الكبير في صنعاء : ٣٣ .

(٢) الجمظري : الفظ الغليظ ، المتنفخ بما ليس عنده ـ القاموس .

(٣) (Shafra) (Shafira) وقد جاء في سيرة ابن اسحق : ٢٤٧ « ... عن علي قال : لما ولد علي سميته حرباً ، قال : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أروني بني ، ماذا سميتموه ؟ فقلت : سميته حرباً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ولكن اسمه حسن ، فلما ولدت حسيناً سميته حرباً ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أروني ابني ما سميتموه ؟ فقلت : سميته حرباً ، فقال : لا ولكن اسمه حسين . . . ثم قال : إني سميتهما ببني هرون شبره وشبيرا ، يقول حسن وحسين » .

رويدك عني بالملامـــة انني ... بها وبهم أزهو وأعلو وأفخر
ألا كل مجد ماخلا مجد أحمـد ... وعترته من دون مجـدي يقصر
وكل امرء والى سوى آل أحمد ... فذاك الذي الدنيا مع الدين يخسر
بهم زادني الرحمن عزاً ومفخراً ... فأحمده حمداً كثيراً واشـكر
أنا ابن أبي اسحاق منصور حمير ... وفارسها والشمشعـان المظفـر
فلولاي لم يخلق سرير ممهـد ... ولولاي لم ينصب على الأرض منبر
أنا قمر الدنيا وعمي سراجهـا ... وجدي الذي كانت به الأرض تعمر
هم أنزلوني منزل العز حيث لا ... يراني الا دوني الطـرف يحسر
أصول ولا يعدى علي وأعتدي ... وأخمـد نيران الحروب وأسعر
وطعمي للاعداء مر وعلقـم ... وطعمي لأهل السلم شرب معنبر
ألم تر أن البغي مهلك أهـله ... وان الذي يبغى عليه سينصر

رجع الحديث الى علي بن فضل القرمطي ـ لعنه الله ـ انه لما قتل جعفراً أظهر كفره ، وادعى النبوة ، وأحل البنات والأخوات [١] ، وفي ذلك يقول شاعرهم على منبر الجامع في الجند :

خذي الدف ياهذه والعبي [٢] ... وغني هزاريك ثم اطـربي
تولى نـبي بـني هـاشم ... وهـذا نبي بـني يعرب
لكل نـبي مضى شرعـة ... وهذي شرائع هـذا النبي
فقد حط عنـا فروض الصلاة ... وحـط الصيام ولم يتعـب
اذا الناس صلوا فلا تنهضـي ... وان صوموا فكلـي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفـا ... ولازورة القبر في يـثرب

---

(١) يمكن رؤية ماصنعه ابن الفضل على أنه إعلان للقيامة ، العقيدة الاسماعيلية المعروفة . انظر الدعوة الاسماعيلية الجديدة : ٨٧ - ٨٩ .

(٢) في روايات أخرى : واضربي .

ولا تمنــي نفسك المعرسين من أقـربي ومن أجنبي
فكيف تحلي لهـذا الغريب وصرت محـرمـة للأب
أليس الغراس لمـن ربـه وسقـاه في الزمن المجدب
ومـا الخمـر الا كماء السماء حلالاً فقـدست من مـذهب

والشعر طويل وكله تحليل محرمات الشريعة والاستهانة بها .

ثم خرج يريد الحوالي [١] ، وخرج قبل ذلك الى بلاد « يحصب » [٢] فدخل « منكث » [٣] فأحرقها ثم خرج يريد الحوالي صاحب صنعاء ، فلما بلغ بلد « عنس » [٤] ، وكان للحوالي مأمور في هران [٥] فأرسل اليه القرمطي ليدخل فيما هم عليه ، فأجابه الى ذلك ، فنزل اليه ودخل في ملته وقرمطته ، وكان معه خمسمائة فارس رجع منهم الى صنعاء الى الحوالي مائة وخمسون ، وخرج القرمطي يريد صنعاء فلما سمع به الحوالي ، وبالجموع التي معه ، وعلم أنه لاطاقة له به خرج من صنعاء هارباً الى الجوف ، فدخل القرمطي صنعاء ، فأقام فيها وأظهر فيهـا الفحشاء وأمر الناس بحلق رؤوسهم ، ثم التقى هو وصاحب مسور الحسن بن منصور الى شبام [٦]

---

(١) أي أسعد بن يعفر . انظر الاكليل للهمداني : ١/١٨٥ - ١٨٦ ، تاريخ اليمن السياسي لمحمد يحيى الحداد . ط. القاهرة : ١٩٦٨ : ٢/٥٣ - ٥٦ .

(٢) مخلاف من مخاليف اليمن فيه قصر ريدان الشهير . صفة الجزيرة : ٢٧٨ . تاريخ اليمن لعمارة : ٧٤ ـ معجم البلدان .

(٣) تقع الى الشرق من يحصب ، وتبعـد عن بلدة يريم بحوالي ٢٠ كم . صفة الجزيرة : ٧٩ .

(٤) في الشمال الشرقي من ذمار . انظر صفة الجزيرة : ٤٠٦ .

(٥) حصن في شمال ذمار ـ صفة الجزيرة : ١٤٩ .

(٦) شبام كوكبان غربي صنعاء ، بينهما يوم وليـلة ، وهو جبل صعب المرتقى ، كان يسكنه آل يعفر ، والآن عامر بالأبنية الحديثة ـ صفة الجزيرة : ٨٦ ، ١٢٢ ، الاكليل: ٢/٧١ ـ معجم البلدان .

فأقاما هنالك أياماً ، وعلي بن فضل يكبر المنصور ، ويقول انما أنا سيف من أسيافك ، والمنصور يهابه ، ويخافه على نفسه لما يرى من شهامته واقدامه ، فعزم على الخروج الى مخاليف « البياض »[١] فنهاه المنصور ، وقال له : قد ملكنا اليمن بأسره ، ولم يبق الا الأقل فعليك بالتأني والوقوف في صنعاء سنة ، وأنا في « شبام » فيصلح كل واحد ما استفتح ثم بعد ذلك يكون لنا نظر ، فإنك ان خرجت من صنعاء خالف أهلها وفسد علينا ماملكناه فلم يقبل منه وقال : لابد من الخروج ، واستفتح تهامة فخرج الى مخاليف البياض ، وهي بلاد وعرة فلما توسط بينهم ومعه قدر ثلاثين ألفاً أحاطوا به ، وقطعوا عليه الطرق ، ولم يقدر على التخلص ، فلما سمع المنصور خاف عليه ، وأغار إليه ، واستنقذه فرجع إلى شبام ، وعاد إلى صنعاء ، وخرج إلى جبال حضور ثم إلى حراز[٢] ثم إلى ملحان[٣] ونزل المهجم[٤] وقتل صاحبها وهو إبراهيم بن علي رجل من عك واستفتح الكدراء[٥] ورجع إلى ملحان وسرى بالليل إلى زبيد وفيها المظفر بن حاج ومعه ستمائة فارس وهجم عليهم في أربعين ألفاً فأحاط بعسكره ، فقتل المظفر بن حاج ، وكان المظفر مأموراً لصاحب

---

(١) في سيرة الهادي : ٣٩١ ، حدث هذا سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وأنه خرج يريد تهامة ، وهذا ماذكره الخزرجي في العسجد المسبوك ، والبياض حصن قريب من صنعاء معجم البلدان .

(٢) مخلاف قرب زبيد . معجم البلدان .

(٣) انظر صفة الجزيرة : ١٤٤-١٤٥ . معجم البلدان .

(٤) انظر صفة الجزيرة : ٢٥٨-٢٥٩ . معجم البلدان .

(٥) مدينة كانت ذات مكانة على شط وادي سهام ، كان « يسكنها خليط عك » القبيلة اليمانية المشهورة . صفة الجزيرة : ٧٤ . الاكليل : ٢/٢٣٨ .

بغداد [١] وسبى القرمطي من زبيد أربعة آلاف عذراء ، ثم خرج منها إلى الملاحيط ، وأمر صائحه وعسكره : ياجند الله فلما اجتمعوا إليه قال : قد علمتم أنا مجاهدون وقد أخذتم من نساء الحصيب [٢] ماقد علمتم وإن نساء الحصيب تفتن الرجال فيشغلنكم عن الجهاد فليذبح كل رجل منكم من في يده فسميت الملاحيط المشاحيط [٣] لذلك ، ثم رجع إلى مذيخرة دار مملكته ، وأمر بقطع الحج [٤] وقال : حجوا إلى الجرف ، واعتمروا إلى الثاني ، موضعان معروفان هنالك .

فلما أصبحت اليمن بيده وقتل الأضداد مثل المناخي وجعفر بن الكرندي [٥] والرؤساء ، وطرد بني (زياد) وكانوا رؤساء مخلاف جعفر ، ولم يبق له ضد يناوئه ، عطل المنصور وخلع عبيد بن ميمون [٦]

---

(١) أي الخليفة العباسي المكتفي : ٢٨٩ هـ / ٩٠٢م – ٢٩٥هـ/ ٩٠٨م .

(٢) الحصيب هي قرية زبيد . صفة الجزيرة : ٧٣ .

(٣) شحطه تشحيطاً : ضرجه بالدم ، فتشحط : تضرج بـه ، واضطرب فيه . القاموس .

(٤) ذكر صاحب غـاية الأماني في حوادث سنة ٣٠٠ هـ : ٢٠٢ بأن ابن الفضل بعث قائدين من قواده وهما محمد بن درهم الجنابي ، وحسن بن محمد بن أبي الملاحف الصنعاني الى مكة انظر ماتقدم ص ١٠٤ .

(٥) بنو الكرندي قوم من زعماء المعافر من حمير . انظر تاريخ عمارة : ٨٧-١٢٧ .

(٦) يستخلص من المصادر الاسماعيلية : أن مركز الدعوة فى السلمية عانى قبيل ومع بداية حركة القرامطة من انقسامات خطـيرة للغاية ، أسهمت في الصراعات القرمطية الاسماعيلية في الشام ، ودفعت المهدي الى مغادرة السلمية نحو الرملة فمصر عاقـداً النية في البداية على السفر الى اليمن ، لكنه عدل عن رأيه في مصر وقرر التوجه غرباً . وفي الطريق من الشام الى مصر رافق المهدي عدد من أهله وبعض أعوانه ، على رأسهم رجل عرف باسم فيروز ، وصفه الحاجب جعفر الذي كان من حاشية المهدي بأنه كان « داعي الدعاة وأجل الناس عند الامام وأعظمهم منزلة ، والدعاة كلهم أولاده ومن تحت يده ، وهو باب الأبواب=

الذي كان يدعو اليه فكتب إليه المنصور يعاتبه ويذكر ماكان من احسان القداح وقيامه بأمرها وما أخذ عليهما من العهد لابنه فلم يلتفت إلى قوله ، وكتب إليه إنما هذه الدنيا شاة من ظفر بها افترسها ، ولي بأبي سعيد الجنابي أسوة ، لأنه خلع ميموناً وابنه ، ودعا إلى نفسه ، وأنا أدعو إلى نفسي ، فإما نزلت على حكمي ودخلت في طاعتي وإلا خرجت إليك وقد كان [أبو طاهر بن أبي] سعيد الجنابي (١) دخل مكة في ذي الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وقتل فيها ثلاثة عشر ألفا وقطع الركن يوم النحر ، وهو القائل لعنه الله :

فلو كان هذا البيت لله ربنا ... لصب علينا النار من فوقنا صبا
لأنا حججنا حجة جاهلية ... محللة لم تبق شرقاً ولا غرباً
وانا تركنا بين زمزم والصفا ... كتائب لاتبغي سوى ربها ربا
ولكن رب العرش جل جلاله ... ولم يتخذ بيتاً ولم يتخذ حجبا

في شعر طويل . وقد كان الخليفة (٢) ببغداد كتب إليه يذكر له ما فعل ويتوعده على ما استحل فأجابه أبو [طاهر بن أبي] (١) سعيد القرمطي :

=الى الأئمة » وفي مصر وبسبب قرار التوجه غرباً ولأسباب أخرى لانعلمها فارق فيروز المهدي ، ورفض البقاء معه ، وتوجه نحو اليمن ، فالتحق أولاً بالمنصور الذي لقيه بالتبجيل والتعظيم ، ذلك لأن المنصور كان قد انضم الى الدعوة الاسماعيلية على يدي فيروز وبوساطته ، وكتب المهدي الى منصور اليمن يسأله قتل فيروز ، وعلم فيروز بالأمر فغادره والتحق بعلي بن الفضل « ففتنه وأفسده » وكان سبب الخلاف بين ابن الفضل ومنصور . انظر سيرة الحاجب جعفر نشرت في مجلة كلية الآداب لجامعة القاهرة عام ١٩٣٦ : ١١٠/٤ - ١١٥ . عيون الأخبار : ٩٢/٥ - ٩٦ .

(١) أضيف مابين الحاصرتين كيما يصح الخبر لأن وفاة أبي سعيد جاءت قبل هذا .

(٢) المقتدر : ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م - ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م .

« بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين .

من أبي [طاهر سليمان بن] (١) الحسن الجنابي ، الداعي إلى تقوى الله القائم بأمر الله ، الآخذ بآثار رسول الله ﷺ ، إلى قائد الأرجاس المسمى بولد العباس .

أما بعد — عرفك الله مراشد الأمور ، وجنبك التمسك بحبل الغرور — فإنه وصل كتابك بوعيدك وتهديدك ، وذكرك ما وضعته من [نظم] كلامك ، وقمت به من فخامة اعظامك ، من التعلق بالأباطيل ، والاصغاء الى لخش الأقاويل من الذين يصدون عن السبيل ، فبشرهم بعذاب أليم على حين زوال دولتك ، ونفاذ منتهى طلبتك ، وتمكن أولياء الله من رقبتك ، وهجومهم على معاقل أوطانك ، ظفراً ، وسبيهم حرمك قسراً ، وقتل جموعك صبراً ، أولئك حزب الله « الا ان حزب الله هم المفلحون »(٢) وجند الله هم الغالبون . هذا وقد خرج عليك الامام المنتظر كالأسد الغضنفر في سرابيل الظفر ، متقلداً سيف الغضب ، مستغنياً عن نصر العرب ، لايأخذه في الله لومة لائم ، « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٣) » وقد اكتنفه العز من حواليه ، وسارت الهيبة بين يديه ، وضربت الدولة عليه سرادقها ، وألقت عنه قناع بوائقها (٤) ، وانقشعت طخاء (٥) الظلمة ، ودجنة الضلالة ، وغضت بحار الجهالة ، ليحق الحق ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون .

---

(١) زيد مابين الحاصرتين تقويا .

(٢) المجادلة : ٢٢ .

(٣) المائدة : ٥٤ .

(٤) البائقة : الداهية ، جمع بوائق . القاموس .

(٥) الطخاء : السحاب المرتفع . القاموس .

تالله غرتك نفسك ، وأطمعتك فيما لست نائله ، وسولت لك مالست واصله ، فكتبت لي بما أجمعت عليـــه أذهان كتابك ، ذكرتني بالعيوب الشنيعة ، وقذفتني بالمثالب السمجة ، تالله « لتسألن عما كنتم تعملون » [١]

فأما ماذكرت من قتل الحجيج ، واخراب الأمصار ، واحراق المساجد فوالله مافعلت ذلك الا بعد وضوح الحجة كإيضاح الشمس ، وادعاء طوائف منهم أنهم أبرار ، ومعاينتي منهم أخلاق الفجار ، فحكمت عليهم بحكم الله « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » [٢] .

خبرني أيها المحتج لهم ، والمناظر عنهم ، في أي آية من كتـاب الله أو أي خبر عن رسول الله ﷺ اباحة شرب الخمور ، وضرب الطنبور ، وعزف القيان ، ومعانقة الغلمان ، وقد جمعوا الأموال من ظهور الأيتام ، واحتووها من وجوه الحرام .

وأما ماذكرت من احراق مساجد الأبرار ، فأي مساجد أحق بالخراب من مساجد اذا توسطتها ، سمعت فيها الكذب على الله تعالى ، وعلى رسوله ﷺ ، بأسانيد عن مشايخ فجرة ، بما أجمعوا عليه من الضلالة ، وابتدعوا من الجهالة .

وأما تخويفك لي بالله ، وأمرك بمراقبتـــه ، فالعجب من بهتك ، وصلابة حدقتك ، أترى أني أجهل بالله منك ، وصرفك أموال المسلمين للصفاعنة والضراطين ، ومنعهـا عن مستحقيها ، يدعى على المنابر للصبيان ويخطب للخصيان « الله أذن لكم أم على الله تفترون [٣] » .

---

(١) النحل : ٩٣ .
(٢) المائدة : ٤٤ .
(٣) يونس : ٥٩ .

وأما ماذكرت أني تسميت بسمة عدوان ، فليس بأعظم من تسميك بالمقتدر بالله[٢] أمير المؤمنين أي جيش صدمك ، فاقتدرت عليه ، أم أي عدو ساقك فابتدرت اليه؟ ! لأنت أمير الفاسقين أولى بك من أمير المؤمنين وانك لتقلد بعض خدمك شيئاً من أمرك ، فيكاتبه الشريف والرئيس بالسيد والمولى ، فأي الأمرين « أقرب للتقوى » أوما علمت أنــــه من انقاد له نفر من عشيرته ، وعصابة من بني عمه وأسرته فقد سادهم وعلا فيهم .

وبعد : فمالك وللوعيد والإبراق والتهديد ، اعزم على ما أنت عليه عازم واقدم على ما أنت عليه قادم ، والله من ورائي ظهير ، وهـو نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله وصلى الله على خير بريته وآله وعترته » .

قال محمد بن مالك الحمادي ـ رحمه الله تعالى : يرجع الحديث الى قصة صاحب مسور ، وعلي بن فضل لعنهما الله تعالى .

وذلك أن صاحب مسور لمـا علم أن علي بن فضل غير تاركه ، كما ذكر في كتابه ، عمد الى جبل مسور لحصنه ، وأعد فيه جميع مايحتاج اليه للحصار ، وقال لأصحابه : اني لأخاف هذا الطاغية ، ولقد تبـين لي في وجهه الشر حين واجهته في « شبام » ، فلم يلبث علي بن فضل أن خرج لحرب المنصور ، واختار لحربه عشرة آلاف مقاتل من يافـع ومذحج وزبيد وعنس وقبائل العرب ، فدخل قرية « شبام » ، وأخرج المنصور للقائه ألف مقاتل الى موضع يقال له المصانع[١] من بلد حمـــير فضبطوا ذلك الجبل فزحف اليه فاقتتلوا من أول النهار الى الليل فخـرج

---

(٢) المقتدر حكم : ٢٩٥هـ/ ٩٠٨م – ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م .

(٣) المائدة : ٨ .

(١) انظر صفة الجزيرة : ١٢٢ ، ٢١٧ ، ٢٣٢ . تاريخ اليمن لعمارة : ٩٠ .

علي بن فضل على طريق العضد [١] ودخل « لاعة » مصعداً الى جبل الجحجمة [٢] مقاتلاً للمنصور فضرب فيها ورجع الى أصحاب حضور المصانع فلزموا بيت ريب [٣] وضبطوا الجبل ، فأقسم أن لايبرح حتى يستنزل المنصور ، فحاصره ثمانية أشهر وقيل ان المنصور حمل من سوق طمام [٤] خمسمائة حمل ملح قبل وصول علي بن فضل وعق [٥] له في الجبل عقاً واسعاً في موضع كثير التراب ، وأوقدوا فوقه الحطب أياماً حتى استملح الجبل فصار ملحاً كله ، ثم نقله الى الخزائن .

ثم ان علي بن فضل ملَّ المقام ، فلما علم منه المنصور ذلك ، دس عليه في أمر الصلح ، فقال : لست أبرح وقد علم أهل اليمن قصدي لمحاصرته الا أن يرسل الي بعض ولده ، فيكون ذلك لي مخرجاً عند الناس ، ويعلمون أنه قد دخل في طاعتي ، فأرسل اليه ولده ودفعه بالتي هي أحسن ، فرجع الى « مذيخرة » فأقام عنده ولد المنصور سنة ثم رده إلى أبيه وبره وطوقه بطوق من ذهب ، ثم أقام بمذيخرة يحل المحرمات ويرتكب الفواحش وأمر الناس باستحلال البنات والأخوات ، وكان يجمع أهل مذهبه في دار واسعة يجمع فيها الرجال والنساء بالليل ، ويأمر باطفاء السرج وأخذ كل واحد من وقعت يده عليه ، وروي أن عجوزاً محدودبة

---

(١) جبال العضد من أعمال شبام . صفة الجزيرة : ١٢٣ .

(٢) من جبال اليمن الشاهقة . صفة الجزيرة : ٦٥ ، ٢٦٨ .

(٣) لايزال يحمل هذا الاسم ، وقال عنه الهمداني في صفة الجزيرة : ٣٤٥ : وبيت ريب حصن ذو عرقة منقطعة عليها قصور آل المنصور وحرمهم وأموالهم ، لامسلك لها غير باب واحد .

(٤) سوق شهير للغاية كان في منطقة لاعه . صفة الجزيرة : ١١١ ، ٢٤٨ .

(٥) عق : شق ـ القاموس .

الظهر ، وقمت مع رجل منهم فلما تبنى[1] بها خلاها فتعلقت بثيابه وقالت « دوبد من ذي حكم الأمير[2] » فجرت مثلاً .

ويقال ان أيامه لعنه الله كانت سبع عشرة سنة ، ومات مسموماً سنة ثلاث وثلثمائة .

وكان سبب موته لعنه الله أن رجلاً من أهل بغداد يقال إنه شريف وصل إلى الأمير أسعد بن أبي يعفر الحوالي ، وكان في ذلك الوقت هارباً من القرمطي في الجوف من بلد همدان مستجيراً بني الدُعام ،[3] ، وأن ذلك البغدادي وهب نفسه لله وللاسلام ، وقال للأمير تعاهدني وأعاهدك أني إذا قتلت هذا القرمطي كنت معك شريكاً فيما يصل إليك ، فعاهده على ذلك ، وكان طبيباً حاذقاً فخرج إلى مذيخرة ، فكان مع كبار أهل دولة القرمطي ، يفتح لهم العروق ويسقيهم الدواء ويعطيهم المعجونات ، حتى وصفوه للقرمطي بالحذق بالطب وفتح العروق ، وقالوا : إن مثلك لايستغني أن يكون في حضرته مثله ، ثم إنه احتاج إلى إخراج الدم فأمره أن يفصده فعمد إلى السم فجعله على شعر رأسه ، فدخل على القرمطي فسلم عليه فأمره أن ينزع ثيابه ، ويلبس غيرها ، ثم أخرج المبضع ، ثم مصه ، وعلي بن فضل ينظر إليه ، ثم مسحه برأسه فتعلق بـه من السم حاجتـــه ، ثم فصده وخرج من ساعته ، فركب دابته ، وخرج

---

(١) الابتناء والبناء : الدخول بالزوجة ـ النهاية لابن الأثير .

(٢) « دو » في احدى لهجات اليمن « لا » وعلى هذا « دوبد » : « لابد » ومعنى الجملة « لابد من الذي حكم به الأمير » أو مايقارب هذا .

(٣) انظر الاكليل : ١٠/١٧٧-١٨٦ حيث قال الهمداني « الدعام بن ابراهيم ، سيد همدان في عصره ، والزائد على من تقدمه نجدة وفروسية وجوداً وحلماً ودهاء ونباتاً ووفاء وصبراً وصوناً » هذا وللدعام ذكر طويل في سيرة الهادي الى الحق : ٩١-٣٩٥ .

هارباً ، فلما أحس عدو الله بالموت أمر بقتل الطبيب ، فلم يوجد فلحقوا به دون « نقيل صيد [١] » بازاء قينان [٢] فقتلوه هنالك رحمه الله تعالى ومات القرمطي [٣] لارحمه الله .

وولى الأمر من بعده ولده الفأفاء [٤] وشاع موته في الناس ووصل

---

(١) النقيل عند أهل اليمن العقبة أي الأكمة المرتفعة ، ونقيل صيد أوعر نقطة على الطريق الذي يعتبر حداً فاصلاً بين اليمن الأعلى واليمن الأسفل . صفة الجزيرة : ٣٤٤ . تاريخ اليمن لعمارة : ٧٤ .

(٢) تقع قينان في سافله يحصب السفل من بطن السحول ليس بعيداً عن اب بجوار رفود وشمال مركز الحادر ـ صفة الجزيرة : ١٠٤ . الاكليل : ٢/٢٣٤ .

(٣) تتفق رواية الخزرجي مع هذه الرواية مع زيادة بالتفاصيل ، إنما جاء في سيرة الهادي ٤٠٣ « وأصاب ابن فضل ـ لعنه الله ـ مرض في بدنه ، فتفجر من أسفل بطنه ، وأماته الله على أسوأ حال ـ لعنه الله ـ وكانت وفاته يوم الأربعاء للنصف من شهر ربيـــع الآخر» لسنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥ م . هذا وذكر الداعي المطلق ادريس القرشي في كتابه عيون الأخبـــار : ٥/٤٣ ـ ٤٤ ، أنه بعدما قامت الخلافة الفاطمية أمر المهدي « رجلين من أهل دعوته ، وممن في حضرته حتى وصلا الى مدينة صنعاء ، وتسميا أنهما طبيبان ، حتى دخل أحدهما على ابن فضل ـ لعنه الله ـ ففصده وجعل في مفصده سماً قاتلاً وخرج من عنده ، وبادر الهرب هو وصاحبه ، ومات ابن الفضل لعنه الله ، وعجل الله بروحه الى النار ، ولحق بأمثاله من الكفار والفجار ، وأخذ أصحاب ابن الفضل في طلب الرجلين اللذين فصداه ، ومازالوا يتبعونهما ويسألون عنهما حتى انتهيـــا الى موضع تحت نقيل صيد فأدركا هنالك ، وقتلا رحمة الله عليهـــما » ورغم ماذكره الداعي ادريس مع المصادر المتأثرة بالروايات الاسماعيلية نجد صاحب غاية الأماني : ١/٢٠٨ يذكر في حوادث سنة ٣٠٣ هـ : « وفي هذه السنة أراح الله العباد ، وطهر البـــلاد ، بهلاك قائد العاصين ورئيس المفسدين علي بن فضل ـ لعنه الله ـ وكانت وفاته إلى عذاب الله في يوم الأربعاء منتصف شهر ربيع الآخر ، بعد ألم ألمّ به ، وطرف من تعجيل عقوبته ، « ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون » ـ فصلت : ١٦ ـ ودفن بالمذيخرة » .

(٤) كذا في الأصل ، وفي النفس شيء منه ، فلعله تصحيف « فضل » هذا ولم تذكر المصادر التي تعرضت لعلي بن الفضل وماجرى بعده اسم ابنه ، بل تحدثت عنه دون تبيان اسمه .

إلى الحوالي جماعة من رؤساء الناس: بنو الحابي والانبوع وغيرهم فزحف بالعسكر الغليظ لحرب القرامطة فدخل التعكر[١] ثم تقدم إلى جبل التومان[٢] ، فحاصر القرامطة ، وسلط الله سبحانه وتعالى عليهم سيف النقمة ، لايخرج لهم جمع إلا هزموا ، أو قتلوا ، وأيد الله سبحانه وتعالى المسلمين بنصره .

قال الله تعالى « انهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون[٣] » فأقام يحاصر القرامطة سنة ويقال ان من شدة عزمه وحزمه وتقصيه أنه ماحل عدته ولاسلاحه بل يصلي وعليه عدته وسلاحه حتى فتح الله عليه[٤] وقتل القرامطة وأحيا الاسلام .

ليس كولاة الأمر من أهل زماننا الذين غرقوا في اللذات ، واتبعوا الشهوات ولم يرغبوا في المكارم والنجدات ، وعظوا فلم يتعظوا وناموا فلم يستيقظوا ، ونظروا ماحل بغيرهم فلم يعتبروا ، وقد قيل في المثل السائر .

---

(١) سبق ذكره بأنه من أمنع وأقدم حصون اليمن ـ انظر صفة الجزيرة : ١٠٤ .

(٢) في الجنوب الشرقي من جبل الذخيرة فيه عسكر أسعد بن أبي يعفر ، لحصار القرامطة وكان ذلك سنة ٣٠٤ هـ . انظر صفة الجزيرة : ٢١٣ .

(٣) الصافات : ١٧٢-١٧٣ .

(٤) وصفه الهمداني ، وهو من معاصريه ، في الاكليل : ٢/١٨٤-١٨٦ ، بقوله : « وأسعد هو أبو حسان ، ملك عصرنا ، وذهب على من قبله بالصوت ، وهو الذي اجتث عرقاة القرامطة باليمن ، وهو فارس حمير في عصره ، والقائل : إذا تم لي مقدم الحصان فيأ كل مؤخره الذنب ، وجوادها ومهيبها ، وله تواقيع معجزة لايجارى فيها مع حسن السياسة ، وعظم الدهاء ، وبعد الغور ، وكتمان مافي النفس ، وإذا غضب غضب ، وإذا رضي رضي ، ولابعدة له على قومه ولا عصبية له ، ولا ولد له ، فدرج ، وتوفي يوم السبت لثمان خلون من شهر رمضان من سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وأخباره وسيره تكثر »

وإذا رأيت أخوك يحلق رأسه أوشكت بعد أخيك تصبح أصلعا

ومن عجز عن رعاية رعيته ، وجار عليها في حكمه وقضيته ، دل على زوال مملكته وتعجيل منيته ، وقد قال الأول :

ومن رعى غنماً في أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيهـا الأسد

وإذا فرط الراعى في أمر رعيته ، وطاوع نفسه الدنية ، وذهبت عنه الأنفة والحمية ، فقد عظمت عليه البلية ، وقال الأفوه الاودي :

لايصلح القوم فوضى لاسراة لهم ولا سراة إذا جهالهـم سادوا
تهدي الأمور بأهل الرأي ما صلحت فإن تولت فبالأشرار ينـقادوا[١]

رجع الحديث الحديث إلى محاصرة الحوالي ، فروي أنه نصب المنجنيقات فهدم المذيخرة بعد سنة ، ودخل على القرامطة فقتلهم ، وأخذ من الغنائم مالايحصى ، وسبى بنات القرمطي وكن ثلاثاً ، فصارا اثنتين في رعين وواحدة وهبها الأمير لابن أخيه قحطان ، وأباد الله القرامطة على يد الأمير الحوالي بمنه وسعادته ، وجعل لايسمع بأحد منهم إلا قتله ، ورجع إلى صنعاء وقد أطفأ جمرة الشرك ، وملك جميع البـلاد ، وزالت الفتنـة ، وأراح الله من القرامطة ، وطهر منهم البلاد ، وأمن منهم العباد ، وسار الأمير في الناس بأحسن سيرة ، وعدل في الرعية ، ورد بني المحابي[٢] إلى مخلاف جعفر ، وجرت المكاتبة بين الأمير الحوالي ، والأمير ابراهيم

(١) هو صلاة بن عمرو من مذحج ، ويكنى أبا ربيعة ، انظره وأبياته في الشعر والشعراء لابن قتيبة ـ ط. ليدن ١٩٠٢ م : ١١٠-١١١ .

(٢) بنو المحابي من الكلاع ، منهم أبو يعقوب وهو الذي عاصر اسعد الحوالي ، وفي النفس شيء من قوله : ردهم إلى مخلاف جعفر . انظر الاكليل : ٢/١٩٥ . تاريخ عمارة : ٤٦ ـ ٥٨ .

ابن زياد (١) والناصر أحمد بن يحيى الامام الهادي صاحب صعده (٢) وتعاقدوا على المعاضدة والمناصرة وقتل القرامطة حيث ماوجدوا ، وذكروا أنه كان يوجد عنوان : كنتم بركة في بركة ونعمة مشتركة ، والأرض فيما بيننا قد حصلت في شبكة ، وكان الخارج إذا خرج من بلد أحدهم لذنب أذنبه كاتب فيه ، وسأل الصفح عنه ، وصفت لهم المعيشة ، واستقامت لهم الدولة ، ولزم كل واحد منهم بلده ، ولم يطمع واحد على صاحبه ، وألف الله بين قلوب المسلمين ، ولم يبق من القرامطة إلا شرذمة قليلة من أولاد المنصور في ناحية مسور ، وأبادهم الله تعالى على يد الدعام بن إبراهيم ، والناصر بن يحيى ، وأنا أذكر ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى .

باب ذكر أولاد المنصور :

مات لعنه الله سنة اثنتين وثلثمائة واستخلف على أهل دعوته رجلاً يقال له عبد الله بن عباس الشاوري ،[وأوصى اليه]وإلى ولده أبي الحسن المنصور ، وقال : « قد أوصيتكما بمبدأ الأمر فاحفظاه ولاتقطعا دعوة بني عبيد بن ميمون ، فنحن غرس من غرسهم ، ولولا ناموسهم ومادعونا به إليهم ماصار إلينا من الملك ماقد نلناه ، ولاتم لنا في الرئاسة حال ، فعليكما

(١) حول تاريخ ملوك بني زياد في تهامة وزبيد . انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٤٦-٥٨ تاريخ ثغر عدن ـ ط. بريل ١٦٣٦ : ٢-٣ ، ١٦-١٧ . تاريخ اليمن السياسي : ٤٥-٥١

(٢) بعد وفاة الهادي إلى الحق خلفه ابنه الأمير المرتضى ، لكن هذا الامير تخلى عن الحكم سنة ٢٩٩ هـ / ٩١٢ م ، وبعد تخليه جاء أخوه الناصر احمد الى صعده لانه كان غائباً في الحجاز ، وفي صعده بويع خلفاً لأخيه . انظر سيرة الهادي : ٤٠٠-٤٠٧ ، تاريخ اليمن السياسي : ٦٣-٦٨ .

بمكاتبة القائم منهم ، واستيراد الأمر منهم ، فأوصيكما بطاعة المهدي يعني عبيد بن ميمون حتى يرد أمره بولاية أحدكما ، ويكون كل واحد منكما عوناً لصاحبه ».

وقد كان لعبد الله بن عباس ، عند عبيد بن ميمون سابقة ومعرفة ، لأن المنصور قد كان ـ لعنه الله ـ بعثه مع أبي عبد الله الشيعي الخارج بكتامة من بلاد الغرب على ما أذكره فيما بعد.

ثم ان عبد الله بن عباس كتب الى عبيد بن ميمون المسمى بالمهدي ، بموت المنصور ، وهو يومئذ بمدينة بناها وسماها المهدية [1] بالغرب ، وأنه قام بمذهبه من بعد المنصور ، ودعا إليه ، وأنه لم يبق الا استيراد الأمر ، ويسأله الولاية لنفسه وعزل أولاد المنصور وخرج ولد المنصور بنفسه إلى القيروان يسأل الولاية لنفسه ، ولاينزع الأمر منهم بعد أبيهم وقد كانت وصلت هدايا ابن عباس وكتابه ، وولاه الأمر ، وكتب له ، فلما وصل ابن المنصور أمره بطاعة ابن عباس وبعث لابن عباس بسبع رايات: فرجع ولد المنصور الى مسور ، وقد يئس مما كان يرجو من الولاية ، فلقيه عبد الله بن عباس بنفسه وأهل دعوته فبجله وعظمه ، ولقيه أخوه جعفر وأبو الفضل وبقية أولاد القرمطي لعنه الله ، فسألوه بما ورد به الأمر فعرفهم بصرف الأمر عنهم الى عبد الله بن عباس دونهم ، فتبين لجعفر في وجه أخيه أبي الحسن الشر والعداوة لابن عباس والحسد ، فنهاه عن ذلك ، وقبح عليه وزجره ، وقال له : أنت تعلم أنه غرس أبينا ، وأنه لايقدم علينا سوانا في هذا الأمر ، قال : والله لاتركته يتنعم في ملك عني به غيره ، ونحن أحق به منه ، فقال له أخوه جعفر : ان أمرنا اذاً يتلاشى ،

---

(١) معروفة في الجمهورية التونسية ، ماتزال تحوي العديد من آثار الفاطميين .

ويزول ملكنا ، وتفترق هذه الدعوة ، ويذهب الناموس الذي غسناه على الناس ، فلا تحدث نفسك بهلاكه فتهلك ، فلم يلتفت الى قوله وكتم السر نفسه ، وكان أولاد المنصور لايحجبون عن أبي العباس ليلاً ولانهاراً ، فوثب عليه أبو الحسن بن المنصور ، فقتله غدراً ، وولي الأمر من بعده فولي ماكان أبوه يلي ، ورجع الى مذهب الاسلام ، وجمع المشائخ من بلده وأشهد أنه رجع عما كان عليه أبوه ، فأحبه الناس ، فدخل عليه جعفر ، فقبح مافعله ، وقال : قطعت يدك بيدك ، فلم يلتفت الى قوله وخرج جعفر الى ولد عبيد المسمى بالقائم[1] ، فكاتب أخاه يعيب عليه فعله بشعر طويل يقول فيه :

فكنتم وأنتم تهدمــــون وأبتني فشتان من يبني وآخر يهـدم

وتتبع أبو الحسن من كان على دين أبيه يقتلهم ، فأباد القرامطة ، وبقي منهم قوم يتكتمون منه ، وأقاموا ناموسهم برجل منهم ، وكان لايقطع مكاتبة بني عبيد ، ثم ان أبا الحسن خرج من مسور الى عثر محرم وفيه يومئذ رجل من بني العرجاء ، واستخلف أبو الحسن على مسور رجلاً يقال له ابراهيم بن عبد الحميد السباعي وهو جد بني المنتاب فوثب ابن العرجي على أبي الحسن فقتله، فلما انتهى الخبرالى ابراهيم بن عبد الحميد السباعي لزم مسوراً ، وادعى الأمر لنفسه وأخرج أولاد المنصور وحريمه من مسور الى جبل ذي عسب[2] فوثب عليهم المسلمون من أهـــل المغرب[3] فقتلوهم الصغير منهم والكبير ، وسبوا حريمهم ولم يبقوا على

---

(١) حكم القائم الفترة : ٣٢٢ هـ/ ٩٣٤ م – ٣٣٤ هـ/ ٩٤٦ م .

(٢) انظر صفة الجزيرة : ١٩٧ .

(٣) أي مغرب اليمن .

وجه « الأرض من الكافرين دياراً » ولم يبق للمنصور عقب يعرف بحمـد الله ومنـــه .

ثم إن إبراهيم بن عبد الحميد اتفق هو وابن العرجي ، واقتسما بينها نصفين ، لكل واحد منها مايليه ، ورجع إبراهيم عن مذهب القرامطة وكان أبوه من كبار قواد المنصور وأصله من قدم من حمير وكان أبوه قتل في مخلاف البياض [1] لأن المنصور كان أخرجه إلى هنالك بالعساكر ثم إن إبراهيم بنى في بيت ريب مسجداً ، ونصب منبراً وخطب لأمـير المؤمنين من بني العباس ، وكاتب الأمير أبا الحسن بن إبراهيم بن زياد ، وبذل له من نفسه السمع والطاعة ، والدخول في الخدمة ، وسأله أن يبعث إليه محاضر من قبله يكون عنده ، فأرسل رجلاً يقال له السراج وقال له : إذا تمكنت قبضت على إبراهيم بن عبد الحميـد ، فوصل من زبيد ، ولقيه ابراهيم بن عبد الحميد إلى بيت ريب ، وطلع ابراهيم بن عبد الحميد إلى حصن في رأس الجبل وكان ينزل إليه كل يوم يصحبـه ويعظم حقه ، ثم إن السراج عامل على إبراهيم ناساً من أهل الجبل فنزل إليه يصحبه ، فلقيه رجل من المماملين فأخبره بالمماملة فرجع إلى حصنه فضرب الطبول ، فاجتمع إليه الناس ، ومن كان فيه من اهـل دولتـه فدخل على السراج ، فقبض عليه ، فأمر بحلق لحيته ، ونفاه عـن بلده وانقطعت المكاتبة بينه وبين ابن زياد ، واستمر أمره ، وجعـل يتتبع القرامطة يقتلهم ويسبي ذراريهم ، فبقي منهم قليل في ناحية جبل مسور ، فأقاموا قرمطياً منهم يقال له ابن الطفيل [2] ، فسمع به ابراهيم بن عبـد

---

(١) سبق تعريفه ، حيث قال ياقوت : حصن باليمن من أعمال الحقل قرب صنعاء .

(٢) يوسف بن موسى بن الطفيل . صفة الجزيرة : ١١٣ .

الحميد ، فخرج إليه فقتله ، وتفرق من بقي من أصحابه إلى نواحي عمـان وقطابه [١] وانكتم أمرهم عن إبراهيم .

ثم إنهم أقاموا ناموسهم برجل يقال له ابن رحـيم ، وذلـك في أيام المنتاب ، بعد موت أبيه ابراهم ، وكان ابن رحيم هذا لايستقر في موضع واحد ، خوفاً من المنتاب ، ومن المسلمين ، وهو يـكاتب ابن عبيـد ، وذلك بعد خروج المعز من القيروان إلى بلاد مصر عند بنـائه القاهرة المنسوبة اليه ، فلم يزل ابن رحيم يكاتب أهل مصر المعز ومن بعـــده ، وينهى أخبار أهل اليمن حتى مات لارحمه الله . واستخلف على من بقي من القرامطة لعنهم الله رجلاً يقال له يوسف بن الأسد من أهـل شبام حمير فأقام لعنه يدعو إلى الحاكم ويبايع له على وجـه السر حتى مات لعنـــه الله .

واستخلف على مذهبه رجلاً يقال له سليمان بن عبد الله الزواخي [٢] من حمير ، من ضلع شبام من موضع يقال له الخنن [٣] فأقام يـدعو إلي الحاكم وإلى المستنصر ، وكان الملعون كثير المـال عظيم الجاه فاستمال الرعاع والطغام إلى مذهبه ، وكان في أيامه قد شهر نفسه بالمبايعة لأهل مصر من بني عبيد بن ميمون الملعون ، وقد كان عرف بذلـك ونسب إليـه

(١) قطابة واد وسوق شمال همل التي هي واد كثير الأشجار موبوء يقع أسافل مركز كحلان عفار صفة الجزيرة : ١١٣ .

(٢) نسبة الى قرية الزواخي من أعمال حراز ، وقد ضبط كل من البكري في معجم ما استعجم وياقوت في معجم البلدان « الزواخي » بالخاء المعجمة ، في حين أن السيوطي في لب اللباب والأكوع في صفـــة الجزيرة : ١٠٣ - ١٠٤ وتاريخ اليمن لعمارة : ٩٥ « بالحاء المهملة » .

(٣) بلد وجبل غربي الذنجرة . صفة الجزيرة : ١٠٢-١٠٣ .

فكل ماهم به المسلمون من حمير وشبام ، وماحوله من القبائل ، دفعهم بالجيل وقال لهم أنا رجل مسلم ، فكيف يحل لكم قتلي فينتهون عنه .

وكان فيه كرم نفس وكان يكرم الناس ويتلطف بهم فلم يزل كذلك حتى مات لارحمه الله .

باب ذكر ابتداء دولة الصليحيين :

وكان هذا الصليحي المسمى علي بن محمد كثير الخلطة به والمعاشرة وكان أحظى من عنده ، وأطوع أهل مذهبه له ، وكان يأتيه من بلد الأخروج وهو سبع من أسباع حراز [١] وكان الصليحي الملعون شهماً شجاعاً مقداماً ، فلما عرفه سليمان بذلك ، وحضرته الوفاة لارحمه الله أوصاه بأهل مذهبه ، وأمرهم بالسمع والطاعة وسلم إليه مالاً كثيراً قد كان جمعه من أهل مذهبه ، ثم إن الصليحي الملعون أرسل إلى القرامطة من أوطان كثيرة بعيدة ومواضع متباينة ووعدهم بالوصول إليه ليوم معلوم ، فلما وصلوا إليه طلع بهم مسار [٢] وكان طلوعه ليلة الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة وطليعته تسعمائة رجل وخمسون رجلاً [٣] فلما استقر بالجبل كتب [٤] إلى صاحب مصر ، وهو المستنصر

(١) قال الهمداني في صفة الجزيرة ١٠٨ : « وأرض حراز ، وهي سبعة أسباع : حراز ، وهوزن ، ولهاب ، ومجيح ، وكرار ، ومسار ، وحراز المستحوزة .

(٢) مسار حصن عال عظيم الشأن فيه قرى ومزارع منه أعلن الصليحي ثورته . صفة الجزيرة : ١٠٨ . تاريخ اليمن لعمارة: ٩٤-١٢٨ . تاريخ ثغر عدن : ١٥٩-١٦٤ غاية الأماني : ١/٢٤٧ .

(٣) وقيل غير هذا . انظر تاريخ عمارة مع تعليقات الأكوع : ١٠١-١١٦ .

(٤) في تاريخ عمارة : ١١٨ أن هذا كان سنة ثلاث وخمسين

من بني عبيد ووجه إليه بهدايا سبعين سيفاً مقابضها عقيق ، واثني عشر سكيناً نصبها عقيق لأن للعقيق عندهم قدراً ، لأنه لايكون إلا في اليمن وخمسة أثواب وشي ، وجام عقيق ، وفصوص عقيق مع إهليلج كابلي [١] ومسك وعنبر .

فوجه معه المستنصر إليه برايات وألقاب ، وعقد له الولاية ، وكان سفيره خاله أحمد بن المظفر ، وأحمد بن محمد الذي انهدمت عليه الدار بعدن ، وهو أبو زوجة المكرم [٢] المساة بالسيدة بنت أحمد [٣] .

فالحذر الحذر أيها المسلمون من مقاربته ومخالطته والركون إلى قوله فإنه وأهل مذهبه يستدرجون العقول ويضلون من ركن إليهم ، لقد سمعته مراراً وأسفاراً وهو يقول لأصحابه قد قرب كشف مانحن نخفيه ، وزوال هذه الشريعة المحمدية ، والله سبحانه أكرم من أن يبلغه مأموله من فساد الدين وهلاك المسلمين .

خلعت العـــذر ولم أستتر	وأظهرت ما ليس بالمظـــهر
وبحت بما كنت أسررتـــه	من الغي والمذهب الأخسر
وتبـت إلى الله مستغفراً	منيبـــاً إنابـــة مستغفـر
وحرمت ما كنت حللتـــه	لقومك من كـل مستنكر
وحـذرت من فعلـك العـالمـــين	وعدت إلى المنهج الأنور
فإني جئت نحوك مستغفراً	فبـــالله بالله لاتنفـــر
اتحسبـني انثـــني صبـوة	إلى رائق اللون والمنظـر

(١) ثمر قال عنه صاحب القاموس « معروف » انظر المعرب للجواليقي .

(٢) هو أحمد بن علي الصليحي خلف أباه بعد مقتله . تاريخ عمارة : ١٢٧-١٣٦ .

(٣) انظر تاريخ عدن : ١٩٤ .

وحاشا لمثلي أن ينثني ... إلى الكفر والمذهب الأغبر
فإن لم يكن غير هجر الملاح ... فلا زال ذاك إلى المحشر

عباد الله إني لم أزل أتلطف بخاصته ، وأهل مذهبه ولم أقنع حتى خالطته وأطمعته بقبول ماهو عليه من مذهبه ، وضلالته وكفره وبدعته ، وأعماله الشنيعة ، وضلالته الفظيعة ، التي تنكرها القلوب ، وتشمئز منها النفوس .

وذلك أن الصليحي [1] ومن على مذهبه ، يدعون إلى ناموس خفي كل جهول غبي ، بعهود مؤكدة ومواثيق مغلظة مشددة على كتمان مابويع عليه ودعي إليه ، وأنه لايكشف لهم سراً ، ولا يظهر لهم أمراً ، ثم يطلعه على علوم مموهة ، وروايات مشبهة يدعوه في بدء الأمر إلى الله ورسوله ـ كلمة حق يراد بها الباطل ـ ثم يأخذه بعد دلك بالرفض والبغض لأصحاب رسول الله ﷺ ، فإذا انقاد له وطاوعه ، أدخله في طرق المهالك تدريجاً ، ويأتيه بتأويل كتاب الله تحريفاً وتمويهاً ، بكتب مصنعة ، وأقوال مزخرفة إلى أن يلبس عليه الدين ، ويخرجه منه كما يخرج الشعرة من العجين ، وقصارى أمره إبطال الشرائع ، وتحليل جميع المحارم ، فسارع إليه من لم يكن له بالشرع معرفة لأنه صادف أكثر الناس عواماً فأجابه إلى دعوته الرعاع والطغام ومن لم يكن له معرفة قبل بالاسلام ، من جنب وسنحان ويام [2] فحرم

---

(١) جاءت وفاة الصليحي سنة ٤٥٩ هـ ، ويبدو أن المصنف لم يدرك وفاة الصليحي.

(٢) جنب وسنحان من قبائل مذحج سكان السراة ، ويام من همدان تقطن نجران مازال تعرف باسمها ومعتقدها حتى يومنا هذا . انظر الاكليل : ١٠/٦٥-٩٠ . تاريخ عمارة : ١٠٣ .

الحلال وأحل الحرام ، وناقض بجهده الاسلام وأبطل الصلاة والصيـــام والزكاة والحج إلى بيت الله الحرام ، فأهلكهم الله بذنوبهم ، وماكان لهم من الله من واق .

« آخر رسالة محمد بن مالك رحمه الله رحمة الأبرار ، ووقاه عذاب النار »





كتاب

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم



القرامطة

[سنة ٢٧٨ هـ]

وفيها وردت الأخبار ، بحركة قوم يعرفون بالقرامطة ، وهم الباطنية وهؤلاء قوم تبعوا طريق الملحدين ، وجحدوا الشرائع ، وأنا أشير إلى البدايات التي بنوا عليها ، ثم إلى الباعث لهم على مافعلوا من نصب دعوتهم ثم إلى ألقابهم ، ثم إلى مذاهبهم وعلومهم ، أما البدايات التي بنوا عليها فإنه لما كان مقصودهم الالحاد تعلقوا بمذاهب الملحدين مثل زرادشت[1] ومزدك ، فإنهما كانا يستحلان المحظورات ، وقد سبق في أوائل هذا الكتاب شرح حالهما ومازال أكثر النـاس مع أعراضهم ، لايدخلون في حجـر يمنعهم إياها ، فلما جاء نبينا ﷺ ، قهر الملك ، ومنع الالحاد أجمع جماعة من الثنوية والمجوس والملحدين ، ومن دان بدين الفلاسفة المتقدمين ، فأعملوا آراءهم ، وقالوا : قد ثبت عندنا أن جميع الأنبياء كذبوا وتخرقوا على أممهم ، وأعظم الكل بلية علينا محمد فإنه نبغ بين العرب الطغام ،

---

(١) ينسب اليه تأسيس الديانة الزرادشتية ، التي دانت الامبراطورية الساسانية بها حتى سقوطها ، وقامت عقيدتها على أساس الصراع بين قوتين إلهيتين ، واحدة نورانية للخير ، وأخرى مظلمة شريرة [أهورامزداوأهرمان] ومن صراعهما ولد الانسان المادي المظلم والروحاني المنير ، ومزدك قام في القرن السادس للميلاد يحاول اصلاح الديانة والمجتمع ، فكان أول اشتراكي في التاريخ ، وقد قضي على حركته من قبل كسرى أنوشروان الأول .

فخدعهم بناموسه ، فبذلوا أموالهم وأنفسهم ونصروه ، وأخذوا ممالكنا ، وقد طالت مدتهم ، والآن قد تشاغل أتباعه ، فمنهم مقبـــل على كسب الأموال ، ومنهم على تشييد البنيان ومنهم على الملاهي ، وعلماؤهم يتلاعنون ويكفر بعضهم بعضاً ، وقد ضعفت بصائرهم ، فنحن نطمع في إبطـال دينهم ، إلا إنا لايمكننا محاربتهم لكثرتهم ، فليس الطريق إلا بإنشاء دعوة في الدين ، والانتماء إلى فرقة منهم ، وليس فيهم فرقة أضعف عقولاً من الرافضة ، فندخل عليهم بذكر ظلم سلفهـم الأشراف من آل نبيهـم ، ودفعهم عن حقهم ، وقتلهم وماجرى عليهم من الذل لنستعين بهـؤلاء على إبطال دينهم ، فتناصروا وتكاتفوا ، وتواثقوا وانتسبوا إلى اسماعيل بـن جعفر بن محمد الصادق ، وكان لجعفر أولاد منهم اسماعيل الأعـرج ، ثم سوّل لهم الشيطان آراء ومذاهب أخذوا بعضها من المجوس ، وأخذوا بعضها من الفلاسفة ، وتخرقوا على أتباعهم ، وإنما قصدهم الجحد المطلق ، لكنهم لـما لم يمكنهـــم توصلوا إليه ، فقد بان ذلك بما ذكرت ، ومن البدايات التي بنوا عليها ، الباعث لهم على مافعلوا من نصب الدعوة .

وأما ألقابهم فإنهم يسمون الاسماعيلية ، والباطنية ، والقرامطـــة ، والخرمية ، والبابكية ، والمحمرة ، والسبعية والتعليمية ، فـأما تسميتهـم بالاسماعيلية ، فبإنتسابهم الى اسماعيل بن جعفر على ما ذكرناه ، وأما تسميتهم بالباطنية فإنهم ادعـوا أن لظواهر القرآن والأخبار بواطـن تجري مجرى اللب من القشر ، وأنها توهم الأغبياء صوراً وتفهم الفطناء رموزاً واشارات إلى حقائق خفية ، وأن من تباعد عن العرض على الخفايا والبواطـــن متعثر ، ومن ارتقى إلى علم الباطن إنحـــط عنه التكلف واستراح من من اعبائه ، واستشهدوا بقوله تعالى (ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي

كانت عليهم [1]) ، قالوا : والجهال بذلك هم المرادون بقوله: (نضرب لهم بسور له باب) [2] وغرضهم فيما وضعوا من ذلك إبطال الشرائع ، لأنهم إذا صرفوا العقائد عن موجب الظاهر فحكموا بدعوى الباطن ، على موجب الانسلاخ عن الدين .

وأما تسميتهم بالقرامطة ففي سبب ذلك ستة أقوال :

أحدها : أنهم سموا بذلك لأن أول من أشير لهم بتلك الجهة محمد الوراق المقرمط ، وكان كوفياً .

والثاني : أن لهم رئيساً من السواد ، من الأنباط يلقب بقرمطويه فنسبوا اليه .

والثالث : أن قرمطاً كان غلاماً لاسماعيل بن جعفر فنسبوا إليه ، لأنه أحدث لهم مقالاتهم .

والرابع : أن بعض دعاتهم نزل برجل يقال له كرميته فلما رحل تسمى قرمط بن الأشعث ، ثم أدخله في مذهبه .

الخامس : أن بعض دعاتهم رجل يقال له كرميته ، فلما رحل تسمى باسم ذلك الرجل ، ثم خفف الاسم فقيل قرمط .

قال أهل السير : كان ذلك الرجل الداعي من ناحية خوزستان ، وكان يظهر الزهد ، والتقشف ، ويسف الخوص ، ويأكل من كسبه ، ويحفظ للقوم ماصرموا من نخلهم في حظيرة ، ويصلي أكثر الناس ، ويصوم ، ويأخذ عند إفطاره من البقال رطلاً من التمر ، فيفطر عليه ، ويجمع

---

(١) الأعراف : ١٥٧ .
(٢) الحديد : ١٣ .

نواه فيدفعه إلى البقال ، ثم يحاسبه على ما أخذ منه ، ويحط من ذلك ثمن النوى فسمع التجار الذين صرموا نخلهم ، فوثبوا عليه ، وضربوه ، وقالوا : لم ترض بأن أكلت التمر حتى بعت النوى ، فأخبرهم البقال في الحال ، فندموا على ضربه ، وسألوه الاحلال ، فازداد بذلك نبلاً عند أهل القرية ، وكان إذا قعد إليه إنسان ، ذاكره أمر الدين وزهده في الدنيا ، وأعلمه أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة ، ثم أعلم الناس أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت رسول الله ﷺ ، ثم مرض ومكث مطروحاً على الطريق ، وكان في القرية رجل يحمل على أثوار له ، وكان أحمر العينين ، وكان أهل القرية يسمونه كرميته لحمرة عينيه ، وهو بالنبطية حار العين ، فكلم البقال ـ كرميته هذا ـ في أن يحمل هذا العليل إلى منزله ، ويوصي أهله الاشراف عليه ، والعناية به . ففعل ، فأقام عنده حتى برىء ، ثم كان يأوي إلى منزله .

ودعا أهل القرية إلى أمره فأجابوه ، وكان يأخذ من الرجل إذا دخل في دينه ديناراً ، ويزعم أنه يأخذ ذلك للامام ، فمكث يدعو أهل القرى فيجيبونه ، واتخذ منهم اثني عشر نقيباً ، وأمرهم أن يدعو الناس إلى دينه ، وقال لهم : أنتم كحواري عيسى بن مريم عليهما السلام ، فشغل أكره (١) تلك الناحية عن أعمالهم بما رسمه لهم من الخمسين صلاة التي ذكر أنها فرضت عليهم ، وكان للهيصم في تلك الناحية ضياع ، فوقف على تقصير اكرته في العمارة ، فسأل عن ذلك ، فأخبر أن رجلاً قدم عليهم ، فأظهر لهم مذهباً من الدين ، وأعلمهم أن الله عز وجل قد

(١) أي الأجراء والعمال .

افترض عليهم خمسين صلاة في اليوم والليلة ، وقد اشتغلوا بها ، فوجه إليه فجيء به فسأله عن أمره فأخبره بقصته ، فحبسه في بيت ، وحلف بقتله وأقفل عليه ، وترك المفتاح تحت وسادته ، ونام فرقت له جاريته فأخذت المفتاح ، وفتحت وأخرجته ، ثم أعادت المفتاح إلى موضعه فلما أصبح الهيصم فتح الباب فلم يجده ، فشاع ذلك الخبر فعبر به أهل تلك الناحية وقالوا : قد رفع ، ثم ظهر في موضع آخر ولقي جماعة من أصحابه ، فسألوه عن قصته فقال : ليس يمكن أحداً أن يؤذيني ، ثم خاف على نفسه ، وخرج إلى الشام ، وتسمي باسم الرجل الذي كان في منزله ـ كرميته ـ ثم خفف فقيل قرمط ، وفشا أمره ، وأمر أصحابه ، وكان قد لقي صاحب الزنج فقال له : أنا على مذهب وورائي مائة ألف سيف ، فناظرني فإن اتفقنا ملت بمن معي إليك ، وان تكن الأخرى انصرفت ، فناظره فاختلفا ففارقه .

السادس : أنهم لقبوا بهذا نسبة إلى رجل من دعاتهم يقال له حمدان ابن قرمط ، وكان حمدان من أهل الكوفة يميل إلى الزهد ، فصادفه أحد دعاة الباطنية في طريقه وهو متوجه إلى قريته وبين يديه بقر يسوقها فقال حمدان لذلك الداعي ، وهو لا يعرفه : أين تقصد ؟ فسمى قرية حمدان ، فقال له : اركب بقرة من هذه البقر لتستريح من المشي ، فقال : إني لم أؤمر بذلك ، قال : كأنك لا تعمل إلا بأمر ؟ قال : نعم فقال حمدان : وبأمر من تعمل ؟ قال بأمر مالكي ومالكك ؟ ومالك الدنيا والآخرة ، فقال : ذلك الله عز وجل ، قال : صدقت ، وماغرضك في هذه البقعة ؟ قال : أمرت أن أدعو أهلها من الجهل إلى العلم ، ومن الضلال إلى الهدى ، ومن الشقاوة إلى السعادة وأستنقذهم من

ورطات الذل والفقر ، وأملكهم مالاً يستغنون به عن التعب والكد ، فقال له حمدان : أنقذني أنقذك الله ، وأفض علي من العلم ماتحييني به ، فما أشد حاجتي إلى ذلك ؛ فقال : ما أمرت أن أخرج السر المكنون إلى كل أحد إلا بعد الثقة به ، والعهد إليه ، قال : فاذكر عهدك فإني ملتزم به ، فقال : أن تجعل لي وللامام على نفسك عهد الله وميثاقه أن لاتخرج سر الامام الذي ألقيه إليك ، ولاتفشي سري أيضاً ، فالتزم حمدان عهده ، ثم اندفع الداعي في تعليمه فنون جهل ، حتى استدرجه واستغواه ، واستجاب له في جميع مادعاه إليه ، ثم انتدب للدعوة ، وصار أصلاً من أصول هذه البدعة ، فسمي أتباعه القرمطية .

وأما تسميتهم بالخرمية فإن خرم لفظ اعجمي ينبىء عن الشيء المستلذ الذي يشتهيه الآدمي ، وكان هذا لقباً للمزدكية وهم أهل الاباحة من المجوس ، الذين نبغوا في أيام قباذ ، على ماذكرنا (١) فأباحوا المحظورات فلقب هؤلاء بلقب أولئك لمشابهتهم إياهم في اعتقادهم ومذهبهم .

وأما تسميتهم بالبابكية فإن طائفة منهم تبعوا بابك الخرمي ، وكان قد خرج في ناحية آذربيجان في أيام المعتصم ، فاستفحل أمره ، فبعث إليه المعتصم الأفشين ، فتخاذل عن قتاله ، وأضمر موافقته في ضلاله ، فاشتدت وطأة البابكية على المسلمين إلى أن أخذ بابك ، وقتل على ماسبق شرحه (٢) ، وقد بقي من البابكية جماعة يقال : إن لهم في كل سنة ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ، فيطفئون المصابيح ، ويتناهبون النساء ، ويزعمون أن من أخذ امرأة استحلها بالاصطياد .

---

(١) مازال النصف الأول من المنتظم مخطوطاً لم ينشر بعد ، ولا أملك مصورة له .

(٢) انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٢٧٢-٢٧٣ .

فأما تسميتهم بالمحمرة فيذكر عنهم أنهم صبغوا الثياب بالحمرة أيام بابك ، وكانت شعارهم .

وأما تسميتهم بالسبعية فإنهم زعموا أن الكواكب السبعة مدبرة للعالم السفلي .

وأما تسميتهم بالتعليمية فإن مبدأ مذاهبهم إبطال الرأى ، وإفساد تصرف العقل ، ودعوة الخلق إلى التعلم من الامام المعصوم ، وأنه لامدرك إلا بالتعليم .

فصل

وأما الاشارة إلى مذاهبهم ، فإن مقصودهم الالحاد وتعطيل الشرائع وهم يستدرجون الخلق إلى مذاهبهم بما يقدرون عليه ، فيميلون إلى كل قوم بسبب يوافقهم ، ويميزون من يمكن أن يخدعهم ممن لايمكن ، فيوصون دعاتهم فيقولون للداعي إذا وجدت من تدعوه فاجعل التشيع دينك ، إدخل عليه من جهة ظلم الأمة لعلي عليه السلام ، وقتلهم الحسين وسبيهم لأهله ، والتبرىء من تيم وعدي وبني أمية ، وبني العباس ، وقل بالرجعة [١] وأن علياً يعلم الغيب ، فإذا تمكنت منه ، أوقفته على مثالب علي وولده ، وبينت له بطلان ما عليه أهل ملة محمد عليه السلام وغيره من الرسل عليهم السلام ، وإن كان يهودياً ، فادخل عليه من

(١) في حاشية الأصل : « يعني أن علياً يرجع الى الدنيا لأن المراد من دابة الأرض علي رضي الله عنه كما هو مذهب جابر الجعفي الرافضي الشيعي » — لمحرره عفي عنه — .

جهة انتظار المسيح ، وأن المسيح هو محمد بن اسمعيل بن جعفر ، وهو المبدي واطمن في النصارى والمسلمين ، وان كان نصرانياً فاعكس ، وإن كان صابئياً فتعظيم الكواكب ، وإن كان مجوسياً فتعظيم النار والنور ، وإن وجدت فيلسوفياً ، فهم عمدتنا ، لأنا نتفق ، وهم ، على إبطال النواميس والأنبياء ، وعلى قدم العالم ، ومن أظهرت له التشيع فأظهر له بغض أبي بكر وعمر ، ثم أظهر له العفاف والتقشف وترك الدنيا والاعراض عن الشهوات ، ومر بالصدق والأمانة والأمر بالمعروف ، فإذا استقر عنده ذلك فاذكر له مثالب أبي بكر وعمر ، وإن كان سنياً فاعكس ، وإن كان مائلاً إلى المجون والخلاعة فقرر عنده أن العبادة بله ، والورع حماقة ، وإنما الفطنة في اتباع اللذة والوطر من الدنيا الفانية .

وقد يستحبون من له صوت طيب بالقرآن فإذا قرأ ، تكلم داعيهم ووعظ ، وقدح في السلاطين وعلماء الزمان وجهال العامة ، ويقول : الفرج منتظر ببركة آل الرسول ﷺ ، وربما قال إن الله عز وجل في كلماته أسراراً لايطلع عليها إلا من اجتباه .

ومن مذاهبهم أنهم لايتكلمون مع عالم ، بل مع الجهال ، ويجتهدون في تزلزل العقائد بإلقاء المتشابه ، وكل مالايظهر للعقول معناه ، فيقولون: مامعنى الاغتسال من المني دون البول ؟ ولم كانت أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة ؟ وقوله : (عليها تسعة عشر)[1] ضاقت القافية ! مابطن هذا إلا لفائدة لايفهمها كثير من الناس ، ويقولون : لم كانت السموات سبعاً ، ثم يشوقون إلى جواب هذه الأشياء ، فإن سكت السائل ، سكتوا ، وأن ألح قالوا : عليك بالعهد والميثاق على كتمان هذا

---

(١) المدثر : ٣٠ .

السر ، فإنه الدر الثمين ، فيأخذون عليه العهود والميثاق على كتمان هذا ويقولون في الأيمان : « وكل مالك صدقة وكل امرأة لك طالق ثلاثاً إن أخبرت بذلك » ، ثم يخبرونه ببعض الشيء ويقولون هذا لايعلمه إلا آل رسول الله ﷺ ، ويقولون هذا الظاهر له باطن ، وفلان يعتقد مانقول ، ولكنه يستره ويذكرون له بعض الأفاضل ، ولكنه ببلد بعيد .

فصل

واعلم أن مذهبهم ظاهره الرفض ، وباطنه الكفر ، ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الامام المعصوم ، وعزل العقول أن تكون مدركة للحق لما يعترضها من الشبهات ، والمعصوم يطلع من جهة الله تعالى على جميع أسرار الشرائع ، ولابد في كل زمان من إمام معصوم يرجع إليه ، هذا مبدأ دعوتهم ، ثم يبين أن غاية مقصدهم نقض الشرائع ، لأن سبيل دعوتهم ليس متعيناً في واحد بل يخاطبون كل فريق بما يوافق رأيهم ، لأن غرضهم الاستتباع ، وقد ثبت عنهم أنهم يقولون بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني ، واسم العلة السابق ، واسم المعلول التالي ، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لابنفسه ، وقد يسمون الأول عقلاً والثاني نفساً ، والأول تاماً والثاني ناقصاً ، والأول لايوصف بوجود ولاعدم ، ولاموصوف ولاغير موصوف ، فهم يومون إلى النفي لأنهم لو قالوا معدوم ماقبل منهم ، وقد سموا هذا النفي تنزيهاً .

ومذهبهم في النبوات قريب من مذهب الفلاسفة ، وهو أن النبي عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بقوة التالي قوة قدسية صافية ، وأن

جبريل عبارة عن العقل الفائض عليه لا إنه شخص وإن القرآن هـو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه من العقل فسمى كلام الله مجازاً لأنه مركب من جهته ، وهذه القوة الفائضة على النبي لاتفيض عليه في أول أمره ، وانما تتربى كنطفة .

واتفقوا على أنه لابد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر وحل الأشكال في القرآن والأخبار ، وأنه يساوي النبي في العصمة ، ولايتصور في زمان واحد إمامان بل يستظهر الامام بالدعاة ، وهم الحجج ولابد للامام من اثني عشر حجة ، أربعة منهم لايفارقونه .

وكلهم أنكر القيامة وقالوا : هذا النظام وتعاقب الليل والنهار وتولد الحيوانات لاينقضي أبداً ، وأولوا القيامة بأنها رمز إلى خروج الامام ، ولم يثبتوا الحشر ولا النشر ، ولا الجنة ولا النار ، ومعنى المعاد عندهم عود كل شيء إلى أصله ، قالوا : فجسم الآدمي يبلى والروح ـ إن صفت بمجانبة الهوى ، والمواظبة على العبادات ، وغذيت بالعلم ـ استمدت بالعود إلى وطنها الأصلي وكمالها بموتها ، إذ به خلاصها من ضيق الجسد .

وأما النفوس المنكوسة المغموسة في عالم الطبيعة المعرضة عن طلب رشدها من الأئمة المعصومين فإنها أبداً في النار ، على معنى أنها تتناسخ في الأبدان الجسمانية ، وكلما فارقت جسداً تلقاها آخر ، واستدلوا بقوله تعالى (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها [١]) .

وأكثر مذاهبهم يوافق الثنوية ، والفلاسفة في الباطن ، والروافض في الظاهر ، وغرضهم بهذه التأويلات انتزاع المعتقدات الظاهرة من نفوس

---

(١) النساء : ٥٦ .

الناس ، حتى تبطل الرغبة والرهبة .

ثم إنهم يعتقدون استباحة المحظورات ، ورفع الحجر ، ولو ذكر لهم هذا لأنكروه ، وقالوا : لابد من الانقياد للشرع على مايفعله الامام فإذا أحاطوا بحقائق الأمور انحلت عنهم القيود ، والتكاليف العملية إذ المقصود عندهم من أعمال الجوارح تنبيه القلب ، وإنما تكليف الجوارح للغمر الذين لايراضون إلا بالسياقة [1] ، وغرضهم هدم قوانين الشرع .

قالوا : وكلما ذكر من التكاليف فرموز إلى باطن ، فمعنى الجنابة مبادرة المستجيب [2] بإفشاء سر إليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق لذلك، ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك ، والزنا إلقاء نطفة العلم الباطن إلى نفس معه عقد العهد ، والاحتلام أن يسبق اللسان إلى إفشاء السر في غير محله ، والصيام الامساك عن كشف السر ، والمحرمات عبارة عن ذوي السر [3] ، والبعث عندهم الاهتداء إلى مذاهبهم . ويقولون (للذكر مثل حظ الانثيين) [4] الذكر : الامام ، والحجة الانثى .

وقالوا : (يوم يأتي تأويله) [5] أي يظهر محمد بن اسماعيل ، وفي قوله : (حرمت عليكم الميتة) [6] ، قالوا : الميتة الحامل على الظاهر الذي لايلتفت إلى التأويل .

---

(١) توضح هذه الفقرة ماكتبه الغزالي في كتابه فضائح الباطنية : ٤٧ « وإنما تكليف الجوارح في حق من يجري بجهله مجرى الحمر التي لايمكن رياضتها إلا بالاعمال الشاقة » .

(٢) من أدنى المراتب في الدعوة الاسماعيلية ، انظر فضائح الباطنيه : ٥٥-٥٦ .

(٣) كذا في الأصل ، وفي فضائح الباطنية : ٥٦ « المحرمات عبارة عن ذوي الشر من الرجال وقد تعبدنا باجتنابهم » .

(٤) النساء : ١١ . (٥) الأعراف : ٥٣ . (٦) المائدة : ٣ .

وقالوا : إن الشاة والبقر هم الذين حضروا محاربة الأنبياء والأئمة ، يترددون في هذه الصور ، ويجب على الذابح أن يقول عند الذبح : اللهم إني أبرأ إليك من روحه وبدنه ، وأشهد له بالضلالة ، اللهم لاتجعلني من المذبوحين ، ولهم من هذا الهذيان ماينبغي تنزيه الوقت عن ذكره وإنما علمت هذه الفضائح من أقوام تدينوا بدينهم ، ثم بانت لهم قبائحهم فتركوا مذهبهم .

فإن قال قائل : مثل هذه الاعتقادات الركيكة ، والحديث الفارغ ، كيف يخفى على من يتبعهم ، ونحن نرى أتباعهم خلقاً كثيراً ؟ فالجواب : إن أتباعهم أصناف ، فمنهم قوم ضعفت عقولهم ، وفلت بصائرهم وغلبت عليهم البلادة والبله ، ولم يعرفوا شيئاً من العلوم ، كأهل السواد والأكراد وجفاة الأعاجم ، وسفهاء الأحداث ، فلا يستبعد ضلال هؤلاء فقد كان خلق ينحتون الأصنام ويعبدونها .

ومن اتباعهم طائفة انقطعت دولة أسلافهم بدولة الاسلام كأبناء الأكاسرة والدهاقين [١] ، وأولاد المجوس ، فهؤلاء موتورون قد استكن الحقد في صدورهم ، فهؤلاء كالداء الدفين فإذا حركته مخائيل المبطلين اشتعلت نيرانه .

ومن أتباعهم قوم لهم تطلع إلى التسلط والاستيلاء ، ولكن الزمان لايساعدهم ، فإذا رأوا طريق الظفر بمقاصدهم سارعوا .

ومن أتباعهم قوم جبلوا على حب التميز عن العوام ، فزعموا أنهم يطلبون الحقائق وأن أكثر الخلق كالبهائم ، وكل ذلك لحب

---

(١) جمع دهقان ، وهم رؤساء القرى وجباة الضرائب والتجار الكبار في العهد الساساني ، واستمر حالهم في بداية الاسلام . انظر المعرب للجواليقي .

النادر الغريب .

ومن اتباعهم الملحدة [١] الفلاسفة والثنوية الذين اعتقـــدوا الشرائع نواميس مؤلفة ، والمعجزات مخاريق مزخرفة فإذا رأوا من يعطيهم شيئاً من أغراضهم مالوا إليه .

ومن أتباعهم قوم مالوا إلى عاجل اللذات ، ولم يكن لهم علم ولا دين ، فإذا صادفوا من يرفع عنهم الحجر مالوا إليه ، على أن هؤلاء القـــوم لايكشفون أمرهم إلا بالتدريج على قدر طمعهم في الشخص ،

وإنما مددنا النفس في شرح حالهم ، وإن كنا ذكرنا بيتاً من قصيدة لعظم ضررهم على الدين وشياع كلمتهم المشوبة ، وإنما اجتمعت لهم الأسباب التي ذكرناها في وسط أيامهم ، وإلا فمعاندوا الشرائع خلق كثير ، وقـد نبغ منهم قوم أظهروا إمامة محمد بن الحنفية وقالوا : إن روح محمد انتقلت إليه ، ثم انتقلت منه إلى أبي مسلم صاحب الدعوة ، ثم إلى المهدي ثم إلى رجل يعرف بابن القصري ثم خمدت نارهم .

ثم نبغ لهم في أيام المأمون رجل ، فاحتال فلم تنفـــذ حيلته ، ثم تناصروا في أيام المعتصم وكاتبوا الأفشين [٢] وهو رئيس الأعاجم ، فمـال إليهم واجتمعوا مع بابك ، ثم زاد جمعهم على ثلثمائة ألف فقتـل المعتصم منهم ستين ألفاً وقتل الأفشين أيضاً ، ثم ركدت دولتهم .

ثم نبغ منهم جماعة وفيهم رجل من ولد بهرام جور ، وقصدوا إبطال

---

(١) في الأصل « الخلدة » وهو تصحيف ، صوابه ما أثبتنا . انظر فضائح الباطنية ٣٦ ، ويلاحظ أن ابن الجوزي قام بالاعتماد المطلق على كتاب الغزالي هذا . انظر : ٢٨-٣٦.

(٢) اختلف حول تورط الأفشين في قضية بابك ، وقد جرت له محاكمة أيام المعتصم قتل إثرها . انظر مروج الذهب : ٣٠٥/٣ . وراجع ماكتبه قاسم العزيز في اطروحته عن بابك . ط. بيروت دار الفارابي ،

الإسلام ورد الدولة الفارسية ، وأخذوا يحتالون في تضعيف قلوب المؤمنين وأظهروا مذهب الامامية ، وبعضهم مذهب الفلاسفة .

وجعل لهم رأس يعرف بعبد الله بن ميمون بن عمرو ، ويقال ابن ديصان القداح ، الأهوازي وكان مشعبذاً مخرقاً ، وكان معظم مخرقته بإظهار الزهد والورع ، وأن الأرض تطوى له ، وكان يبعث خواص أصحابه إلى الأطراف معهم طير ، ويأمرهم أن يكتبوا إليه بالأخبار عن الأباعد ، ثم يحدث الناس بذلك فيقوى شبهم ، وكانوا يقولون : إن المتقدمين منهم ، يستخلفون عند الموت ، وكلهم خلفاء محمد بن اسماعيل ابن جعفر الطالبي وإن من الدعاة الى الامام معد بن تميم وابنه اسمعيل ، وهم المتغلبون على بلاد المغرب ، ومن استجاب لهم عرفوه أنه إن عمل مايرضيهم صار إماماً ونبياً ، وأنه يرتقى المبتدي منهم إلى الدعوة ، ثم إلى أن يكون حجة ، ثم إلي الامامة [1] ، ثم يلحق مرتبة الرسل ، ثم يتحد بالرب فيصير رباً ، ولايجوز لأحد أن يحجب امرأته عن إخوانه .

---

(١) نجد مصداق هذا في سيرة حمزة بن علي هادي المستجيبين وقيام الدعوة الدرزية .

كتاب
أخبار الدول المنقطعة



الدولة العلوية بإفريقية ومصر والشام

قال الفقيه جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر جامع أخبارها ، وعليه عهدة مانقله :....

المعز لدين الله أبو تميم معد

وبعث جوهر بجعفر بن فلاح إلى الشام بجيش كثيف ، فلقي الحسن ابن عبيد الله بن طغج ، وهو يومئذ صاحب الشام ، بالرملة ، فهزمه ، وأسره ، وبعث به إلى مصر ، وسار إلى دمشق فملكها بعد حرب شديد من أهلها ، وفتن عظيمة ، وملك الساحل أجمعه ، وأقام بدمشق إلى أن سار الحسن الأعصم القرمطي ، من هجر والأحساء بأمر الامام المطيع لله (١) ، له بذلك ، فوصل إلى الرحبة (٢) ، واجتمع عليها بالأمير عدة الدولة أبي تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة بن حمدان (٣) ، ثم سافر إلى دمشق ، فلقيه جعفر بن فلاح دونها ، فلم يكن إلا كرجع الطرف أو دونه ، حتى انهزمت المغاربة وقتل جعفر .

وملك القرمطي الشام أجمعه ، وسار الى مصر ، فلم يكن لجوهر طاقة به ، فقاتله من وراء خندق القاهرة ، حتى كاد القرمطي أن

(١) ٣٣٤هـ/٩٤٦م - ٣٦٣هـ/ ٩٧٤م .

(٢) في أحواز الميادين الحالية على الفرات في سور[ية قري]بة من الحدود السورية العراقيـة .

(٣) ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م - ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م ، في الموصل .

بأخذه ، ثم رجع القرمطي عنه بغير سبب يعرف ، وقيل إنه كان معه خمسة عشر ألف جمل وبغل تحمل صناديق الأموال ، وأواني الذهب ، والفضة ، والسلاح سوى مايحمل المضارب والخيم والبنود ، وغير ذلك من الأثقال .

وكتب عند ذلك جوهر إلى سيده يستنهضه للسير إلى مصر ، ويخبره أنه أكله القرامطة ، فسار المعز من المهدية ، ووصل إلى قصره بالقاهرة يوم الثلاثاء لخمس ليال خلون من شهر رمضان سنة إثنتين وستين وثلاثمائة وقيل لسبع .

وكتب إلى القرمطي كتاباً كبيراً يهدده فيه ، لايكتبه إلا مارق عن الاسلام ، من بعض فصوله : « أما علمت بأني نار الله المـــوصدة التي تطلع على الأفئدة ، أعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور ، وهو كتاب كبير محشو بأنواع الكفر ، والمعاتبه للقرمطي ، يحضه فيه على اقتفاء آبائه وعمومته في موالاته وموالاة بنيه ، ويقول فيـــه : إن آباءك كانوا أتباع آبائي لايخرجون عن مراسمهم في جميع تصرفاتهم »[1] » ... ولم ينفع هــذا الكتاب بل كان نص جواب القرامطي له : « وصل كتـابك الذي كثر تفصيله ، وقل تحصيله ، والجواب : ماتراه دون ماتسمعه » .

وسار عقب ذلك إلى مصر ، وملك الصعيد ، وأسفل الأرض ، ثم عاد على نية العود ، فبادر المعز برسله إليه ، وقرر معه حمل المال الذي كان كافور الإخشيدي يحمله إلى آبائه وعمومته في كل سنة ، فأجاب القرمطي إلى ذلك ، وخرج لهم عن الشام .



(١) انظر نص الكتاب في المقتبس من اتعاظ الحنفا فيما يلي .

كتاب

بغية الطلب في تاريخ حلب



القرمطي صاحب الخال

أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب . صاحب الخال . نسب نفسه هكذا . وقيل أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل (١٢٩ ـ ظ) وقيل إن اسمه الحسين بن زكرويه بن مهرويه . وقيل ابن مهري الصوّاني . من أهل صوّان من سواد الكوفة . وهو المعروف بصاحب الخال . أخو علي ابن عبد الله القرمطي ، نسب نفسه إلى محمد بن اسماعيل بن جعفر . وتسمى بالمهدي . وبايعته القرامطة بعد قتل أخيه بنواحي دمشق . وصار إلى السخنة[1] والأركة ، والزيتونة وخناصره من الأحص من أعمال حلب ، ودخل هذه المواضع عنوة ، ونهب مافيها من الأموال والسلاح ، وأفسد بالشام وعاث في بلادها . وغلب على أطراف حمص ، وخطب له على منابرها وفتحوا له بابها ، وسار إلى حماة ومعرة النعمان وغيرها من البلاد فقتل أهلها والنساء والأطفال . ثم جاء إلى سلميه فمنعوه ، ثم أعطاهم الأمان ففتحوا له بابها فدخل وقتل الهاشميين أجمعين بها ، ثم قتل الرجال ، ثم البهائم ، ثم الصبيان ، ثم خرج منها وليس بها عين تطرف .

وجهز جيشاً كثيفاً بخيل ورجالة مع بعض دعاته ويعرف بمميطر

---

(١) في بادية الشام مازال تعرف بنفس الاسماء .

المطوق إلى ناحية حلب ، فأوقعوا بأبي الأغر خليفة بن المبارك[١] بوادي بطنان[٢] وقتلوا خلقاً عظيماً وانتهبوا عسكره وأفلت أبو الأغر في ألف رجل لاغير ، فدخل إلى حلب ، ووصلوا خلفه إلى حلب ، فأقاموا عليها على سبيل المحاصرة . وتسرع أهل حلب في يوم الجمعة سلخ شهر رمضان من سنة تسعين ومائتين وطلبوا الخروج لقتالهم ، فمُنعوا من ذلك ، فكسروا قفل باب المدينة ، وخرجوا إلى القرامطة ، فتحاربوا ، ونصر الله الرعية من أهل حلب عليهم ، وقتل من القرامطة جماعة كثيرة ، وخرجوا يوم السبت يوم عيد الفطر مع أبي الأغر إلى مصلى العيد ، وعيد المسلمون ، وخطب الخطيب على العادة ، ودخل الرعية إلى مدينة حلب في أمن وسلامة وأشرف أبو الأغر على عسكر القرامطة فلم يخرج إليه أحد منهم .

فلما يئسوا من فرصة ينتهزونها من حلب ساروا ومضوا إلى صاحب الخال ، ولما انتهى إلى المكتفي بالله هذه الأمور خرج نحوه وجهز إليه عسكراً قوياً في المحرم سنة إحدى وتسعين ومائتين . فقتل من أصحاب القرمطي خلق كثير ، وانهزم نحو الكوفة فقبض بالدالية من سقي الفرات وحمل إلي الرقة إلى المكتفي بالله ، فحمل إلى بغداد وشهر وطيف به على جمل ، وقيل على فيل . ثم بنيت له دكة فقتل عليها هو وأصحابه في شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين ومائتين .

وكان لعنه الله أديباً شاعراً ، وكثيراً مايقع الاختلاف في اسمه ونسبه

---

(١) قال الطبري في حوادث سنة ٢٩٠ هـ ، ص ٢٢٢٢ ، ولثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر خلع على أبي الاغر ووجه به لحرب القرمطي بناحية الشام فمضى الى حلب في في عشرة آلاف رجل .

(٢) بطنان حبيب واد مابين حلب ومنبج ـ معجم البلدان .

واسم أخيه الذي قتل قبله علي بن عبد الله ، وبعضهم يسمي أخاه محمد ابن عبد الله بن يحيى . والصحيح أن الذي ثبت عليه في اسمه ونسبه أبو العباس أحمد بن عبد الله، وهو دعي .

وإنما سموا القرامطة : زعموا أنهم يدعون الى محمد بن اسماعيل بن جعفر بن علي ، ونسبوا الى قرمط . وهو حمدان بن الأشعث . كان بسواد الكوفة . وإنما سمي قرمطاً لأنه كان رجلاً قصيراً ، وكان رجلاه قصيرتين ، وكان خطوه متقارباً ، فسمي بهذا السبب قرمطاً . وكان قرمط قد أظهر الزهد والورع وتسوق به على الناس مكيدة وخبثاً .

وكانت أول سنة ظهر فيها أمر القرامطة سنع أربع وستين ومائتين وذكر بعض العلماء أن لفظة قرامطة إنما هو نسبة إلى مذهب يقال له : القرمطة خارج عن مذاهب الاسلام ، فيكون على هذه المقالة عزوه إلى مذهب باطل لا إلى رجل ، وإنما قيل لهذا القرمطي صاحب الخال لأنه كان على خده الأيمن خال، ويعرف بابن المهزول زكرويه بن مهري الصواني من أهل صوان من سواد الكوفة . وقيل هو وأخوه من قيس من بني عبادة بن عقيل من بني عامر ثم من بني قرمطي بن جعفر بن عمرو بن المهيأ بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن جوثة بن طهفة ابن حزن بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . فادعى أنه من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر ، فعلى هذا يكون منسوباً إلى جدهم قرمطي ، ولا يبعد أن يكون الأمران جميعاً والله أعلم .

وقرأت في رسالة أبي عبد الله محمد بن يوسف الأنباري الكاتب إلى

أخيه أبي علي في ذكر أخبار هذا القرمطي أنه ادعى أنه أحمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد ، وأنه المهدي . وأنه نظر محمد بن إسماعيل في النسب فلما وقف على بعد هذا النسب ادعى «بعد وقعة السطح في الكسوة[1]» أنه محمد بن عبد الله بن جعفر ، وكتب بذلك كتاباً بخطه إلى المعروف بابن حوي السكسكي ممن يسكن في بيت لهيا . فصار ابن حوي بالكتاب إلى أبي نصر حمد بن محمد كاتب طغج .

ثم نزع عن هذا النسب إلى عبد الله بن إدريس الحسني القادم من الحجاز إلى مدينة أذرعات من جهة دمشق .

وقيل إن القرمطي من يهود نجران وأنه دعي .

وذكر أبو محمد عبد الله بن الحسين الكاتب القطربلي ، ومحمد بن أبي الأزهر في التاريخ الذي اجتمعا على تأليفه في حوادث سنة تسع وثمانين قالا : وفي آخر هذه السنة ظهر رجل يقال له : محمد بن عبد الله بن يحيى ولد اسماعيل بن جعفر العلوي بنواحي دمشق يدعو إلى نفسه . واجتمع إليه خلق كثير من الأعراب وأتباع الفتن ، فسار بهم إلى دمشق وكان بها طغج بن جف مولى أمير المؤمنين من قبل هارون بن خمارويه عامل أمير المؤمنين على مصر والشام ، فلما بلغه خبره استعد لحربه وتحصن طغج بدمشق ، فحصره هذا العلوي بها ، وكانت بينهما وقعات وانقضت .

قالا : وفي هذه السنة - يعني سنة تسعين ومائتين - : جرت بين طغج بن جف وبين القرمطي حروب كثير كلها على طغج ، فكتب إلى هارون/ (١٣١ ظ) يستنجده فوجه إلى مصر جيشاً بعد جيش ، كل ذلك

---

(١) انظر ماسيأتي ، خاصة رواية ابن المهذب بعد عدة صفحات .

يهزمهم القرمطي ، ثم وجه هارون بن خمارويه ببدر الحمامي ، وكتب إلى طغج في معاضدته وضم إليه وجوه القواد بمصر والشام ، فخرج إلى القرمطي فكانت بينهم حروب كثيرة أتت على أصحاب بدر الحمامي ، وكان هذا القرمطي قد جعل علامته ركوب جمل من جماله ، وترك ركوب الدواب ولبس ثياباً واسعة وتعمم عمة أعرابية ، وأمر أصحابه أن لايحاربوا أحداً ، وإن أتي عليهم حتى ينبعث الجمل من قبل نفسه من غير أن يثيره أحد ، فكانوا إذا فعلوا ذلك لم يهزموا ، وكان إذا أشار بيده إلي ناحية من النواحي انهزم من يحاربه ، واستغوى بذلك الأعراب .

فخرج إليه بدر يوماً لمحاربته ، فقصد القرمطي رجل من أصحاب بدر يقال له زهير بزانة ، فرماه بها فقتله ، ولم يظهر على ذلك أصحاب بدر إلا بعد مدة ، فطلب في القتلى فلم يوجد ، وكان يكنى أبا القاسم .

قال ابن أبي الأزهر : وحدثني كاتبه المعروف باسماعيل بن النعمان ، ويكنى بأبي المحمدين ، وسبب هذه الكنية أنه وافى مع جماعة من القرامطة بعد الصلح وقبولهم الأمان من القاسم بن سيماء ـ وكان على طريق الفرات ـ ومن عبد الله بن الحسين بن سمود ـ وكان على القابون ـ فكان القاسم ابن سيماء ، يكنى أبا محمد ، وعبد الله بن الحسين يكني أبا محمد ، وصاحب البريد المعروف بابن الهلبي يكنى أبا محمد ، وصاحب الخرائط قرابة أبي مروان يكنى أبا محمد ، فكني اسماعيل هذا أبا المحمدين ، فبقي معروفاً بذلك ، فحدثني اسماعيل عن هذه الوقعة ، قال : فصرت إليه مرة وهو راكب على نجيبه وعليه دراعة ملحم ، فقلت له : قد اشتد الأمر على أصحابنا ، وقد قربوا منك ، فتنح عن هذا الموضع إلى غيره ، فلم يرد

علي جواباً ، ولم يثر نجيبه ، فعدلت إليه ثانية فقلت له : قم ، فانتهرني ، ولم يرم إلى أن وافته زانة ، ، أو قال حربة ، فسقط عن البعير ، وكاثرنا من يريد أخذه فمنعنا منه ، وقتل زهاء مائة إنسان في ذلك الموضع ، ثم أخذناه وتنحينا بأجمعنا .

فقلت : الذي أقمتموه مقامه أهو أخوه ؟ فقال : لا ، والله مانعلم ذاك ، غير أنه وافانا قبل هذه الحادثة بيومين ، فسألناه من أنت من الامام ؟ فقال : أنا أخوه ، ولم نسمع من الشيخ شيئاً في أمره ، يعني المكتنى أبا القاسم . وكان هذا المدعي أخاه يكنى أبا العباس ، واسمه أحمد بن عبد الله . فعقد لنفسه البيعة على القرامطة ودعاهم إلى مثل ماكان أخوه يدعوهم إليه ، فاشتدت شوكته . ورغبت البوادي في النهب ، وانثالت عليه انثيالاً ، وذلك في آخر شهر ربيع الآخر من هذه السنة .

ثم صار إلى دمشق فصالحه أهلها على خراج دفعوه إليه فانصرف عنهم ، ثم سار إلى أطراف دمشق ، وحمص ، فتغلب عليها ، وخطب له على منابرها ، وتسمي بالمهدي ، ثم صار إلى مدينة حمص فأطاعه (١٣٢ ظ) أهلها ، وفتحوا له بابها فدخلها ، ثم صار إلى : حماة ، وسلمية وبعلبك ، فاستباح أهلها ، وقتل الذراري ، ولم يبق شريفاً لشرفه ، ولاصغيراً لصغره ولا امرأة لحرمها ، وقتل أهل الذمة ، وفجروا بالنساء .

حدثني من كان معهم قال : رأيت عصاماً سيافه ، وقد أخذ من بعلبك امرأة جميلة جداً ، ومعها طفل لها رضيع ، فرأيته والله وقد فجر بها ، ثم أخذ الطفل بعد ذلك ، فرمى به نحو السماء ، ثم تلقاه بسيفه ، فرمى به قطعتين ، ثم عدل إلى أمه بذلك السيف بعينه ، فضربها به فبترها .

فلما اتصل عظيم خبرهم وإقدامهم على انتهاك المحارم ودام ، خرج أمير المؤمنين المكتفي بالله متوجهاً نحـوه يوم الثلاثاء لتسع خلون من شهـر رمضان في قواده ومواليه وغلمانه وجيوشه ، وأخذ على طريق الموصل ثم صار إلى الرقة وأقام بها وأنفذ الجيوش نحو القرامطة ، وقلد القاسم ابن عبيد الله بن سليمان تدبير أمر هذه الجيوش .

فوجه القاسم محمد بن سليمان الكاتب ، صاحب الجيش خليفة له على جميع القواد ، وأمرهم بالسمع والطاعة ، فنفذ عن الرقة في جيش ضخم وآلة جميلة وسلاح شاك ، وكتب إلى جميع القواد والأمراء في النواحي بالسمع له والطاعة لأمره ، وضم محمد بن سليمان القواد بعضهم إلى بعض وصمد نحو القرمطي ، فلم يزل يعمل التدبير ويذكي العيون (١٣٣ و) ويشاور ذوي الرأي ويتعرف الطرقات إلى أن دخلت سنة إحدى وتسعين .

قال : وفي أول هذه السنة : كتب أمير المؤمنين إلى محمد بن سليمان وإلى سائر القواد في منـــاهضة القرمطي ، فساروا إليـه فالتقوا على اثني عشر ميلاً من حماة في موضع بينــه وبين سلميـة (١) ، فاشتدت الحرب بينهم ، وصدقوهم القتـــال ، فتجمع القرامطة وحمـــلوا على الميمنة حملة رجل واحد ، فثبت الأولياء فمروا صادقين وجعلوها هزيمة ، ومنح الله من أكتافهم ، وقتل منهم وأسر أكثر من عشرة آلاف رجل ، وشرد الباقون في البوادي ، واستمرت بهم الهزيمة ، وطلبهم الأولياء إلى وقت صلاة عشاء الآخرة من ليلة الأربعاء لسبع خلون من المحرم ، ولما

---

(١) ذكر الطبري ٢٢٣٩ أن اسم المكان (تمنع) ولعله مكان قرية التمانعة الحالية والتابعة إدارياً لخان شيخون، في منطقة معرة النعمان . انظر التقسيات الادارية في الجمهورية العربية السورية ـ ط. دمشق ١٩٦٨ ص ٢٨ .

رأى القرمطي ذلك ، ورأى من بقي من القرامطة ، قد كاعوا عنه ، حمل أخاً له يكنى أبا الفضل مالاً ، وتقدم إليه إلى أن يظهر في موضع آخر فيصير إليه .

وتجمع رؤساء القرامطة ، وهم الذين كانوا صاروا إلى رحبة مالك ابن طوق [١] ، فطلبوا الأمان ، وهم : أبو المحمدين ، والنعمان بن أحمد ، وأحمد بن النعمان أخو أبي المحمدين ، ووشاح ، وعطير ، وشديد بن ربعي وكليب من رهط النحاس ، وعصمة السيّاف [٢] وسجيفة رفيقه ، ومسرور وغشام . فقالوا للقرمطي ، وهو صاحب الخال : قد وجب حقك علينا ، وقد رأيت ماكان من جدنا واجتهادنا ، (١٣٣ ظ) ومن حقك علينا أن ندعك ، وإنما يطلبنا السلطان بسببك . فانج بنفسك . فأخذ ألف دينار فشدها في وسطه في هميان [٣] ، وأخذ معه غلاماً له رومياً يقال له لؤلؤ ، كان يهواه ويحل منه محل بدر من المعتضد بالله ، وركب معه المدثر ، وكان يزعم أنه ابن عمه ، والمطوق غلامه ، ومع كل واحد منهم هميان في وسطه .

فأما المطوق ـ وهو اتخذ له سخاب وقت دخوله إلى مدينة السلام[٤] ـ فإني سألت عنه أبا المحمدين ، فذكر أنه رجل من أهل الموصل ،

---

(١) قرب مدينة الميادين الحالية على الفرات في سورية .

(٢) ذكر في ص ٧٥ أن اسمه (عصاماً) .

(٣) الهميان ـ فارسية معربة ـ شداد السراويل أو تكته ومايجعل فيه الدراهم ويشد على الحقو .

(٤) في اللسان وتاج العروس ـ السخاب. قلادة ـ وجاء في الطبري ـ ٣ ٢٢٤٣-٢٢٤٤ أنه لما دخل الرقة كان يشتم الناس إذا دعوا عليه ويبزق عليهم فاتخذ له مايشبه اللجام لئلا يفعل ذلك .

وأنه صار إلى الامام بزعمه ، فجعل يورق له ويسامره . ولم يعرف قبل ذلك الوقت .

وأخذوا دليلاً ، وسار يريد الكوفة عرضاً في البرية ، فغلط بهم الدليل الطريق ، وأخرجهم بموضع بين الدالية والرحبة يقال له بنو محرز فلما صاروا إلى بني محرز ، نزلوا خارج القرية ، في بيدر عامر ، فأخرجوا دقيقاً كان معهم في مزود ، واقتدحوا ناراً واحتطبوا ليخبزوا هناك ، وكان وقت مغيب الشمس ، فعلا الدخان وارتاب الموكلون بني محرز ، من أصحاب المسالح ، بما رأوه ، فأموا الموضع ، فلقوا الدليل ، فعرفه بعضهم ، فقال : ماوراءك ؟ قال : هذا القرمطي وراء الدالية . فشدوا عليهم فأخذوهم ، وكتبوا إلى أبي خبزة وهو في الدالية يعلمونه بهذا ، فأتاهم ليلاً ، فأخذهم وصار بهم إلى الدالية ، وأخذ من وسط غلام له هميانا فيه ألفا دينار (١٣٤ و) ومن وسط المدثر مثل ذلك وأخذ الهميان الذي كان مع القرمطي ، ووكل بهم في دار بالدالية ، وكتب الى أحمد ابن محمد بن كشمرد وهو بالرحبة يخبره ، فأسرع السير إليهم[1] ، فلما وافى احتبس القرمطي في بيت لطيف في مجنب الحيري .

فحدثني بعض أهل الدالية ، قال : لما وافي ابن كشمرد ، سأل القرمطي : ما أخذ منك ؟ قال : ما أخذ مني شيء ، فقال له المطوق : أتبغي من الامام مالايحسن منه الاقرار به ، ودعا بالبزاز ، فأخذ ثياباً ، ثم دعا بالخياط ليقطع للقرمطي تلك الثياب ، فقال الخياط للقرمطي : قم حتى أقدر الثوب عليك ، فقال المطوق للخياط : أتقول يابن اللخناء للامام : قم ! اقطع ثكلتك أمك على سبعة أشبار ، وصار ابن كشمرد وأبو

---

(١) انظر الطبري : ٢٢٣٨ .

خبزة بالقرمطي إلى الرقة ، ورجعت جيوش أمير المؤمنين ، بعد أن تلقطوا كل من قدروا عليه من أصحاب القرمطي ، في أعمال حمص ونواحيها .

وورد كتاب القاسم بن عبيد الله ، بأن القرمطي أدخل الرقة ظاهراً للناس على جمل فالج ، وعليه برنس حرير ، ودراعة ديباج ، وبين يديه المدثر والمطوق ، على جملين ، في يوم الاثنين ، لأربع ليال بقين من المحرم ، سنة إحدى وتسعين ومائتين ، حتى صير بهم إلى دار أمير المؤمنين بالرقة ، فأوقفوا بين يديه ، ثم أمر بهم فحبسوا ، واستبشر الناس والأولياء بما هناه الله في أمر هذا القرمطي . وقرظ أمير المؤمنين القاسم بن عبيد الله في (١٣٤ ظ) هذا الوقت ، وأحمده فيما كان من تدبيره ، في أمر هذا الفتح ، وخلع عليه خلعاً شرفه بها ، وقلده سيفاً ولقبه بولي الدولة ، وانصرف إلى منزله بالرقة . وخلف أمير المؤمنين عساكره مع محمد بن سليمان ، وشخص من الرقة في غلمانه ووجوه أصحابه وحرمه ، وشخص معه أبو الحسين القاسم بن عبيد الله إلى بغداد ، وحمل معه القرمطي والمدثر والمطوق وجماعة ممن أسر في الوقعة مستهل صفر ، وقعد في الحراقات في الفرات ، ولم يزل متلوماً في الطريق حتى وصل إلى البستان المعروف بالبشري ليلة السبت لليلتين بقيتا من صفر ، فأقام به ثم عبر من هناك إلى الجانب الشرقي ، فعبأ الجيوش بباب الشماسية . وكان أمير المؤمنين قد عزم على أن يدخل القرمطي بغداد مصلوباً على دقل[1] . والدقل على ظهر فيه ، وأمر بهدم الطاقات

---

(١) هو خشبة يمد عليها شراع السفينة ، وتسميها البحرية : الصاري – النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير .

التي يجتاز بها الفيل ، إذ كانت أقصر من الدقل . ثم استسمج ذلك ، فعمـــل له دميانة غلام يازمار [١] كرسياً ، ارتفاعه ذراعان ونصف ، وأجلسه عليه ، وركب الكرسي على ظهر الفيل . فدخل أمير المؤمنين مدينة السلام صبيحة يوم الاثنين مستهل ربيع الأول في زي حسن وتعبئة وجيش كثيف ، وآلة تامة وسلاح شاك ، وقدم الأسرى على جمـــال مقيدين عليهم دراريع حرير . وبرانس حرير ، ثم قدم المدثر بـين يدي القرمطي على جمل فالج وعليـه دراعـة حرير (١٣٥ ـ و) وبرنس، ثم القرمطي على الكرسي على ظهر الفيل ، وعليه دراعة ديباج وبرنس حرير ، ثم دخل أمير المؤمنين خلفه حتى اشتق مدينة السلام إلى قصره المعروف بالحسني ، والقاسم بن عبيدالله خلفه . وأمر بالقرمطي والمدثر فأدخلا الحبس بالحسني ، ووجه بالأسرى إلى الحبس الجديد بالجانب الغربي . ومضى المكتفي من ساعته من الحسني إلى الثريا ، بعد أن خلع على أبي الحسين القاسم بن عبيد الله ، وانصرف إلى منزله .

ووافى محمد بن سليمان بعد إصلاحه الأمور ، وتلقطه جماعة من قواد القرمطي وقضاته وأصحاب شرطه فأخذهم وقيدهم وانحـدر والقواد الذين تخلفوا معه إلى مدينة السلام ، فوافي بغداد إلى الباب المعـروف ببـاب الأنبار ليلة الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وكان قد أمر القواد جميعاً بتلقي محمد بن سليمان ، والدخول معه الى بغداد ، ففعلوا ذلك، ورحل محمد بن سليمان صبيحة يوم الخميس وبين يديه نيف وسبعون أسيراً ، غير من أسميناه ، والقواد معه حتى صاروا الى دار أمير المؤمنين

(١) في الطبري : ٢٢٤٣ ، غلام يازمان .

بالثريا ، فدخلوا عليه . وأمر أن يخلع على محمد بن سليمان ويطوق بطوق ذهب ، ويسور بسوارين ، وخلع على جميع القواد القادمين معه ، وطوقوا وسوروا ، وانصرفوا الى منازلهم . وأدخل الأسرى الى الحبس الجديد بمدينة السلام في الجانب الغربي منها .

فلما كان في يوم السبت (١٣٥ - ظ) لعشر بقين من شهر ربيع الأول بنيت دكة في المصلى العتيق ، من الجانب الشرقي ، الذي تخرج اليه الثلاث الأبواب ، ومن باب خراسان ، تكسير ذرعها عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً ، وجعل لها أربع درج يصعد منها اليها ، وأمر القواد جميعاً بحضور هذه الدكة ، ونودي بذلك في الناس أن يحضروا عذاب القرامطة ، ففعلوا ، وكثر الناس في هذا الموضع وحضر القواد ، والواثقي المتقلد للشرطة [1] بمدينة السلام ، وحضر محمد بن سليمان ، فقعدوا جميعاً عليها ، وأحضروها ثلاثمائة ونيفاً وعشرين انساناً ممن كان أسر قديماً ، ومن جاء به محمد بن سليمان ، وأحضر القرمطي والمدثر فأقعدا ، وقدم نيف وثلاثون انساناً من هؤلاء الأسارى من وجوههم ، فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وضربت أعناقهم . ثم قدم القرمطي فضرب مائتي سوط ، ورش على الضرب الزيت المغلي وكوي بالجمر ، ثم قطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه . فلما قتل انصرف القواد وأكثر الناس ممن حضر للنظر الى عذاب القرمطي ، وأقام الواثقي الى وقت العشاء الآخرة في جماعة من أصحابه ، حتى ضرب أعناق باقي الأسارى ، ثم انصرف .

فلما كان يوم الأربعاء لست بقين من هذا الشهر ، صير بدن القرمطي الى باب الجسر الأعلى من الجانب الشرقي فصلب هناك ، وحفر لأجساد

(١) هو أحمد بن محمد الواثقي كما ذكر الطبري : ٢٢٤٥ .

القتلى آبار الى (١٣٦ ـ و) جانب الدكه ، فطرحوا فيها وطمت ، فلما كان بعد ، أمر بهدم الدكة ، وتعفية أثرها ففعل ذلك .

قال ابن أبي الأزهر في التاريخ في حوادث سنة ثلاث وتسعين ومائتين : وفيها ورد الخبر بأن أخا الحسن بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ظهر بالدالية من طريق الفرات ، في نفر ، واجتمع اليه جماعة من الأعراب ، وسار بهم الى نحو دمشق ، فعاث في نواحيها ، فندب للخروج اليه حسين بن حمدان ، فخرج في جماعة ، وورد الخبر برجوعه الى الدالية . فحدث محمد بن دواد بن الجراح أن زكرويه بعد قتل صاحب الشامة ، أنفذ رجلاً كان معلماً للصبيان يقال له عبد الله بن سعيد ، فتسمى نصراً ـ ليخفي أمره ـ فدار في أحياء كلب يدعوهم الى رأيه ، فاستجاب له جماعة من صعاليكهم وسقاطهم العليصيين ، فسار فيهم الى بصرى وأذرعات من كورتي حوران والبثنية ، فقتل وسبى وأخذ الأموال .

وقال : وأنفذ زكرويه رجلاً يقال له القاسم بن أحمد داعية ، فصار إلى نحو رستاق نهر ملحانا [١] . قال : فالتقت به طائفة ، فساروا إلى الكوفة حتى صبحوها غداة يوم النحر وهم غارون ، فوافوا باب الكوفة عند انصراف الناس من المصلى ، فأوقعوا بمن قدروا عليه وسلبوا وقتلوا نحواً من عشرين رجلاً ، وكان رئيسهم هذا قد حملوه في قبة يقولون : هذا ابن رسول الله ، وهو (١٣٦ ـ ظ) القاسم بن أحمد داعية زكرويه ، وينادون : ياثارات الحسين ـ يعنون الحسين صاحب الشامة ـ وشعارهم يامحمد يا أحمد ـ يعنون ابني زكرويه ، ويموهون بهذا القول على أهل الكوفة ـ ونذر بهم الناس ، فرموهم بالحجارة من المنازل .

---

(١) في الطبري : ٢٢٦٠ ، نهر تلحانا .

وإنما ذكرت هذا الفصل من قول ابن أبي الأزهر لأن فيه مايـدل على أن صاحب الخال ، كان يسمى الحسين بن زكرويه ، وأنـه يسمى أيضاً أحمد بن زكرويه . وعاش زكرويه بعد ولديه القرمطين في زعمه .

أنبأنا تاج الأمناء أبو الفضل أحمد بن محمـد بن الحسن بن هبـة الله الدمشقي ، قال : أخـــبرنا عمي أبو القاسم علي بن الحسن الحافظ قال : أخـــبرنا أبو غالب بن البناء قال : أخبرنا أبو الحسين بن الأبنوسي قال : أخبرنا عبيد الله بن عثمان بن يحيى الدقاق قال : أخبرنا أبو محمد اسماعيـل ابن علي بن إسماعيل الخطمي قال : قام مقامه ـ يعني مقام صاحب الجمل ـ أخ له في وجهه خال يعرف به ، يقال له صاحب الخال. فأسرف في سوء الفعل وقبح السيرة ، وكثرة القتل حتى تجاوز مافعله أخوه ، وتضاعف قبيح فعله ، وقتل الأطفال ونابذ الاسلام وأهله ، ولم يتعلق منه بشيء ، فخرج المكتفي إلى الرقة ، وسير إليه الجيوش ، فكانت له وقائع ، وزادت أيامه على أيام أخيه في المدة والبلاء حتى هزم ، وهرب فظفر به في موضع يقال له الدالية (١٣٧ ـ و) بناحية الرحبة ، فأخذ أسيراً ، وأخذ معـه ابن عم يقال له المدثر ، كان قد رشحه للأمر بعده ، وذلك في المحـرم سنة إحدى وتسعين ، وانصرف المكتفي بالله إلى بغداد وهو معه .

فركب المكتفي ركوباً ظاهراً في الجيش والتعبئة وهو بين يديـه على الفيل ، وجماعة من أصحابه على الجمال مشهرين بالبرانس ، وذلـك يوم الاثنين غرة ربيع الأول من سنة إحدى وتسعين ، ثم بنيت له دكة في المصلى وحمل إليها هو وجماعة أصحابه ، فقتلوا عليها جميعـــاً في ربيع الآخر ، بعد أن ضرب بالسياط وكوي جميعه بالنار ، وقطعت منه أربعته ، ثم قتل ، ونودي في الناس فخرجوا مخرجاً عظيماً للنظر إليه ، وصلب بعد ذلك في رحبة الجسر .

وقيل أنه وأخوه من قرية من قرى الكوفة يقال لها الصوان ، وهما فيما ذكر : ابنا زكرويه بن مهرويه القرمطي ، الذي خرج في طريق مكة في آخر سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وتلقى الحاج في المحرم من سنة أربع وتسعين ، فقتلهم قتلاً ذريعاً لم يسمع قط بمثله ، واستباح القوافل وأخذ شمسة البيت الحرام ؛ وقبل ذلك ـ ما ـ دخل الكوفة يوم الأضحى بغتة وأخرج منها ، ثم لقيه جيش السلطان بظاهر الكوفة بعد دخوله اياها وخروجه عنها ، فهزمهم وأخذ ماكان معهم من السلاح والعدة فتقوى بها ، وعظم أمره في النفوس (١٣٧ ـ ظ) وهال السلطان ، وأجلبت معه كلب وأسد ، وكان يدعى السيد .

ثم سير إليه السلطان جيشاً عظيماً ، فلقوه بذي قار ، بين البصرة والكوفة في الفراض [1] فهزم وأسر جريحاً ، ثم مات ، وكان أخذه أسيراً يوم الأحد لثمان بقين من ربيع الأول ، وشهرت الشمسة بين يديه ، ليعلم الناس أنها قد استرجعت ، فطيف به ببغداد . وقيل أنه خرج يطلب ثأر ابنه المقتول على الدكة .

ذكر ابن أبي الأزهر في تاريخه أنه لما خرج على قافلة الحاج أن أصحابه أكبوا على الحاج فقتلوهم كيف شاؤوا واحتووا على جميع ماكان في القافلة وسبوا النساء الحرائر ، وجمع القرمطي لعنه الله أجساد القتلى فعمل منها دكة تشبيهاً بالدكة التي قتل عليها أصحابه .

وسيّر إلى بعض الشراف الهاشميين بحلب تاريخاً جمعه أبو غالب همام بن

(١) قال ياقوت : الفراض جمع الفُرضة وهي المشرعة . والأصل في الفرضة الثلمة في النهر . والفراض موضع بين البصرة واليمامة قرب فلج .

الفضل [١] بن جعفر بن علي بن المهذب ذكر أنه تذكرة كتبها مما وجده في التواريخ المتقدمة ومما وجده بخط جد أبيه الشيخ أبي الحسين علي ابن المهذب بن أبي حامد محمد بن همام بن أبي شهاب وغيره ، قال فيه :

سنة تسعين ومائتين :

فيها : نجم بالشام قرمطي بأرض دمشق انتسب إلى العلوية .

قال : وذكر الشيخ أبو الحسين علي بن المهذب أن أباه المهذب أخبره أن (١٣٨ ـ و) هذا القرمطي أول من وقع عليه هذا اللقب ، وكان خرج في بطن من بني عدي من كلب ، يقال لهم بنو العليص ،فخرج إليه طغج بن جف ، والي دمشق من قبل الطولونية ، محتقراً له في غير عدة ولا عدة . وكان هذا القرمطي في بادية كلب ، فأوقع بطغج ، ودخل إلى دمشق مهزوماً ، ثم رجع فجمع عسكره ، وحشد وخرج إليه فكان الظفر للقرمطي أيضاً ، وقتل خلقاً كثيراً من أصحاب طغج ، ونهبوا عسكره . وعاد طغج إلى دمشق فقوي القرمطي . وكتب طغج إلى مصر فوجه إليه جماعة من الفرسان والرجالة ، وأمدهم من في الشام . فصار جيشاً عظيماً فخرج ، وهو غير شاك في الظفر به ، فأوقع القرمطي به وكانت الوقعة في موضع يعرف بالكسوة ، وسار القرمطي إلى بعلبك

---

(١) من مؤرخي المعرة في القرن الخامس للهجرة ، وقد ورد ذكره بين تلامذة أبي العلاء المعري ، ولم يصلنا تاريخه بل وصلنا نقول كثيرة منه بثها ابن العديم في ثنايا كتابه بغية الطلب . هذا وقد أشار حاجي خليفة لهذا الكتاب ، ولا ندري أرآه أو قرأ عنه فتحدث عنه في كشفه، ويتبين من بغية الطلب أن ابن المهذب قد أكمل أو ذيل على كتاب في التاريخ كتبه جده ثم إن أسامة بن منقذ مع واحد من أخوانه قاما فيما بعد أيضاً بالتذييل على كتاب ابن المهذب ، وأن الكتاب في هذه المرحلة بات يعرف باسم « البداية والنهاية » .

ففتحها وقتل أهلها ونهب وأحرق ، وسار منها إلى حمص فملكها لنفسه بها وبث ولاته في أعمالها ، وضرب الدنانير والدراهم وكتب عليها : « المهدي المنصور - أمير المؤمنين » . وكذلك كان يدعى له على المنابر ، وأنفذ سرية إلى حلب فأوقع بأبي الأغر خليفة بن المبارك السلمي ، وعادت السرية وجبى الخراج ، وحمل اليه مال جند حمص . فأنفذ الأمير أبو الحجر المؤمل بن مصبيح - أمير برزويه والبارة والروق[1] وأفامية وأعمال ذلك ، وبقي والي هذه المواضع من قبل الخلفاء ببغداد أربعين سنة ، فيها - رجلين من أهل معرة النعمان اسم أحدهما (١٣٨ - ظ) أحمد بن محمد بن تمام ، والآخر ابن عاص القسري ، وجاءا الى القرمطي يرفعان على أهل معرة فمضيا اليه وقالا له : ان أهل معرة النعمان ، قد شقوا العصا ، وبطلوا الدعوة ، وغيروا الأذان ، ومنعوا الخراج . وكان أهل معرة النعمان قد أرسلوا معهما الخراج « فأخذ منها في الطريق » فلما قالا له ذلك ، التفت الى كاتبه ، وقال له : اكتب « وشهد شاهدان من أهلها » فسار اليها ، وقال لأصحابه : ان أغلقوا الباب فاجعلوا غارة على الدارس[2] فخرج أهل معرة النعمان ولاعلم لهم بما قد جرى ، وأصحاب القرمطي يقولون لهم القوا مولانا السيد ، فبلغ كثير من الناس الى قرب حناك[3] ، وأخذ الأبواب أصحاب القرمطي على الناس ، وقتل خلق كثير ، ودخلها يوم الأربعاء النصف من ذي الحجة ، فأقام يقتل المشايخ والنساء والرجال

---

(١) كتب ابن العديم في حاشية الأصل : الروق هو الذي يقال له الروج كورة معروفة. وهذه المناطق واقعة في منطقة حلب معروفة .

(٢) كذا في متن الأصل وكتب ابن العديم الحاشية : لعله الذراري .

(٣) حصناً كان في مشارف المعرة - معجم البلدان .

والأطفال ، ويحرق وينهب خمسة عشر يوماً ، فذكر أن القتلى كانوا بضعة عشر ألفاً .

وخرج المكتفي الى الرقة ، وأنفذ عساكره مع محمد بن سليمان الكاتب الأنباري وكان شهماً شجاعاً مدبراً ، فحصل في حلب في جيش فيـــه ثلاثون ألفاً مرتزقة ، فيما ذكر غير واحد ، وكان جهير بن محمد ، يقول له : تخرج اليه فقد أهلكوا عشيرتي . فيقول له ابن الأنباري الكاتب : لو أخذوا بلحيتي ماخرجت اليهم حتى يهل هـــلال المحرم — يريد سنة احدى وتسعين .

قال أبو غالب (١٣٩ ـ و) بن المهذب :

سنة إحدى وتسعين :

فيها : سار محمد بن سليمان الكاتب الأنباري الى القرامطة ، فأوقع بهم في قرية تعرف بالحسنية فقتلهم وبدد شملهم .

ولما تصور القرمطي ، ورأى أنه لاطاقة له بعساكر الخلافة ، هرب قبل الوقعة بأصحابه فحصل في قرية شرقي الرحبة ، تعرف بالدالية في نفر يسير من خواص أصحابه ، فتستروا وبعث بعض أصحابه متنكرا ، ليمتار لهم مايحتاجون اليه ، فأخذ وأنكر وأتي به الى رجل كان يتولى معونـة الدالية ، يعرف بأبي خبزة ، لأحمد بن محمـد بن كشمرد ، وكان ابن كشمرد والي الرقة ، وكان صغير الشأن حقيراً في الجند ، فسأله أبو خبزة عن خبره وقصته ، فتبين منه قولاً مختلفاً فألح عليه أبو خبزة ، فأقر ذلك الرجل بأنه من رجال القرمطي ، ودل عليهم في أي موضع هم ، فخـرج أبو خبزة فيمن جمعه من الاجناد والرجال الى الموضع الذي فيه القرمطي

وأصحابه ، فظفر بهم وبالقرمطي ، وكان معهم حملان من المال ، فأخذهم والمال معهم وحملهم الى ابن كشمرد والي الرقة ، فأخذهم وكتب بخبرهم الى المكتفي ، فبعث إليه من تسلمه منه ، وأوردهم الرقة ، وانحدر المكتفي إلى مدينة السلام بغداد ، وهم معه ، فبنى له دكة عظيمة بظاهر القصر المعتضدي وعذبوا عليها بأنواع العذاب .

أخبرنا أبو البركات بن محمــد بن الحسن - كتابة (٣٩ - ظ) قال : أخبرنا أبو علي بن أبي محمد الدمشقي ، قال : قرأت على منصور بن خيرون عن أبي محمد الجوهري ، وأبي جعفر بن المسلمة ، عن أبي عبد الله محمد ابن عمران بن موسى المرزباني قال : أحمد بن عبد الله الخارج بالشام في أيام المكتفي بالله ، وكان ينتمي إلى الطالبيين ، وهو المعروف بصاحب الخال ، وقتل بالدكة في سنة إحدى وتسعين ومائتين ، يروى له ولأخيه علي بن عبد الله شعر يشك في صحته ، فما يروى لأحمد :

متى أرى الدنيا بلا كاذب	ولا حروري ولا ناصبي
متى أرى السيف على كل من	عادى علي بن أبي طالب
متى يقول الحق أهل النهى	وينصف المغلوب من غالب
هل لبغاة الخير من ناصر	هل لكؤوس العدل من شارب

قال : ويروى له :

نفيت من الحسين ومن علي	وجعفر الغطارف من جدودي
وخيب سائلي وجفوت ضيفي	وبت فقيد مكرمة وجود
وأعطيت القياد الدهر مني	يمين فتى وفي بالعهود
لئن لم أعط ماملكت يميني	لحرب من طريف أو تليد

وافتحنهـــا حرباً عوانـــاً تقحم بالبنـود على البنـــود
فإما أن أروح بروح عـز وجد آخـــذ ثأر الجـدود
وإما أن يقال فـــتى أبي تخرم في ذرى مجـــد مشيد
تهـددنا زعمت شبوب حرب تقحم بالبنـــود على البنـــود

وهي أكثر من هذا . فيقال أن عبد الله بن المعتز أجابه عنهـا بقصيدة منهـا :

فكان السيف أدنى عند ورد إلى ودجيك من حبل الوريد

قرأت بخط أبي بكر محمد بن يحيى الصولي . وأخبرنا به أبو القاسم عبد الصمد بن (١٤٠ ـ و) محمد بن أبي الفضل ، فيما أذن لنا بروايه عنه ، قال : كتب إلينا أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامي ، أن أبا القاسم البذار أنبأهم ، عن أبي أحمد بن أبي مسلم ، عن أبي بكر الصولي قال : وأجلس القرامطة مكان علي بن عبد الله أخاً له يقال له أحمد بن عبد الله وزعموا أنه عهد إليه ، وصار أحمد بن عبد الله إلى حمص ، ودعي له بها وبكورها ، وأمرهم أن يصلوا الجمعة أربع ركعات ، وأن يخطبوا بعد الظهر ، ويكون أذانهم : أشهد أن محمداً رسول الله . أشهد أن علياً ولي المؤمنين . حي على خير العمل . وضرب الدراهم والدنانير وكتب عليها « الهادي المهدي » لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ [١] وعلى الجانب الآخر ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ [٢] .

ووجه أحمد بن عبد الله هذا برجل يعرف بالمطوق أمرد ـ فرأيته بعد

---

(١) سورة الاسراء : ٨١ .

(٢) سورة الشورى : ٢٣ .

ذلك ـ فكبس أبا الأغر ، ثم خرج المكتفي بالله إليه ، وأقام بالرقة وأنفذ الجيوش إليه مع محمد بن سليمان ، وأنفذ غلامه سوسناً معه في جيش عظيم ، فورد الخبر بأنه قتل ، ذكر ذلك الصولي في سنة إحدى وتسعين ومائتين .

قال : ثم أتي الخبر للنصف من المحرم من الدالية بأن فارسين من الكلبيين أحدهما من بني الأصبغ والآخر من بني ليلى نزلا بالسقافية (١٤٠ ـ ظ) فأخذا ، فأقرا أنهما من القرامطة ، وأن القرمطي بالقرب ، فركب محمد بن علي أبو خبزة وأحمد بن محمد بن كشمرد من الرحبة فظفرا بالقرمطي ، وأخذ معه رجل يقال له المدثر ، وكاتبه ، وغلام أمرد حدث يقال له المطوق ، وحمل إلى الرقة ، وقد ذكرنا خبره .

قال الصولي ومما روى من شعر أحمد بن عبد الله :

متى أرى الدنيا بلا كاذب ... ...

وذكر الأبيات الأربعة وقال : ومنه :

ثأرت بجدي خير من وطيء الحصا وأنصاره بالطف قتلى بني هند
فأفنيت من بالشام منهم لأنهم بقصدهم جاروا عن النهج القصد
على أنهم جاشوا لنا وتجمعوا وكادوا وكان الله أعلم بالقصد
فجاهدتهم بالله منتصراً به فأفنيتهم بالبيض والسمر والجرد

قال الصولي : ولعلي بن عبد الله وأخيه أحمد بن عبد الله شعر ، أظن بعض من يميل إليهم ، ويكره السلطان ، عمله ، أو أكثره ، وحمله عليهما .

أنبأنا أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسين الدمشقي ، قال : أخبرنا عمي الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله قال : أحمد بن عبد

الله ، ويقال عبد الله بن أحمد بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كما زعم . وهـو صاحب الخـال أخو علي بن عبد الله القرمطي . بايعته القرامطة بعـد قتل أخيه بنواحي دمشق وتسمى (١٤١ ـ و) بالمهدي ، وأفسد بالشام ، فبعث إليه المكتفي عسكراً في المحرم سنة إحدى وتسعين ومائتين ، فقتل من أصحابه خلق كثير ، ومضى هو في نفر من أصحابه يريد الكوفة ، فأخذ بقرية تعرف بالدالية من سقي الفرات ، وحمل إلى بغداد وأشهر وطيف به على بعير ، ثم بنيت له دكة فقتل عليها هو وأصحابه الذين أخذوا معه يوم الاثنين لسبع بقين من شهر ربيع الأول من سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وكان شاعراً وله في الفخار أشعار من جملتها :

سبقت يـدي يـده لضربـة هـاشمي المحتـد
وأنا ابن أحمـد لم أقل كـذباً ولم أتزيـد
من خوف بأسي قال بد ر : ليتـني لم أولـد

يعني بدر الحامي الطولوني ، أمير دمشق . هكذا قال الحـافظ أبو أبو القاسم . ولا أعلم أحداً قال في صاحب الخال عبد الله بن أحمد غيره . والمعروف بهذا الاسم ابن عمه المعروف بالمدثر ، وكان سار إلى الشام فلقيه شبل الديلمي ، مولى المعتضد بالرصافة في سنة أربع وثمانين ومائتين فقتله القرامطة ، وقتلوا أصحابه . ودخلوا الرصافة فأحرقوهـا وجاؤوا مسجدها ونهبوها ، وساروا نحو الشام . فالظاهر أنه اشتبه عليه بصاحب الخال وأكد عنده ذلك هذه الأبيات الثلاثة التي عزاهـا (١٤١ ـ ظ) إليه ، وقوله فيها :

وأنا ابن أحمد لم أقل كـذبـاً ولم أتزيّد

على أن هذه الأبيات ليس مراد صاحب الخال منها أن أحمد أبوه ، بل أرادبقوله:«وأنا ابن أحمد»، أنهمن نسل أحمد النبي ﷺ.......... (١٤٢ - و)

خليفة بن المبارك :

أبو الأغر السلمي قائــــد مذكور مشهور ، ولي حلب في سنة تسع وثمانين ومائتين ، ولاه إياها المكتفي حين تولى الخلافــة ، وتوجــه اليهـا لمحاربة القرمطي صاحب الخال ، وقدمها في عشرة آلاف فارس ، فأنفـذ القرمطي سرية اليه الى حلب في سنة تسعـين ومائتين ، فخرج أبو الأغر فنزل وادي بطنان فلما استقر وافاهم جيش القرمطي يقدمه المطوق غلامه فكبسهم ، وقتل منهم خلقاً عظيماً ، فانتهب العسكر ، وأفلت أبو الأغر ، فدخل حلب ومعه ألف رجــل لاغـير ، وصار القرمطي الى باب حلب فحاربهم أبو الأغر فيمن بقي معه من أصحابه ، وأهل البلد ، فذهبوا وانصرفوا عنه ، ثم عزل عن ولاية حلب بعد ذلك .

ذكر أبو عبد الله محمد بن يوسف في رسالته الى أخيه بخبر القرمطي أن القرمطي وجه بخيل كثيرة ورجالة كثيفة مع المعروف بمبيطر ، وهو أحد دعاته وثقاته الى ناحية حلب ، فلما كان يوم الأربعاء لعشر ليال بقين من رمضان - يعني سنة تسعين - وقعوا بخليفــــة بن المبارك المعروف بأبي الأغر وهو على غاية الطمأنينة ، ومايقدر أن خيل المارقة تبلغ اليه لأنه لم يكن وصل الى حلب ، وكان ابنه بها فقتل القرامطة عامة من كان في عسكره من الأولياء والبياع والتجار ، فأبيد خلق من الناس ، وسلم أبو الأغر ، فصار الى قرية من قرى حلب ، وخرج اليه ابنه من المدينة في جماعة من الأولياء والرجالة ، فأقاموا على مدينة حلب على سبيــــل المحاصرة لأهلها ، فلما كان يوم الجمعة سلخ شهر رمضان ، تسرع أهــــل

مدينة حلب إلى الخروج للقاء عدوهم ، فمنعوا من ذلك فكسروا قفل الباب وخرجوا الى الفسقة ، فدامت الحرب بين الفريقين ، ورزق الله الرعية النصر عليهم ، وخرج السلطان فأعانهم ، فقتل من القرامطة جماعة كثيرة ، ولما كان يوم السبت يوم العيد خرج أبو الأغر خليفة بن المبارك إلى المصلى ، وعيد المسلمون ، وخطب الخاطب ، ثم عادت الرعية على حال سلامة . وأشرف خليفة بن المبارك على عسكر الفسقة ، فما خرج إليه منهم أحد ، وانصرف عنهم ، فلما أيسوا رحلوا في النصف من ليلة الأحد عن معسكرهم ، وصاروا إلى صاحبهم الخائن .

أنبأنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي . قال : كتب إلينا أبو عبد الله بن علي العظيمي ، قال : سنة تسعين ومائتين خلع على أبي الأغر ، ووجه لحرب القرمطي بناحية الشام ، فمضى إلى حلب في عشرة آلاف .

قال : وللنصف من شهر (٢٣٢ ـ و) رمضان مضى أبو الأغر إلى حلب ، ونزل وادي بطنان ، قريباً من حلب ، ونزل معه جميع أصحابه فنزع ـ فيما ذكر ـ جماعة من أصحابه ثيابهم ودخلوا يتبردون بمائه ، وكان يوماً شديد الحر ، فبينا هم كذلك ، إذ وافاهم جيش القرمطي المعروف بصاحب الشامة ، مقدمهم المعروف بالمطوق . فكبسهم على تلك الحال ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وانتهب العسكر ، وأفلت أبو الأغر وجماعة من أصحابه ، فدخل حلب وأفلت معه مقدار ألف رجل ، وكان في عشرة آلاف رجل مابين فارس وراجل ، وقد كان ضم إليه جماعة ممن كان على باب السلطان ، من قواد الفراغنة ورجالهم ، فلم يفلت منهم إلا اليسير ، ثم صار أصحاب القرمطي إلى باب حلب فحاربهم أبو الأغر ،

ومن بقي معه من أصحابه ، وأهل البلاد فانصرفوا عنه .

قرأت في حوادث سنة سبع وتسعين ومائتين من تاريخ ثابت بن سنان ابن قرة ، قال : في أيام المقتدر ، وفيها قدم أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمي من الرقة بغير إذن ، فقبض عليه ، وعلى جماعة من أهله ، وكسر سيفه وخرق سواده ، وحبس .

وقال في حوادث سنة اثنتين وثلاثمائة : وفي يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من رجب ، أطلق أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمي من الاعتقال في دار السلطان ؛ وخلع عليه خلع الرضا في يوم الخميس مستهل شعبان .

أخبرنا القاضي أبو نصر محمد بن هبة الله بن الشيرازي ، أذنا ، قال : أخبرنا (٢٣٢ ـ ظ) الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي قال : خليفه ابن المبارك ، أبو الأغر ، ولاه المعتضد قتال الأعراب بطريق مكة ، فقتل منهم جماعة وأسر رأسهم صالح بن مدرك بالحيلة ، وقدم بغداد في المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين ، فخلع عليه وطوق بطوق ذهب ، ثم ولي حلب ، وقدم دمشق مع محمد بن سليمان ، وغيره من الأمراء الذين وجههم المكتفي لحرب الطولونية بمصر ، وغزا بلاد الروم مع مؤنس الخادم في ذي القعدة سنة ست وتسعين ومائتين ، ثم خالف على السلطان ، فأخذ وأدخل بغداد هو وأولاده ، فقيدوا يوم الاثنين لأربع بقين من شوال سنة سبع وتسعين ومائتين ، ثم أطلق في يوم الخميس ، وخلع عليه يوم الخميس مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة . فمات فجأة يوم الأربعاء لثمان خلون من ذي الحجة من سنة ثلاث وثلاثمائة .

قرأت بخط ثابت بن سنان الصابي في كتاب وقع إلي يتضمن وفاآت من توفي في كل سنة من سنة ثلاثمائة إلى السنة التي مات فيها قال : سنة اثنتين وثلاثمائة ، أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمي مات لسبع خلون من ذي الحجة فجأة .... (٢٣٣ - و) .



كتاب

نهاية الأرب في فنون الأدب



ذكر أخبار الدولة العُبيدية

التي انتسب ملوكها إلى الشرف ، وألحقوا نسبهم بالحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

هذه الدولة من الدول التي امتدت أيامها ، واتسعت ممالكها ، واستولت ملوكها على كثير من الممالك المشهورة شرقاً وغرباً ، ببلاد المغرب والديار المصرية ، والبلاد الشامية ، والثغور والعواصم وغير ذلك ، وكان ابتداء ظهور هذه الدولة ببلاد المغرب ، وإنما أوردناها في أخبار ملوك الديار المصرية ، وألحقنا ملوكها بملوك هذا الوادي ، لأن الديار المصرية قاعدة ملكهم ، وبها قام أكثرُ ملوكهم .

ولنبدأ بذكر أخبار ملوك هذه الدولة ، وابتداء أمرهم ، وماقيل في نسبهم وإلى من ينسبون ، وكيف تنقلت بهم الحال الى أن ملكوا البلاد واستولوا على الأقاليم . ولهذه الدولة أسباب ولوازم وشيعة هم الذين مهدوا لهم البلاد ، ووطئوا الممالك ، وهزموا الجيوش وفتحوا الأقاليم ، وأبادوا الأبطال حتى استقر الملك لملوك هذه الدولة وتسلموه عفواً صفواً .

لابد لنا أن نبتدىء بذكر أخبارهم ، ومافتحوه واستولوا عليه قبل ظهور المهدي الذي هو أول ملوك هذه الدولة ، ثم نذكر عاقبة أمر من قرر لهم الملك معهم ، ونذكر من ملك من ملوك هذه الدولة ، واحداً بعد واحد الى أن انقرضت دولتهم ، وبادت أيامهم . فنقول وبالله

التوفيق: أول من ملك منهم عبيد الله المنعوت بالمهدي ، ونسب نفسه أنه عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب [١] ، وأهل العلم بالأنساب من المحققين ينكرون ذلك ، وينفوه عن الشرف ، ويقولون اسم عبيد الله سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله القداح بن أبي شاكر ميمون ابن ديصان بن سعيد الغضبان ، صاحب كتاب الميدان في نصر الزندقه ، وهو من أهل رامهرمز ، كورة من كور الأهواز ، وكان من خرمية المجوس .

ومن المؤرخين من زعم أن الحسين بن أحمد زوج أم سعيد ، وأن أبا سعيد يهودي .

وقال القاضي أبو بكر بن الطيب [٢] في كتابه المسمى بكشف الأسرار وهتك الأستار : ان سعيد هذا كان قد رباه عمه محمد بن أحمد ، المكنى بأبي الشلعلع [٣] [٢١] وكانوا دعاة لمحمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، يأكلون البلاد باسمه ، ويدعون أنه حي يرزق الى زمانهم وفيه عمل ابن المنجم [٤]

---

(١) كذا ، وهو غير مسلم به ، وهناك خلاف كبير حول شجرة النسب ، خاصة في فترة الستر ، وقد سبق لنا أن نبهنا على ذلك .

(٢) أبو بكر الباقلاني ـ ٣٣٨ هـ / ٩٥٠ ـ ٤٠٣ / ١٠١٣ ، أعظم رجال علم الكلام في عصره ، انتهت اليه رئاسة مذهب الأشاعرة ، ولد في البصرة ، وسكن بغداد حيث طارت شهرته ، له عدة كتب بعضها في حكم المفقود ، منها كشف أسرار الباطنية المشار اليه في المتن .

(٣) انظر عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب . ط. بيروت : ١٩١ .

(٤) لعله علي بن هارون « ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ - ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م » كان راوية الشعر من ندماء الخلفاء ، ولد ومات في بغداد .

قصيدته التي يقول فيها :

فإنك في دعواك أنك منهم كمن يدعي أن النحاس من الذهب
متى كان مولى الباهليين ملحقاً بآل رسول الله يوماً اذا انتسب

ولما ملك بهاء الدولة [١] ، أبو نصر بن عضد الدولة فناخسرو بن بويه ، بعد أن جمع الطالبيين من آفاق العراق ، وسألهم عنهم فكلهم أنكرهم ، وتبرأ منهم ، فأخذ خطوطهم بذلك ، وكان ممن شهد الشريفان الرضي والمرتضي ، وأبو حامد الاسفرائيني ، وأبو الحسين القدروي وغيرهم ، وذلك في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة [٢] بأمر القادر بالله العباسي .

هذا مع ماينسب الى بني بويه من التشيع [٣] . فلنذكر ابتداء أمرهم وأول من قام منهم .

ذكر ابتداء أمرهم وأول من قام منهم

قال أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن الأمير تميم بن المعز بن باديس في كتابه الترجم بالجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان [٤] : أول من قام منهم أبو شاكر ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان ، وكان ممن صحب أبا الخطاب محمد بن أبي زينب [٥] مولى بني أسد ، فألقوا الى كل

---

(١) هو بهاء الدولة فيروز « ٣٧٩ ﻫ / ٩٨٩ م - ٤٠٣ ﻫ / ١٠١٢ م » .

(٢) كذا في الأصل، والمشهور أن ذلك كان سنة ٤٠٢ ﻫ . انظر المنتظم : ٧/٢٥٥-٢٥٦ . أصول الاسماعيلية : ١٤٣ .

(٣) كانوا شيعة لكن حسب المذهب الزيدي .

(٤) عثر على قطعة منه وقد طبعت ، لكن لم أستطع الوقوف على نسخة منها .

(٥) يقال في اسمه غير هذا ، وربما قتل سنة ١٣٨ ﻫ / ٧٥٥ م ، خبره ماكتب عنه ما أورده برنارد لويس في اطروحته أصول الاسماعيلية : ٩٨ - ١٠٦ .

من اختصوا بـــه أن لكل شيء من العبادات باطناً ، وان الله تعالى ما أوجب على أوليائه صلاة ولازكاة ، ولاصوماً ولاحجاً ، ولاحرم عليهم شيئاً من المحرمات ، وأباح لهم نكاح البنات والأخوات ، وانما هـــذه العبادات عذاب على الأمة ، وأهل الظاهر ، وهي ساقطه عن الخاصة ؛ يقولون ذلك لن يتقون به ويسكنون اليه ، ويقولون في آدم وجميع الأنبياء كذابون محتالون طلاب للرئاسة .

فاشتدت شوكة هؤلاء في الدولة العباسية ، وتفرقوا في البلاد شرقاً وغرباً ، يظهرون التقشف والزهد والتصوف وكثرة الصلاة والصيام ، يعرفون الناس بذلك ، وهم على خلافه ، ويذكرون أبا الخطاب الى أن قامت البينة بالكوفة أن أبا الخطاب ، أسقط العبادات وأحل المحارم ، فأخذه عيسى بن موسى الهاشمي مع سبعين من أصحابه ، فضرب أعناقهم فتفرق بقية أصحابه في البلاد ، فصار قوم مما كان على مذهبه الى نواحي خراسان ، وقوم الى الهند .

وصار أبو شاكر ميمون بن سعيد إلى بيت المقدس مع جماعة من أصحابه وأخذوا في تعلم الشعبذة والنارنجيات والحيل ، ومعرفة الرزق من صنعة النجوم والكيمياء ، ويحتالون على كل قوم بما يتفق عندهم ، وعلى العامة بإظهار الزهد والورع ، ونشأ لابن شاكر ابن يقال له عبد الله القداح ، علمه الحيل وأطلعه على أسرار هذه النحله ، فتحذق وتقـــدم ، وكانوا يظهرون التشيع ، والبكاء على أهل البيت ، ويزيدون أكاذيباً اخترعوها ، يخدعون بها ضعفاء العقول ، وكان من كبار الشيعة رجل يسمى محمد بن الحسين بن جهار بختار ، الملقب دندان (١) ، وهو بنواحي الكرخ والأصفهان

---

(١) الخلاف بين الروايات حوله شديد ، انظر ماكتبه لويس في أصول الاسماعيلية : ١٣٣ - ١٤١ .

له حال واسعة ، وضياع عظيمة ، وهو المتولي على تلك المواضع ، وكان يبغض العرب ويذمهم ، ويجمع معايبهم ، وكان كل من طمع في نواله تقرب إليه بذم العرب ، فسمع به عبد الله بن ميمون القداح ، ومايتحله من بغض العرب ، وصنعة النجوم ، فسار إليه وكان عبد الله يتعاطى الطب وعلاج العين ، ويقدح الماء النازل فيها ، ويظهر أنه إنما يفعل ذلك حسبة وتقرباً إلى الله عز وجل ، فطار له بهذا الاسم بنواحي أصفهان والجبل ، فأحضره دندان ، وفاتحه الحديث ، فوجده كما يحب ويهوى ، وأظهر له عبد الله من مساوىء العرب والطعن عليهم أكثر مما عنده ، فاشتد إعجابه به ، وقال له : مثلك لاينبغي أن يطب ، وإن قدرك يرتفع ويجل عن ذلك ، فقال : إنما جعلت هذا ذريعه لما وراءه مما ألقيه الى الناس ، وإلى من أسكن اليه على رفق ومهل من الطعن على الاسلام ، وأنا أشير عليك أن لاتظهر مافي نفسك إلى العرب ، ومن يتعصب لهذا الدين ، فإن هذا الدين قد غلب على الأديان كلها فما يطيقه ملوك الروم ولا الترك والفرس ، والهند مع بأسهم ونجدتهم ، وقد علمت شدة بابك صاحب الخرمية وكثرة عساكره ، وأنه لما أظهر مافي نفسه من بغض الإسلام ، وترك السير بالتشيع والبكاء [٢٢] كما تقول أولاً ، قلع أصله ، فالله الله أن تظهر مافي نفسك ، والزم التشيع والبكاء على أهل البيت ، فإنك تجد من يساعدك على ذلك من المسلمين ، ويقول : هذا هو الاسلام ، وادع عليها عداوة الرسول ، وتغيير القرآن وتبديل الأحكام فإنك إذا سببتها سببت صاحبها ، فإذا استوى لك الطعن عليها ، فقد اشتفيت من محمد ، ثم تعمل الحيلة بعد ذلك في استئصال دينه ومن ساعدك على هذا فقد خرج من الاسلام من حيث لايشعر ، ويتم لك كما تريد .

فقال دندان : هذا هو الرأي ، ثم قال له عبد الله القداح : إن لي

أصحاب وأتباع أبثهم في البلاد ، فيظهرون التقشف والتصوف ، والتشيع ويدعون إلى مازيده بعد إحكام الأمر ، فاستصوب دندان ذلك وسرّ به وبذل لعبد الله القداح ألفي ألف دينار ، فقبل المال وفرقه في كور الأهواز والبصرة وسواد الكوفه ، وبطالقان خراسان ، وسلميه من أرض حمص ، ثم مات دندان فخرج عبد الله القداح إلى البصرة ، وسواد الكوفة وبث الدعاة وتقوى بالمال ودبر الأمر .

وحكى الشريف أبو الحسين محمد بن علي الحسين المعروف بأخي محسن [1] في كتابه : أن عبد الله بن ميمون هذا كان قد نزل عسكر مكرم [2] ، فسكن بساباط [3] أبي نوح وكان يتستر بالتشيع والعلم ، فلما ظهر عنه ما كان يضمره ويسره من التعطيل والإباحة ، والمكر والخديعة ، ثار الناس عليه ، فأول من جاءه الشيعة ، ثم المعتزلة ، وسائر الناس ، وكبسوا داره فهرب إلى البصرة ، ومعه رجل من أصحابه يعرف بالحسين الأهوازي ، فنزل بباهله على موال لآل عقيل بن أبي طالب ، وقال لهم أنا من ولد عقيل داع إلى محمد بن اسماعيل بن جعفر فلما انتشر خبره ، طلبه العسكريون ، فهرب وأخذ طريق الشام ومعه الحسين الأهوازي . فلما توسطا الشام عدلا إلى سلمية ليخفى أمرهما ، فأقام بها عبد الله وخفي أمره .

نرجع إلى قول ابن شداد ، قال : ثم مات عبد الله ، وكان له جماعة

---

(١) ربما كان من معاصري المعز لدين الله الفاطمي . انظر اصول الاسماعيلية : ٥٧ .

(٢) بلد مشهور في نواحي خوزستان ـ معجم البلدان ـ

(٣) الساباط عند العرب سقيفة بين دارين من تحتها طريق نافذ ، ولم يذكر ياقوت وغيره من الجغرافيين ساباط أبي نوح هذا ، ويبدو أنه كان قرية من قرى خوزستان .

من الولد ، فخلفه منهم ابنه أحمد ، فقام مقام أبيه ، وجرى على قاعدتـه ، وبث الدعاة واستدعى رجلاً من أهل الكوفة يقال له أبو القاسم الحسن ابن فرح [١] بن حوشب بن زاذان النجار ، وكان هذا الرجل من الامامية الذين يقولون بإمامه موسى [٢] بن جعفر ، فنقله إلى القول بإمامه اسماعيل ابن جعفر ، وكانوا يرصدون من يرد من المشاهد ، وينظرون إليهم ، فمن كان فيه مطمع وجهاله استدعوه ، ولا يستدعون الا الجهال ومن له بأس وجلد وعشيرة ومال وعز ، ويتجنبون الفقهاء والعلماء والأدباء والعقلاء . وكانوا يطلبون أطراف البلاد .

فقال لهم بعض من ورد عليهم : إن بجيشان والمذيخرة والجند من أرض اليمن رجلاً جلد كثير المال والعشيرة يتشيع ، وبهذه الناحيـه شاعر يقال له ابن خيران يسب في شعره أبا بكر وعمر ، والمهاجرين ، والأنصار على مثل سبيل الحميري الشاعر [٣] ، فورد ذلك الرجل المذكور وهو أبو الخير علي بن الفضل [٤] من أهل جيشان من اليمن ، ودخل الى الحيرة

---

(١) في الأصل أبو الحسن رستم بن الكرخيين بن حوشب ، وهو خطأ صوابه ماأثبتناه وقد مر ذكره فيما سلف من نصوص كما سيرد مجدداً خاصة عند الخزرجي ، وهو الذي سيعرف باسم « منصور اليمن » انظر رسالة افتتاح الدعوة : ٣٢ .

(٢) أي الكاظم الإمام السابع عند الامامية الاثناعشرية ، انظر الأئمة الإثنا عشر لابن طولون . ط. بيروت ٨٩ - ٩٣ .

(٣) ابن خيران لم أجده في المتوفر لدي من المصادر ، والحميري هو السيـد الحميري « ١٠٥-١٧٣ هـ / ٧٢٣ - ٧٨٩ م » اسمه اسماعيل بن محمد ، شاعر شيعي له شهرة كبيرة. الأعلام للزركلي .

(٤) في الأصل « محمد بن الفضل » وهو خطأ صوابه ما أثبتنا ، وقد سلف ذكره كما سيأتي خاصة عند الخزرجي .

فرأوه يبكي على الحسين بن علي . فلما فرغ من زيارته أخذ الداعي يده وقال له : اني رأيت ماكان منك من البكاء والقلق على صاحب هذا القبر فلو أدركته ماكنت تصنع ؟ قال : كنت أجاهد بين يديه ، وأجعل خدي أرضاً يطأ عليها ، وأبذل مالي ودمي دونه ، فقال له : أتظن أنه مابقي لله حجة بعد صاحب هذا القبر ؟ قال : بلى ولكن لا أعرفه بعينه ، قال : فتريده ؟ قال : أي والله . فسكت عنه الداعي ، فقال له علي بن الفضل ماقلت لي هذا القول الا وأنت عارف به ، فسكت الداعي فقوي ظن ابن الفضل ان هذا الرجل يعرف الإمام والحجه ، فألح عليه ، وقال : الله الله في أمري اجمع بيني وبينه ، فإني خرجت الى الحج ، وجئت الى هذه الزيارة أريد الله تعالى ، فسكت الداعي وازدادت رغبة ابن الفضل ، فصار يتضرع اليه ويسأله ويقبل يده ، فقال له الداعي : اصبر ولاتعجل وأقم فهذا الأمر لايتم بسرعه ولابد له من صبر ومهلة ، فقال ابن الفضل لأصحابه ، ومن كان معه من جيشان : انصرفوا فلي بالكوفة شغل ، فانصرفوا وأقام هو واجتمع بالداعي ، فقال له : ماعملت في حاجتي ؟ فقال انتظرني حتى أعود اليك ، فانصرف عنه ومضى الى أحمد بن القداح وعرفه حال ابن الفضل وحرصه على لقاء الحجة ، وامام الزمان ، وبقي الداعي يرمقه وراه لايكاد يبرح من المسجد ، من غير أن يعلم ابن الفضل به . فلما كان بعد أربعين يوماً أتاه الى المسجد ، وهو جالس ، فقال له : أنت بعد ههنا ؟ فقال : نعم ولولا تجيء لأقمت في هذا المسجد الى أن أموت فعلم الداعي أنه قد قصده ، فأخذه وجمع بينه وبين أحمد بن عبد الله ابن ميمون [٢٣] .

وحكي الشريف أبو الحسين محمد بن علي الحسيني في كتابه الذي

صرح فيه نفي هؤلاء [١] عن النسب الى الحسين بن علي رضي الله عنهما ، واستدل على ذلك بأدلة يطول شرحها . أن أحمد بن عبد الله بن ميمون لما قام الأمر بعد أبيه عبد الله بعث الحسين الأهوازي من سلمية داعية الى العراق ، فلما انتهى الى سواد الكوفه لقي حمدان بن الأشعث ، وهو قرمط الذي اليه ينسب القرامطة فصحبه ، واتبعه قرمط ، وتابعه كثير من الناس ، فلما مات الأهوازي أسند الأمر من بعده الى حمدان بن الأشعث قرمط . وقد ذكرنا هذه القصة في أخبار [٢] القرامطة .

نرجع الى قول ابن شداد ، قال : وكان أحمد يقول للحسن بن حوشب الكوفي النجار : يا أبا القاسم هل لك في غربه في الله ؟ فيقول : الأمر اليك يامولاي ، فلما اجتمع بابن الفضل ، قال له : قد جاء ماكنت تريد أبا القاسم ، هذا رجل من أهل اليمن ، وهو عظيم الشأن ، كثير المال ، ومن الشيعه قد أمكنك ماتريد . وثم خلق من الشيعة ، فأخرج

---

(١) ينقل صاحب عمدة الطالب : ١٩٠ - ١٩٣ نصوصاً اعتبرها قاطعة في تصحيح نسب الفاطميين إلى اسماعيل بن جعفر الصادق، ومما قاله في ذلك « قلت : وقد كثرالحديث في نسب الخلفاء الذين استولوا على المغرب ومصر ، ونفاهم العباسيون ، وكتبوا بذلك محضراً شهد فيه جل الاشراف ببغداد ، فانضم الى ذلك ماينسب اليهم من الأحاديث ، وسوء الاعتقاد ، وقد تأملت بعض ماحكي من الطعن فيهم فوجدته لايتمشى لكونه بناء على أن المهدي أولهم منسوب إلى أبيه محمد بن اسماعيل بن الصادق لصلبه ، وزمانه لايحتمل ذلك ، والشريف الرضي الموسوي مع جلالة قدره صحح في شعره نسبهم حيث يقول :

ما مقامي على الهوان وعندي ... مقول صارم وأنف حمي
أحمل الضيم في بلاد الاعادي ... وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي ومن جده جدي ... إذا ضامني البعيد القصي

(٢) في جزء آخر من الكتاب ، اعتمد عليه أكثر من باحث ، وقد نشر بعضه اعتماداً على مخطوطة باريس رقم « ١٥٧٦ »

وعرفهم أنك رسول المهدي ، وأنه في هذا الزمان يظهر في اليمن ، واجمع المال والرجال ، والزم الصوم والصلاة والتقشف ، واعمل بالظاهر ولاتظهر الباطن ، وقل لكل شيء باطن ، وإن ورد عليك شيء لاتعلمه فقل لهذا من يعلمه ، وليس هذا وقت ذكره .

وجمع بينه وبين ابن الفضل ، وخرجا جميعاً الي أرض اليمن ، وزل ابن حوشب بعدن ، وكان فيها قوم من الشيعة يعرفون بني موسى ، وخبرهم عند ابن ميمون ، فنزل ابن حوشب بالقرب منهم ، وأخذ في بيع مامعه من القماش ، ولزم الزهد والتقشف . فقصده بنـو موسى ، وقالوا له : فيما جئت ؟ قال : للتجارة ، قالوا : لست بتاجر ، وانمـا أنت رسول المهـــدي ، وقد بلغنا خبرك ، وعرفوه بأنفسهم ، فأظهر أمره عليهم ، وسار الي عدن لاعة ، وسار ابن الفضل إلى بلده .

ولما وصل ابن حوشب إلى عدن لاعة قوّى عزائمهـم وقرّب أمر المهدي عليهم ، وأنه من عندهم يخرج ، وأمرهم بالاستكثار من الخيـل والسلاح ، ولم يزل أمر ابن حوشب يقوى وأخباره ترد على من بالكوفه من الإمامية ، وطبقات الشيعة ، فيبادرون إليه ، ويقول بعضهم لبعض : دار الهجرة ، فكبر عددهم واشتد بأسهم ، وأغار على من جاوره ، ونهب وسبي ، وجبى الأموال وأنفذ إلى من بالكوفه من ولد عبد الله القداح أموالاً عظيمة ، وهدايا وطرفاً ، وكذلك لابن الفضل .

وكانوا أنفذوا إلى المغرب رجلان أحدهما يعرف بالحلواني والآخر بأبي سفيان [١] ، وتقدموا اليها بالوصول إلى أقاصي المغرب ، والبعد عن المدن والمنابر ، وقالوا لهما : ينزل كل واحد منكما بعيـداً من الآخر ، وقولا

---

(١) انظر رسالة افتتاح الدعوة ٥٤-٥٨ .

لكل شيء باطن ، ونحن فقد قيل لنا : اذهبا فالمغرب أرض بور فاحرثاها واكرباها حتى يأتي صاحب البذر[١] ، فنزل أحدهما بأرض كتامه بمدينة مَرْمجنة[٢] ، والآخر سوف جمار[٣] ، فمالت قلوب أهل تلك النواحي إليهما ، وصارا يحملان التحف التي تحمل إليهما إلى ابن القداح ، ثم ماتا على قرب بينهما ، بعد أن أقاما سنين كثيرة فقال ابن حوشب لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا الشيعي ـ وكان قد هاجر إليه ـ : يا أبا عبد الله أرض كتامه من المغرب قد حرثها الحلواني وأبي سفيان وقد ماتا ، وليس لها غيرك ، وبادر إليها فإنها موطأه ممهده لك ، فخرج أبو عبد الله وأخرج ابن حوشب معه عبد الله بن أبي الملاحف ، وأمده بمال ، وأوصاه بما يعمل وكيف يحتال ، وكان أبي عبد الله قد شاهد أفعال ابن حوشب ، وعرف تدبيره . فسار إلى مكة وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى .

وأما أحمد بن عبد الله بن ميمون ، فإنه لما قوي أمره ، وكثرت أمواله ادعى أنه من ولد عقيل بن أبي طالب ، وهم مع هذا يسترون أمرهم ، ويخفون أشخاصهم ، ويغيرون أسماءهم ، وأسماء دعاتهم ، ويتنقلون في الأماكن ، ثم مات أحمد فخلفه محمد ، وكان لمحمد ولدان : أحمد والحسين ، فمات أحمد ، وسار الحسين إلى سلمية ، وله بها أموال من ودائع جده عبد الله القداح ، ووكلاء وأتباع وغلمان . وبقي ببغداد من أولاد القداح أبو الشلعلع ، وهو محمد بن عبد الله بن ميمون بن

---

(١) أي أبو عبد الله الداعي . انظر رسالة افتتاح الدعوة ٥٨ .

(٢) من مدن تونس ، على ثلاث مراحل من القيروان ـ معجم البلدان .

(٣) في الجزائر معروفة على مقربة من الحدود الجزائرية التونسية .

ديصان ، وهو مؤدب بآداب الملوك ، وكان الذي بسلمية يدعي أنه الوصي وصاحب الأمر دون بني القداح ، ويكاتب الدعاة ويراسلونـه من اليمن والمغرب والكوفة ، واتفق أنه جرى بحضرته بسلمية حـديث النساء ، فوصفوا امرأة رجل يهودي حداد ، مات عنها زوجها ، وأنهـا في غاية الجمال ، فقال لبعض وكلائه : زوجني بها ، فقال : إنها فقيرة ، ولهـا ولد ، فقال : ما علينا من الفقر زوجني بها ورغبها ، وابذل لها ماشاءت ، فتزوجها وأحبها وحسن موقعها عنده ، وكان ابنها يماثلها في الجمال ، فأحبه وأدبه [٢٤] وعلمه ، وأقام له الخدم والأصحاب ، فتعلم الغلام ، وصارت له نفس كبيرة وهمة عظيمة ، فمن العلماء من أهل هذه الدعوة من يقول إن الامام الذي كان بسلمية من ولد القداح مات ، ولم يكن له ولد فعهد إلى ابن اليهودي الحداد ، وهو عبيد الله الذي نعت بالمهدي ، وأنه عرفه أسرار الدعوة من قول وفعل ، وأعطاه الأموال وتقـدم إلى أصحابـه ووكلائـه بطاعته ، وخدمته ومعونته ، وعرفهم أنه الامـام والوصي وزوجه ابنة عمه أبي الشلعلع ، هذا قول ابن القاسم الأبيض العلوي .

وغيره من العلماء بهذه الدعوة ، وبعض الناس وهم قليل يقولون : إن عبيد الله ، هذا المنعوت بالمهدي من ولد القداح ، ومنهم من يقول فيه قول آخر نذكره إن شاء الله عز وجل ، فهذا ما حكي في ابتداء أمرهم فلنذكر أخبار الشيعي ببلاد المغرب ، والله أعلم ...

قد ذكرنا أن القائد جوهر جهز جعفر بن فلاح إلى الشام بالعساكر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، فسار جعفر ولقي الحسن بن عبيد الله ابن طغج بالرملة ، وهو يومئذ صاحب الشام ، فهزمه جعفر بن فلاح وأسره ، وبعث به إلى مصر ، ثم سار الى دمشق فملكها في سنة تسع وخمسين بعد حرب شديد ، فكتب الى القائد جوهر بالفتح ، واستأذنه في السير الى غزو أنطاكيه ، فأذن له القائد ، فسار نحوها في عشرين ألف فارس ، فأقام مدة وكثرت جموعه وعساكره ، وانبسطت يده ، ودانت له البلاد ، فحاصر أنطاكية مدة إلى أن اتصل به مسير مدد الروم اليها ، فعاد عنها الى دمشق .

ذكر مقتل جعفر بن فلاح واستيلاء القرامطة على دمشق

وفي سنة ستين وثلاثمائة ، وصل الحسن الأعصم القرمطي الى دمشق وقيل انه انما قدم بأمر الخليفة المطيع ، فخرج اليه جعفر بن فلاح ، وقاتله وكان عليلاً ، فقتل وانهزم أصحابه ، ونصب رأسه على [سور] دمشق ، وملك القرمطي دمشق والشام ، وسار الى الرملة فانحاز عنه سعاده بن[١] حيان الى يافا ، وتحصن بها ، فسار اليه وحاربه ، ثم سار يريد مصر ، فتأهب القائد جوهر لذلك ، وحفر خندقاً وبنى عليه باباً كبيراً ، وركب عليه الباب الحديد الذي كان على الميدان الاخشيذي ، وبنى عليه بابان آخران ، وبنى القنطرة على الخليج ، وجعل ممراً لمن يريد المقس [٢] ،

(١) من غلمان المعز ، أي من قادة الفاطميين العسكريين .

(٢) مقس النيل معروف في القاهرة .

وكاد القرمطي يأخذ القاهرة ، ثم رجع عنها بغير سبب علم ، وكبس الفرما ، ثم قاطع أهلها على مال فحملوه اليه ، وأخذ عاملها عبد الله ابن يوسف ، وقيل انه كان معه خمسة عشر ألف بغل تحمل صناديق الأموال وأواني الذهب والفضة والسلاح سوى ماتحمل من المضارب والخيام والأثقال .

وفي سنة ستين وثلاثمائة أيضاً بني جوهر سوراً على القصور التي بناها في سنة ثمان وخمسين وجعلها بلداً وسماها المنصورية [١] ، ولما استقر المعز بها سماها القاهرة .

وفي سنة احدى وستين وثلاثمائة ، في المحرم ، كبس ياروق [٢] ، الفرما ، وأخرج منها ابن العمر القرمطي ، وأرسل الى مصر رؤوساً وأعلاماً ، وغير ذلك .

وفي هذا الشهر عصى أهل تنيس وغيروا الدعوة ، ودعوا للمطيع والقرامطة وحاربوا ياروق ، وفي صفر وصل ياروق منهزماً من القرامطة وهم في اثره ، وأقبلت عساكر القرامطة حتى بلغوا عين شمس .

واستعد القائد للقائهم ، وأغلق الأبواب التي بناها ، وفي مستهل ربيع الأول جاءت مقدمة القرامطة ، ووقعوا على الخندق ، فقاتلهم القائد واشتد القتال ، وقتل من الفريقين قتلى كثيرة ، وأصبح الناس متكافئين للقتال ، وسار الأعصم القرمطي بجميع عسكره ، ووقع القتال على الخندق

---

(١) يلاحظ أن جوهر بعد فتحه لمصر لم يكن لديه مشروع بناء مدينة جديدة ، بل كل مافعله بناء عدة قصور ، إنما بعدما أجبر على إحاطة هذه القصور بسور ظهر الى الوجود مشروع مدينة جديدة هي القاهرة .

(٢) من أمراء الجند الفاطمي .

والباب مغلق ، وعمل القائد جوهر الحيلة فانهزم عن القرمطي ودام القتال الى الزوال ، ثم فتح القائد الباب وانتصب للقتال ، وخرجت العبيد والمغاربة الى القرامطة واشتد القتال واضطرب الناس في المدينة ، وكثرت القتلى من الفريقين ، وانهزم الأعصم القرمطي ، وأراد المغاربة اتباعه فمنعهم القائد جوهر لدخول الليل ، وخشية من مكيدة ، أو كمين . ونهبت صناديق القرمطي ، ودفاتره ،

وفارق القرمطي من كان معه من الاخشيذية والعرب ، قيل : وهذه أول هزيمة كانت للقرامطة .

ثم وصل بعد الكسرة بيومين أبو محمد الحسن بن عمار بمدد معه من جهة المعز ، وهرب القرمطي ، الذي كان بتنيس ، وعادت الدعوة المعزية بها .

وفي شهر ربيع الآخر ، قبض على أربعمائة وأربعين رجلاً من الاخشيذية والكافوريه ، وقيدهم وحبسهم ، وفي شعبان منها ورد على القائد جوهر رسول ملك الروم برسالته وهديته .

وفي شهر رمضان لسبع خلون منه ، كمل بناء الجامع بالقاهرة ، وجمعت فيه الجمعة ، وفي شوال منها ابتدأ القائد جوهر بحفر الخندق الذي كان عبد الرحمن بن جحدم[1] خليفة عبد الله بن الزبير حفرة قبلي مصر ، ثم شق الخندق حتى بلغ قبر الامام الشافعي رحمه الله ، فعدل به عنه في شقه مشرقاً الى الجبل ، على المقابر ، أراد بذلك أن يحفظ طريق الفج من ناحية القلزم .

---

(١) انظر كتاب الولاة والقضاة للكندي . ط. بيروت ١٩٠٨ ، ص٤٠-٤١ .

وفي ذي القعدة منها خرج أبو محمد الحسن بن عمار الى تنيس ، فسار اليه اسطول القرامطة ، فواقعهم وأسر منهم سبع مراكب وسيرهم الى مصر ومعهم خمسمائة رجل منهم ....

ذكر مكاتبة المعز لدين الله القرمطي وجواب القرمطي

قال بعض المؤرخين : لما استقر المعز بالقاهرة ، أهمه أمر الأعصم القرمطي ، فرأى أن يكتب إليه كتاباً يعلمه فيه أن المذهب واحد ، وأن القرامطة استبدوا وهم سادتهم في هذا الأمر ، وبهم وصلوا إلى هذه الرتبة ، فكتب إليه المعز كتاباً مشحوناً بالمواعظ ، وضمنه من أنواع الكفر مالايصدر إلا عن مارق من الدين (١) .

كان عنوان الكتاب :

من عبد الله ووليه وخيرته وصفيه معد أبي تميم بن اسماعيل المعز لدين الله أمير المؤمنين وسلاله خير النبيين ، ونجل أفضل الوصيين إلى الحسن بن أحمد .

وأول الكتاب : رسوم النطقاء ومذاهب الأئمة والأولياء ، ومسالك الرسل والأنبياء السالف منهم والآنف ، صلى الله علينا وعلى آبائنا أولي الأيدي والأبصار في متقدم الدهور والأكوار ، وسالف الأزمان والاحضار عند قيامهم بأحكام الله ، وانتصابهم لأمر الله .

الابتداء بالإعذار ، والانتهاء إلي الانذار . قبل إنفاذ الأقدار ، في

---

(١) انظر نصه الكامل فيما يلي في نص اتعاظ الحنفا للمقريزي ، مع التنبيه إلى أن النويري مصدر أساسي للمقريزي .

أهل الشقاق والإصرار لتكون الحجة على من خالف وعصى ، والعقوبة على من باين وغوى ، حسبما قال الله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً[١] » « وإن من أمه إلا خلا فيها نذير »[٢] .

وقد ذكرنا في أخبار القرامطة جملة من مواعظ هـذا الكتـاب على ما نقف عليه هناك ومن جملته ، مالم نذكره هناك : أما علمت أني « نار الله الموقده التي تطلع على الأفئدة[٣] » ، أعلم « خائنة الأعـين وما تخفي الصدور[٤] » ، وحشاه بأنواع من الكفر وحضه على اقتفاء آثار آبائـه وعمومته في موالاتهم . فقال : « إن آباءك كانوا أتباع آبائي » ، ثم قال فيه بعد الاطالة : وكتابنا هذا من فسطاط مصر ، وقد جئناها على قدر مقدور ووقت مذكور ، لانرفع قدماً ولانضع قدماً ، إلا بعلم موضوع ، وحكم مجموع وأجل معلوم .

ثم قال فيه : وأما أنت أيها النادر الناكث المباين عن هدى آبائـه وأجداده ، المنسلخ عن دين أسلافه وأنداده ، الموقد لنار الفتنه ، الخارج عن الجماعة والسنة ، لم أغفل أمرك ولاخفي علي خبرك ، وإنك مني بمنظر ومسمع ، قال الله تعالى : « إني معكما أسمع وأرى[٥] » « ماكان أبوك امرأ سوء ومـا كانت أمـك بغياً[٦] » ، فعرفنـا على أي رأي أصلت ، وأي طريق سلكت .

---

(١) الاسراء ١٥ .
(٢) فاطر ٢٤ .
(٣) الهمزة ٦ - ٧ .
(٤) غافر ١٩ .
(٥) طه ٤٦ .
(٦) مريم ٥٨ .

وقال في فصل منه : إنا لسنا مهمليك ولاممهليك إلا ريثما يردنا كتابك والوقوف على مجرى جوابك ، فانظر لنفسك ماتبقي ليومك ومعادك ، قبل انغلاق باب التوبة ، وحلول وقت النوبة ، حينئذ «لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً »[١].

ثم ختمه بأن قال : لما أنت وقومك إلا كمناخ نعم ، أو مراح غنم ، « وإما نرينك بعض الذي نعدهم [٢] » « فإنا عليهم مقتدرون [٣] » . هكذا وأنت في القفص مصفوداً [٤] » أو نتوفينك فإلينا مرجعهم [٥] عندها تخسر الدنيا والآخرة « ذلك هو الخسران المبين [٦] » . « فأنذرتكم ناراً تلظى . لايصلاها إلا الأشقى . الذي كذب وتولى [٧] » « كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون [٨] » فليتدبر من كان ذا تدبر ، وليتفكر من كان ذا فكر وليحذر يوم القيامه يوم الحسرة والندامة ، « أن تقول نفس ياحسرة على مافرطت في جنب الله [٩] » « ويإحسرتنا على ما فرطنا [١٠] » و « ياليتنا [١١] نرد » « فنعمل غير

---

(١) الأنعام ١٥٨ .

(٢) يونس ٤٦ .

(٣) الزخرف ٤٢ .

(٤) في الأصل « ... نعدهم أو نتوفينك » « فإنا عليهم مقتدرون » هكذا رأيت والتلاوة في سورة القصص . وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا من رواية المقريزي في اتعاظ الحنفا التي تلي هذه الرواية في كتابنا هذا .

(٥) يونس ٤٦ .

(٦) الحج ١١ .

(٧) الليل ١٤-١٦ .

(٨) الأحقاف ٣٥

(٩) الزمر ٥٦ .

(١٠) الأنعام ٣١ .

(١١) الأنعام ٢٧ .

الذي كنا نعمل [١] » .

والسلام على من اتبع الهدى ، وسلم من عواقب الردى [وحسبنا الله كفى [٢]] وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قال : فلما وقف الحسن بن أحمد القرمطي على هذا الكتاب المطول ، كتب جوابه بعد البسملة : وصل كتابك الذي كثر تفصيله وقل تحصيله ونحن سائرون على إثره ، والسلام .

وقيل إنه كتب : الجواب ماتراه دون ما تسمعه . وقيل : [٤٤] إنه كتب إليه :

ظنت رجال الغرب أن مهوتي ... بمحالها وأخو المحال ذليل
إن لم أرو النيل من دمهم ... فلا نلت المراد ولاسقاني النيل

وفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، في شعبان بلغت مقدمة القرامطة إلى أرباض مصر وأطراف المحلة ، فنهبوها وجبوا الخراج ، واستقر الأعصم القرمطي ببلبيس ، فتأهب المعز للقائه ، وعرض العساكر ، وفرق بينهم الأموال والسلاح ، وسير جيشاً قدم عليه ولده عبد الله ، فالتقى مع الأعصم ، فانهزم القرمطي ، وأسر جماعة من رجاله ، وجهز جيشاً آخر ، قدم عليه ريان الصقلي في أربعة آلاف فارس ، فأزال القرامطة عن المحلة ونواحيها .



(١) الأعراف ٥٣ .

(٢) زيد من رواية المقريزي ، وبه يستقيم السياق .



كتاب

اتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا



ذكر طرف من أخبار القرامطة

وذلك أن الحسين الأهوازي لما خرج داعية إلى العراق لقي حمدان ابن الأشعث قرمط بسواد الكوفة ، ومعه ثور ينقل عليه ، فتماشيا ساعة فقال حمدان للحسين : « إني أراك جئت من سفر بعيد وأنت معيى فاركب ثوري هذا » فقال الحسين : « لم أومر بذلك » فقال له حمدان : « كأنك تعمل بأمر آمر لك ؟ » قال : « نعم » قال : « ومن يأمرك وينهاك ؟ » قال : « مالكي ومالكك ، ومن له الدنيا والآخرة » . فبهت حمدان قرمط يفكر ، ثم قال له : « ياهذا : مايملك ماذكرته إلا الله » قال : « صدقت ، والله يهب ملكه لمن يشاء » قال حمدان : « فما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ » وكان الحسين لما رأى قرمط في الطريق سأله : « وكيف الطريق الى قس بهرام[1] » . فعرفه قرمط أنه سائر اليه ، فسأله عن قرية تعرف « بباسير[2] » في السواد ، فذكر أنها قريبة من قريته ، وكان قرمط من قرية تعرف « بالدور » على نهر « هد » من رستاق « مهزود » من طسوج « فرات بادولي »[3] .

---

(١) كذا في الأصل ، وفي مصادر أخرى « ساباط نوح » ولم أقف لها على ذكر في المصادر المتوفرة من المكتبة الجغرافية .

(٢) في الأصل غير واضح وأقرب قراءة له ما أثبتنا ، وهي بلدة من نواحي الأهواز . معجم البلدان .

(٣) الطسوج : الناحية ، وجميع المواقع التي أتى على ذكرها هي من سواد بغداد . انظر معجم البلدان ـ مواد : مهزود . بادولي ، الدور .

وانما قيل له قرمط لأنه كان قصيراً ورجلاه قصيرتين ، وخطوه متقارباً ، فسمي لذلك قرمطاً .

فلما قال للحسين : « ما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ » قال له : « رفع الى جراب فيه علم وسر من أسرار الله ، وأمرت أن أشفي هذه القرية ، وأغني أهلها وأستنقذهم ، وأملكهم أملاك أصحابهم » .

[٢٤ - و] وابتدأ يدعوه ، فقال له حمدان قرمط : « ياهـــذا : نشدتـك الله ، ألا دفعت الي [شيئاً] من هذا العلم الذي معك ، وأنقذتني ينقذك الله ؟ » .

قال له : « لايجوز ذلك أو آخذ عليك عهداً وميثاقاً أخذه الله على النبيين والرسلين ، وألقي اليك ماينفعك » .

فما زال يضرع اليه حتى جلسا في بعض الطريق ، وأخذ عليه العهد ، ثم قال له : ما اسمك ؟

قال له : قرمط [ثم قال له] : « قم معي الى منزلي حتى تجلس فيه ، فإن لي اخواناً أصير بهم اليك لتأخذ عليهم العهد للمهدي » .

فصار معه الي منزله ، واخذ على الناس العهد ، وأقام بمنزل حمدان قرمط ، فأعجبه أمره ، وعظمه ، وكان الحسين على غاية مايكــون من الخشوع صائماً نهاره ، قائماً ليله ، فكان المغبوط من أخذه الى منزلة ليلة وكان يخيط لهم الثياب ، ويكتسب بذلك ، فكانوا يتبركون به وبخياطته .

وأدرك التمر ، فاحتاج أبو عبد الله محمد بن عمر بن شهاب العدوي - وكان أحد وجوه الكوفة ومن أهل العلم والفضل - الى عمل ثمره ، فوصف له الحسين الأهوازي ، فنصبه لحفظ ثمره ، والقيام في حظيرته ، فأحسن حفظها ، واحتاط في أداء الأمانة ، وظهر منـه من التشدد في ذلـك ماخرج به عن أحوال الناس في تساهلهم في كثير من الأمور ، وذلك في

سنة أربع وستين ومائتين .

واستحكمت ثقة الناس به ، وثقته هو بحمدان قرمط ، وسكونه اليه فأظهر له أمره ، وكان :ا دعا اليه أنه جاء بكتاب فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : يقول الفرج بن عثمان : انه داعية المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية، وهو جبريل ، وأن المسيح تصور له في جسم انسان ، وقال: انك الداعية ، وانك الحجة ، وانك الناقة وانك الدابـة ، وانك يحيـى بن زكريا ، وانك روح القدس ، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ، وأن الأذان في كل صلاة أن يقول المؤذن :

الله أكبر ثلاث مرات

أشهد ألا اله الا الله مرتين

أشهد أن آدم رسول الله

أشهد أن نوحاً رسول الله

أشهد أن ابراهيم رسول الله

[أشهد أن موسى رسول الله] (١) .

أشهد أن عيسى رسول الله

أشهد محمداً رسول الله

أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية [رسول الله] (١) .

والقراءة في الصلاة :

« الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه ، المنجد لأوليائه بأوليائه ، » قل

---

(١) زيد مابين الحاصرتين عن الكامل لابن الأثير : ١٧٩/٧ .

ان الأهلة مواقيت للناس ظـاهرها ليعلموا عدد السنين والحساب والشهور [1] والأيام ، وباطنها لأوليـائي الذين عرفوا عبادتي وسبيلي ، فاتقـوني يا أولي الألباب ، وأنا الذي لا أسأل عمـا أفعل وأنا العليم الحـكيم ، وأنا الذي أبلو عبـادي وأمتحن خلقي ، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري أدخلته في جنتي ، وأخلدته في نعيمي ، ومن زال عن أمري ، وكذب رسلي أخلدته مهاناً في عذابي ، وأتممت أجلي ، وأظهرت أمري على ألسنة رسلي وأنا الذي لم يعل جبار الا وضعته ، ولاعزيز الا أذللته ، وليس الذي أصر على أمره ، ودام على جهالته ، وقال: «لن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين ، أولئك هم الكافرون» . ثم يركع [2] .

ومن شرائعه : صيام يومين في السنة هما : المهرجان [3] ، والنوروز [4]

وأن الخمر حلال ولاغسل من جنابة ، ولكن الوضوء كوضوء الصلاة وأن لايؤكل ماله ناب ولامخلب ولايشرب النبيـذ ،وأن القبـلة الى بيت المقدس ، والحج اليه وأن الجمعة يوم الاثنين لايعمل فيه شغل .

ولمـا حضرته الوفاة جعل مكانه حمدان بن الأشعث قرمط ، وأخذ على أكثر أهل السواد ، وكان ذكياً داهية .

---

(١) انظر سورة البقرة : ١٨٩ ، فقد تم التصرف بها ، ونال هذا عدداً آخر من الآيات.

(٢) في ابن الاثير ـ الـكامل : ٧/١٧٩ بعد هذا اللفظ جملة تكميلية هذا نصها : « ويقول في ركوعه : سبحان ربي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون ، يقولهـا مرتين . فإذا سجد قال : « الله أعلى ، الله أعلى ، الله أعظم ، الله أعظم » .

(٣) كان المهرجان من أعياد الفرس القديمة ، ويوافق موسم جمع المحاصيل والغلال .

(٤) النوروز ـ ويقال النيروز ـ لفظ فارسي معرب ، ومعناه اليوم الجديد : وكان الفرس يتخذونه عيـداً أيضاً ، وكان يوافق عندهم يوم الاعتدال الربيعي ـ انظر المعرب للجواليقي .

فكان ممن أجابه : مهرويه بن زكرويه السلماني ، وجلندي الرازي ، وعكرمة البابلي ، واسحاق البوراني ، وعطيف النيلي ، وغيرهم ، وبث دعاته في السواد يأخذون على الناس .

وكان أكبر دعاته عبدان ، وكان فطناً خبيثاً ، خارجاً عن طبقة نظرائه من أهل السواد ، ذا فهم وحذق ، وكان يعمل عند نفسه على نصب له ، من غير أن يتجاوز به الى غيره ، ولا يظهر غير التشيع والعلم ، ويدعو الى الامام من آل رسول الله - ﷺ - محمد بن اسماعيل ابن جعفر .

فكان أحد من تبع عبدان زكرويه بن مهرويه ، وكان شاباً ذكياً فطناً من قرية بسواد الكوفة على نهر هد ، فنصبه عبدان على إقليم نهر هد وما والاه ، ومن قبله دعاة جماعة متفرقون في عمله .

وكان [٢٤ - ظ] داعية عبدان على فرات بادولي : الحسن بن أيمن ، وداعيته على طسّوج تستر : المعروف بالبوراني - وإليه نسب البورانية - ، وداعيته على جهة أخرى المعروف بوليد ، وفي أخرى أبو الفوارس . وهؤلاء رؤساء دعاة عبدان ، ولهم دعاة تحت أيديهم ، فكان كل داع يدور في عمله ويتعاهده في كل شهر مرة ، وكل ذلك بسواد الكوفة .

ودخل في دعوته من العرب طائفة ، فنصب فيهم دعاة ، فلم يتخلف عنه رفاعي ولاضبعي ، ولم يبق من البطون المتصلة بسواد الكوفة بطن الا دخل في الدعوة منه ناس كثير أو قليل : من بني عابس ، وذهل وعنزة ، وتيم الله ، وبني ثعل ، وغيرهم من بني شيبان ، فقوي قرمط ، وزاد طمعه ، فأخذ في جمع الأموال من قومه .

فابتدأ يفرض عليهم أن يؤدوا درهماً عن كل واحد ، وسمى ذلك :

« الفطرة » ، على كل أحد من الرجال والنساء ، فسارعوا الى ذلك .

فتركهم مديدة ، ثم فرض « الهجرة » ، وهو دينار على كل رأس أدرك ، وتلا قوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم والله سميع علـــيم »[١] وقال : « هذا تأويل هـــذا » فدفعوا ذلك اليه ، وتعاونوا عليه ، فمن كان فقيراً أسعفوه فتركهم مديدة ، ثم فرض عليهم « البلغة » وهي سبعة دنانير ، وزعم أن ذلك هو « البرهان » الذي أراد الله بقوله : « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »[٢] وزعم أن ذلك بلاغ من يريد الإيمان ، والدخول في السابقين المذكورين في قوله تعالى : « والسابقون السابقون أولئك المقربون »[٣] .

وصنع طعاماً طيباً حلواً لذيذاً ، وجعله على قدر البنادق ، يطعم كل من أدى اليه سبعة دنانير منها واحدة ، وزعم أنه طعام أهل الجنة نزل الى الامام ، فكان ينفذ الى كل داع منها مائة بلغة ، ويطالبه بسبعمائة دينار ، لكل واحدة منها سبعة دنانير .

فلما توطأ له الأمر فرض عليهم أخماس مايملكون ومايتكسبون ، وتلا عليهم : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه[٤] ـ الآية » ـ ، فقوموا جميع مايملكونه من ثوب وغيره وأدوا ذلك اليه ، فكانت المرأة تخرج خمس ماتغزل ، والرجل خمس مايكسبه .

---

(١) التوبة ١١٣ .
(٢) البقرة ١١١ .
(٣) الواقعة ١٠ .
(٤) الأنفال ٤١ .

فلما تم ذلك فرض عليهم « الألفة » ، وهو أن يجمعوا أموالهم في موضع واحد ، وأن يكونوا فيه أسوة واحدة لايفضل أحد منهم صاحبه وأخاه في ملك يملكه ، وتلا عليهم : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً [١] » ـ الآية ـ ، وقوله تعالى : « لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم [٢] » .

وعرفهم أنه لاحاجة بهم إلى أموال تكون معهم ، لأن الأرض بأسرها ستكون لهم دون غيرهم ، وقال : « هذه محنتكم التي امتحنتم بها ليعلم كيف تعملون » . وطالبهم بشراء السلاح وإعداده .

وذلك كله في سنة ست وسبعين ومائتين .

وأقام الدعاة في كل قرية : رجلاً مختاراً من ثقاتها يجمع عنده أموال أهل قريته من بقر وغنم ، وحلي ، ومتاع وغيره ، وكان يكسو عاريهم وينفق على سائرهم مايكفيهم ، ولايدع فقيراً بينهم ولامحتاجاً ولاضعيفاً ، وأخذ كل رجل منهم بالانكماش في صناعته والكسب بجهده ، ليكون له الفضل في رتبته ، وجمعت المرأة كسبها من مغزلها ، والصبي أجرة نظارته للطير ، وأتوه به ، فلم يتملك أحد منهم إلا سيفه وسلاحه .

فلما استقام له ذلك أمر الدعاة أن يجمعوا النساء ليلة معروفة ، ويختلطن بالرجال ، ويتراكبن ولا يتنافرن ، فإن ذلك من صحة الود والألفة بينهم .

فلما تمكن من أمورهم ، ووثق بطاعتهم ، وتبين مقدار عقولهم ،

---

(١) آل عمران ١٠٣ .
(٢) الأنفال ٦٣ .

أخذ في تدريجهم ، وأتاهم بحجج من مـذهب الثنوية ، فسلكوا معه في ذلك حتى يقضي ماكان يـأمرهم به في مبدأ أمرهم من الخشوع والورع والتقوى ، وظهر منهم بعد تدين كثير إباحة الأموال والفروج ، والغناء عن الصوم والصلاة والفرائض ، وأخبرهم أن ذلك كله موضوع عنهم ، وأن أموال المخالفين ودماءهم حلال لهم ، وأن معرفة صاحب الحق تغـني [عن] كل شيء ، ولايخاف معه إثم ولاعذاب ـ يعني إمامه الذي يدعو إليه ، وهو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ـ وأنه الامام المهدي الذي [٢٥ ـ و] يظهر في آخر الزمان ويقيم الحق ، وأن البيعة له ، وأن الداعي إنما يأخذ على الناس له ، وأن مايجمع من الأموال مخزون له إلى أن يظهر ، وأنـه حي لم يمت ، وأنه يظهر في آخر الزمان ، وأنه مهدي الأمة .

فلما أظهر هذه الأمور كلهـا بعد تعلقه بذكر الأئمة والرسل والحجة والامام ، وأنه المعول والمقصد والمراد ، وبه اتسقت هذه الأمور ، ولولا هذه لهلك الخلق وعدم الهدى والعلم ، ظهر في كثير منهـم الفجـور ، وبسط بعضهم أيديهم بسفك الدماء ، وقتلوا جماعة ممن خالفهم ، فخافهم الناس واستوحشوا من ظهور السلاح بينهم ، فـأظهر موافقتهم كثير من مجاوريهم ـ جزعاً منهم ـ .

ثم إن الدعاة اجتمعوا ، واتفقوا على أن يجعلوا لهـم موضعاً يـكون وطناً ودار هجرة يهاجرون إليها ، ويجتمعون بها ، فاختاروا من سواد الكوفة ـ في طسّوج الفرات من ضياع السلطان المعروفـة بالقاسميـات ـ قرية تعرف « بمهماباذ » ، فحاذوا إليها صخراً عظيماً ، ثم بنوا حولهـا سوراً منيعاً عرضه ثمانية أذرع ، ومن ورائه خندق عظيم ، وفرغوا من

ذلك في أسرع وقت ، وبنوا فيها البناء المظيم ، وانتقــل إليها الرجال والنساء في كل مكان ، وسميت « دار الهجرة » ، وذلك في سنة سبـع وتسعين ومائتين ، فلم يبق حينئذ أحد إلا خافهم ، ولا بقي أحد يخافونـه وتمكنهم في البلاد .

وكان الذي أعانهم على ذلك تشاغل الخليفة بفتنة الخوارج ، وصاحب الزنج بالبصرة ، وقصر يد السلطان ، وخراب العراق ، وتركه لتدبيره ، وركوب الأعراب واللصوص بعــد السبعين ومائتـين بالقفر ، وتلاف الرجال ، وفساد البلدان ، فتمكن هؤلاء ، وبسطوا أيديهم في البلاد ، وعلت كلمتهم .

وكان منهم مهرويه أحد الدعاة في مبـدأ أمره ينظر النخل ويأخـذ أجرته تمراً فيفرغ منه النوى ويتصدق به ، ويبيع النوى ويتقوت به ، فعظم في أعين الناس قدره ، وصارت له مرتبة في التقيـة والدين [١] ، فصار إلى صاحب الزنج لما ظهر على السلطان وقال له : « ورائي مائة ألف ضارب سيف أعينك بهم » .

فلم يلتفت إلى قوله ، ولم يجد فيه مطمعاً ، فرجع وعظم بعد ذلك في السواد ، وانقاد إليه خلق كثير ، فادعى أنه من ولد عبد الله بن محمـد ابن اسماعيل بن جعفر ، فقيل له : « لم يكن لمحمد بن اسماعيل ابن يقال له عبد الله [٢] » .

---

(١) هذه رواية ثانية عن أصل حركة القرامطة في العراق ، عرضها المقريزي دون أن ينبه على ذلك .

(٢) بانسياب سريع مزج المقريزي بين بداية حركة صاحب الجمل في الشام ومسألة نسبه ، وبين ما كان يجري في سواد العراق .

فكف عن هذه الدعوى ، وصار بعد ذلك في قبة على جمل ، ودعي بالسيد ، وظهر بسواد الكوفة ، وسيأتي ذكر أبيه زكرويه ، وابن ابنه الحسين بن زكرويه إن شاء الله .

وكان رجل من أهل قرية جنابة [١] يعمل الفراء ، يقال له أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي [٢] ، أصله من الفرس ، سافر إلى سواد الكوفة وتزوج من قوم يقال لهم : « بنو القصار » كانوا من أصول هذه الدعوة فأخذ عن عبدان ، وقيل بل أخذ عن حمدان قرمط ، وسار داعية ، فنزل القطيف ـ وهي حينئذ مدينة عظيمة ـ فجلس بها يبيع الرقيق ، فلزم الوفاء والصدق ، وكان أول من أجابه الحسين بن سنبر ، وعلي بن سنبر وحمدان بن سنبر ، في قوم ضعفاء ، مابين قصاب وحمال وأمثال ذلك ، فبلغه أن بناحيته داعياً يقال له أبو زكريا ، أنفذه عبدان قبل أبي سعيد وكان قد أخذ على بني سنبر من قبل ، فعظم أمره على أبي سعيد وقبض عليه وقتله ، فحقد عليه بنو سنبر قتله [٣] .

---

(١) جنابة بلدة قائمة على ساحل فارس قبالة منطقة البصرة ـ معجم البلدان .

(٢) في حاشية الأصل : « اختلف في أبي سعيد الجنابي ، فقال قوم : اسمه الحسن بن علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأنه ابن صاحب الزنج القائم بالبصرة بعد سنة خمسين ومائتين ، وأن علي بن محمد كان مقيماً بهجر ، ويعرف أنه شريف ويكرم ويعطى ، ثم أنه خرج وجمع ، فقاتله العريان بن ابراهيم بأرض البحرين ، فانصرف إلى القطيف وبنى بأم أبي سعيد على سبيل الاستحلال ، وخرج من القطيف الى الاحساء ، وظهر الحمل بأم أبي سعيد ، فلما ولدته سمته الحسن ، وكنته بأبي سعيد ، وكتمته سنة خوفاً عليه ، وتزوجت برجل من أهل جنابة ، فنسب أبو سعيد اليه ، ونشأ على أنه رجل من أهل جنابة ، ينتسب إلى من هو ربيب له ، وقيل ماذكر في الأصل» .

(٣) في هذا اشارة الى قتل أبي سعيد ـ أو أبي طاهر ـ للداعي أبي زكريا الصمامي أو الطمامي . انظر ماسبق قوله في نص القاضي عبد الجبار . أصول الاسماعيلية : ١٦٩-١٧١ القرامطة لدى غوية : ١٠٢ - ١٠٨ .

واتفق أن البلد كان واسعاً ، ولأهله عادة بالحروب ، وهم رجال شداد جهال ، فظفر أبو سعيد باشتهار دعوته في تلك الديار ، فقاتل بمن أطاعه من عصاه ، حتى اشتدت شوكته .

وكان لا يظفر بقرية إلا قتل أهلها ونهبها ، فهابه الناس ، وأجابه كثير منهم ، وفر منه خلق كثير إلى بلدان شتى خوفاً من شره ، ولم يمتنع عليه إلا هجر – وهي مدينة البحرين ومنزل سلطانها ، وبها التجار والوجوه – فنازلها شهوراً يقاتل أهلها ، ثم وكل بها رجلاً .

وارتفع فنزل الأحساء – وبينها وبين هجر ميلان – فابتنى بها داراً وجعلها منزلاً ، وتقدم في زراعة الأرض وعمارتها [٢٥ – ظ] ، وكان يركب إلى هجر ، ويحارب أهلها ، ويعقب قومه على حصارها .

ودعا العرب فأجابه بنو الأضبط من كلاب ، وساروا إليه بحرمهم وأموالهم ، فأنزلهم الأحساء ، وأطمعوه في بني كلاب ، وسائر من يقرب منه من العرب فضم إليهم رجالاً ، وساروا فأكثروا من القتلى ، وأقبلوا بالحريم والأموال والأمتعة إلى الأحساء ، فدخل الناس في طاعته ، فوجه جيشاً إلى بني عقيل فظفر بهم ، ودخلوا في طاعته [١] .

فلما اجتمع اليه العرب مناهم ملك الأرض كلها ، ورد الى من أجابه من العرب ما كان أخذ منهم من أهل وولد ، ولم يرد عبداً ولا أمة ولا أيماً ولا صبياً الا أن يكون دون الأربع سنين .

وجمع الصبيان في دور ، وأقام عليهم ما يحتاجون اليه ، ووسمهم لئلا يختلطون بغيرهم ، ونصب لهم عرفاء ، وأخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان

---

(١) في هذا اشارة إلى أثر القرامطة في دفع القبائل من عامر بن صعصعة للهجرة شمالاً . انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٣٦٩ – ٣٧٢ .

فنشأوا لايعرفون غير الحرب ، وقد صارت دعوته طبعاً لهم .

وقبض كل مال في البلد ، والثمار ، والحنطة ، والشعير . وأقام رعاة للابل والغنم ومعهم قوم لحفظها ، والتنقل معها على نوب معروفة وأجرى على أصحابه جراياب فلم يكن يصل لأحد غير مايطعمه .

هذا وهو لايغفل عن هجر ، وطال حصاره لهم على نيف وعشرين شهراً ، حتى أكلوا الكلاب ، فجمع أصحابه ، وعمل دبابات ، ومشى بها الرجال الى السور ، فاقتتلوا يومهم ، وكثر بينهم القتلى ، ثم انصرف عنهم الى الأحساء ، وباكرهم فناوشوه ، فانصرف الى قرب الأحساء ، ثم عاد في خيل ، فدار حول هجر يفكر فيما يكيدهم به فإذا لهجر عين عظيمة كثيرةالماء، تخرج من نشز من الأرض غير بعيد منها، فيجتمع ماؤها في نهر يستقيم حتى يمر بجانب هجر ، ثم ينزل الى النخل فيسقيه ، فكانوا لايفقدون الماء في حصارهم.

فلما تبين له أمر العين ، انصرف الى الأحساء ، ثم غدا فأوقف على باب المدينة رجالاً كثيراً ، ورجع الى الأحساء ، وجمع الناس كلهم ، وسار في آخر الليل فورد العين بكرة بالمعاول والرمل وأوقار الثياب الخلقان ووبر وصوف ، وأمر بجمع الحجارة ونقلها الى العين ، وأعد الرمل والحصى والتراب ، ثم أمر بطرح الوبر والصوف وأوقار الثياب في العين ، وطرح فوقها الرمل والحصى والتراب والحجارة ، فقذفته العين ، ولم يغن مافعله شيئاً ، فانصرف إلى الأحساء بمن معه .

وغدا في خيل فضرب البر حتى عرف أن منتهى العين بساحل البحر ، وأنها تنخفض كلما نزلت ، فرد جميع من كان معه ، وانحدر على النهر نحواً من ميلين ثم أمر بحفر نهر هناك ، وأقبل يركب هو وجمعه في كل يوم والعمال يعملون حتى حفره إلى السباخ ، ومضى الماء كله فصب في البحر ثم سار فنزل على هجر

وقد انقطع الماء عنهم ، ففر بعضهم فركب البحر ، ودخل بعضهم في دعوته ، وخرجوا اليه فنقلهم إلى الأحساء ، وبقيت طائفـــة لم يفروا لعجزهم ، ولم يدخلوا في دعوته فقتلهم ، وأخذ ما في المدينة وأخربها فبقيت خراباً ، وصارت مدينة البحرين هي الأحساء .

ثم أنفذ سرية إلى عمان في ستمائة ، وأردفهم بستمائة أخرى فقـاتلهم أهل عمان حتى تفانوا ، وبقي من أهل عمان خمسة نفر ومن القرامطة ستة نفر ، فلحقوا بأبي سعيد ، فأمر بهم فقتلوا ، وقال : « هؤلاء خاسوا بعهدي ولم يواسوا أصحابهم الذين قتلوا » وتطير بهلاك السرية ، وكف عن أهل عمان .

واتصل بالمعتضد بالله خبره ، فخاف منه على البصرة ، فأنفذ العباس بن عمرو الغنوي في ألفي رجل ، وولاه البحرين ، فخرج في سنة تسع وثمانين ومائتين والتقى مع أبي سعيد فانهزم أصحابه وأسر العباس في نحو من سبعمائة رجل من أصحابه ، واحتووا على عسكره ، وقتل من غده جميع الأسرى ، ثم أحرقهم وترك العباس ، ومضى المنهزمون فتاه أكثرهم في البر ، وتلف كثير منهم عطشاً وورد بعضهم إلى البصرة فارتاع الناس وأخذوا في الرحيل عن البصرة .

ثم لما كان بعد الوقعة بأيام أحضر أبو سعيد العباس بن عمرو ، وقال له : « أتحب أن أطلقك ؟ » قال : « نعم » قال : « على أن تبلغ عني ما أقول صاحبك » ، [٣٦] قال : « أفعل » قال : « تقول له : الذي أزل بجيشك ما أزل ، بغيك، هذا بلد خارج عن يدك ، غلبت عليه ، وقمت به ، وكان بي من الفضل ما آخذ به غيره ، فما عرضت لما كان في يدك ، ولا هممت به ، ولا أخفت لك سبيلاً ولا نلت أحداً من رعيتك بسوء ، فتوجيهك إلي الجيوش لأي سبب ؟ اعلم أني لا أخرج من هذا البلد ولا توصل اليه وفي هـذه العصابة التي معي روح ، فاكفني نفسك ولا تتعرض لما ليس لك فيه فائدة ، ولا تصل إلى مرادك [منه] إلا ببلوغ القلوب الحناجر » .

وأطلقه ، وبعث معه من يرده الى مأمنه ، فوصل إلى بغـداد في شهر رمضان ، وقد كان الناس يعظمون أمره ويكثرون ذكره ، ويسمونه « قائد الشهداء » فلما وصل إلى المعتضد عاتبه على تركه التحرز ، فاعتذر ولم يبرح حتى رضي عنه وسأله خبره ، فعرفه جميعه ، وبلغه ماقال القرمطي ، فقـال : « صدق ما أخذ شيئاً كان في أيدينا » وأطرق مفكراً ثم رفع رأسه وقال : « كذب عدو الله الكافر ، المسلمون رعيتي حيث كانوا من بلاد الله ، والله لئن طال بي عمري لأشخصن بنفسي إلي البصرة وجميع غلمـاني ، ولأوجهن اليه جيشاً كثيفاً، فإن هزمه وجهت[بعده] جيشاً ، فإنهزمه خرجت في جميع قوادي وجيشي اليه حتى يحكم الله بيني وبينه » .

فشغل المعتضد عن القرمطي بأمر وصيف غلام أبي الساج [١] .

ثم توفي في ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، ومازال يذكر أبا سعيد الجنابي في مرضه ، ويتلهف ويقول : « حسرة في نفسي كنت أحب أن أبلغهـا قبل موتي ، والله لقد كنت وضعت عند نفسي أن أركب ثم أخرج نحو البحرين ثم لا ألقى أحداً أطول من سيفي إلا ضربت عنقه ، وإني أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة » .

وأقبل أبو سعيد ــ بعد إطلاق العباس ــ على جمع الخيل ، واعداد السلاح ونسج الدروع والمغافر ، واتخاذ الإبل ، وإصلاح الرجال ، وضرب السيوف والأسنة ، واتخاذ الروايا والمزاود والقرب ، وتعليم الصبيان الفروسية ، وطرد الأعراب من قريته ، وسد الوجوه التي يتعرف منها أمر بلده وأحواله بالرجال وإصلاح أراضي المزارع وأصول النخل ، وإصلاح مثل هذه الأمور وتفقدها ، ونصب الأمناء على ذلك ، وأقام العرفاء على الرجال ، واحتاط على ذلك كله ،

---

(١) انظر خبر ذلك في الكامل لابن الأثير : ٦/٩٤ .

حتى بلغ من تفقده أن الشاة إذا ذبحت يتسلم العرفاء اللحم ليفرقوه على من ترسم لهم ، ويدفع الرأس والأكارع والبطن إلى العبيد والإماء ، ويجز الصوف والشعر من الغنم ويفرقه على من يغزله ، ثم يدفعه الى من ينسجه عبياً وأكسية وغرائر وجوالقات ، ويفتل منه حبال ، ويسلم الجلد الى الدباغ ، ثم إلى خرازي القرب والروايا ، والمزاد ، وما كان من الجلود يصلح نعالاً وخفاً عمل منه ، ثم يجمع ذلك كله إلى خزائن .

فكان ذلك دأبه لا يغفله ، ويوجه كل قليل خيلاً إلى ناحية البصرة ، فتأخذ من وجدت ، وتصير بهم اليه ويستعبدهم ، فزادت بلاده ، وعظمت هيبته في صدور الناس .

وواقع بني ضبة وقائع مشهورة ، فظفر بهم ، وأخذ منهم خلقاً ، وبنى لهم حبساً عظيما جمعهم فيه ، وسده عليهم ، ومنعهم الطعام والشراب ، فصاحوا فلم يغثهم ، فمكثوا على ذلك شهراً ، ثم فتح عليهم فوجد أكثرهم موتى ، ويسيراً بحال الموتى ، وقد تغذوا بلحوم الموتى ، فخصاهم وخلاهم فمات أكثرهم .

وكان قد أخذ من عسكر العباس خادماً له جعله على طعامه وشرابه ، فمكث مدة طويلة لا يرى أبا سعيد فيها مصلياً صلاة واحدة ، ولا يصوم في شهر رمضان ولا في غيره ، فأضمر الخادم قتله ، حتى إذا دخل الحمام معه - وكانت الحمام في داره - فأعد الخادم خنجراً ماضياً - والحمام خال - فلما تمكن منه ذبحه ، ثم خرج ، فقال : « يدعي فلان » لبعض بني سنبر فأحضر ، فلما دخل قبضه وذبحه ، فلم يزل ذلك دأبه حتى قتل جماعة من الرؤساء والوجوه ، فدخل آخرهم فإذا في البيت الأول دم جار ، فارتاب وخرج مبادراً ، وأعلم الناس ، فحصروا الخادم حتى دخلوه ، فوجدوا الجماعة صرعى [٢٦ - ظ] وذلك في سنة إحدى وثلاثمائة ، وقيل اثنتين وثلاثمائة ، وكان قتله بأحساء من البحرين . وكانت سنه يوم قتله نيفاً وستين سنة .

وترك أبو سعيد من الأولاد: أبا القاسم سعيدا ، وأبا طاهر سليمان ، وأبا منصور أحمد ، وأبا إسحاق إبراهيم ، وأبا العباس محمداً ، وأبا يعقوب يوسف .

وكان أبو سعيد قد جمع رؤساء دولته ، وأوصى إن حدث به موت يكون القيم بأمرهم سعيد ابنه إلى أن يكبر أبو طاهر ، وكان أبو طاهر أصغر سناً من سعيد ، فإذا كبر أبو طاهر كان المدبر ، فلما قتل جرى الأمر على ذلك .

وكان قد قال لهم : ستكون الفتوح له ، فجلس سعيد يدبر الأمر بعد قتل [أبيه] ، وأمر فشد الخادم بحبال ، وقرض لحمه بالمقاريض حتى مات .

فلما كان في سنة خمس وثلاثمائة سلم سعيد إلى أخيه أبي طاهر سليمان الأمر ، فعظموا أمره .

وكان ابتداء أمر أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي بالقطيف وماوالاها في سنة ست وثمانين ومائتين ، فكانت مدته نحو خمس عشر سنة .

الصناديقي

وفيها : استولى النجار أبو القاسم الحسن بن فرج الصناديقي على اليمن ، وكانت جيوشه بالمذيخرة وسهفنة [١] ، وكان ابن أبي الفوارس ـ أحد دعاة عبدان ـ أنفذه داعياً إلى اليمن ، وكان من أهل النرس [٢] ـ

---

(١) قرية قبلي الجند على ثلاث مراحل منها لدى سفال ، واسمها الآن سفنة ، انظر طبقات فقهاء اليمن لعمر بن علي بن سمرة الجعدي نشر فؤاد السيد : ٣١٨ .

(٢) نرس نهر يأخذ من الفرات عليه عدة قرى ، وإليه تنسب الثياب النرسية . معجم البلدان .

موضع يعمل فيه الثياب النرسية ، وكان يعمل من الكتان ـ فصار إلى اليمن ودخل في دعوته خلق كثير ، فأظهر العظائم وقتـل الأطفال ، وسبى النساء ، وتسمى برب العزة ، وكان يكاتب بذلك ، وأعلن سب النبي ـ ﷺ ـ وسائر الأنبياء ، واتخذ داراً خاصة سماها « دار الصفوة » يجتمـع فيها النساء ويأمر الرجال بمخالطتهن ووطئهن ، ويحفظ من تحبل منهن في تلك الليلة ومن تلد من ذلك ، ويتخذ تلك الأولاد لنفسه خولاً ، ويسميهم « أولاد الصفوة » .

قال بعضهم :

« دخلت إليها لأنظر فسمعت امرأة تقول : « يابني » ، فقال : يا أمـة زيد أن غضي أمر ولي الله فينا » . وكان يقول : « إذا فعلتم هذا لم يتميز مال من مال ، ولاولد من ولد ، فتكونوا كنفس واحـدة » . فعظمت فتنته باليمن ، وأجلى أكثر أهله عنه ، وأجلى السلطان ، وقاتـل أبا القاسم محمداً بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسني ، الهادي [١] ، وأزاله عن عمله من صعدة ففر منه بعياله إلى الرس ، ثم أظفره الله به فهزمه بأمر إلهي ، وهو أن الله جلت قدرته ألقى على عسكره وقد بايته برداً وثلجاً قتل به أكثر أصحابه في ليلة واحدة ، وقلـما عرف مثل ذلك في تلك الناحية .

وسلط الله عليه الأكلة ، وذلك أن أبا القاسم أنفذ إليه طبيباً بمبضع مسموم فصده به فقتله ؟ وأنزل الله بالبلدان التي غلب عليها بثراً يخرج في كتف الرجل منهم بثرة فيموت سريعاً ، فسمى ذلك البثر ـ بتلك البلاد ـ « حبة القرمطي » مدة من الزمان .

وأخرب الله أكثر تلك البلاد التي ملكها ، وأفنى أهلها بموت ذريع

---

(١) المقصود بالهادي يحيى بن الحسين .

فاعتصم ابنه بجبال وأقام بها ، وكاتب أهل دعوتهم ، وعنون كتبه[1] :

« من ابن رب العزة » .

فأهلكه الله ، وبقي منهم بقية ، فاستأمنوا إلى أبي القاسم بن يحيى الهادي ، ولم يبق للنجار - لعنه الله - ولا لمن كان على دعوته بقية .

وكان قرمط يكاتب من بسلمية ، فلما مات من كان في وقته[2] ، وخلفه ابنه من بعده كتب إلى قرمط فأنكر منه أشياء ، فاستراب ، وبعث ابن مليح - أحد دعاته - ليعرف الخبر فامتنع ، فأنفذ عبدان ، وعرف موت الذي كانوا يكاتبونه ، فسأل ابنه عن الحجة ، ومن الامام الذي يدعو إليه ، فقال الابن : « ومن الامام ؟ » . فقال عبدان : « محمد بن إسماعيل ابن جعفر صاحب الزمان » . فأنكر ذلك وقال : « لم يكن إمام غير أبي ، وأنا أقوم مقامه » .

فرجع عبدان إلى قرمط ، وعرفه الخبر ، فجمع الدعاة وأمرهم بقطع الدعوة حنقاً من قول صاحب سلمية : « لاحق لمحمد بن إسماعيل في هذا الأمر ولا إمامة » .

وكان قرمط إنما يدعو إلى إمامة محمد بن إسماعيل ، فلما قطعوها من ديارهم لم يمكنهم قطعها من غير ديارهم ، لأنها امتدت في سائر الأقطار ، ومن حينئذ قطع الدعاة مكاتبة الذين كانوا بسلمية .

وكان رجل منهم قد نفذ إلى الطالقان يبث الدعوة فلما انقطعت

---

(١) المشكلة الأساسية مع المقريزي - أنه حاطب ليل - نادراً مايذكر مصادره ، وعلى هذا الأساس لانستطيع تحديد مصادر الوهم الذي تسرب إلى هذه الرواية . قارنها مع ماتقدم عند صاحب كشف أسرار الباطنية ، وما سيأتي عند الخزرجي .

(٢) أي إماماً متولياً لشؤون الدعوة

المكاتبة طال [٢٧ — و] انتظاره ، فشخص يسأل عن قرمط . فنزل على عبـــدان بسواد الكوفة ، فعتبه وعتب الدعاة في انقطاع كتبهم ، فعرفه عبدان قطعهم الدعوة ، وأنهم لايعودون فيها ، وأنه تاب من هذه الدعوة حقيقة ، فانصرف عنه إلى زكرويه بن مهرويه ليدعو كما كان أبوه ، ويجمع الرجال ، فقال زكرويه : « إن هذا لايتم مع عبدان لأنه داعي البلد كله والدعاة من قبـله ، والوجه أن نحتال على عبدان حتى نقتله » وباطن على ذلك جماعة من قرابته وثقاته ، وقال لهم : « إن عبدان قد نافق وعصى وخرج من الملة » فبيتوه ليلاً وقتلوه ، فشاع ذلك ، وطلب الدعاة وأصحاب قرمط زكرويه بن مهرويه ليقتلوه فاستتر ، وخالفه القوم كلهم إلا أصل دعوته ، وتنقل في القرى — وذلك في سنة ست وثمانين — والقرامطـة تطلبه إلى سنة ثمان وثمانين ، فأنفذ ابنه الحسن إلى الشام[١] ، ومعـه من القرامطة رجل يقال له أبو الحسين القاسم بن أحمـد ، وأمره أن يقصد بني كلب ، وينتسب إلى محمد بن إسماعيل ، ويـدعوهم إلى الامام من ولده ، فاستجاب له فخذ من بني العليص ومواليهم وبايعوه ، فبعث إلى زكرويه يخبره بمن استجاب له بالشام ، فضم إليه ابن أخيه — فتسمى بالمدثر لقباً ، وبعبد الله اسماً ، وتأول أنه المذكور في القرآن بالمدثر ويقال إن المدثر هذا إسمه عيسى بن مهدي ، وأنه تسمي عبد الله بن أحمـد ابن محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق ، وعهد إليه صاحب الخـال من بعده ، وغلاماً من بني مهرويه تلقب بالمطوق[٢] — وكان سيافاً —

وكتب إلى ابنه الحسن يعرفه أنه ابن الحجة ، ويأمره بالسمع والطاعة اله ، وابن الحجة هذا ادعى أنه محمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل

---

(١) شرع المقريزي هنا في تقديم رواية جديدة عن أصل صاحب الجمل زعيم قرامطة الشام الأول .

(٢) مما يثير الانتباه وجود مطوق مع زعيم قرامطة الشام ، ومثيله في اليمن أيضاً.

ابن جعفر الصادق ، وأنكر قوم هذا النسب ، وقالوا إنما اسمه يحيى ابن زكرويه بن مهرويه ، وكنيته أبو القاسم ، ويلقب بالشيخ ويعرف بصاحب الناقة ، وبصاحب الجمل ، وهو أخو صاحب الخال ، القائم من بعده ، فسار حتى نزل في بني كلب ، فلقيه الحسن بن زكرويه ، وسر به ، وجمع له الجموع ، وقال : « هذا صاحب الامام » ، فامتثلوا أمره ، وسروا به ، فأمرهم بالاستعداد للحرب ، وقال : « قد أظلكم النصر » ففعلوا ذلك .

واتصلت أخبارهم بشبل الديلمي – مولى المعتضد – في سنة تسع وثمانين فقصدهم ، فحاربوه وقتلوه في عدة من أصحابه بالرصافة من غربي الفرات ، ودخلوا فأحرقوا مسجدها ونهبوا .

وساروا نحو الشام يقتلون ويحرقون القرى وينهبونها إلى أن وردوا أطراف دمشق ، وكان عليها طغج بن جف من قبل هارون بن خمارويه ابن أحمد بن طولون – فبرز إليهم فهزموه وقتل كثير من أصحابه ، والتجأ إلى دمشق فحصروه وقتلوه .

وكان القرمطي يحضر الحرب على ناقة ، ويقول لأصحابه : « لا تسيروا من مصافكم حتى تنبعث بين أيديكم ، فإذا سارت فاحملوا ، فإنه لا ترد لكم راية ، إذ كانت مأمورة [1] » . فسمي بذلك : « صاحب الناقة » .

فأقام طغج سبعة أشهر محصوراً بدمشق ، فكتب إلى مصر بأنه محصور

---

(١) اهتم قرامطة الشام – أقصد الزعماء – باظهار بأن لكل واحد منهم علامة تدل عليه ، واستعيرت أفكار العلامات من السيرة النبوية ، فهذا صاحب الجمل استعار قصة ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة مهاجراً اليها ، وصاحب الخال استعار فكرة خاتم النبوة فجعله على وجهه...

وقد قتل أكثر أصحابه ، وضرب البلد ، فأنفذ إليه بدر الكبير ـ غلام ابن طولون المعروف بالحمامي ـ فسار حتى قرب من دمشق ، فاجتمع هو وطغج على محاربة القرمطي بقرب دمشق ، فقتل القرمطي واحتمى أصحابه وانحازوا ، فمضوا ، وكان [القرمطي] قد ضرب دراهم ودنانير وكتب عليها :

« قل جاء الحق وزهق الباطل »[١] .

وفي الوجه الآخر : « لا إله إلا الله ، « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى »[٢] .

فلما انصرف القرامطة عن دمشق وقد قتل محمد بن عبد الله « صاحب الناقة » بايعوا الحسن بن زكرويه ـ وهو الذي يقال له أحمد بن عبد الله ويقال عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، ويعرف « بصاحب الخال » ـ ، فسار بهم ، وافتتح عدة مدن من الشام ، وظهر على حمص ، وقتل خلقاً ، وتسمى بأمير المؤمنين المهدي على المنابر وفي كتبه ، وذلك في سنة تسع وثمانين وبعض سنة تسعين .

ثم صاروا إلى الرقة ، فخرج إليهم مولى المكتفي وواقعهم فهزموه وقتلوه ، واستباحوا عسكره ، ورجعوا إلى [٢٧ ـ ظ] دمشق وهم ينهبون جميع مايرون به من القرى ، ويقتلون ويسبون ، فخرج إليهم جيش كثيف عليه بشير ـ غلام طغج ـ وقاتلهم حتى قتل في خلق من أصحابه .

واتصل ذلك بالمكتفي بالله فندب أبا الأغر السلمي ـ في عشرة آلاف ـ وخلع عليه لثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة تسعين ،

---

(١) الاسراء ٨١ .
(٢) الشورى ٢٣ .

فسار حتى نزل حلب ، ثم خرج فوافاه جيش القرامطة غفلة يقدمهم المطوق ، فانهزم أبو الأغر ، وركبت القرامطة أكتاف الناس يقتلون ويأسرون حتي حجز بينهم الليل وقد أتوا على عامة العسكر ، ولحق أبو الأغر بطائفة من أصحابه ، فالتجأوا بحلب ، وصار في نحو الألف ، فنازله القرامطة ، فلم يقدروا منه على شيء فانصرفوا . وجمع الحسن بن زكرويه بن مهرويه أصحابه ، وسار بهم إلى حمص ، فخطب له على منابرها ثم سار إلى حماة والمعرة ، فقتل الرجال والنساء والأطفال ، ورجع إلى بعلبك فقتل عامة أهلها ثم سار إلى سلمية فحارب أهلها وامتنعوا منه فأمنهم ، ودخلها فبدأ بمن فيها من بني هاشم ، - وكانوا جماعة - فقتلهم ثم كر على أهلها فقتلهم أجمعين ، وخربها ، وخرج عنها وما بها عين تطرف ، فلم يمر بقرية إلا أخربها ، ولم يدع فيها أحداً ، فخرب البلاد وقتل الناس ، ولم يقاومه أحد ، وفنيت رجال طنج ، وبقي في عدة يسيرة ، فكانت القرامطة تقصد دمشق فلا يقاتلهم إلا العامة وقد أشرفوا على الهلكة ، فكثر الضجيج ببغداد ، واجتمعت العامة إلى يوسف بن يعقوب القاضي ، وسألوه إنهاء الخبر إلى السلطان .

ووردت الكتب من مصر إلى المكتفي بخبر قتل عسكرهم الذي خرج إلى الشام بيد القرامطة ، وخراب الشام ، فأمر المكتفي الجيش بالاستعداد ، وخرج إلى مضربه في القواد والجند لاثنتي عشرة خلت من رمضان ، ومضى نحو الرقة بالجيوش حتى نزلها ، وانبثت الجيوش بين حلب وحمص وقلد محمد بن سليمان حرب الحسن بن زكرويه ، واختار له جيشاً كثيفاً - وكان صاحب ديوان العطاء -

وعرض الجيش فسار إليهم والتقاهم لست خلون من المحرم سنة إحدى وتسعين ومائتين بموضع بينه وبين حماة اثنا عشر ميلاً ، فاقتتلوا

قتالاً شديداً حتى حجز الليل بينهم ، وقتل عامة رجال القرامطة فولوا مدبرين .

وكان الحسن بن زكرويه لما أحس بالجيوش اصطفى مقاتلة ممن معه ، ورتب أحوالهم ، فلما انهزم أصحابه ، رحل من وقته ، وتلاحق بـه من أفلت ، فقال لهم : « أتيتم من قبل أنفسكم وذنوبكم وإنكم لم تصدقوا الله » ، وحرضهم على المعاودة إلى الحرب ، فاعتلوا بفناء الرجال وكثرة الجراح فيهم ، فقال لهم : « قد كاتبني خلق من أهل بغداد بالبيعة لي ودعاتي بها ينتظرون أمري ، وقد خلت من السلطان الآن ، وأنا شاخص نحوها لأظهر بها ، ومستخلف عليكم أبا الحسين القاسم بن أحمد ـ صاحبي ـ وكتبي ترد عليه بما يعمل ، فاسمعوا وأطيعوا » .

فضمنوا ذلك له ، وشخص معه قريبه عيسى بن أخت مهرويه المسمى « بالمدثر » ، وصاحبه المعروف « بالمطوق » ، وغلام له رومي ، وأخـذ دليلاً يرشدهم إلى الطريق ، فساروا يريدون سواد الكوفة ، وسلك في البرية وتجنب القرى والمدن حتى صار قريباً من الرحبة بموضع يقال له الدالية ، فأمر الدليل فسار بهم إليها ، ونزل بالقرب منها خلف رابية ، ووجه بعض من معه لابتياع مايصلحه ، فـدخل القرية فأنكر بعض أهلها زيه ، وسأله عن أمره وتلجلج ، فارتاب به وقبض عليه ، وأتي به واليها ـ ويقال له أبو خبزة وكان يخلف أحمد بن كشمرد صاحب الحرب بطريق الفرات ـ فسأله أبو خبزة ورهب عليه ، فعرفه أن القرمطي الذي خرج الخليفة المكتفي في طلبه خلف رابية أشار إليها ، فسار الوالي مع جماعة بالسلاح فأخذوهم وشدوهم وثاقاً ، وتوجه بهم إلى ابن كشمرد ، فصار بهم إلى المكتفي ـ وهو بالرقة ـ فشهرهم بالرقة ، وعلى الحسن

ابن زكرويه دراعة ديباج وبرنس حرير ، وعلى المدثر دراعة وبرنس حرير ، وذلك لأربع بقين من المحرم .

وقدم محمد بن سليمان بجيوشه إلى الرقة ـ ومعه الأسرى ـ فخلف المكتفي عساكره مع محمد بن سليمان بالرقة ، وشخص في خاصته وغلمانه وتبعه وزيره [٢٨ ـ و] القاسم بن عبيد الله إلى بغداد ، ومعه القرمطي وأصحابه .

فلما صار إلى بغداد عمل له كرسي سمكه ذراعان ونصف ، وركب على فيل وأركب عليه ، ودخل المكتفي وهو بين يديه مع أصحابه الأسرى ، وذلك ثالث ربيع الأول ، ثم سجنوا .

فلما وصل محمد بن سليمان ببقية القرامطة لاثنتي عشرة خلت منه ، أمر المكتفي القواد بتلقيه والدخول معه ، فدخل في زي حسن وبين يديه نيف وسبعون أسيراً ، فخلع عليه ، وطوق بطوق من ذهب ، وسور سوارين من ذهب ، وخلع على جميع من كان معه من القواد وطوقوا وسوروا .

وأمر [المكتفي] ببناء دكة في الجانب الشرقي مربعة ، ذرعها عشرون ذراعاً في مثلها وارتفاعها عشرة أذرع ، يصعد إليها بدرج ، فلما كان لأربع بقين منه خرج القواد والعامة ، وحمل القرامطة على الجمال إلى الدكة ، وقتلوا جميعاً وعدتهم ثلاثمائة وستون ، وقيل دون ذلك .

وقدم الحسن بن زكرويه ، وعيسى بن أخت مهرويه إلى أعلى الدكة ، ومعها أربعة وثلاثون إنساناً من وجوه القرامطة ممن عرف بالنكاية ، وكان الواحد منهم يبطح على وجهه ، وتقطع يده اليمنى ، فيرمى بها إلى أسفل

ليراها الناس ، ثم تقطع رجله اليسرى ، ثم رجله اليمنى ويرمى بها ، ثم يضرب عنقه ويرمى بها .

ثم قدم المدثر ففعل به كذلك بعدما كوي ليعذب ، وضربت عنقه ثم قدم الحسن بن زكرويه فضرب مائتي سوط ، ثم قطعت يداه ورجلاه وكوي ، وضربت عنقه ، ورفع رأسه على خشبة ، وكبر من على الدكة فكبر الناس وانصرفوا .

وحملت الرؤوس فصلبت على الجسر وصلب بدن القرمطي فمكث نحو سنة .

ومن كتب الحسن بن زكرويه إلى عماله ماهذه نسخته بعد البسملة :

« من عبد الله المهدي المنصور بالله ، الناصر لدين الله ، القائم بأمر الله [الحاكم بحكم الله] ، الداعي إلى كتاب الله ، الذاب عن حرم الله المختار من ولد رسول الله ، أمير المؤمنين ، وإمام المسلمين ، ومذل المنافقين ، وخليفة الله على العالمين ، وحاصد الظالمين ، وقاصم المعتدين ، ومبيد الملحدين ، وقاتل القاسطين ، ومهلك المفسدين ، وسراج المستبصرين [وضياء المستضيئين] ، ومشتت المخالفين ، والقيم بسنة [سيد] المرسلين ، وولد خير الوصيين – صلى [الله] عليه وعلى آله الطيبين وسلم [كثيراً] [1] .

كتاب إلى فلان :

« سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلي على محمد جدي رسول الله .

---

(١) استعين بضبط هذه بالنصوص السالفة بمواد تاريخ الطبري .

أما بعد :

فقد أنهي إلينا ماحدث قبلك من أخبار أعداء الله الكفرة ، ومافعلوه بناحيتك من الظلم والعيث والفساد في الأرض ، فأعظمنا ذلك ، ورأينا أن ننفذ إلى ماهنالك من جيوشنا من ينتقم الله به من أعدائه الظالمين الذين يسعون في الأرض فساداً ، فأنفذنا عطيراً داعيتنا وجماعة من المؤمنين إلى مدينة حمص [وأمددناهم بالعساكر] ، ونحن في إثرهم ، وقد أوعزنا إليهم في المصير إلى ناحيتك لطلب أعداء الله حيث كانوا ، ونحن نرجو أن يجزينا الله فيهم على أحسن عوائده عندنا في أمثالهم .

فينبغي أن تشد قلبك وقلوب من اتبعك من أوليائنا ، وتثق بالله وبنصره الذي لم يزل يعودناه في كل من مرق عن الطاعة ، وانحرف عن الإيمان ، وتبادر إلينا بأخبار الناحية ، وما يتجدد فيها ، ولاتخف عنا شيئاً من أمرها [إن شاء الله] .

«سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين»[1] ، وصلى الله على جدي [محمد] رسوله ، وعلى أهل بيته وسلم كثيراً » .

وكانت عماله تكاتبه بمثل هذا الصدد .

وسلم القاسم بن أحمد أبو الحسين ـ خليفة الحسن بن زكرويه ـ فقدم سواد الكوفة إلى زكرويه بن مهرويه ، فأخبره بخبر القوم الذين استخلفهم ابنه عليهم ، وأنهم اضطربوا فخافهم وتركهم ، فلامه زكرويه على قدومه لوماً شديداً ، وقال له : « ألا كاتبتني قبل انصرافك إلي ؟ » . ووجده مع ذلك على خوف شديد من طلب السلطان ومن طلب أصحاب عبدان .

---

(١) يونس ١٠ .

ثم إنه أعرض عن أبي الحسين ، وأنفذ إلى القوم - في سنة ثلاث وتسعين - رجلاً أصحابه - كان معلماً - يقال له محمد بن عبد الله بن سعيد ويكني بأبي غانم ، فتسمي نصراً ليعمى أمره ، وأمره أن يدور أحياء كلب ويدعوهم ، فدار ودعاهم ، فاستجاب له طوائف من الأصبغيين ، ومن بني [٢٨ - ظ] العليص ، فسار بهم نحو الشام ، وعامل المكتفي بالله يومئذ على دمشق والأردن أحمد بن كيغلغ ، وهو بمصر في حرب ابن الخليج (٢) ، فاغتنم ذلك محمد بن عبد الله المعلم ، وسار إلى بصرى وأذرعات فحارب أهلها ، وسبى ذراريهم وأخذ جميع أموالهم ، وقتل مقاتلتهم ، وسار يريد دمشق ، فخرج إليه جيش مع صالح بن الفضل خليفة أحمد بن كيغلغ ، فظهروا عليه ، وقتلوا عسكره ، وأسروه فقتلوه وهموا بدخول دمشق فدافعهم أهلها ، فمضوا إلى طبرية ، فكانت لهم وقعة على الأردن غلبوا فيها ، ونهبوا طبرية ، وقتلوا وسبوا النساء .

فبعث المكتفي بالحسين بن حمدان في طلبهم مع وجوه من القواد ، فدخل دمشق وهم بطبرية ، فساروا نحو السماوة ، وتبعهم ابن حمدان في البرية ، فأخذوا يغورون مايرتحلون عنه من الماء ، فانقطع [ابن حمدان] عنهم لعدم الماء ، ومال نحو رحبة مالك بن طوق ، فأسرى القرامطة إلى هيت ، وأغاروا عليها لتسع بقين من شعبان سنة ثلاث وتسعين ، ونهبوا الربض والسفن التي في الفرات ، وقتلوا نحو مائتي إنسان .

ثم رحلوا بعد يومين بما غنموه ، فأنفذ المكتفي إلى هيت محمد بن إسحاق بن كنداج في جماعة من القواد بجيش كثيف ، وأتبعه بمؤنس ،

---

(١) انظر خبر ثورة ابن الخليج في ولاة الكندي : ٢٥٨-٢٦٣ .

فإذا هم قد غوروا المياه ، فأنفذ إليهم من بغداد بالروايا والزاد ، وكتب إلى ابن حمدان بالنفوذ إليهم من الرحبة .

فلما أحسوا بذلك ائتمروا بصاحبهم المعلم ، ووثب عليه رجل من أصحابه يقال له الذئب بن القائم فقتله ، وشخص إلى بغداد متقرباً بذلك، فأسنيت له الجائزة ، وكف عن طلب قومه ، وحمل رأس القائم المسمى بنصر المعلم إلى بغداد .

ثم إن قوماً من بني كلب أنكروا فعل الذئب وقتله المعلم ، ورضيه آخرون ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وافترقوا فرقتين ، فصارت الفرقة التي رضيت قتل المعلم إلى عين التمر ، وتخلفت الأخرى ، وبلغ ذلك زكرويه - وأحمد بن القاسم عنده - فرده إليهم ، فلما قدم عليهم جمعهم ووعظهم وقال : « أنا رسول وليكم ، وهو عاتب عليكم فيما أقدم عليه الذئب بن القائم ، وانكم قد ارتددتم عن الدين » فاعتذروا ، وحلفوا ماكان ذلك بمحبتهم ، وأعلموه بما كان بينهم من الخلف والحرب ، فقال لهم : « قد جئتكم الآن بما لم يأتكم به أحد تقدمني ، يقول لكم وليكم : قد حضر أمركم ، وقرب ظهوركم ، وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون ألفاً ، ومن أهل سوادها أكثر ، وموعدكم اليوم [الذي] ذكره الله [في شأن موسى ﷺ وعدوه فرعون إذ يقول : « موعدكم][1] يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى[2] » فأجمعوا أمركم ، وسيروا الى الكوفة ، فإنه لادافع لكم عنها ، ومنجز وعدي الذي جاءتكم به رسلي»

فسروا بذلك ، وارتحلوا نحو الكوفة ، فنزلوا دونها بستة وثلاثين

---

(١) أضيف مابين الحاصرتين مما تقدم في نص ثابت بن سنان ، وبه يستقيم السياق .

(٢) طه ٥٩ .

ميلاً قبل يوم عرفة بيوم من سنة ثلاث وتسعين ، فخلفوا هناك الخدم والأموال ، وأمرهم أن يلحقوا به على ستة أميال من القادسية .

ثم شاور الوجوه من أصحابه في طروق الكوفة أي وقت ، فاتفقوا على أن يكمنوا في النجف ، فيريحوا الخيل والدواب ، ثم يركبوا عمود الصبح فيشنوها غارة والناس في صلاة العيد .

فركبوا وساروا ، ثم نزلوا فناموا ، فلم يوقظهم الا الشمس يوم العيد لطفاً من الله بالناس ، فلم يصلوا الى الكوفة إلا وقد انقضت الصلاة ، وانصرف الناس وهم متبددون في ظاهر الكوفة ، ولأمير البلد طلائع تتفقد ، وكان قد أرجف في البلد بحدوث فتن فأقبلوا ودخلت خيل منهم الكوفة ، فوضعوا السيف وقتلوا كثيراً من الناس وأحرقوا ، فارتجت الكوفة ، وخرج الناس بالسلاح ، وتكاثروا عليهم يقذفونهم بالحجارة ، فقتلوا منهم عدة ، وأقبل بقيتهم فخرج إليهم إسحق بن عمران (١) في يسير من الجند ، وتلاحق به الناس ، فاقتتلوا قتالاً شديداً في يوم صائف شديد الحر فانصرف القرامطة مكدودين ، فنزلوا على ميلين من الكوفة ، ثم ارتحلوا عشاء نحو سوادهم ، واجتازوا بالقادسية وقد تأهبوا لحربهم ، فانصرفوا عنها ، وبعث أمير الكوفة بخبر ذلك إلى بغداد .

وسار القرامطة إلى سواد الكوفة ، فاجتمع [٢٩ - و] أحمد بن القاسم بزكرويه بن مهرويه - وكان مستتراً - فقال للعسكر : « هذا صاحبكم وسيدكم ووليكم الذي تنتظرونه » فترجل الجميع وألصقوا خدودهم بالأرض ، وضربوا لزكرويه مضرباً عظيماً ، وطافوا به ، وسروا

---

(١) عامل الكوفة .

سروراً عظيماً ، واجتمع إليهم أهل دعوته من السواد ، فعظم الجيش جداً .
وسير المكتفي جيشاً عظيماً ، فساروا بالأثقال والبنود والبزاة على غير تعبئة مستخفين بالقوم ، فوصلوا وقد تعب ظهرهم وقل نشاطهم ، فلقيهم القرامطة وقاتلوهم وهزموهم ، ووضعوا فيهم السيوف ، فقتل الأكثر ، ونجا الأقل إلى القادسية ، فأقاموا في جمع الغنائم ثلاثاً ، فكان من قتل من الجيش نحو الألف وخمسمائة ، فقويت القرامطة بما غنموا ، وبلغ المكتفي فخاف على الحاج ، وبعث محمد بن إسحاق بن كنداج لحفظ الحاج ، وطلب القرامطة ، وضم إليه خلقاً عظيماً .

فسار القرامطة وأدركوا الحاج ، فأخذوا الخراسانية لإحدى عشرة خلت من المحرم سنة أربع وتسعين ، ووضعوا فيهم السيف وقتلوا خلقاً عظيماً ، واستولى زكرويه على الأموال وقدم ابن كنداج فأقام بالقادسية ــ وقد أدركه من هرب من حاج خراسان ــ وقال : « لا أغرر بجيش السلطان » وقدمت قافلة الحاج الثانية والثالثة ، فقاتلوا القرامطة قتالاً شديداً حتى غلبوا ، وقتل كثير من الحاج ، واستولوا على جميع ما في القافلة ، وأخذوا النساء ، ولم يطلقوا منهم الا من لاحاجة لهم فيها ، ومات كثير من الحاج عطشاً ، ويقال انه هلك نحو من عشرين ألفاً ، فارتجت بغداد لذلك .

وأخرج المكتفي الأموال لإنفاذ الجيوش من الكوفة ــ لاحدى عشرة بقيت من المحرم وخزائن السلاح ورحل زكرويه فلم يدع ماء الا طرح فيه جيف القتلى ، وبث الطلائع فوافته القافلة التي فيها القواد والشمسة [1] ــ وكان المتضد جعل فيها جوهراً نفيساً ــ ومعهم الخزانة

(١) المائدة للكعبة .

ووجوه الناس والرؤساء ومياسير التجار ، وفيها من أنواع المال مايخرج عن الوصف ، فناهضهم زكرويه بالهبير[١]، وقاتلهم يومه ، فأدركتهم قافلة العمرة ، وكان المعتمرون يتخلفون للعمرة بعد خروج الحاج ويخرجون اذا دخل المحرم ، وينفردون قافلة ، وانقطع ذلك من تلك السنة ، فاجتمع الناس وقاتلوا يومهم وقد نفذ الماء ، فملك القافلة ، وقتل الناس ، وأخذ مافيها من حريم ومال وغيره ، وأفلت ناس فمات أكثرهم عطشاً ، وسار فأخذ أهل فيد[٢] .

وأما بغداد فإنه حصل بها وبالكوفة وجميع العراق مصاب بحيث لم يبق دار الا وفيها مصيبة ، وعبرة سائلة ، وضجيج وعويل ، واعتزل المكتفي النساء هماً وغماً ، وتقدم بالمسير خلف زكرويه ، وأنفذ الجيوش فالتقوا مع زكرويه لسبع بقين من ربيع الأول ، فاقتتلوا قتالاً شديداً صبر فيه الفريقان حتى انهزم زكرويه ومن معه ، وأسر منهم خلق كثير وطرحت النار في قبته ، فخرج من ظهرها ، وأدركه رجل فضربه حتى سقط الى الأرض ، فأدركه رجل يعرفه . فأركبه نجيباً فارهاً ، وسار به الى نحو بغداد ، فمات من جراحات كانت به ، وصبر وأدخل به الى بغداد فشهر كذلك ، ومعه حرمه وحرم أصحابه وأولادهم والأسرى ورؤوس من قتل بين يديه في الجوالقات[٣] ، ومات خبر القرمطة بموت زكرويه ودعوتهم ذكرها شائع .

---

(١) محطة من محطات طريق الحج بين العراق والحجاز ـ انظرها في معجم البلدان .

(٢) بلدة كانت قائمة على منتصف طريق حجاج العراق من الكوفة إلى مكة ـ معجم البلدان .

(٣) أي الأوعية ـ القاموس .

فلما دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين خرج رجل من السواد من الفلط (١) يعرف بأبي حاتم الفلطي ، فقصد أصحاب البوراني داعيا ـ وهم يعرفون بالبورانية ـ وحرم عليهم الثوم والبصل والكراث والفجل ، وحرم عليهم إراقة الدم من جميع الحيوان ، وأمرهم أن يتمسكوا بمذهب البوراني ، وأمرهم بما لا يقبله إلا أحمق ، وأقام فيهم نحو سنة ، ثم زال، فاختلفوا بعده ، فقالت طائفة : « زكرويه بن مهرويه حي ، وإنما شبه على الناس به » . وقالت فرقة : « الحجة لله محمد بن إسماعيل » .

ثم خرج رجل من بني عجل قرمطي يقال له محمد بن قطبه، فاجتمع عليه نحو مائة رجل ، فمضى بهم نحو واسط ، فنهب وأفسد فخرج إليه آمر الناحية ، فقتلهم وأسرهم .

ثم خمدت أحوال القرامطة إلى أن تحرك أبو طاهر بن أبي سعيد الجنابي ، وعمل على أخذ البصرة سنة عشر [٢٩ ـ ظ] وثلاثمائة ، فعمل سلالم عراضا يصعد كل مرقاة اثنان بزرافين (٢) ، إذا اجتمع إليها نصبت ، وتخلع إذا حملت ، فرحل يريد البصرة ، فلما قاربها فرق السلاح ، وحشى الغرائر بالرمل ، وحملها على الجمال ، فسار إلى السور قبل الفجر ، فوضع السلالم ، وصعد عليها قوم ، ونزلوا فوضعوا السيف وكسروا الأقفال ، فدخل الجيش ، فأول ما عملوا أن طرحوا الرمل المحمول في الأبواب ليمنع من غلقها ، وبدر لهم الناس ومعهم

---

(١) الزنوج ذوي الأصل الهندي Jet ، جلب المسلمون أعداداً كبيرة منهم أيام الفتوحات في العصر الأموي ، وأسكنوهم في السواد للعمل في المزارع ، وقد تحركوا في أكثر من ثورة في العصر العباسي .

(٢) الزرفين حلقة الباب ، وفي الحديث : كانت درع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات زرافين ، إذا علقت بزرافينها سترت ـ اللسان .

الأمير ، فأقاموا النهار يقتتلون حتى حجز بينهم الظلام ، فخرجوا وقد قتل من الناس مقتلة عظيمة ، فباتوا ثم باكروا البلد فقتلوا ونهبوا .

ثم رحلوا إلى الأحساء ، فأنفذ السلطان عسكرا ـ وكان أبو الهجاء عبد الله بن حمدان قد قلد أعمال الكوفة والسواد وطرق مكة ـ فدخل في أثرهم وأسر منهم وعاد .

فلما قدمت قوافل الحاج واعترضها أبو طاهر القرمطي فقتل منهم ، وأدركهم ابو الهيجاء بن حمدان بجيوش كثيرة ، فحملت القرامطة عليهم فهزموهم ، وأخذ أبو الهيجاء أسيرا ، فلما رآه أبو طاهر تضاحك وقال له : « جئناك عبد الله ، ولم نكلفك قصدنا » . فتلطف له أبو الهجاء حتى استأمنه ، وأمر بتمييز الحاج ، وعزل الجمالين والصناع ناحية ، فأخذوا ما مع الحاج وخلوهم ، فردوا بشر حال في صورة الموتى ، ورحل من الغد من بعد أن أخذ من أبي الهجاء وحده نحو عشرين ألف دينار مع أموال لاتحصى كثرة ، ثم أطلق أبا الهجاء بعد أشهر ، فورد بغداد .

فلما كان في سنة اثنتي عشر وثلاثمائة خرج من بغداد جيش كثيف لحفظ الحاج ، فلقيهم لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة ، فناوشه الناس وانكفأ راجعاً ، ثم باكرهم بالقتال وخرجب إليه جيوش السلطان ، فقاتلهم وهزمهم ، وقتل قوادهم وكثيراً من العامة ، ونهب البلد إلى العشرين منه ، فرحل من البلد .

فلما كان في سنة خمس عشرة وثلاثمائة خرج القرمطي من بلده لقتال ابن أبي الساج ، وقد كان السلطان أنزله في جيش كبير بواسط ليسير إلى القرمطي ، فاستصعب مسيره لكثرة من معه ، وثقل عليه سيره في أرض قفر ، فاحتال على القرمطي ، وكاتبه باظهار المواطأة ، وأطمعه في أخذ بغداد ومعاضدته ،

فاغتر بـــذلك ، ورحل بعيال وحشم وأتباع ، وجيشه على أقوى مايمكنه ، وأقبل يريد الكوفة .

ورحل ابن أبي الساج بجيشه عن واسط إلى الكوفة ، وقد سبقه القرمطي ، ودخلها لسبع خلون من شوال ، فاستولى عليها ، وأخذ منها الميرة ، وأعد مايحتاج إليـــه ، وأقبل ابن أبي الساج على غير تعبئة ، وعبر مستهينا بأمر القرمطي مستحقراً له ، ثم واقعه وهو في جيش يضيق عنه موضعه ، ولا يملك تدبيره ، وقد تفرق عنه عسكره ، وركبوا ـ من نهب القرى وأذى الناس وإظهار الفجور ـ شيئاً كثيراً ، فأقبل إليه القرمطي وقاتله ، فانهزمت عساكر ابن أبي الساج بعدما كثرت بينهما القتلى والجراح ، فقتلوا الناس قتلا ذريعاً حتى صاروا في بساط واحد نحو فرسخين أو أربع ، واحتوى على عسكره ، ونهب الأكرة من أهل السواد ماقدروا عليه ، وأقام أربعين يوماً ، وخرج بعد أن يئس من مجيء عسكر إليه ، فقصد بغداد ، ونزل بسواد الأنبار ، وعبر الفرات إلى الجانب الغربي ،وتوجه بين الفرات ودجلة يريد بغداد ، فجيش الجيش إليه ، وسار مؤنس حتى نازله على نحو ثلاثة فراسخ من بغداد ، وقاتل القرامطة قتالا شديداً ، وورد كتاب المقتدر يأمر مؤنسا بمعاجلته القتال ، ويذكر ما لزم من صرف الأموال إلى وقت وصوله .

فكتب إليه : « إن في مقدمنا ـ أطال الله بقاء مولانا ـ نفقة المال ، وفي لقائنا نفقة الرجال ، ونحن أحرياء باختيار نفقة المال على نفقة الرجال » .

ثم أنفذ إلى القرمطي يقول له :

« ويلك ، ظننتني كمن لقيك أبرز لك رجالي ، والله ما يسرني أن أظفر بك بقتل رجل مسلم من أصحابي ، ولكني أطاولك وأمنعك مأكولا ومشروبا حتى آخذك أخذاً بيدي إن شاء الله » .

وأنفذ يلبق في جيش للايقاع بمن في قصر ابن هبيرة ، فعظم ذلك على القرمطي فاضطرب ، [٣٠ - و] وأخذ أصحابه يحتالون في الهرب ، وتركوا مضاربهم ، فنهب مؤنس ما خلفوه ، وسار جيش القرمطي من غربي الفرات ، وسار مؤنس من شرقيه ، إلى أن وافى القرمطي الرحبة ،ومؤنس يحتال في ارسال زواريق فيها فاكهة مسمومة ، فكان القرامطة يأخذونها ، فكثرت الميتة فيهم ، وكثر بهم الذرب ، وظهر جهدهم ، فكروا راجعين وقد قل الظهر معهم ، فقاتلوا أهل هيت وانصرفوا مفلولين ، فدخل الكوفة على حال ضعف وجراحات وعلل - لثلاث خلون من رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة - فأقام بها إلى مستهل ذي الحجة ، ولم يقتل ولانهب ، ثم رحل .

فلما كان في سنة سبع عشرة رحل بجيشه ، فوافى مكة لثمان خلون من ذي الحجة ، فقتل الناس في المسجد قتلا ذريعا ، ونهب الكعبة ، وأخذ كسوتها وحليها ، ونزع الباب وستائره ، وأظهر الاستخفاف به ، وقلع الحجر الأسود وأخذه معه - وظن أنه مغناطيس القلوب - ، وأخذ الميزاب أيضاً .

وعاد إلى بلده في المحرم سنة ثماني عشرة وقد أصابه كد شديد ، وقد أخذ ستة وعشرين ألف حمل جمل ، وضرب آلاتهم وأثقالهم بالنار ، واستملك من النساء والغلمان والصبيان ما ضاق بهم الفضاء كثرة ، وحاصرته هذيل فأشرف على الهلكة حتى عدل به دليل إلى غير الطريق المعروف إلى بلده .

فلما كان في شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة سار إلى الكوفة ، فعاث عسكره في السواد ، وأسروا خلقاً ، وأشتروا أمتعة ،ورجعوا - بعد خمسين ليلة أقاموا بها - إلى بلدهم .

وبعث أبو طاهر سرية في البحر نحو أربعين مركبا فوضعوا السيف في الساحل ، ولم يلقوا أحداً إلا قتلوه - من رجل وامرأة وصبي - فما نجا منهم

إلا من لحق بالجبال ، وسبوا النساء ، واجتمع الناس ، فقتلوا منهم - في الحرب معهم - خلقاً كثيراً ، وأسروا جماعة ، ثم تحاملوا عليهم ، وتباروا بالشهادة ، وجدوا، فقتلوا أكثرهم ، وأخذوا جميع من بقي أسرا بحيث لم يفلت منهم أحد ، وحملت الأسرى إلى بغداد مع الرءوس - وهم نحو المائة رجل ومائة رأس - فحبسوا ببغداد .

ثم خلصوا وصاروا إلى أبي طاهر فكانوا يتحدثون بعد خلاصهم أن كثيرا من الكبراء وغيرهم كانوا يراسلون إليهم ، بما يتقربون به إليهم ، وكان سبب خلاصهم مكاتبه جرت بينهم بالمهادنة على أن يردوا الحجر الأسود ، ويطلقوا الأسرى ، ولا يعترضوا الحاج ، فجرى الأمر على ذلك .

ودخل القرمطي - في سنة ثلاث وعشرين - إلى الكوفة ، والحاج قد خرج في ذي القعدة ، وعاد الحاج إلى الكوفة ، ولم يقدروا على مقاومته ، فظفر بمن ظفر منهم ، فلم يكثر القتل ، وأخذ ما وجد .

وبلغ القرمطي أن رجلا من أصحابه قال: « والله ما ندري ما عند سيدنا أبي طاهر من تمزيق هؤلاء الذين من شرق الأرض وغربها ، واتخاذهم ومن وراءهم أعداء ، وما يفوز بأكثر أموالهم إلا الأعراب والشذاذ من الناس ، فلو أنه حين ظفر بهم دعاهم إلى أن يؤدي كل رجل منهم دينار ويطلقهم ويؤمنهم ، لم يكره ذلك منهم أحد ، وخف عليهم وسهل ، وحج الناس من كل بلد ، لأنهم ظمأى إلى ذلك جداً ، ولم يبق ملك إلا كاتبه وهاداه واحتاج إليه في حفظ أهل بلده وخاصته ، وجاء في كل سنة من المال مالا يصير لسلطان مثله على الخراج ، واستولى على الأرض وانقاد له الناس ؛ وإن منع من ذلك سلطان اكتسب المذمة ، وصار عند الناس هو المانع من الحج .

فاستصوب القرمطي هذا الرأي ، ونادى من وقته في الناس بالأمان

وأحضر الخراسانية ، فوطأ أمرهم على أنهم يحجوا ويؤدوا اليه المال في كل سنة ، ويكونوا آمنين على أنفسهم وأموالهم ، وأخرج أهل مصر أيضاً عن الحاج ضرائب من مال السلطان ، ثم ولى تدبير العراق من لم ير ذلك دناءة ولامنقصة ، فصار لهم على الحاج رسماً بالكوفة .

فلما كانت سنة خمس وعشرين كبس أبو طاهر الكوفة ، وقبض على شفيع اللؤلؤي ـ أميرها ـ بأمان ، فبعثه إلى السلطان [٣٠ ـ ظ] يعرفه أنهم صعاليك لابد لهم من أموال ، فإن أعطاهم مالاً لم يفسدوا عليه ، وخدموه فيما يلتمسه ، وإلا فلا يجدوا بداً من أن يأكلوا بأسيافهم ، وبر [أبو طاهر] شفيعاً ووصله ، فوصل شفيع إلى السلطان وعرفه ، فبعث إليهم رجلاً فناظر القرمطي ، وملأ صدره من السلطان وأتباعه ، فزاده انكساراً ، وسار عن البلد ، فابتلاه الله بالجدري وقتله فملك التدبير بعده أخوته وابن سنبر .

فلما كان في سنة تسع وثلاثين أرادوا أن يستميلوا الناس ، فحملوا الحجر الأسود إلى الكوفة ، ونصبوه فيها على الاسطوانة بالجامع .

وكان قد جاء عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ الملقب زين العابدين [١] ـ : « إن الحجر الأسود يعلق في مسجد الجامع بالكوفة في آخر الزمان » .

ثم قدم به سنبر بن الحسن بن سنبر إلى مكة ـ وأمير مكة معه ـ فلما صار بفناء البيت أظهر الحجر من سفط كان به مصوناً ، وعلى الحجر ضباب فضة قد عملت عليه ، تأخذه طولاً وعرضاً ، تضبط شقوقاً حدثت

---

(١) كذا والمشهور بلقب زين العابدين هو علي بن الحسين ، لامحمد ابنه الذي شهر بلقب الباقر . انظر الأئمة الاثنا عشر لابن طولون : ٧٥ - ٨١ .

فيه بعد انقلاعه ، وكان قد أحضر له صانع معه جص يشد به الحجر ، وحضر جماعة من حجبة البيت ، فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجر بيده في موضعه ـ ومعه الحجبة ـ وشده الصانع بالجص ـ بعد وضعه ـ وقال لما رده : « أخذناه بقدرة الله ، ورددناه بمشيئته » ونظر الناس إليه وقبلوه ولمسوه ، وطاف سنبر بالبيت .

وكان قلع الحجر من ركن البيت يوم الاثنين لأربع عشرة خلت من ذي القعدة سنة سبع عشرة وثلاثمائة .

وكان رده يوم الثلاثاء لعشر خلون من ذي الحجة ـ يوم النحر ـ سنة تسع وثلاثين .

فكانت مدة كينونته عند الجنابي وأصحابه اثنتين وعشرين سنة إلا أربعة أيام .

وكان في سنة ست عشرة وثلاثمائة قد تحركت القرامطة بسواد الكوفة عند انصراف أبي طاهر القرمطي عن بغداد إلى نحو الشام ، وتداعوا إلى الاجتماع في دار هجرتهم فكثروا ، وكبسوا نواحي واسط وقتلوا خلقاً كثيراً ، وملكوا ماحواه العسكر هناك من سلاح وغيره ، فقوي أمرهم ، وسار بهم عيسى بن موسى والحجازي ـ وهما داعيان ـ وكان الحجازي بالكوفة يبيع الخبز ، فصحب يزيد النقاش ، واجتمع عليهما غلمان ، وساروا فنهبوا وأخافوا ، والبلد ضعيف لاتصال الفتن وتخريب البوراني لسواده وضعف يد السلطان ، وطالبوا جميع أهل السواد بالرحيل إليهم ، فاجتمعوا نحو العشرة آلاف وفرقوا العمال ، ورحلوا إلى الكوفة فدخلوها عنوة ، وهرب واليها ، وولوا على خراجها وعلى حربها ، وأحدثوا في الأذان مالم يكن فيه ، فأنفذ السلطان إليهم جيشاً فواقعهم فانهزموا ،

وقتل منهم مالايحصى ، وغرق منهم وهرب الباقون ، وحملت الأسرى إلى بغداد فقتلوا وصلبوا ، وحبس عيسى بن موسى مدة ثم تخلص بغفلة السلطان وحدوث الفتن آخر أيام المقتدر ، فأقام ببغداد يدعو الناس ووضع كتباً نسبها إلى عبدان الداعي ، نسبه فيها إلى الفلسفة ، وأنه يعلم ما يكون قبل كونه ، فصار له أتباع ، وأفسد فساداً عظيماً ، وصار له خلفاء من بعده مدة .

وأما خراسان فقدم إليها بالدعوة أبو عبد الله الخادم ، فأول ماظهرت بنيسابور ، فاستخلف عند موته أبا سعيد الشعراني ، وصار منهم خلق كثير هناك من الرؤساء وأصحاب السلاح .

وانتشرت في الري من رجل يعرف بخلف الحلاج ، وكان يحلج القطن فعرفت بها طائفته بالخلفية ، وهم خلق كثير ، ومال إليهم قوم من الديلم وغيرهم ، وكان منهم أسفاراً [1] فلما قتل مرداويج أسفاراً عظمت شوكة القرامطة في أيامه بالري وأخذوا يقتلون الناس غيلة حتى أفنوا خلقاً كثيراً .

ثم خرج مرداويج إلى جرجان لقتال نصر بن أحمد الساماني ، فنصر عليهم وقتلهم مع صبيانهم ونسائهم حتى لم يبق منهم أحد ، وصار بعضهم إلى مفلح - غلام ابن أبي الساج - فاستجاب له ، ودخل في دعوته .

فلما كان في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، استعد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة لقتال من يرد عليه من قبل جوهر القائد ، فورد عليه

---

(١) ابن شيرويه سبقت الاشارة اليه وأنه مع مرداويج نرى في سيرتهما مقدمة قيام دولة آل بويه من الديلم . انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٣١٧-٣١٨ .

الخبر بأن [٣١ - و] القرامطة تقصده ، ووافت الرملة فهزموا الحسن ابن عبيد الله ، ثم جرى بينهم صلح ، وصاهر إليهم في ذي الحجة منها ، فأقام القرمطي بظاهر الرملة ثلاثين يوماً ورحل .

وسار جعفر بن فلاح من مصر فهزم الحسن بن عبيد الله بن طغج ، وقتل رجاله ، وأخذه أسيراً ، فسار إلى دمشق فنزل بظاهرها ، فمنعه أهل البلد وقاتلوه قتالاً شديداً ، ثم إنه دخلها بعد حروب ، وفر منه جماعة - منهم ظالم بن موهوب العقيلي ، ومحمد بن عصودا - فلحقا بالأحساء إلى القرامطة ، وحثوهم على المسير إلى الشام ، فوقع ذلك منهم بالموافقة ، لأن الاخشيدية كانت تحمل إليهم في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ، فلما صارت عساكر المعز إلى مصر مع جوهر ، وزالت الدولة الاخشيدية انقطع المال عن القرامطة[1] بعد أن بعثوا عرفاءهم لجمع العرب ، فنزلوا الكوفة وراسلوا السلطان ببغداد ، فأنفذ إليهم خزانة سلاح ، وكتب لهم بأربعمائة ألف درهم على أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان ، ورحلوا إلى الرحبة - وعليها أبو تغلب - فحمل إليهم العلوفة والمال الذي كتب به لهم .

وجمع جعفر بن فلاح أصحابه واستعد لحربهم ، فتفرق الناس عنه إلى مواضعهم ، ولم يفكروا بالموكلين على الطرق ، وكان رئيس القرامطة الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي ، فبعث إليه أبو تغلب يقول : « هذا شيء أردت أن أسير أنا فيه بنفسي وأنا مقيم في هذا الموضع الى أن يرد علي خبرك ، فإن احتجت الى مسيري سرت اليك » ونادى في عسكره :

---

(١) كان مكان عبارة القرامطة بياض بالأصل ، وقد اضيفت اعتماداً على ما أورده المقريزي في ترجمة الأعصم التالية .

» من أراد المسير من الجند الاخشيدية وغيرهم الى الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض لنا عليه ؛ فقد أذنا له في المسير ، والعسكران واحد» فخرج الى عسكر القرمطي جماعة من عسكر أبي تغلب ، وفيهم كثير من الاخشيدية الذين كانوا بمصر ، صاروا اليه ـ لما دخل جوهر ـ من مصر وفلسطين ، وكان سبب هذا الفعل من أبي تغلب أن جعفر بن فلاح كان قد أنفذ اليه من طبرية داعياً يقال له أبو طالب التنوخي ـ من أهل الرملة ـ يقول له : « اني سائر اليك فتقيم الدعوة » ، فقال له أبو تغلب ـ وكان بالموصل ـ : « هذا مالا يتم لأنا في دهليز بغداد ، والعساكر قريبة منا ، ولكن اذا قربت عساكركم من هذه الديار أمكن ماذكرتم » فانصرف من عنده على غير شيء وبلغ ذلك القرمطي فسره وزاده قوة ، وسار عن الرحبة ، فأشار أصحاب جعفر ـ لما قارب القرامطة دمشق ـ أن يقاتلهم بطرف البرية ، فخرج اليهم وواقعهم ، فانهزم ، وقتل لست خلون من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة .

ونزل القرمطي ظاهر المزة فجبي مالاً ، وسار يريد الرملة ـ وعليها سعادة بن حيان ـ فالتجأ الى يافا ، ونزل عليه القرمطي ، وقد اجتمعت اليه عرب الشام وأتباع من الجند ، فناصبها القتال حتى أكل أهلها الميتة ، وهلك أكثرهم جوعاً ثم سار عنها ، وترك على حصارها ظالم العقيلي وأبا المنجا بن منجا [1] ، وأقام القرامطة الدعوة للطيع لله العباسي في

---

(١) جاء في حاشية الأصل طرة تعرف بابن منجا نصها مايلي :

« أبو المنجا ، هو عبد الله بن علي بن المنجا ، أحد أصحاب أبي علي الحسين بن أحمد ابن الحسين بن بهرام القرمطي المنعوت بالأعصم ، وكان يرجع اليه لرأيه وسياسته ، واستخلفه على دمشق حين رحل الى الأحساء بعد انهزامه من أبي محمود ابراهيم بن جعفر الكتامي ، فقصده ظالم بن موهوب العقيلي من بعلبك بمراسلة ، فاستأمن الى ظالم عدة من أصحاب=

كل بلد فتحوه ، وسودوا أعلامهم ، ورجعوا عما كانوا يخرقون بـه ، وأظهروا أنهم كأمراء النواحي الذين من قبل الخليفة العباسي .

ونزل على مصر أول ربيع الأول سنة احدى وستين وثلاثمائـــة ، فقاتله جوهر على الخندق وهزمه ، فرحل الى الأحساء .

وأنفذ جوهر جيشاً نحو يافا فملكها ، ورحل المحاصرون لها الى دمشق ونزلوا بظاهرها ، فاختلف ظالم العقيلي وأبو المنجا بسبب الخراج ، فكان كل منهما يريد أخذه للنفقة في رجاله ، وكان أبو المنجا أثيراً عند القرمطي يولج اليه أموره ، ويستخلفه على تدبيره .

ورجع الحسن بن أحمد القرمطي من الأحساء فنزل الرملة ولقيـه أبو المنجا وظالم ، وبلغه ماجرى بينها من الاختلاف ، فقبض على ظالم واعتقله مدة ثم خلى عنه .

وطرح القرمطي مراكب في البحر ، وشحنها بالمقاتلة ، وسيرهـا إلى تنيس وغيرها من سواحل مصر ، وجمع من قدر عليه من العرب وغيرهم وتأهب للسير إلى مصر ، هذا بعد أن كان القرامطة أولاً يخرقون بالمهدي ويوهمـون أنه صاحب المغرب ، وأن دعوتهـم إليه ، ويراسلون الامام المنصور [٣١ ـ ظ] إسماعيل بن محمد القائم بن عبد الله المهدي ، ويخرجون إلى أكابر أصحابهم أنهم من أصحابه إلى أن افتضح كذبهم بمحاربة القائد جوهر لهم ، وقتله كثيراً منهم ، وكسره القبة التي كانت لهم .

فلما نزل المعز لدين الله القاهرة عندما قدم من المغرب وقـد تيقن أخبار القرامطة كتب إلى الحسن بن أحمد القرمطي كتاباً عنوانه :

=أبي المنجا لمنعه عنهم العطاء وقلة ماله ، فأسره ظالم يوم السبت لعشر خلون من رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وجهزه أبو محمود هو وابنيه في قفصين الى مصر فحبسا بها » .

«من عبد الله ووليه ، وخيرته وصفيه ، معد أبي تميم المعز لدين الله أمير المؤمنين ، وسلالة خير النبيين ، ونجل علي أفضـــل الوصيين إلى الحسن بن أحمد» :

بسم الله الرحمن الرحيم

رسوم النطقاء ، ومذاهب الأئمة والأنبياء ، ومسالك الرسل والأوصياء السالف والآنف منا ، صلوات الله علينا وعلى آبائنا ، أولي الأيدي والأبصار في متقدم الدهور والأكوار ، وسالف الأزمان والأعصار ، عند قيامهم بأحكام الله ، وانتصابهم لأمر الله .

الابتداء بالإعذار والانتهاء بالإنذار ، قبل إنفاذ الأقدار ، في أهل الشقاق والآصار ، لتكون الحجة على من خالف وعصى ، والعقوبة على من باين وغوى ، حسب ماقال الله جل وعز : «وما كنا معذبـين حـتى نبعث رسولاً» [1] و «إن من أمة إلا خلا فيها نذير» [2] . وقوله سبحانه : «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين [3] » .

« فإن آمنوا بمثـل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنمـا هم في شقاق » [4] .

أما بعد ، أيهـا الناس فإنا نحمد الله بجميع محامده ، ونمجده بأحسن

---

(١) الاسراء ١٥ .
(٢) فاطر ٢٤ .
(٣) يوسف ١٠٨ .
(٤) البقرة ١٣٧ .

ماجده ، حمداً دائماً أبداً ، ومجداً عالياً سرمداً ، على سبوغ نعمائه ، وحسن بلائه ، ونبتغي إليه الوسيلة بالتوفيق ، والمعونة على طاعتـــه ، والتسديد في نصرته ، ونستكفيه ممايلة الهوى والزيغ عن قصد الهدى ، ونستزيد منه إتمام الصلوات ، وإفاضات البركات ، وطيب التحيات ، على أوليائه الماضين ، وخلفائه التالين ، منا ومن آبائنا الراشدين المهديين المنتجبين الذين قضوا « بالحق وكانوا به يعدلون »[1] .

أيها الناس : « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها »[2] ليذكر من يذكر ، وينذر من أبصر واعتبر .

أيها الناس : إن الله جل وعز إذا أراد أمراً قضــاه ، وإذا قضــاه أمضاه ، وكان من قضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحاً ، وأبرزنا أرواحاً ، بالقدرة مالكين ، وبالقدرة قادرين ، حين لا سماء مبنية ، ولا أرض مدحية ، ولا شمس تضيء ، ولا قمر يسري ، ولا كوكب يجري ، ولا ليل يجن ، ولا أفق يكن ، ولا لسان ينطق ، ولا جناح يخفق ، ولا ليل ولا نهار ولا فلك دوار ولا كوكب سيار .

فنحن أول الفكرة ، وآخر العمل ، بقدر مقدور ، وأمر في القدم مبرور ، فعند تكامل الأمر وصحة العزم ، وإنشاء الله ـ جل وعز ـ المنشآت ، وإبداء الأمهـات من الهيولات ، طبعنــا أنواراً وظلــاً ، وحركة وسكونا .

وكان من حكمه السابق في علمه ماترون من فلك دوار ، وكوكب سيار ، وليل ونهار ، ومافي الآفاق من آثار معجزات ، وأقدار باهرات

(١) الاعراف ١٨١ .
(٢) الانعام ١٠٤ .

ومافي الأقطار من الآثار ، ومافي النفوس من الأجناس والصور والأنواع من كثيف ولطيف ، وموجود ومعدوم وظاهر وباطن ، ومحسوس وملموس ودان وشاسع ، وهابط وطالع .

كل ذلك لنا ومن أجلنا ، دلالة علينا ، وإشارة إلينا ، يهدي به الله من كان [له] لب سجيح ، ورأى صحيح ، قد سبقت له منا الحسنى[١] فدان بالمعنى .

ثم إنه ـ جل وعلا ـ أبرز من مكنون العلم ومخزون الحكم ، آدم وحوا أبوين ذكرا وأنثى ، سبباً لإنشاء البشرية ، ودلالة لإظهار القدرة القوية ، وزاوج بينهما فتوالد الأولاد ، وتكاثرت الأعداد ، ونحن نتنقل في الأصلاب الزكية ، والأرحام الطاهرة المرضية ، كلما ضمنا صلب ورحم أظهر منا قدرة وعلم ، وهلم جرا إلى آخر الجد الأول ، والأب الأفضل سيد المرسلين ، وإمام النبيين ، أحمد ومحمد صلوات الله عليه وعلى آله في كل ناد ومشهد ، فحسن آلاؤه ، وبان غناؤه ، وأباد المشركين ، وقصم الظالمين ، وأظهر الحق ، واستعمل الصدق ، وظهر بالأحدية ، ودان بالصمدية ، فعندها سقطت الأصنام ، وانعقد الاسلام ، وانتشر الإيمان ، وبطل السحر والقربان ، وهدمت الأوثان ، وأتي [٣٢ـو] بالقرآن ، شاهداً بالحق والبرهان ، فيه خبر ماكان ومايكون إلى يوم الوقت المعلوم ، منبئاً عن كتب تقدمت ، في صحف قد تنزلت ، تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة ونورا « وسراجاً منيراً »[٢] .

وكل ذلك دلالات لنا ، ومقدمات بين أيدينا ، وأسباب لإظهار أمرنا

---

(١) انظر الآية ١٠١ من سورة الانبياء .

(٢) الاحزاب ٤٦ .

هدايات وآيات وشهادات ، وسعادات قدسيات ، إلهيات أزليات ، كائنات منشآت ، مبدئات معيدات ، فما من ناطق نطق ، ولا نبي بعث ، ولا وصي ظهر ، إلا وقد أشار إلينا ، ولوح بنا ، ودل علينا في كتابه وخطابه ومنار أعلامه ، ومرموز كلامه ، فيا هو موجود غير معدوم ، وظاهر وباطن ، يعلمه من سمع الندا ، وشاهد ورأى ، من الملأ الأعلى ، فمن أغفل منكم أو نسي ، أو ضل أو غوى ، فلينظر في الكتب الأولى ، والصحف المنزلة ، وليتأمل آي القرآن ، ومافيه من البيان ، وليسأل أهل الذكر إن كان لايعلم ، فقد أمر الله عز وجل بالسؤال ، فقال : « فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون [١] » .

وقال سبحانه وتعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون [٢] » .

ألا تسمعون قول الله حيث يقول : « وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون [٣] .

وقوله تقدست أسماؤه : « ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » [٤]

وقوله له العزة : « شرع لكم من الدين ماوصي به نوحاً والذي أوحينا إليك ماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا به كبر على المشركين ماتدعوهم إليه [٥] » .

---

(١) النحل ٤٣

(٢) التوبة ١٢٢ .

(٣) الزخرف ٢٨ .

(٤) آل عمران ٣٤ .

(٥) الشورى ١٣ .

ومثل ذلك في كتاب الله تعالى جده كثير ، ولولا الإطالة لأتينـا على كثير منه .

ومما دل به علينا ، وأنبأ به عنا ، قوله عز وجل :

« كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثـال للناس والله بكل شيء عليم [١] .

وقوله في تفضيل الجد الفاضل والأب الكامل محمد ـ صلى الله عليـه وعليه السلام ـ اعلاماً بجليل قدرنا ، وعلو أمرنا : « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم » [٢] .

هذا مع ما أشار ولوح ، وأبان وأوضح ، في السر والاعلان ، من كل مثل مضروب ، وآية وخبر واشارة ودلالة ، حيث يقول : وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون » [٣] . وقال سبحانـــه وتعالى :

« ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليـــل والنهار لآيات لأولي الألباب [٤] » .

وقوله جل وعز : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق [٥] » .

فإن اعتبر معتبر ، وقام وتدبر مافي الأرض ومافي الأقطار والآثار ، وما في النفس من الصور المختلفات ، والأعضاء المؤتلفـــات والآيات

---

(١) النور ٣٥ .
(٢) الحجر ٨٧ .
(٣) العنكبوت ٤٣ .
(٤) آل عمران ١٩٠ .
(٥) فصلت ٥٣ .

والملامات ، والاتفاقات والاختـــراعات ، والأجناس والأنواع ، ومافي كون الابداع من الصور البشرية ، والآثار العلوية ، ومايشهد به حروف المعجم ، والحساب القوم ، وماجمته الفرائض والسنن ، وماجمته السنون من فصل وشهر ويوم ، وتصنيف القرآن من تحزيبه وأسباعه ، ومعانيه وأرباعه وموضع الشرائع المتقدمة ، والسنن المحكمة ، وما جمته كلمـــة الإخلاص في تقاطيعها وحروفها وفصولها ، ومافي الأرض من إقليم وجزيرة وبر وبحر ، وسهل وجبل ، وطول وعرض وفوق وتحت ، إلى ما اتفــق عليه في جميع الحروف من أسماء المدبرات السبعة النطقا ، والأوصيا والخلفا وماصدرت به الشرائع من فرض وسنة وحد وبينة ومافي الحساب من أحاد وأفراد ، وأزواج وأعداد ، تثاليثه وترابيعه واثني عشريتـه وتسابيعـه ، وأبواب العشرات والمئين والألوف ، وكيف تجمع وتشتمل على ما اجتمع عليه ماتقدم من شاهد عدل وقول صدق ، وحكمة حكيم وترتيب عليم .

فـ « لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى »[1] والأمثال العلى « وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها »[2] . « وفوق كل ذي علم عليم »[3] « ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر [٣٢ - ط] يمـده من بعده سبعة أبحر مانفذت كلمات الله »[4] .

وليعلم من « كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »[5] ، أنا كلمات الله الأزليات ، وأسماؤه التامات ، وأنواره الشعشعانيات ، وأعلامه النيرات ،

---

(١) طـــه ٧ .
(٢) ابراهيم ٣٤ .
(٣) يوسف ٧٦ .
(٤) لقمان ٢٧ .
(٥) ق ٣٧ .

ومصابيحه البينات ، وبدائعه المنشآت ، وآياته الباهرات ، وأقداره النافذات لايخرج منا أمر ، ولايخلو منا عصر .

وإنا لكما قال الله سبحانه وتعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولاخمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ماكانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم »[1] .

فاستشمروا النظر فقد نقر في الناقور ، وفار التنور ، وأتى النذير بين يدي عذاب شديد ، فمن شاء فلينظر ، ومن شاء فليتدبر ، « وما على الرسول إلا البلاغ المبين »[2] .

وكتابنا هذا من فسطاط مصر ، وقد جئناها على قدر مقدور ، ووقت مذكور ، فلا نرفع قدماً ولانضع قدماً إلا بعلم موضوع ، وحكم مجموع وأجل معلوم ، وأمر قد سبق ، وقضاء قد تحقق .

فلما دخلنا وقد قدر المرجفون من أهلها أن الرجفة تنالهم ، والصعقة تحل بهم ، تبادروا وتعادوا شاردين ، وجلوا عن الأهل والحريم والأولاد والرسوم ، وإنا « نار الله الموقدة . التي تطلع على الأفئدة »[3] ، فلم أكشف لهم خبراً ، ولاقصصت لهم أثراً ، ولكني أمرت بالنداء وأذنت بالأمان ، لكل باد وحاضر ، ومنافق ومشاقق ، وعاص ومارق ، ومعاند ومسابق ، ومن أظهر صفحته وأبدى لي سوءته ، فاجتمع الموافق والمخالف والمباين والمنافق ، فقابلت الولي بالإحسان ، والمسيء بالغفران ، حتى رجع

---

(١) المجادلة ٧ .

(٢) النور ٥٤ .

(٣) الهمزة ٦ - ٧ .

الباد والشارد ، وتساوى الفريقان ، واتفق الجمان ، وانبسط القطوب وزال الشحوب ، جرياً على العادة بالإحسان ، والصفح والامتنان ، والرأفة والغفران ، فتكاثرت الخيرات ، وانتشرت البركات .

كل ذلك بقدرة ربانية ، وأمرة برهانية ، فأقمت الحدود ، بالبينة والشهود ، في العرب والعبيد ، الخاص والعام ، والبادي والحاضر بأحكام الله ـ عز وجل ـ وآدابه ، وحقه وصوابه ، فالولي آمن جذل ، والعدو خائف وجل .

فأما أنت أيها الغادر الخائن ، الناكث المباين عن هدى آبائه وأجداده ، المنسلخ عن دين أسلافه وأنداده ، والموقد لنار الفتنة ، والخارج عن الجماعة والسنة فلم أغفل أمرك ، ولاخفي عني خبرك ، ولا استتر دوني أثرك ، وإنك مني لبمنظر ومسمع ، كما قال الله جل وعز :

« إنني معكما أسمع وأرى [١] » ، « ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً [٢] » .

فعرفنا على أي رأي أصلت ، وأي طريق سلكت : أما كان لك بجدك أبي سعيد أسوة وبعمل أبي طاهر قدوة ؟ أما نظرت في كتبهم وأخبارهم ولاقرأت وصاياهم وأشعارهم ؟ أكنت غائباً عن ديارهم وما كان من آثارهم ؟ ألم تعلم أنهم كانوا « عباداً لنا أولي بأس شديد » [٣] ، وعزم سديد ، وأمر رشيد ، وفعل حميد ، تفيض إليهم موادنا ، وتنشر عليهم بركاتنا ، حتى ظهروا على الأعمال ، ودان لهم كل أمير ووال ولقبوا بالسادة فسادوا

---

(١) طه ٤٦ .
(٢) مريم ٢٨ .
(٣) الاسراء ٥ .

منحة منا واسماً من أسمائنا ، فعلت أسماؤهم ، واستعلت هممهم واشتد عزمهم فسارت إليهم وفود الآفاق ، وامتدت نحوهم الأحداق ، وخضعت لهيبتهم الأعناق ، وخيف منهم الفساد والعناد وأن يكونوا لبني العباس أضداد ، فبثت الجيوش وسار إليهم كل خميس بالرجال المنتجبة ، والعدد المهذبة ، والعساكر الموكبة ، فلم يلقهم جيش إلا كبسوه ، ولا رئيس إلا أسروه ولا عسكر إلا كسروه ، وألحاظنا ترمقهم ونصرنا يلحقهم كما قال الله جل وعز :

« إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا[1] » ، « وإن جندنا لهم الغالبون[2] » ، وإن حزبنا لهم المنصورون .

فلم يزل ذلك دأبهم ، وعين الله ترمقهم ، إلى أن اختار لهم ما اختار من نقلهم من [٣٣ - و] دار الفناء ، إلى دار البقاء ، ومن نعيم يزول إلى نعيم لا يزول ، فعاشوا محمودين ، وانتقلوا مفقودين ، إلى روح وريحان وجنات النعيم ، فطوبى لهم وحسن مآب .

ومع هذا فما من جزيرة في الأرض ولا إقليم إلا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون إلينا ، ويدلون علينا ويأخذون بيعتنا ، ويذكرون رجعتنا وينشرون علمنا ، وينذرون بأسنا ، ويبشرون بأيامنا ، بتصاريف اللغات واختلاف الألسن ، وفي كل جزيرة وإقليم رجال منهم يفقهون ، وعنهم يأخذون ، وهو قول الله عز وجل : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم[3] » ، وأنت عارف بذلك فيأيها الناكث الحانث ما الذي أرداك وصدك ؟ أشيء شككت فيه ؟ أم أمر استربت به ، أم كنت خلياً

(١) غافر ٤٠ .
(٢) الصافات ١٧٣ .
(٣) إبراهيم ٤ .

من الحكمة ، وخارجاً عن الكلمة ، فأزالك وصدك ، وعن السبيل ردك ؟ إن هي الا « فتنة لكم ومتاع الى حين » [١] .

وأيم الله لقد كان الأعلى لجدك ، والأرفع لقدرك ، والأفضل لمجدك والأوسع لوفدك ، والأنضر لودك ، والأحسن لعذرك ، الكشف عن أحوال سلفك وان خفيت عليك ، والقفو لآثارهم وان عميت لديك لتجري على سننهم ، وتدخل في زمرهم ، وتسلك في مذهبهم ، أخذاً بأمورهم في وقتهم ، وزيهم في عصرهم ، فتكون خلفاً قفا سلفاً بجد وعزم مؤتلف ، وأمر غير مختلف .

لكن غلب الران على قلبك ، والصدأ على لبك ، فأزالك عن الهدى وأزاغك عن البصيرة والضيا ، وأمالك عن مناهج الأوليا ، وكنت من بعدهم كما قال الله عز وجل :

« فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً » [٢] .

ثم لم تقنع في انتكاسك ، وترديتك في ارتكاسك ، وارتباكك وانعكاسك من خلافك الآباء ومشيك القهقرى ، والنكوص على الاعقاب والتسمي بالالقاب « بئس الاسم الفسوق بعد الايمان » [٣] ، وعصيانك مولاك ، وجحدك ولاءك ، حتى انقلبت على الادبار ، وتحملت عظيم الاوزار ، لتقيم [٤] دعوة قد درست ، ودولة قد طمست ، وانك لمن الغاوين ، وانك لفي ضلال مبين .

---

(١) الأنبياء ١١١ .
(٢) مريم ٥٩ .
(٣) الحجرات ١١ .
(٤) في حاشية الأصل : « يعني إنه يريد إقامة دولة بني العباس بكونه أخذ منهم السلاح والمال من أبي تغلب بن حمدان ، وقدم يقاتل المعز نصرة لهم » .

أم تريد أن ترد القرون السالفة ، والأشخاص الغابرة ؟ أما قرأت كتاب السفر ، ومافيه من نص وخبر ؟ فأين تذهبون إن هي إلا حياتكم الدنيا ، تموتون وتظنون أنكم لستم بمبعوثين ، « قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير » [١] .

أما علمت أن المطيع آخر ولد العباس ، وآخر المترايس في الناس ؟

أما تراهم « كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية » [٢] ؟

ختم ـ والله ـ الحساب ، وطوي الكتاب ، وعاد الأمر إلى أهله ، والزمان إلى أوله ، « وأزفت الآزفة » [٣] ، « ووقعت الواقعة » [٤] وقرعت القارعة ، وطلعت الشمس من مغربها ، والآية من وطنها ، وجيء بالملائكة والنبيين ، وخسر هنالك المبطلون ، هنالك الولاية لله الحق ، والملك لله الواحد القهار ، « لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء » [٥] ، « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » [٦] :

فقد ضل عملك ، وخاب سعيك ، وطلع نحسك ، وغاب سعدك ، حين آثرت الحياة الدنيا على الآخرة ، ومال بك الهوى ، فأزالك عن الهدى ، فـ « إن تكفروا أنتم ومن في الأرض [٧] جميعاً » « وإن الله لهو الغني الحميد » [٨] .

---

(١) التغابن ٧ .
(٢) الحاقة ٧ — ٨ .
(٣) النجم ٥٧ .
(٤) الواقعة ١ .
(٥) الروم ٤ — ٥ .
(٦) الحج ٢ .
(٧) إبراهيم ٨ .
(٨) الحج ٦٤ .

ثم لم يكفك ذلك ـ مع بلائك وطول شقائك ـ حتى جمعت أرجاسك وأنجاسك ، وحشدت أوباشك وأفلاسك ، وسرت قاصداً إلى دمشق وبها جعفر بن فلاح في فئة قليلة من كتامة (١) وزويلة ، فقتلته وقتلتهم ، ـ جرأة على الله ورداً لأمره ـ واستبحت أموالهم ، وسبيت نساءهم ، وليس بينك وبينهم ترة ولاثأر ، ولاحقد ولا إضرار ، فعل بني الأصفر (٢) والترك والخزر ، ثم سرت أمامك ولم ترجع ، وأقمت على كفرك ولم تقلع ، حتى أتيت الرملة وفيها سعادة بن حيان في زمرة قليلة وفرقة [٣٣ ـ ظ] يسيرة ، فاعتزل عنك إلى يافا ، مستكفياً شرك ، وتاركاً حربك ، فلم تزل ماكثاً على نكثك باكراً وصابحاً ، وغادياً ورائحاً تقعد لهم بكل مقعد ، وتأخذ عليهم بكل مرصد ، وتقصدهم بكل مقصد كأنهم ترك وروم وخزر ، لاينهاك عن سفك الدماء دين ، ولايردعك عهد ولا يقين ، قد استوعب من الردى حيزومك ، وانقسم على الشقاء خرطومك .

أما كان لك مذكر ، وفي بعض أفعالك مزدجر ، أو ماكان لك في كتاب الله عز وجل معتبر حيث يقول .

« ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً » (٣) ؟

فحسبك بها فعلة تلقاك يوم ورودك وحشرك حين لامناص ، ولا لك من الله خلاص ، ولم تستقيلها ، وكيف تستقيلها وأنى لك مقيلها ؟

(١) من قبائل البربر .
(٢) بنو الأصفر : الروم البيزنطيون .
(٣) النساء ٩٣ .

هيهات ، هيهات ، هلك الضالون ، وخسر هنالك المبطلون ، وقل النصير ، وزال العشير ، ومن بعد ذلك تماديك في غيك ، ومقامك في بغيك ، عداوة لله ولأوليائه ، وكفراً لهم وطغياناً ، وعمى وبهتاناً .

أتراك تحسب أنك مخلد أم لأمر الله راد ؟

أم « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم و [يأبي] الله [إلا أن] يتم نوره ولو كره الكافرون » (١) .

هيهات لاخلود لمذكور ، ولامرد لمقدور ، ولاطافيء لنور ، ولامقر لمولود ، ولاقرار لموعود ، لقد خاب مناك الأمل ، وحان لك الأجل ، فإن شئت فاستعد للتوبة بابا ، وللنقلة جلبابا ، فقد بلغ الكتاب أجله ، والوالي أمله ، وقد رفع الله قبضته عن أفواه حكمته ، ونطق من كان بالأمس صامتاً ، ونهض من كان خائفاً ، ونحن أشباح فوق الأمر والنفس ، دون العقل وأرواح في القدس ، نسبة ذاتية ، وآيات لدنية نسمع ونرى ، « ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا » (٢) ، « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » (٣) .

ونحن معرضون عليك ثلاث خصال ــ والرابعة أردى لك ، وأشقى لبالك ، وما أحسبك تحصل إلا عليها ــ فاختر :

إما قدت (٤) نفسك لجعفر بن فلاح ، وأتباعك بأنفس المستشهدين معه بدمشق والرملة من رجاله ورجال سعادة بن حيان ، ورد جميع

---

(١) التوبة ٣٢ .

(٢) الشورى ٥٢ .

(٣) الأعراف ١٩٨ .

(٤) أي جعلت من نفسك دية .

ما كان لهم من رجال وكراع ومتاع إلى آخر حبة من عقال ناقة وخطام بعير ـ وهي أسهل مايرد عليك ـ .

وإما أن تردهم أحياء في صورهم وأعيانهم وأموالهم وأحوالهم ـ ولا سبيل لك إلى ذلك ولا اقتدار ـ .

وإما سرت ومن معك بغير زمام ولا أمان فأحكم فيك وفيهم بما حكمت ، وأجريك على إحدى ثلاث : إما قصاص ، « فإمامنا بعد وإما [1] فداء » ، فعسى أن يكون تمحيصاً لذنوبك ، وإقالة لعثرتك .

وإن أبيت إلا فعل اللعين [2] : « فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين [3] » .

أخرج منها فما يكون لك أن تمكث فيها ، وقيل اخسئوا فيها ولاتكلمون ، فما أنت إلا « كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار » [4] ، فلا سماء تظلك ولا أرض تقلك ، ولا ليل يجنك ، ولانهار يكنك ، ولا [علم يسترك] ، ولافئة تنصرك ، قد تقطعت بكم الأسباب ، وأعجزكم الذهاب ، فأنتم كما قال الله عز وجل : « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا الى هؤلاء [5] » .

فلا ملجأ لكم من الله يومئذ ولامنجى منه ، وجنود الله في طلبك قافية ، لاتزال ذو أحقاد ، وثوار أهجاد ، ورجال أنجاد ، فلا تجد في السماء مصعداً ، ولا في الأرض مقعداً ، ولا في البر ولا في البحر منهجاً ،

---

(١) محمد ٤ .
(٢) أي ابليس .
(٣) الحجر ٣٤ — ٣٥ .
(٤) إبراهيم ٢٦ .
(٥) النساء ١٤٣ .

ولا في الجبال مسلكاً ، ولا إلى الهواء سلماً ، ولا الى مخلوق ملتجأ .

حينئذ يفارقك أصحابك ، ويتخلى عنك أحبابك ، ويخذلك أترابك ، فتبقى وحيداً فريداً ، وخائفاً طريداً ، وهائماً شريداً ، قد ألجمك العرق وكظك القلق ، وأسلمتك ذنوبك ، وازدراك حزبك ، « كلا لاوزر . الى ربك يومئذ المستقر (١) » ، « هذا يوم لاينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون » (٢) ، « وجوه يومئذ عليها غبرة . ترهقها قترة . أولئك هم الكفرة الفجرة » (٣) .

واعلم أنا لسنا بمهليك ولامهمليك الا ريثما يرد [١٣٤] كتابك ، ونقف على فحوى خطابك فانظر لنفسك ، ماتبقى ليومك ومعادك قبل انغلاق باب التوبة ، وحلول وقت النوبة ، حينئذ لاينفع نفساً ايمانها ، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً .

وإن كنت على ثقة من أمرك . ومهل في أمر عصرك وعمرك ، فاستقر بمركزك ، وأربع على ضلعك ، فلينالنك ما نال من كان قبلك من عاد وثمود ، « وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد » (٤)، فلنأتيكم بجنود لاقبل لكم بها ، ولنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون ، بأولي بأس شديد، وعزم سديد ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، بقلوب نقية ، وأرواح تقية ، ونفوس أبية ، يقدمهم النصر ، ويشملهم الظفر ، تمدهم « ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ماأمرهم ويفعلون ما يؤمرون (٥) » .

---

(١) القيامة ١٠ — ١١ .

(٢) المرسلات ٣٥ — ٣٦ .

(٣) عبس ٤٠ — ٤٢ .

(٤) ق ١٤ .

(٥) التحريم ٦ .

فما أنت وقومك إلا كمناخ نعم ، أو كمراح غنم ، «فإما نرينك بعض الذي نعدهم[١] » « فإنا عليهم مقتدون[٢] » ، وأنت في القفص مصفودا ، « أو نتوفينك فإلينا مرجعهم[٣] » فعندها تخسر الدنيا والآخرة ، « ذلــك هو الخسران المبين[٤] » ، « فأنذرتكم ناراً تلظى . لا يصلاها إلا الأشقى . الذي كــذب وتولى[٥] » ، «كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون[٦] » .

فليتدبر من كان ذا تدبير ، وليتفكر من كان ذا تفكر ، وليحذر يوم القيامه من الحسرة والندامة ، « أن تقول نفس ياحسرتي على ما فرطت في جنب الله[٧] » ، « وياحسرتنا على ما فرطنا[٨] » ، «وياليتنا[٩] نرد» «فنعمل غير الذي كنا نعمل[١٠] » ، هيهات غلبت عليكم شقاوتكم « وكنتم قوماً بوراً[١١] » .

والسلام على من اتبع الهدى ، وسلم من عواقب الردى ، وانتمى إلى الملأ الأعلى ، وحسبنا الله وكفى ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير .

---

(١) يونس ٤٦ .
(٢) الزخرف ٤٢ .
(٣) يونس ٤٦ .
(٤) الحج ١١ .
(٥) الليل ١٤ – ١٦ .
(٦) الاحقاف ٣٥ .
(٧) الزمر ٥٦ .
(٨) الأنعام ٣١ .
(٩) الأنعام ٢٧ .
(١٠) الاعراف ٥٣ .
(١١) الفتح ١٢ .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا النبي [الأمي] والطيبين من عترته ، وسلم تسليماً .

فأجابه الحسن الأعصم بما نصه : « من الحسن بن أحمد القرمطي الأعصم :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل إلينا كتابك الذي كثر تفصيله ، وقل تحصيله ، ونحن سائرون على إثره، والسلام ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وسار الحسن بن أحمد القرمطي بعد ذلك إلى مصر ، فنزل بعسكره ببلبيس ، وبعث إلى الصعيد بعبد الله بن عبيد الله أخي الشريف مسلم ، وانبثت سراياه في أرض مصر ، فتأهب المعز وعرض عساكره في ثالث رجب سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وأمر بتفرقة السلاح على الرجال ، ووسع عليهم في الأرزاق ، وسير معهم الأشراف والعرب .

وسير معهم المعز ابنه الأمير عبد الله ، فسار بمظلته وبين يديه الرجال والسلاح والكراع والبنود وصناديق الأموال والخلع ، وسير معه أولاده وجميع أهله ، وجمعاً من جند المصريين خلا الشريف مسلم ، فإنه أعفاه من ذلك .

وانبسطت سرية القرمطي في نواحي أسفل الأرض [1] ، فأنفذ المعز عبده ريان الصقلبي في أربعة آلاف ، فأزال القرامطة عن المحلة ونواحيها وقتل وأسر .

ولثمان خلون منه قدمت سرية القرامطة إلى الخندق ، فبرز إليها المغاربة فهزموهم ، ثم كروا على المغاربة فقتلوا منهم جماعة وأسروا ، وفر إليهم علي بن محمد الخازن فالتحق بالقرامطة .

---

(١) أي الوجه البحري .

وورد الخبر بأن عبد الله بن عبيد الله أخا مسلم أوغل في الصعيد ، وقتل ، واستخرج الأموال ، واسرف في قتل المناربة وأسرهم ، ثم كر راجعاً إلى خميم .

ولست عشرة خلت منه جمع المعز أولاد الإخشيدية وغيرهم من الجند واعتقلهم .

وفي سلخة طيف بتسمة من القرامطة على الأبل بالبرانس ومعهم ثلاثة رؤوس ؛

وفيه سار عسكر المعز مع ابنه عبد الله فنزل جب عميرة ، ونزل عسكر القرمطي نصفين : نصف مع النعمان أخي الحسن بن أحمد الأعصم مواجهة لعبد الله بن المعز ، ونصف مع الحسن بسطح الجب .

فبعث عبد الله العساكر ، فأحاطت بالحسن بن أحمد ، وعسكر زحف إلى النعمان فقاتله فانهزم ، وقتل من أصحابه ، وواقع [٣٤ - ظ] الآخرون الحسن حتى كاد أن يؤخذ ، فإنهم أحاطوا به ، وصار في وسطهم ، فاغتنم فرجه مضى منها على وجهه ، ونهب سواده وأخذت قبته [1] ، وأسر رجاله ، وأخذ

---

(١) ورد في ورقة منفصلة بين الصفحتين في الاصل شرح للقبة هذا نصه : « في ورقة ملصوقة بهذا المحل بخطه ما مقاله » :

«كان من مخاريق القرامطة القبة، وهي أن أبا طاهر بن أبي سعيد الجنابي كانت عادته في الحروب أن يفرد طائفة من عسكره - فرسانا ورجالة - عن القتال ، يقفون معه لايقاتل ولا يقاتلون ، فاذا كل المقاتلة عن القتال حمل هو بنفسه في الطائفة المستريحة التي لم تحضر القتال ، فقاتل وقد كلوا منهزمين عنه ، فلما مات ضعفت هيبة القرامطة بعده عن رجالهم وترتيب وقوفهم - كما ذكرنا - ، فرجعوا الى المخرقة ، وأقاموا قبه كالعمارية على جمل وقالوا: « إن النصر ينزل من هذه القبة في وقت معلوم ، وأخذوا من حب الكحل ومن اللؤلؤ الكبار وجعلوه في صرة مع فحمة ومدخنة بداخل القبة ، وإذا أرادوا الحمل على عسكر من يحاربوه صعد رجل منهم الى القبة ، وقدح النار في المجمرة، وأخذ حب الكحل ، وأرى=

من عسكره وعسكر أخيه خلق كثير ، وأخذ جماعة ممن كان مع المصريين .

ووصل الكتاب مع الطائر إلى عبد الله أخى مسلم بهزيمة القرامطة - وهو بالصعيد - ، فعدى إلى جانب الشرقي لينقلب إلى الشام ، فبلغه مسير عساكر المعز فعاد إلى الجانب الغربي .

وورد كتاب الطائر إلى المعز من الأمير عبد الله ابنه بأن عبد الله أخا مسلم قد أخذ ، فأرسل المعز إلى أخيه أبي جعفر مسلم يخبره ، فخلع على البشير .

وكان في البرية سرية للمعز قد أخذوا الطريق على عبد الله أخي مسلم ، فوقع في أيديهم في الليل رجل بدوي ، فقال : « أنا عبد الله أخو مسلم » فجاء إلى الأمير عبد الله ، فكتب إلى الطائر بأخذ عبد الله ، فلما جيء بالبدوي من الغد إلى الأمير عبد الله وهو في معسكره - وكان في مجلسه عبد الله بن الشويخ - فقال للأمير عبد الله : « ماهذا عمي عبد الله » . فبطل القول . وكان خبر هذا البدوي أنه كان مع عبد الله أخى مسلم بالصعيد ،

=القواد والناس بياضه (كذا) من بعيد وهم لايعرفونه ، ثم يطرحه على النار ، فيفرقع فرقعة شديدة ، ويبعد من غير دخان ، فيظن القوم ذلك شيئاً ، ويحملون على أعدائهم ومعهم القبة ، ولا . . منها شيء ، ولا يوقد ذلك إلا عندما يقول صاحب العسكر : « قد نزل النصر » وذلك أنه يقف مع القبة قطعة من الجيش مستريحة لاتقاتل ، وهو مستخف معهم وأكثر القوم يقاتلون وهم بالقبة من وراء المقاتلة ، فمن انهزم من مقاتلتهم حل دمه وقتل ، فإذا أحس بأنهم قد كاوا أمر بعمل ماقلنا في القبة ، وحمل بها في الطائفه المستريحة فهزم من عساه يكون ، وما زالت مخرقتهم هذه يوهمون بها إلى أن كسرت هذه القبة في الرملة، ثم أخذها عبد الله بن المعز خارج القاهرة ، فقلت عند ذلك مهابة القرامطة بما ذهب من قيمتهم ، وبهذا قدروا على قتل جعفر بن فلاح ، وأنهم كانوا لايسيرون بالقبة إلا كمن يسير إلى أمر ممهد ، فيقولون : نزل النصر ، وتشد قلوبهم وتقوى ، فما سارت القبة من غير معارضة حتى يكون الظفر لهم » .

وعبر معه يريد الشام ، فأراد أن يسقي دوابه ، فقال له البدوي : « ما تأمن أن يكون على الماء طلب ، فدعني أتقدمك ، فإن لم أجد أحد جئتك ، وإن أبطأت عليك فاعلم أني أخذت » فلما وافى البدوي البئر أخذ فقال لهم : « أنا عبد الله أخو مسلم ليشغلهم عن طلبه ، فلما أبطأ البدوي على عبد الله علم أن الطلب قد أخذوه ، فكر راجعاً وعاد إلى الجانب الغربي ، وركب البحر إلى عينون[1] ، ومضى إلى الحجاز .

وكان ياروق على عسكر للمعز ، فرأى أصحابه عبد الله ، فأفلت منهم على فرس دهماء عربيه بعدما حط قبته وقطعها بسيفه ، فظفر ياروق بنوقه ، ووصل عبد الله إلى المدينة النبوية ، وجلس يتحدث في المسجد ، فقيل له : « إن الكتب قد سبقتك ، وبذل فيك مال عظيم » فنهض لوقته ، وتوجه إلى الأحساء ، فاستنهض القرامطة ، فلم يكن فيهم نهضة ، فوبخهم لما رأى من عجزهم ، وقال : « اروني ما عندكم من القوة التي تقاومون بها صاحب مصر » فأوقفوه على ماعندهم من المال والسلاح والكراع ، فاستقله وقال : « بهذا تقاومون صاحب مصر والشامات والمغرب ؟ » .

وانصرف عنهم إلى العراق ، فأتبعوه برجل يقال أنه من بني سنبر ، فسمه في لبن بموضع يقال له النصيرية - على ميلين من البصرة - فقام مائتي مجلس في ليلة ومات بموضعه ، فغسل وكفن وأدخل البصرة ، فصلي عليه ودفن بها إلى أن جاء حسن بن طاهر بن أحمد فحمله إلى المدينة .

وورد الخبر بذلك إلى المعز ، فأخبر الناس بموته وموت المطيع ، فإن ابنه سمه أيضاً ، كما سمت القرامطة عبد الله أخا مسلم .

وأما أخبار القرامطة ففي كتب المؤرخين من المشارقة المتعصبين على الدولة

---

(١) قرية يطؤها طريق المصريين إذا حجوا - معجم البلدان .

الفاطمية أن سبب انهزام الحسن بن أحمد القرمطي من عساكر المعز أن العرب لما أنكت بمسير سراياها بأرض مصر، رأى المعز أن يفل عساكر القرامطة وجموعهم بمخادعة حسان [1] بن الجراح الطائي ـ أمير العرب ببلاد الشام ـ ، وكان قدم مع القرمطي في جمع عظيم قوى به عسكر القرمطي، فبعث المعز إلى ابن الجراح، وبذل له مائة ألف دينار على أن يفل عسكر القرمطي، فأجابه إلى ذلك، وأن المعز استكثر المال، فعمل دنانير من نحاس وطلاها بالذهب، وجعلها في أكياس، ووضع على رأس كل كيس منها دنانير يسيرة من الذهب ليغطي ما تحتها، وشدت الأكياس وحملت الى ثقة من ثقات ابن الجراح بعدما كانوا استوثقوا منه وعاهدوه أنه لايغدر بهم، فلما وصل إليه المال تقدم إلى كبراء أصحابه بأن يتبعوه إذا توقف العسكران وقامت الحرب، فلما اشتد القتال ولى ابن الجراح منهزما واتبعه أصحابه ـ وكان في جمع كبير ـ

فلما رآه القرمطي ـ وقد انهزم ـ تحير، فكان جهده أن قاتل بمن معه حتى تخلص، وكانوا قد أحاطوا به من كل جانب، فخشي على على نفسه وانهزم، وتبعوه ودخلوا عسكره، فظفروا منه بنحو من [٣٥ـو] ألف وخمسمائة رجل، فأخذوهم أسرى، وانتهبوا العسكر.

ولما كان لخمس بقين من شعبان أنفذ المعز أبا محمود إبراهيم بن

---

(1) ورد في حاشية الاصل تعريف به، نصه:

« بحسان بن علي بن مفرج بن دغفل بن حرام بن شبيب بن مسعود بن سعيد بن . . . بن . . . بن . . . بن علقي بن حوط بن عمرو بن خالد بن معدان بن . . . أفلت بن سلسلة ابن عمرو بن سلسلة بن غانم بن ثور بن معن بن . . . بن عنين بن سلامان بن . . . بن عمرو ابن الغوث بن طيء .

جعفر إلى الشام خلف القرمطي في عسكر يقال مبلغه عشرون ألفاً ، فظفر في طريقه بجماعة من أصحاب القرمطي ، فبعث بهم إلى مصر.

وسار الحسن بن أحمد القرمطي فنزل أذرعات[1] ، وأنفذ أبا المنجا في طائفة إلى دمشق.

وبعث المعز إلى ظالم بن موهوب العقيلي [2] لما بلغه ماوقع بينه وبين القرمطي ونزول أبي المنجا دمشق ، فسار القرمطي ودخل البرية يريد بلده وفي نيته العود.

وكان للحسن بن أحمد القرمطي هذا شعر ، فمنه في أصحاب المعز لدين الله :

زعمت رجال الغرب أني هبتها ... فدمي إذاً ما بينهم مطلول

يامصر إن لم أسق أرضك من دم ... يروى ثراك ، فلاسقاك النيل [3]

ولما كان في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ورد إسحاق وجعفر الهجريان من القرامطة فملكا الكوفة ، وخطبا لشرف الدولة ، فانزعج الناس لذلك لما في النفوس من هيبتهم وبأسهم ، وكان من الهيبة ما أن عضد الدولة بن بويه وبختيار أقطعاهم الكثير ، وكان لهم ببغداد نائب يعرف بأبي بكر بن ماهويه يتحكم تحكم الوزراء ، فقبض عليه صمصام الدولة بن عضد

---

(١) درعا الحالية في سورية .

(٢) جاء في حاشية الاصل طرة نصها :

« بخطه : فبعث عضد الدولة فناخسرو الديلمي من العراق عسكراً إلى الاحساء ، وبها يومئذ أبو يعقوب بن أبي سعيد الجنابي ، عم الحسن بن أحمد الاعصم ، ففر أبو يعقوب ، وأخذ العسكر ما كان في الاحساء ، فقدم الاعصم منهزماً من الشام فيمن بقي معه ، فانضم اليه عمه ، وسار وأوقع بالعسكر ، واستباحه قتلاً ونهباً ، فقويت نفسه ، وكاتب العرب فأتوه وبعث رسولاً إلى المعز يطلب الموادعة » .

(٣) روايات هذا الشعر متباينة بعض الشيء ، انظر الروايات السابقة .

الدولة ، فلما ورد القرامطة الكوفة كتب إليها صمصام الدولة يتلطفهما ويسألها عن سبب حركتها ، فذكرا أن قبض نائبهم هو السبب في قصدهم البلاد ، وبثا أصحابها فجبوا المال ، فأرسل صمصام الدولة العساكر ومعهم العرب ، فعبروا الفرات إليه وقاتلوه وأسروا ، فانجلت الوقائع بينهم وبين العساكر عن هزيمة القرامطة ، وقتل مقدمتهم في جماعة ، وأسر عدة ، ونهب سوادهم ، فرحل من بقي منهم من الكوفة ، وتبعتهم العساكر إلى القادسية فلم يدركوهم ، وزال من حينئذ بأسهم .

وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة جمع شخص يعرف بالأصفر من بني المنتفق جمعاً كبيراً [وكان] بينه وبين جمع من القرامطة وقعة شديدة قتل فيها مقدم القرامطة ، وانهزم أصحابه وقد قتل منهم وأسر كثير ، فسار الأصفر إلى الأحساء وقد تحصن منه القرامطة بها ، فعدى إلى القطيف وأخذ ماكان فيها من مال وعبيد ومواشي ، وسار بها إلى البصرة [1] ....



(١) يتلو هذا بياض في الاصل قدره حوالي نصف صفحة ، يبدو أن المصنف تركه ليضيف فيه معلومات أخرى .



كتاب

المقفى الكبير في تراجم أهل مصر والوافدين عليها



الحسن الأعصم القرمطي

الحسن بن أحمد بن الحسن بن بهرام ، أبو علي ، وقيل أبو محمد ، ابن أبي منصور بن أبي سعيد الجنابي [1] ، ويعرف بالأعصم [2] القرمطي وقيل فيه الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي ، واسمه الحسن بن بهرام ، ويقال الحسن بن أحمد بن الحسن بن يوسف بن كوذركار ، ولد بالاحساء في رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين .

وهذه الطائفة التي تعرف بالقرامطة قد عظم في العالم أمرها ، وشنع بين الخليقة ذكرها ، ودوخوا الممالك والأقطار وأذلوا أعزة أهل البدو وسكان الأمصار ، وسأتلو من أنبائهم جملة توقفك على كنه أحوالهم فأقول : إن ابتداء أمر هذه الطائفة كان من رجل من الشيعة ، يعرف بحسين الأهوازي ، سكن عسكر مكرم [3] ، وتحول إلى البصرة ، ثم

---

(١) وقع بالهامش الأيمن بنفس الخط : جنابي بفتح الجيم وتشديد النون وبعد الألف ياء موحدة من أسفل ، وهي بلدة صغيرة من سواحل فارس بينها وبين سيراف أربعة وخمسون فرسخاً .

(٢) وقع بالهامش الأيسر بنفس الخط: الأعصم بهمزة وعين مهملة وصاد مهملة بعدها ميم . وجاء في الهامش الايمن بنفس الخط أيضاً : الاعصم من الظباء الذي في ذراعه بياض ، وغراب أعصم في أحد جناحيه ريشة بيضاء . وقيل هو الابيض والاعسم الذي يبس رسغه أو يبس مرفقه ، يقال له رجل أعسم ـ وامرأة عسماء ـ إذا تعوج منه اليدان . كذا في الاصل والذي في اللسان مادة عسم: تعوج منه اليد والقدم، وانظر أيضاً ـ في نفس المصدر ـ مادة عصم.

(٣) قال عنه ياقوت : بلد مشهور من نواحي خوزستان اختطه العرب أيام الحجاج بن يوسف الثقفي .

صار إلى سلمية من أرض حمص فأقام بها مدة ، وخرج داعية إلى العراق فصادف بطريقه في سواد الكوفة رجلاً يعرف بحمدان بن الأشعث ، ويقال له قرمط ، من أجل أنه كان قصير القامة ، قصير الرجلين ، متقارب الخطا ، وهو ماش ومعه ثور ، فسأله الحسين عن الطريق إلى قرية يقال لها قس بهرام ، فقال له حمدان : أنا قاصدها ، فتماشيا ساعة وعرض حمدان على الحسين أن يركب ثوره ، فأبى ذلك ، وقال : لم أومر بذلك فقال له حمدان : كأنك تعمل بأمر آمر لك ؟ قال : نعم . قال : ومن يأمرك وينهاك ؟ قال : مالكي ومالكك ، ومن له الدنيا والآخرة ، فبهت حمدان أن يفكر ، ثم نظر إليه ، وقال : ياهذا مايملك ماذكرته إلا الله . قال : صدقت ، والله يهب ملكه لمن يشاء . قال حمدان : فما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ قال : دفع إلي جراب فيه علم وسر[1] من أسرار الله ، وأمرت أن اشفي هذه القرية ، واغني أهلها ، واستنقذهم وأملكهم أملاك أصحابهم ، وشرع يدعوه ، فقال له حمدان : ياهذا نشدتك الله إلا دفعت إلي من هذا العلم الذي معك ، وأنقذتني ينقذك الله ، فقال : لايجوز ذلك ، أو آخذ عليك عهداً وميثاقاً أخذه الله على النبيين والمرسلين ، وألقي إليك ماينفعك ، فما زال حمدان يضرع إليه ، حتى جلسا ، وأخذ عليه العهد ، ثم قال له : مااسمك ؟ قال له : حمدان ابن الأشعث قرمط ، وأسألك أن تسير معي إلى منزلي حتى تجلس فيه فإن لي إخواناً أصير بهم إليك لتأخذ عليهم العهد للمهدي ، فصار معه إلى منزله ، وجمع عليه حمدان الناس ، فأخذ عليهم العهد للمهدي ، واغتبط

---

(١) في الاصل سر والزيادة من اتعاظ الحنفا . ط القاهرة ١٩٦٧ وجاء هناك : رفع إلي كتاب ، وما أثبتناه هنا أقوم .

به حمدان لكثرة ماشاهده من خشوعه ، وصيام نهاره ، وقيام ليله ، وشهر أمره في أصحابه حتى كان أغبط الناس به ، من أخذه إلى منزلة وكان يخيط لهم الثياب فيتبركون بخياطته ، ويرتزق من أجرتها ، إلى أن أدرك التمر ، فوصف لأبي عبد الله محمد بن عمر بن شهاب العدوي ـ أحد وجوه الكوفة وعلمائها وفضلائها ـ أمر الحسين الأهوازي ، فنصبه لحفظ ثمره ، فأحسن القيام في حفظها ، وبالغ في أداء الأمانة ، وخرج عن الحد في كثرة (١) التشدد وذلك في سنة أربع وستين ومائتين ، فاستحكمت ثقة الناس بالحسين ، إلى أن حضرته الوفاة ، فعهد لحمدان بن الأشعث قرمط ، وأقامه مقامه ، وقفى نحبه .

وكان قد استجاب له مهرويه بن زكرويه السلماني الصواني ، وجلندي الرازي ، وعكرمة البابلي ، وإسحاق البوراني ، وعطيف النيلي في آخرين وبث دعاته في السواد يأخذون على الناس العهود ، وكان أكبر دعاته عبدان الأهوازي ختن قرمط ، فقام في الدعوة ، وبث الدعاة في أعمال السواد بالكوفة ، فدخل [٣٤٥ ظ] في دعوة قرمط بنو ضبيعة بن عجل من ربيعة ، وبنو يشكر من بكر بن وائل ، حتى لم يتخلف عنه رفاعي ولاضبعي إلا ودخل في دعوته ، ودان بها ، ولم يبق من بطون العرب المتصلة بواسط بطن إلا استجاب له ؛ فدخل في دعوته كثير من بني عابس ومن ذهل ، وعنزة ، وتيم الله ، وبني ثعل ، وهم معظم سواد الكوفة .

فقوي قرمط ، وأخذ يجمع أموالهم ، فكان أول مافرض عليهم

---

(١) في الاصل : (كثر) . وما أثبتناه أقوم .

الفطرة وهي [١] : درهم يأخذ من كل واحد من الرجال والنساء والصبيان فسارعوا إلى ذلك وحملوه إليه ، ثم فرض عليهم **الهجرة** ، وهي : دينار عن كل رأس أدرك الحنث ، وتلا قول الله تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾ [٢] ، وقال لهم : هذا تأويل هذا ، فدفعوا ذلك إليه ، وتعاونوا عليه ، حتى أن من كان منهم فقيراً أسعفوه ، ثم فرض عليهم **البلغة** ، وهي : سبعة دنانير ، وقال : هذا هو البرهان الذي أراده الله تعالى بقوله : ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ [٣] . وقال : هذا بلاغ من يريد الإيمان والدخول في السابقين ﴿ أولئك المقربون ﴾ [٤] ، فكان من أدى سبعة دنانير عن **البلغة** ، أطعمه شيئاً حلواً لذيذاً في قدر البندقة ، وقال له : هذا طعام أهل الجنة نزل إلى الإمام ، وصار يبعث إلى كل داع منها مائة بلغة ، ويطالبه بسبعمائة دينار ، عن كل واحدة سبعة دنانير ثم فرض عليهم **الخمس** من كل مايملكونه ومايكتسبونه ، وتلا عليهم قول الله تعالى : ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه ﴾ [٥] الآية ، فبادروا إلى ذلك وقوموا سائر مايملكونه من ثوب وغيره ، وأدوا منه الخمس ، حتى أن المرأة كانت تخرج من غزلها خمسه ، والرجل يخرج الخمس مما يكسبه ، ثم فرض عليهم **الألفة** ، وهي أنهم يجمعون أموالهم في موضع واحد ، وأن يكونوا فيه كلهم أسوة واحدة ، لايفضل أحد

---

(١) في الاصل : (وهم) . وما أثبتناه أقوم .

(٢) سورة التوبة ١٠٣ .

(٣) سورة البقرة ١١١ .

(٤) سورة الواقعة ١٠ .

(٥) سورة الانفال ٤١ .

من أصحابه على صاحبه ، ولا أخيه في ملك يملكه بشيء البتة ، وتلا عليهم قول الله تعالى : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾ [1] الآية . وقوله تعالى : ﴿ لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ﴾ [2] ، وقال لهم : لاحاجة بكم إلى الأموال فإن الأرض بأسرها ستكون لكم دون غيركم ، وقال لهم : هذه محنتكم التي امتحنتم بها ، ليعلم كيف تعملون ، وألزمهم بشراء السلاح في سنة ست وسبعين ومائتين .

وأقام في كل قرية رجلاً مختاراً من الثقات ، فجمع عنده أموال قريته من : غنم ، وبقر ، وحلي ، ومتاع ، وغير ذلك ، فكان يكسو عاريهم وينفق عليهم مايكفيهم ، حتى لم يبق بينهم فقير ولامحتاج ، وأخذ كل رجل منهم بالانكماش في صناعته والكسب بجهده ، ليكون له الفضل في رتبته : وجمعت إليه المرأة كسبها من مغزلها ، وأدى إليه الصبي أجرة نطارته وحراسته للطير ونحوه ، ولم يبق في ملك أحد منهم غير سيفه وسلاحه لاغير .

ثم لما استقام له ذلك كله ، أمر الدعاة أن تجمع النساء في ليلة عينها ويخلطهن بالرجال ، حتى يتراكبن ، وقال : هذا من صحة الود والالف ففعلوا ذلك . ثم إنه أفتى فيهم إباحة الأموال والفروج ، والغناء عن الصوم والصلاة وجميع الفرائض ، وقال : هذا كله موضوع عنكم ، ودماء المخالفين وأموالهم حلال لكم ، ومعرفة صاحب الحق تغنيكم عن كل شيء ، ولاتخافون معه إثماً ولاعذاباً ، وعنى بصاحب الحق الامام محمد

---

(١) سورة آل عمران ١٠٣ .
(٢) سورة الانفال ٦٣ .

ابن اسماعيل بن جعفر الصادق ، وقال : بهذا الامام اتسقت هذه الأمور ولولاه لهلك الخلق ، وعدم الهدي والعلم ، فبسطوا أيديهم بسفك الدماء وقتلوا جماعة ممن خالفهم ، فخافهم الناس ، ووافقهم كثير من مجاوريهم .

ثم إن الدعاة اتفقوا على بناء دار هجرة ، فأقاموا سوراً في قرية يقال لها مهتاباذ ، من سواد الكوفة ، وجعلوا عرضه ثمانية أذرع ، ومن ورائه [٣٤٦ - و] خندق عظيم ، وبنوا من داخل السور المباني ، وتحول إليها الرجال والنساء ، وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين ، كل ذلك والخليفة ببغداد مشغول بصاحب الزنج ، وكثرة الفتن ، فلم يبق أحد الا خافهم لقوتهم ، وتمكنهم في البلاد ، ومات عبدان .

وكان منهم رجل يقال له مهرويه ، قد عرف بالثقة والدين [١] ، فانقاد اليه خلق كثير ، وقال : أنا من ولد عبد الله بن محمد بن اسماعيل ابن جعفر الصادق [٢] . وصار يركب في قبة على جمل ، ويدعى بالسيد وكان له ابن يقال له زكرويه أحد الدعاة . ومن الناس من يسميه الحسين ابن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق .

فاتهم زكرويه بقتل عبدان ، فخاف ، ثم تحول من سواد الكوفة ، وأنفذ ابنه الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، ونزل سلمية فوجد بها بني أبي اللاحف ، وهم أبو عبد الله الحسين بن أحمد وأخواه [٣] أبو العباس أحمد ، وحسن ، فاستمالوه الى القرامطة ، وحسنوا له أن

---

(١) في الاصل : (والديون) ، وهو تصحيف ظاهر .

(٢) زاد مؤلفنا المقريزي في كتابه اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء فقيل له : لم يكن لمحمد بن اسماعيل ابن يقال له عبد الله ، فكف عن هذه الدعوى .

(٣) في الاصل : وأخويه .

يدعو الى أبيه محمد بن اسماعيل ، فأجابهم الى ذلك [١] . وكان معه من أولاده أربعة ، هم : أبو القاسم أحمد بن الحسين صاحب الجمل ، وأبو الحسن علي صاحب الخال وأبو محمد عبيد الله [٢] الذي ملك افريقية ، والقاسم الذي خرج مع أبيه الحسين بالمبير .

فخرج أبو القاسم أحمد في أول المحرم سنة تسعين ومائتين في ألف رجل ، وتوجه الى الرقة ، وقاتل عاملها شبل الديلمي وقتله وأخذ جميع ما في عسكره ، وسار إلى دمشق فخرج إليه طغج بن جف ، عاملها من قبل أبي موسى هارون بن أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، فهزمه أقبح هزيمة ، وقتل أكثر من معه ، وأخذ أموالهم ، ونجا طغج إلى دمشق ، فنزل أبو القاسم على دمشق بين داريا إلى المزة ، وحصرها سبعة أشهر حتى قدم بدر الحمامي بجيوش مصر ، فزحف إليهم وقد ركب جملاً أحمراً ، قدام عسكره ، وحوله مائة أسود بسيوف وجحف فكان إذا أشار بكمه إلى ناحية من عسكره ، حملوا على عساكر مصر وهزموهم ، إلى أن انتدب له فارس من أهل مصر طعنه برمح أرداه به عن الجمل ، ومات ، فقتل الفارس .

وقام من بعد أبي القاسم أخوه أبو الحسن علي صاحب الخال ، فمضى بمن معه عن دمشق ، فبعث إليه المكتفي بالله أبا الأغر السلمي فلقيه على حلب وهزمه ، فسير إليه محمد بن سليمان الكاتب فواقعه بناحية سلمية

(١) في هذا اضطراب ولعل الصواب : فاستالهم إلى القرمطة وحسن لهم أن يدعو إلى أبيه محمد بن اسماعيل فأجابوه الى ذلك .

(٢) كذا في الاصل ، وسبق التنبيه إلى أن الصحيح « عبد الله » ويلاحظ أن معلومات المقريزي فيها اضطراب شديد ، ومرد هذا إلى أن المقريزي جمع مواد مسودة كتابه المقفى وتوفي قبل أن يكمله أو يعيد النظر فيه .

وقتل من أصحابه ستة آلاف رجل ، وفر فقبض عليه وحمل الى بغداد على فيل في ثاني ربيع الأول سنة احدى وتسعين ، فصار يقول : ألستم يافسقة بقايا قتلة الحسين بن علي ، وضربت عنقه وعنق المـــدثر ، ابن أخيه ، واسمه عبد الله [١] بن الحسين بن محمد بن اسماعيل ، وبقية أصحابه وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة ، وقيل انه قتل هو وأخوه من أهل الشام والبوادي وأصحاب السلطان وأهل المدن ومن جند مصر ومن جند العراق نحو ستمائة ألف انسان .

ولما قتل المكتفي من ذكرنا ، غضب لذلك الحسين بن محمـد وجمـع وسار الى الكوفة وقتل جماعة ونهب ثم سار وأخذ الحاج بأسرهم ، فخرج اليهم جيش من بغداد وقاتلهم وقتلهم في ربيع الأول سنة خمس وتسعين وقتل الحسين بن محمد وابنه القاسم ، وقتل معه زكرويه وسائر دعاته . فهذه جملة أخبار القرامطة الخارجين ببلاد الشام .

وأما قرامطة البحرين ، فكان مبدأ أمرهم أن رجلاً من أهل جنابة يعرف بأبي سعيد الجنابي ، واختلف في اسمه فقيل الحسن بن بهرام ، وأنه من الفرس ، وقيل الحسن بن علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأنه كان يعمل الفراء ، ويسافر من البحرين الى سواد الكوفة ، فنكح امرأة من قوم كانوا يدينون بالقرمطة وصحب عبدان ، وقيل بل صحب قرمط وأخذ عنه ، وعاد الى القطيف فدعا الناس ، وكان أول من استجاب له بنو سنبر ، وهم : الحسين وعلي وحمدان ، ومازالت دعوته تنتشر وأمره يقوى ، حتى جمع وقاتل من خالفه

---

(١) كذا وهو عنده قبل بضعة أسطر اسمه « علي » ، ومرد هذا كما سبقت الاشارة إلى أن المقريزي جمع بسرعة دون تحري ومراجعة .

بمن أطاعه ، وهدم مدينة هجر[٣٤٦ ـ ظ] بعد محاربة أهلها عدة أشهر وبنى دار هجرة بمدينة الأحساء . وقاتل جيوش المعتضد في سنة سبع وثمانين ومائتين ، وقتل أكثرهم وأسر معظمهم . ولم يزل أمره يشتد حتى قتله غلامه في الحمام بمدينة الأحساء في سنة اثنتين وثلاثمائة ، وكانت أيامه (١) نحو ست عشرة سنة .

وقام من بعده ابنه أبو طـــاهر سليمان ، فأكثر من الغزو ، وسار إلى إلى البصرة ، وأخذها في ربيع الآخر سنة احدى عشرة وثلاثمائة ، وقتل منها خلقاً كثيراً ، ثم أوقع بالحاج في ذي الحجة منها وأخذ لهم من المال مالا يقدر قدره ، وأخذ الكوفة في ذي القعدة سنة ثني عشرة ، وقتل منها وأسر كثيراً ، ثم سار يريد بغداد في سنة خمس عشرة ، ونزل الكوفة في شوال منها ، وقاتل يوسف بن أبي الساج ، وأسره ودمر عساكره ، وسار إلى الأنبار فهم أهل بغداد بالهرب ، وكانت هناك معارك مع جيوش العراق ، وسار الى الرحبة ووضع السيف في أهلها ونهب الجزيرة ، وقاتل أهـــل الرقة ورأس العين وسنجار ، وفرض الأموال على الناس ، وعاد الى الأحساء ، ثم قدم مكة في ذي الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وردم زمزم بالقتلى ، وانتهك حرمة الكعبة ، وأخذ كسوتها وأموالها ، وقلع الحجر الأسود من موضعه ، وعاد الى بلاده ، ثم سار الى الكوفة في سنة تسع عشرة ، فأفسد وعاد .

ثم خرج في سنة ثلاث وعشرين الى الكوفة ونادى بالأمان ، وفرض على أهل خراسان وبغداد والشام ومصر الأموال العظيمة ، فكانت تحمل اليه في كل سنة اتقاء شره .

(١) في الاصل : يامه ، وهو تصحيف .

ثم سار أيضاً الى الكوفـــة سنة خمس وعشرين ، وعاد فأهلكه الله بالجدري ، بعدما تقطـع جسده ، وذلك في رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

فقام من بعد أخواه : أبو قاسم سعيد ، وأبو العباس أحمـــد ، واستقر الرأي والتدبير منوط بستة نفر ، وردوا الحجر الأسود مع سنبر بن الحسين ابن سنبر في سنة تسع وثلاثين ووضع في مكانه يوم النحر فكانت مدة غيبته اثنتين وعشرين سنة تنقص أيام .

وغلب الحسن بن أحمـد على الشام في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ، وولى على دمشق وشاحاً السلمي ، ثم رجع الى الاحساء في صفر سنه ثمان وخمسين ، وفي سنة تسع وخمسين خطب لهم بمكة ، وساروا الى دمشق في سنة ستين وثلاثمائة ، وقتلوا جعفر بن فـــلاح في ذي القعدة ، وكبيرهم يومئذ الحسن بن أحمد صاحب الترجمة ، وكان سبب حركته هـذه أن ظالم بن مرهوب العقيلي ، لما انهزم من جعفر بن فلاح عن بلاد حوران والبثنية ، لحق بالأحساء وحث القرامطة ، فإن المال الذي كان يحمل إليهم من مصر انقطع عند دخول القائـــد جوهر بعساكر المعز لدين الله إلى مصر ، فبعثوا العرفاء لجميع العرب ، وسار الحسن بن أحمد إلى الكوفة فوافاه من استجاب له من العربان ، وأنفذ إلي بغداد يطلب المال ، فجهز إليه خزانة سلاح ، وأربعمائة ألف درهم أحيل بها على أبي تغلب فضل الله بن ناصر الدولة الحسن[1] بن حمدان وهو على الرحبة ، فسار الحسن إلى الرحبة ، وحمل إليه أبو تغلب العلوفة والمال المرسوم به ، وتوجه إلى دمشق ، وقد صحبه كثير من عسكر أبي تغلب ومن انهزم من الاخشيدية ، فخرج إليه

(١) فيالاصل : الحسين ، وهو خطأ ظاهر .

أبو الفضل جعفر بن فلاح وقاتله ، فقتل جعفر ، ونزل الحسن يوم الخميس سادس ذي القعدة على المزة خارج دمشق ، وجبى من المدينة مالاً كثيراً ، وسار إلى الرملة من دمشق يوم الثلاثاء لإحدى عشرة [ليلة] خلت من ذي القعدة ، وقد استخلف عليها ظالم بن مرهوب ، واجتمع عليه عرب الشام ، وكثير من الأتباع والأجناد ، ونازل يافا وبها سعادة بن حيان وقاتله ، ثم رحـــل عنها ، وترك على حصارها أبا المنجا عبد الله بن علي بن منجا القرمطي ، وظالم بن مرهـــوب العقيلي ، ونزل خارج القاهـرة بعين شمس لعشر بقين من صفر سنة إحـــدى (٣٤٧ ـ ظ) وستين ، ومعه خمسة عشر ألف جمل وبغل تحمل صناديق الأمـوال ، وأواني الذهب والفضة ، سوى التي تحمل الخيم والمضارب والبنود ، وغير ذلـــك من الأثقال ، وقد استعد جـــوهر القائد لحربه ، فالتحم القتال في يوم الجمعة أول ربيـع الأول على باب القاهرة ، وقتل من الفريقين وأسر جمـــاعة ، وباتوا ليلة السبت وأصبحوا متكافين ، وغدوا يوم الأحد للقتال على باب الخندق فكانت وقائع شديدة قتل فيها من الفريقين عدد كبير ، وانهزم الحسن ، ونهب سواده ببركة الحاج ، وأخذت صناديقه وكتبه ، ومضى في الليل على طريق القلزم ، ونهبت بنو عقيل وبنو طيء كثيراً من سواده ، وهو مشغول بالقتال ، فسار الى الأحساء ، ثم عاد من الأحساء ونزل الرملة في سابع رمضان ، وطـــرح مراكب في البحر ، وملأها بالمقاتلة ، وأكثر من جمع العربان معه للسير الى القاهرة ، فقدم المعز لدين الله أبو تميم معد من بلاد الغرب ، ونزل بالقاهرة في رمضان سنة اثنتين وستين ، فكتب الى الحسن بن أحمد كتاباً عظيماً ، فكتب جوابه . بعد البسملة : وصل الينا كتابك الذي كثر تفصيله ، وقل تحصيله ، ونحن سائرون على اثره ، والسلام .

فلما كان شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين ، كثر انتشار القرامطة

في أعمال (١) الشام ، وكثر الإرجاف بهم في القاهرة ومصر ، وبلغت مقدمتهم أرياف مصر ، وأطراف الحلة لعشر بقين من جمادى الآخرة ، ووصلت منهم سرية الى أطراف الحوف أول يوم من رجب ، وبعث الحسن بن أحمد ، عبد الله بن عبيد الله أخا الشريف مسلم الى الصعيد ، فنزل في نواحي أسيوط وأخميم ، وجبى الأمـــوال ، وحارب أصحاب المعز ، ونزل الحسن بلبيس ، فتأهب المعز لقتاله ، وندب ابنه ولي العهد الأمير عبد الله بالعساكر ، وقد انتشر القرامطة في نواحي أسفل الأرض ، يجبون الأمـــوال ، وخرج ريان الصقلبي في أربعة آلاف الى الحلة ، فقتل وأسر كثيراً من القرامطـة ، فاشتعلت أرض مصر أعلاها وأسفلها بنار الحرب من القرامطة ، ونزل الأمير عبد الله بركة الحاج ، في سلخ رجب ، وقد نزل النعمان بن أحمد ، أخو الحسن بن أحمد تجاهه . ونزل الحسن بسطح البركة ووقع القتال بين الفريقين واشتد ، فولى حسان بن علي بن الجراح الطائي منهزماً عن الحسن بمن معه ، وكانوا جمعاً كبيراً فلم يثبت الحسن ، ومضى على وجهه ونهب سواده ، وأخذت قبته ، وأسر من عساكره خلق كثير ، فنزل أذرعات ، وتوجه منها إلى الأحساء وقد تمزقت عساكره ، فبلغ ذلك عضد الدولة فناخسره بن ركن الدولة علي بن بويه ، فطمع أن يظفر ببقية القرامطة في الأحساء ، وبها يومئذ أبو يعقوب عم الحسن بن أحمد ، فبعث اليه عسكراً كثيفاً ، ففر عن الأحساء ، فاحتوى العسكر على الأحساء وما فيها ، ووافى الحسن بن أحمد فيمن بقي معه فانضم اليه عمه ، وبقية أصحابه ، وحارب العسكر ، وكانت بينهم وقعة عظيمة قتل فيها رجال العسكر ، وأخـــذت أموالهم ، فقويت نفس الحسن بن أحمـد ، وعادت دولته ، وكتب يستدعي العرب

(١) في الاصل : وأعماد ، وهو تصحيف .

فأجابوه ، ثم بعث رسوله الى المعز يطلب موادعته ويوصيه بكاتبه أبي المنجا ، وقد قبض عليه وحمل الى القاهرة ليسجن بها ، فأفرج[1] عنه في خامس محرم سنة أربع وستين .

فلما قدم ألبتكين الشرابي الى دمشق وملكها ، وسار القائد جوهر من القاهرة الى دمشق وحصر البتكين ، وبعث الى الحسن بن أحمد يستدعيه ، فسار من الأحساء يريـــد دمشق ، فسار جوهر بعد مصالحة ألبتكين الى طبرية ، وقد قرب منه الحسن بن أحمد ، فأسرع في الرحيل ، وخرج الحسن من البرية يريد طبرية ، ففاته جوهر ، فبعث سرية تلحقه ، فواقعهم أصحاب جوهر ، وجلوا الى الرملة . فلما (٣٤٧ ـ ظ) بلغ ذلك الحسن سار من طبرية وسار ألبتكين في اثره ، حتى نزلا الرملة ، فمات الحسن بها في يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رجب سنة ست وستين وثلاثمائة .

فقام من بعده ابن عمه جعفر بن أبي سعيد الجنابي ، وقاتل جوهراً هو وألبتكين بقية السنة ، ثم فسد ما بينه وبين ألبتكين فسار الى الأحساء ، وحمل معه الحسن حتى دفنه هناك .

وكان الحسن بن أحمـد قصيراً له كرسي من خشب يصعد عليه حتى يركب ، وكان لايركب من الخيل الا أقواها ، وقال يرد على من عيره بالقصر :

زعمـــوا أنني قصير لعمري ما تكال الرجال بالقفـــزان

انمـــا المرء باللسان بالقلـــب وهـــذا قلبي وهذا لساني

---

(1) في الاصل : فأخرج ، وهو تصحيف ظاهر .

ووقع في [١] آخر يوم من أيام حياته توقيعاً [٢] بخطه لم يفهم من ضعف يده ، فاستثبت فيه ، فتنبه وقال :

رأوا خطي نحيلاً فاستـــدلوا بـه أني [٣] على جسم نحيل
وقـد قرئت سطورهم بحمدي ولكن ماأسحدم والذبول [٤]

فمات من يومه ومن شعر الحسن :

زعمـــوا أنني ضئيل لعمري ما تـــكال الرجال بالقفزان
انمـــا المرء باللسان والقلـــب وهذا قلبي وهـــذا لساني [٥]

وقال يرثي [٦] :

أعـــزز علي بقتله لشبابـــه وأبوتـــه
قـــد كنت ذا خوف عليـه لبطشـــه وجراءتـه
وجمـــاله وكمـــاله وحيائـه ومروءتـه
وعطائـــه ووفاتـه وبهائـــه ورئاسته
وحبائـــه لعداتـه وجميل وصف سياسته
حاو خصـال الخير لم يعتن قط ولم يتـــه
فاق المغـارب جـوده فعلا تعـالى همته
جاد الإله في عـــليه في الأخـــرى بسكنى جنته

---

(١) في الاصل : لي .
(٢) في الاصل : مرقما .
(٣) في الاصل : ينبي .
(٤) في الاصل : وقد قريت أسطر بحمدي : ولكن ما اسحدم والذبول . وفي حين كان بالامكان تقويم الشطر الاول من هذا البيت لم أستطع الاهتداء إلى وجه أو مصدر لتقويم الشطر الثاني .
(٥) انظر سر الفصاحة للأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي . ط القاهرة ١٩٣٢ . ص ٥٨ .
(٦) في الاصل : يرثني وهو تصحيف .

والقرمطي نسبة [1] إلى قرمط ، وهو حمدان بن الأشعث ، وإنما سمي قرمطاً ، لأنه كان قصير القامة قصير الرجلين ، وكان خطوه متقارباً فقيل له من ذلك قرمط . وقيل بل هو نسبة إلى مذهب يقال له القرمطة خارج من مذاهب الإسلام . وقيل لأن صاحب الجمل وصاحب الخال القائمين ببلاد الشام كانا من قيس من بني عبادة بن عقيل من بني عامر ثم من بني قرمطي بن جعفر بن عثمان بن المهيأ بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن جوثة بن طهفة بن حزن بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان [2] .

ولما نزل الحسن بن أحمد إلى الرملة أحضر إليه الفراشون في بعض الليالي الشموع ، فقال لأبي نصر بن كشاجم ـ وكان كاتبه ـ : يا أبا نصر ما بحضرك في صفة هذه الشموع ، فقال : إنما نحن في مجلس السيد ، لنسمع من كلامه ، ونستفيد من أدبه ، فقال الحسن بن أحمد في الحال بديهاً :

ومجدولة مثل صدر القناة ... تعرت وباطنها مكتسي
لها مقلة هي روح لها ... وتاج على هيئة البرنس
إذا غازلتها الصبا حركت ... لساناً من الذهب الأملس
وإن رنقت لنعاس عرا ... رقطت من الرأس لم تنعس
وتنتج في وقت تلقيحها ... ضياء يجلي دجى الحندس
فنحن من [3] النور في أسعد ... وتلك من النار في أنحس

---

(١) في الاصل : نسبك ، وهو تصحيف ظاهر .

(٢) واضح أن المقريزي ينقل هنا من كتاب بغية الطلب لابن العديم ، دون الاشارة اليه ، ذلك أنه نادراً مايشير الى مصادره ، وثبت لدي أن المقريزي قد تملك بعض مجلدات بغية الطلب ، واعتمده في مشروع كتابه المقفى

(٣) في الاصل : «في» وهو تصحيف .

فقام أبو نصر ، وقبل الارض وسأله أن يأذن له في إجازة الأبيات فأذن له فقال :

وليلتنا هــــذه ليـلة تشاكل أشكال إقليدس [٣٤٨ و]
فيا ربة العود حثي الغنـا ويا حامل الكاس لاتحبسي

فتقـدم بأن يخلع عليه ، وحمل إليه صلة سنية وإلى كل واحـد من الحاضرين .

وكتب الحسن بن أحمد إلي جعفر بن فلاح :

الكتب معذرة والرسل مخبرة والحق متبع والخـير موجود
والحرب ساكنة والخيل صافنة والسلم مبتذل والظـل ممـدود
فإن أنبـتم فمقبول إنابتـــكم وإن أبيتم فهذا الكور مشدود
على ظهور المطايا أو يردن بنا دمشق والباب مهدوم ومردود
إني امرؤ ليس من شأني ولاأربي طبل يرن ولا ناي ولاعـــود
ولا اعتكاف على خمر ومجمرة وذات دل لهـــا دل وتفنيـد
ولا أبيت بطين البطن من شبع ولي رفيق خميص البطن مجهود
ولاتسامت بي الدنيا إلى طمع يوماً ولاغرني فيها المواعيـــد

ومن مختار شعره :

له مقلة صحت ولكن جفونها بها مرض يسبي القلوب ويتلف
وخد كورد الروض يجنى بأعين وقد عز حتى إنه ليس يقطف
وعطفه صدغ لو يعلم عطفهـا لكان على عشاقـــه يتعطف

وقوله :

ياساكن البـلد المنيف تعززا بقلاعه وحصونه وكهوفـــه
لاعـز إلا للعـــزيز بنفسه وبخيله وبرجـله وسيوفـــه

وبقبـة بيضاء قد ضربت على　　شرف الخيام لجاره وحليفـه
قرم إذا اشتد الوغى أردى العدى　　وشفى النفوس بضربه ووقوفه

وقوله :

لم يرض بالشرف التليد لنفسه　　حتى أشاد تليده بطريف
إني وقومي في أحساب قومهم　　كمسجد الخيف في بحبوحة الخيف
ماعلق السيف منا بابن عاشرة　　إلا وهمته أمضى من السيف

وكان الحسن بن أحمد يعشق أبا الدواد المفرج بن دغفل بن الجراح فدخل عليه يوماً وفي وجهـه أثر ، فسأله عنه فقال : قبلتـني الحـى . فـأنشد :

قبلته الحـــــى ولي أتمـنى　　قبلة منه من زمان طويل
حاجـة طالما ترددت فيهـا　　قضيت للغريب قبـل الخليـل

وفيه يقول :

هـل لنا فرجـة إليك　　أيـا ابن (١) مفـرج
لامـــــني فيك (٢) معشر　　م إلى الـلوم أحوج
كيف لم يسبهـــم (٣)　　عذارك [وهو] (٤) المدرج

وفي شعره علته :

ولو أني ملكت زمام أمري　　لما قصرت عن طلب النجاح
ولكـــني ملكت فصار حالي　　كحال البدن في يوم الأضاحى
يقدن إلى الردى فيمتن كرهاً　　ولو يستطعن طرن مع الرياح

---

(١) في الاصل : يا بن ، وهو تصحيف .
(٢) في الاصل : منك ، وهو تصحيف .
(٣) في الاصل : سهم ، وهو تصحيف .
(٤) أضيف مابين الحاصرتين لتقويم الوزن .



العسجد المسبوك
فيمن
وليَ اليمن من الملوك



الفصل السادس [1]

في

ذكر القرامطة باليمن وذكر علي بن الفضل وبدو أمره [2] المقالة في أصل هذه الدعوة الملعونة ومبدئها

قال علماء السير والتواريخ : كان علي بن الفضل شيعياً ، على مذهب الإثني عشرية ، فاتفق أنه حج مكة في بعض السنين ، ثم خرج يريد العراق ، قاصداً زيارة قبر الحسين بن علي ، عليهما السلام ، فلما وصل إلى العراق ، وزار قبر الحسين عليه السلام ، بكى بكاء شديداً عنده وترحم عليه ، واستغفر له ، وأظهر من التأسف والكآبة عليه ما أطمع ميمون القداح [3] في اصطياده ، وكان ميمون القداح يخدم الضريح ، هـو وولده عبيد الله ، ولا يكاد يفارقانه ليلاً ولا نهاراً ، وولده عبيد

---

(١) من ص ٣٥-٤٣ من نسخة الجامع الكبير ومن ص ٣٦-٤٨ من نسخة مكتبة الحرم المكي .

(٢) تحسن مقارنة رواية الخزرجي مع ماذكره القاضي النعمان في رسالة افتتاح الدعوة ٣٢-٤٥ ، والحادي في كشف أسرار الباطنيه ٢١-٤٤ . ويلاحظ أن هناك فوارق بين رواية الخزرجي من جهة ورواية كل من القاضي النعمان والحادي من جهة ثانية ، فرواية الخزرجي تمثل وجهة نظر يمانية غير اسماعيلية ، بينما رواية القاضي النعمان اسماعيلية فاطمية ، ورواية الحادي نهلت من مصادر اسماعيلية صليحية يمانية ، كما أنه من الملاحظ أن القاضي النعمان مرّ بذكر علي بن الفضل مرور الكرام ، على حين أولته الروايات اليمانية عظيم الاهتمام .

(٣) هو الامام الاسماعيلي لوقته كما جاء في رسالة افتتاح الدعوة : ٣٣ - ٣٧ ، ولعله تظاهر باسم ميمون تمويها وتستراً ، مما جعل الأمر يلتبس على الرواة وسواهم ، علماً بأن بعض المصادر الاسماعيلية تجعل ميمون وأولاده من بعده حججاً أو حجاباً للأئمة ،

الله [١] هو جد العبيديين ، الذين ملكوا مصر ـ وقد تقدم ذكرهم في القسم الأول في الكتاب في الباب الرابع منه ...

فلما رأى ميمون ماظهر من علي بن الفضل من التأسف ، والبكاء ، طمع في إصطياده ، فخلا به وحادثه ، فوجده مائلاً إلى مذهبهم ، مع ماتبين له فيه من النجابة والشهامة ، وكان ميمون منجماً له معرفة بعلوم الفلك ، فرأى أنه سيكون له أمر عظيم ، وكان قد شهر له علمه ، أنه سيكون لابنه عبيد الله شأن عظيم ، يفضي به إلى الملك ، وأن عقبه يتوارثون ملكه بعده ، دهراً طويلاً ، وبعد عليه وجه اتصاله بالملك .

وكان على ماحكاه بعض العلماء يهودياً ، فركبه الاسلام ، فلم ير بدّاً من الدخول فيه ، فتظاهر بالاسلام ، فقدم مشهد الحسين ، وادعى أنه من ولده ، والعلماء من العلويين وغيرهم ينكر نسبه إلى أهل البيت ،

---

(١) مؤسس الدولة الفاطمية ، كان اسمه بعد إعلانه أول خليفة فاطمي عبد الله ، وقد لقب بالمهدي « والمهدي عند الاسماعيلية على عكس مالدى العباسيين ، اسمه مثل اسم أبي النبي صلى الله عليه وسلم » ومعروف أن اسم عبيد الله هو مصغر عبد الله ، ومن المعلوم أن في التصغير تحقير ، فالسلطات العباسية لم تكتف بالطعن في نسب المهدي بل سعت إلى تحقيره بتصغير اسمه ومؤكد أن اسم المهدي في المصادر الاسماعيلية ، وفي الكتابات التاريخية المعاصرة له ثم على الصنوج والنقود هو عبد الله ، وقد رأيت في القيروان دينارين ذهبيين من دنانير المهدي ، ضربا فيها الأول سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤م والثاني سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦م ، ونقشهما:

الامام	عبد الله
لا إله إلا الله	محمد رسول الله
وحده لاشريك	
له	
المهدي بالله	أمير المؤمنين

وقد تقدم في صدر كتابنا هـذا ، في القسم الأول ، من البـاب الرابع منه ، ذكره مستوفى ، واختلاف القائلين فيه ، والله أعلم .

وكان قد قدم عليه رجل من ولد عقيل بن أبي طالب ، يقـال له « منصور بن حسن »(١) ، وكان اثني عشري المذهب أيضاً ، وفيـه من العقل ، والفطنة ، والذكاء ، والدهاء ما لامزيد عليه ، فلما قدم علي بن الفضل ، ورأى فيه [مارأى] من النجابة ، جمعها ميمون القداح ، وباح لهما ماعنده من المذهب ، وأخبرهما أن ابنه إمام الزمان ، وأنه لابد له من دعاة ، وذلك بعد أن أخذ عليهما العهود والمواثيق .

فأجاباه إلى مايريد ، ثم قال لهما : إعلما أن الايمان يمان ، والحكمة يمانية (٢) ، وكل أمر يكون مبدأه من اليمن ـ أو من قبل اليمن ـ فهو ثابت لثبوت نجمه ، وكان منصور قد عرف من ميمون اجابات كثيرة ، وأجابه إلى ذلك ، ووافقها علي بن الفضل ، فعاهد بينهما ، وأوصى كل واحد منها بصاحبه ، ثم قال لمنصور : الله ، الله في صاحبك ، احفظـه وأحسن إليه ، وامره بحسن السيرة ، فإنه شاب ، ولا آمن عليه ، وقال لعلي بن الفضل : الله ، الله في صاحبك ، وقره ، واعرف حقـــه ،

---

(١) هو عند للقاضي النعمان : ٣٢ : « أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زادان الكوفي ، وسمي بالمنصور باليمن ، لما أتيح له من النصر ، وكان إذا قيـل له ذلك ، قال لهم : المنصور إمام من أئمة آل محمد صلى الله عليه وسلم » .

(٢) في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ـ ط. بيروت ١٩٦٧ : ١٠/٥٥ « بينما النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة إذ قال : الله أكبر إذا جاء نصر الله والفتح ، وجاء اهل اليمن ، قوم نقية قلوبهم ، حسنة طاعتهم ـ أو كلمة نحوها ـ الإيمان يمان ، والفقـــه يمان ، والحكمة يمانية » . هذا ويمكن إدراج هذا الحديث ضمن أحاديث فضائل البلدان ، وجلها موضـــوع .

ولاتخرج عن أمره ، فإنه أعرف منك بي ، فإن عصيته لم ترشد .

فسارا إلى اليمن ، وكان دخولهما اليمن عقيب قتل محمد بن يعفر[١] ، واختلاف آل يعفر ، فافترقا من[٢] غلافقه ، فقدم منصور لاعـــة[٣] عـــدن ، وبذلك أمره ميمون القداح ، وقصد علي بن الفضل شرف يافع[٤] ، وأقام كل واحد منهما في ناحيته التي هو فيها ، يظهر الزهد ، والتقشف والورع ، والصلاح ، حتى صار كل واحد منهما مسموع القول في ناحيته لما ظهر من ظاهر أمره ، ثم أمر كل واحد منهما من حوله من أهل ناحيته بجمع زكواتهم ، فاجتمع من ذلك لكل واحد منهما مال عظيم ، فقال منصور بن حسن لمن حوله : أريد موضعاً يكون بيت مال للمسلمين ، فسارعوا إلى قوله ، وبنوا له موضعاً يسمى عثر محرم ، وهو حصن كان لقوم يقال لهم بنو العرجاء (٥) ، تحت مسور[٦] ، فلما

---

(١) عند القاضي النعمان في رسالة افتتاح الدعوة : ٤٤ « فدخلا اليمن اول سنة ثمان وستين ومائتين » انظر غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ـ ط. القـــاهرة ١٩٦٨ : ١/١٦٤-١٦٥ . الأعلام للزركلي .

(٢) بلد على ساحل اليمن مقابل زبيد ، وهي مرسى زبيد ، بينها وبين زبيد خمسة عشر ميلاً، كانت ترفأ اليها سفن البحر القاصدة لزبيد ـ معجم البلدان ـ وتعرف الآن بغليفقه .

(٣) هي اليوم أطلال وخرائب ، تقع في الشمال الغربي من صنعـاء على مسافة ثلاثة ايام منها . انظر تاريخ اليمن لعمارة بن علي ـ ط ثالثة ١٩٧٩ : ٦١-٦٢ .

(٤) الشرف هو مايشرف منه على غيره. انظر صفة الجزيرة : ١١٣-١١٤ . تاريخ اليمن لعمارة بن علي : ٦٣ .

(٥) كان عند الحمادي : ٢٥ « عبر محرم ، وهو جبل تحت مسور ، وهـو موضع بني العرجاء قوم من سلاطين المغرب وهمدان » غاية الأماني : ١/٢٢٠ « عـين » ولم أجد اي منها في المصادر ، فذهبت الى أنه تصحيف لعل صوابه ما أثبت . انظر صفة الجزيرة : ٢٤٨ . معجم البلدان ـ مادة عثر ـ تاريخ المستبصر لابن المجاور : ١٨٤ . سيرة الهادي الى الحق : ٣٩٤-٣٩٨ .

(٦) انظر صفة الجزيرة . ط. بيروت : ٢٤٩ ـ معجم البلدان . تاريخ اليمن لعمارة ابن علي ٢٣٤-٢٣٥ .

حصنه ، نقل ما كان عنده من دراهم وطعام ، وجمع من رجال الحرب نحواً من خمسمائة رجل ، فعاهدهم على القيام بدعوة الامام المهدي ، الذي بشر به النبي ﷺ ، وانتقلوا إليه بأموالهم وأولادهم ، واستوطنوا الحصن .

وأنكر الناس ذلك ، فقال لهم : انما تحصنت من السلطان ، فلم يقبلوا قوله وقاتلوه ، فهزمهم هزيمة شديدة فعظم شأنه ، وشاع ذكره ، وعمل لنفسه طبولاً ورايات ، وأظهر مذهبه ودعا الى المهدي وقال : ما أخذت هذا بحالي ولا برجالي ، وانما أنا داعي المهدي ، فانهمك اليه عامة الناس ، فدخلوا في مذهبه .

ثم سمت همته الى ارتكاب جبل مسور ، فأعد له الرجال والعدد ، ثم عامل عشرين رجلاً من المرتبين في حصن مسور [١] ، فجمع جموعه ، وطلع الجبل في وقت معلوم ، ففتح له أولئك العشرون ، وقال : « ادخلوها بسلام آمنين » ، وكان طلوعه في ثلاثة آلاف رجل ، وكانت طبوله ثلاثين طبلاً ، اذا ضربت سمعت من المواضع البعيدة ، وآمن مستحفظ الحصن ، ومن معه وكان معه مال عظيم للحواليين [٢] ، فلم يعرض له ، وعمر بيت ريب [٣] ، وجعله دار الامارة ، وحصنه وحصن سائر الجبل ودربه من كل ناحية ، وجعل له بابين ، ولم تزل عساكره تغير على القبائل التي حوله ، حتى أبادهم ، وأخذ أموالهم ، وملك جميع تلك

---

(١) كان اسم حصن جبل مسور « فايز » وهو من أمنع حصون اليمن ، كشف اسرار الباطنية ٢٦ . وقد ورد اسمه عند الهمداني في الاكليل ٢/٨٢ ، صفة الجزيرة ٢٦٧ « فائس » بالسين المهملة ، ولافرق فمخرج السين والزاي فيه تقارب كبير .

(٢) أي آل يعفر انظر غاية الأماني ١/١٦٤-١٦٥ .

(٣) انظر وصفه في صفة الجزيرة ٣٤٥ معجم البلدان .

المخاليف ، وسار الى بلد بني شاور ، فافتتحها ، ثم خرج الى ناحية شبام[١] ، فحارب الحواليين ، فكسروه وقتلوا طائفة من عسكره ، ثم عامل رجلاً من مواليهم ، كان مستحفظاً على حصن الضلع ، وسار نحو الحواليين فهزمهم ، وغنم جميع ماكان لهم بشبام ، فنقله إلى مسور ثم خالف عليه ذلك المولى ، الذي عامله على الحصن ، وندم على مافعل واستدعى العساكر من صنعاء ، فكبسوه إلى شبام ، فخرج منهزماً إلى مسور ، وترك كل ماكان له هنالك ، وكتب الى ميمون القداح ، وولده عبيد الله ، يخبرهما بالفتح الذي فتح الله عليه من البلاد ، وبعث هدايا من طرف اليمن ، وذلك في سنة تسعين ومائتين ، والله أعلم .

وأما **علي بن الفضل** ، فهـو رجل من أهـل اليمن ، خنفري النسب ، من ولد خنفر بن سبأ بن صيفي بن زرعة بن سبأ الأصغر ، وكان ساقطاً في أول عمره ، مغموراً لاشهرة له[٢] ، الا أنه كان أديباً ذكياً شجاعاً ، جريئاً لسناً فصيحاً ، ورحل من اليمن الى الكوفة كما ذكرنا ، وتعلم مذهب الاسماعيلية ، ورجع الى اليمن داعية ، هو ومنصور ابن حسن ، فافترقا من غلافقة ، فطلع علي بن الفضل الى الجند[٣] ،

---

(١) أي شبام حمير . انظر كشف اسرار الباطنية ٢٧ . تاريخ اليمن لعمارة بن علي ٦٥ . حيث وصفه بقوله : منيع جداً وفيه قرى ومزارع وجامع كبير ، وهو عمل مستقل بنفسه . انظر أيضاً تاريخ المستبصر لابن المجاور ١٨٤ .

(٢) وصفه القاضي النعمان ـ رسالة افتتاح الدعوة ٣٨-٣٩ : « شاب جميل من اهل بيت تشيع ونعمة ويسار » . هذا وهناك خلاف حول اصله ونسبه ; انظر الحمادي ٢١ ، مع رسالة افتتاح الدعوة ، وتاريخ اليمن لعمارة بن علي ٥٨-٦٥ .

(٣) كانت احدى مدن اليمن الكبرى ، وفيها اسس الصحابي معاذ بن جبل اول مسجد اسلامي في اليمن . انظر صفة الجزيرة ١٤٤ . تاريخ ابن المجاور ١٦١ . تاريخ اليمن لعمارة ٥٠ .

ثم خرج منها الى أبين ، ثم خرج الى يافع ، فوجدهم رعاعاً ، فجعل يتعبد في بطون الأودية ، ويأتونه بالطعام ، فلا يأكل منه شيئاً ، وان أكل منه أكل شيئاً يسيراً ، وكان قد أقام في رأس جبل متخلياً بزعمه للعبادة ، وكان يريهم أنه يصوم النهار ، ويقوم الليل فأحبوه وافتتنوا به ، وجعلوا أمرهم بيده ، وسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ويسكن معهم ، فقال : لا أفعل ذلك ، الا أن تأتمروا بالمعروف ، وتنتهوا عن المنكر ، وتتوبوا الى الله من سائر المعاصي ، وتقبلوا على طاعة الله ، فأجابوه الى ذلك ، فأخذ عليهم العهود والمواثيق ، بالسمع والطاعة له ثم أمرهم بعمارة حصن في ناحية الشرف ، ففعلوا فأنهبهم أطراف البلاد ، وأراهم أن ذلك جهاد في سبيل الله للعاصين ، حتى يدخلوا في دين الله طوعاً وكرهاً ، وكان يومئذ في لحج وأبين رجل يعرف بابن أبي العلاء ، من الأصابح ، مالكاً لها ، فقصده ابن الفضل بمن معه من يافع وغيرهم ، فهزمه ابن أبي العلاء ، وقتل من أصحابه خلقاً كثيراً ، وانهزم علي بن الفضل الى صهيب[1] ، واجتمع أصحابه المنهزمون جميعاً ، فقال لهم : انني أرى رأياً صائباً ، فقالوا : وماهو ؟ قال : اعلموا أن القوم قد أمنوا منا ، وأري أنا نهجم عليهم . فإنا نظفر بهم ، فوافقوه الى مايريد ، فلم يشعر ابن أبي العلاء ألا وهو معه بخنفر على حين غفلة ، وافتراق من أصحابه ، فقتل ابن أبي العلاء ، وطائفه كثيرة من أصحابه واستباح ماكان لهم ، ووجد في الخزانة التي لابن أبي العلاء ، سبعين بدرة ، البدرة عشرة آلاف درهم ، الجلة سبعمائة ألف درهم ، وعاد الى بلد يافع ، فعظم شأنه ، وشاع ذكره[2] .

---

(١) انظر صفة الجزيرة ٧٩ .

(٢) انظر الحمادي ٢٨-٢٩ .

ثم قصد المذيخرة[1] في سنة احدى وتسعين ومائتين ، وبها جعفر ابن محمد المناخي ، وهو الذي ينسب اليه مخلاف جعفر ، وكان قد كتب اليه : بلغني ما أنت عليه من ظلم المسلمين ، وأخذ أموالهم ، وانما قمت لإقامة الحق ، واماتة الباطل ، فادفع لأهل دلال [2] دية ماقطعت من أموالهم ، وكان جعفر قد قطع منهم على حجر في المذيخرة ثلاثمائة يد ، ولم يزل أثر الدم على تلك الحجر زماناً طويلاً .

ثم ان علي بن الفضل جمع جموعه ، وسار نحو المسافر [3] ، وهي مابين ذبحان وجبأ [4] ، وجمع المناخي جموعه ، وسار نحوه ، فالتزم هو وأصحابه نقيل البردان [5] ، وقاتلوه هنالك ، فانهزم علي بن الفضل وأصحابه : وعادوا الى بلد يافع ، وكانت الوقعة يوم الخميس لثمان خلون من شهر رمضان من السنة المذكورة ، ثم قصدوا بجموعهم مرة أخرى المذيخرة يوم الأربعاء ، لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فأخذها وأخذ حصن التَمْكَر ، وانهزم جعفر بن ابراهيم المناخي إلى تهامة ، فيقال إنه بلغ القريب من وادي زبيد ، فأمده صاحب زبيد بجيشٍ كثيف .

فخرج جعفر بن ابراهيم يريد المذيخرة ، فلقيه علي بن الفضل في جموعه ، فكان بينهما وقعة مشهورة بوادي نخلة ، وفيها قتل جعفر بن إبراهيم

---

(١) انظر صفة الجزيرة ١٠٢–١٠٣ . الحمادي ٢٩ . تاريخ اليمن لعمارة ٦٤ . تاريخ المستبصر لابن المجاور ١٨٣–١٨٤ .

(٢) انظر صفة الجزيرة ١٣٣ . الحمادي ٢٩ .

(٣) انظر صفة الجزيرة ٢٠٧ . تاريخ اليمن لعمارة بن علي ٥٠ .

(٤) انظر صفة الجزيرة ٢٠٧–٢١٠ .

(٥) انظر صفة الجزيرة ١٠٢–١٠٤ ، ١١٩ .

بأكمة جوالة[١] ، هو وابن عمه أبو الفتوح ، وكانت الوقعة يوم الجمعة آخر جمعة من رجب من السنة المذكورة ، ودخلت رؤوسهم المذيخرة ، يوم السبت أول يوم من شعبان ، فقويت شوكة القرامطة ، واستولى علي بن الفضل على بلاد المناخي ، وجعلها مستقر ملكه ، وكانت دولة جعفر بن إبراهيم المناخي من سنة تسع وأربعين إلى سنة اثنتين وتسعين ، ثلاث وأربعون سنة[٢] ،

ثم سار علي بن الفضل إلى بلد يحصب[٣] ، فدخل منكث[٤] فأخربها فلما صار بذمار وجد جيشاً عظيماً بهران[٥] من أصحاب الحوالي ، فكتب إلى والي هران يستميله ، فأجابه ، ودخل في ملته ، ثم قصد صنعاء ، فهرب منه أسعد بن أبي يعفر ، فلما صار علي بن الفضل في صنعاء ، أظهر مذهبه الخبيث ، ودينه المشؤوم ، وارتكبت محظورات الشرع ، وادعى النبوة ، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه : أشهد أن علي بن الفضل رسول الله ، وأباح لأصحابه شرب الخمر ، ونكاح البنات والأخوات ، وسائر المحرمات ، وأنشد :

خذي الدف ياهذي والعبي وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعه وهاتا شريعة هذا النبي

---

(١) انظر صفة الجزيرة ١٣١ حيث اورد الهمداني أن جوالة من حصون المنطقة .
(٢) انظر الحادي ٢٩-٣٠ .
(٣) انظر معجم البلدان ـ مادة يحصب .
(٤) انظر صفة الجزيرة ٧٩ . معجم البلدان .
(٥) من حصون ذمار : صفة الجزيرة ١٤٩ . معجم البلدان .

فقد حط عنا فروض الصلاة وحـــط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضي وإن صومـوا فكلي واشربي [١]
ولاتمنعـــي نفسك المرسين من الأقـــربين أو الأجنـــبي
فـــلم ذا حللت لهذا الغريب وصـــرت محـــرمة لـلأب
أليس الغراس لمـــن ربـه وسقـــاه في الزمن المجـــدب
وما الخمـــر إلا كمـــاء السما حـلال فقدست من مذهب [٢]

* * *

وصلى إلهـــي على أحمـــد وأخزى الفويسق من يعـــرب
وحرم عليـه جنـان النعـــيم فقـــد باح بالكفر لم يرقب [٣]

ولمـا علم منصور بن الحسن ، بدخول علي بن الفضل صنعاء ، سره ذلك ، وتجهز بالمسير إليه ، والتقيا ، أقاما أياماً ، وابن الفضل يوجـه منصوراً ، ويقول : إنما أنا سيف من سيوفك ، وكان منصور بن حسن يهاب علي بن الفضل ، ويخافه لمـا يرى من شهامته وصرامته .

ثم عزم علي بن الفضل على نزول تهامة ، فنهاه صاحبه منصـور ، وقال له : الصواب أن تتأني وتقف بصنعاء ، وأنا بشبام سنة حتـى نصلح جميع ما استفتحناه ، فلم يقبل منه ، فجمع ثلاثين ألفاً مابـــين فارس وراجل ، وسار على الطريق اللحب [٤] ، فلما توسط مضائق البلاد ، ثاروا عليـه ، ولزموا الطريـق ، فلم يقدر على التخلص ، فلما عـــلم منصور بن حسن ، جمع جموعـــه ، وسار نحوه ، فاستنفذه وعاد إلى

---

(١) زاد الحمادي بعد هذا البيت ، البيت التالي :
ولا تطلبي السعي عند الصفا ولا زورة القـــبر في يثرب
(٢) انظر الحمادي ٣١ . وما صنعه علي بن الفضل يمكن اعتباره اعلان للقيامة وهو أمر عرفته العقيدة الاسماعيلية ، انظر الدعوة الاسماعيلية الجديدة ٨٧ - ٨٩ .
(٣) لاندري ناظم هذين البيتين أهو الخزرجي ام احد النساخ ؟
(٤) اللحب الطريق الواضح ـ القاموس .

صنعاء ، ورتب بها ، وسار إلي حراز [١] ، وملحان [٢] ، ونزل المهجم [٣] فقتل صاحبها ، ثم سار إلى الكدراء ، فأخذها ، وسار إلى زبيد ، فهرب صاحبها اسحق بن إبراهيم بن محمد بن زياد ، فهجم على من فيها ، فقتلهم واستباحهم ، وسبى من زبيد أربعة آلاف عذراء ، ثم خرج منها ، فلما صار في موضع يسمى المشاحيط ، جمع جنده ، وقال : إن هؤلاء النسوان يشغلنكم عن الجهاد ، ونساء الحصيب فتنة ، فاذبحوا مافي أيديكم منهن ، وتجردوا للجهاد ، فذبحوا أربعة آلاف عذراء في ساعة واحدة ، فسمي الموضع المشاحيط [٤] ، ثم رجع إلى المذيخرة ، وقد جعلها دار مملكته ، وأمر بقطع الحج .

ثم إن أهل صنعاء استدعوا الإمام الهادي [٥] ، وكان مقيماً بصعدة فسار إليهم ووجه ابنه أبا القاسم ، المرتضى محمد بن الامام الهادي إلى ذمار ومخاليفها ، فاستعمل العمال ، ثم تعاظم أمر القرامطة ، وقصدوا أبا القاسم المرتضي إلى ذمار ، فخرج من ذمار إلى أبيه ، وكان بصنعاء وذلك في سنة أربع وتسعين ومائتين .

ثم إن موالي بني يعفر : الحسن بن كيالة ، وابن جراح جمعوا جموعهم لحرب الامام الهادي ، فندب أهل صنعاء لحربهم ، فتخاذلوا عنه ، فخرج من صنعاء إلى صعدة ، فدخل أسعد بن يعفر صنعاء ،

---

(١) مخلاف قرب زبيد ـ معجم البلدان .

(٢) انظر صفة الجزيرة ١٤٤-١٤٥ ـ معجم البلدان .

(٣) انظر صفة الجزيرة ٢٠٨-٢٠٩ ـ معجم البلدان .

(٤) انظر الحادي ٣٢-٣٣ حيث ذكر بأن المكان كان اسمه قبل المذبحة : اللاحيط ثم تحول بعدها الى الشاحيط .

(٥) لقد سبق لي ان نشرت سيرة الهادي الى الحق ـ بيروت ١٩٧٢ : ٢٢٥ .

فملكها [1] .

ثم ان ذا الطوق [2] اليافعي ، أحد قواد علي بن الفضل ، قصد ابن الروية المذحجي الى ذمار ، فهرب منه الى رداع [3] ، وجمع عشيرته فقصده ذو الطوق الى رداع ، فقتله ثم سار ذو الطوق نحو صنعاء ، فلقيه أسعد بن أبي يعفر في جمع من أصحابه وغيرهم فقاتله ذو الطوق فهزمه ، وقتل من أصحابه نحواً من ثلاثمائة رجل ، ومن سائر جمعه عدة ودخل ذو الطوق صنعاء فملكها .

واستدعى أهل صنعاء الامام الهادي أيضاً ، فنهض نحوهم ، وبعث مقدمة من عسكره عليها علي بن أبي جعفر العلوي ، والدعام بن ابراهيم وسار بعدهم ولده المرتضى في جيش آخر ، فخرجت القرامطة من صنعاء ، ودخلها المرتضى محمد بن الامام الهادي ، فأقام فيها زماناً ، حتى جاءته القرامطة ، بما لاقبل له به ، فخرج من صنعاء ، وخرج معه جيش عظيم ، فلقيهم الهادي بورور [4] ، وقد انتشر ذكر القرامطة في البلاد ، فعادوا جميعاً الى صعدة ، ولم يلبث الامام الهادي أن توفي ، وكانت وفاته في سنة ثمان وتسعين ومائتين [5] .

ولما انتشرت القرامطة باليمن [6] ، وعظم أمرهم ، جمع آل يعفر

---

(١) انظر سيرة الهادي ٣٩٠ . غاية الأماني ١٩٨/١ .

(٢) مما يثير الانتباه ان احد المقربين من صاحب الخال ، إمام قرامطة الشام عرف باسم المطوق .

(٣) انظر صفة الجزيرة ٨٠ - ٨١ .

(٤) انظر صفة الجزيرة ٢٤١ .

(٥) انظر سيرة الهادي ٣٩٤ - ٣٩٧ .

(٦) في نسخة الحرم : البلاد .

مواليهم ، ومن قدروا عليه ، وقصدوا القرامطة الى صنعاء ، فقتلوا بعضهم وهرب الباقون ، ودخل أسعد بن أبي يعفر صنعاء ، وملكها .

ثم قصد علي بن الفضل صنعاء ، سنة تسع وتسعين ومائتين ، فدخلها يوم الخميس لثلاث مضين من رمضان المعظم ، من السنة المذكورة ، وخرج أسعد منها هارباً ، فرتب عليها ابن الفضل من يحفظها .

ولما رأي علي بن الفضل أنه قد استحكم له أمر اليمن ، خلع طاعة عبيد الله المهدي ، ثم كاتب صاحبه منصور بن حسن بذلك ، فعاد جوابه يعاتبه ، ويقول : كيف تخلع من لم تنل خيراً الا به ، وببركة الدعاء اليه ، أما تذكر مابينك وبينه من العهود والمواثيق ، وما أخذ علينا جميعاً من الوصية بالاتفاق ، وعدم الافتراق ، فلم يلتفت اليه فكتب اليه علي بن الفضل كتاباً ، يقول فيه : ان لي بأبي سعيد الجنابي [1] أسوة ، وقد دعا الي نفسه ، وأنت ان لم تدخل في طاعتي نابذتك بالحرب .

فلما ورد كتابه على منصور بذلك غلب على ظنه صحته ، فطلع جبل مسور ، وحصنه من كل ناحية ، وقال : انما أحصن هذا الجبل من أجل هذا الطاغية وأمثاله ، ولقد عرفت الشر في وجهه يوم اجتمعنا بصنعاء ، ثم ان علي بن الفضل سار لحرب منصور بن حسن ، وانتدب لقتاله عشرة آلاف رجل من المعروفين بالشجاعة والاقدام في عسكره ، وحصره ثمانية أشهر ، فلم يظفر منه بطائل ، وشق به الوقوف ، فراسله منصور بالصلح ، فقال لا أفعل الا أن يرسل لي بعض ولده ، يقف مني

---

(١) مؤسس دولة قرامطة البحرين تقدم ذكره . انظر تاريخ أخبار القرامطة ١٥-١٧ .
كشف أسرار الباطنية ٢٠ . تاريخ العرب والاسلام ٣٠٦ .

على الطاعة ، ويشيع عند العالم أني إنما تركته تفضلاً لاعجزاً ، فأرسل منصور بعض أولاده ، فطوقه علي بن الفضل طوقاً من ذهب ، وسار به معه إلى صنعاء ، فأقام بها أياماً .

وكان أسعد بن أبي يعفر ، ومولاهم الحسن بن كيالة بذمار ، فلما توجه علي بن الفضل نحو المذيخرة ، وثب أسعد بن أبي يعفر على الحسن ابن كيالة ، فقتله ، فاصطلح هو وعلي بن الفضل ، فولاه صنعاء ، وخطب له ، ولبس البياض [1] ، وقطع ذكر بني العباس ، وتراجع أهل صنعاء ، وأمن الناس .

وكان أسعد بن أبي يعفر حذراً من غدره ، ولا يكاد يستقر بصنعاء خوفاً من غارة تهجم عليه ، وكان عنوان كتابه ، إذا كتب : من باسط الأرض وداحيها ، ومزلزل الجبال ومرسيها ، علي بن الفضل ، إلى عبده فلان - وكفى بهذا دليلاً على كفره .

وفي مدة نيابة أسعد بن أبي يعفر ، لعلي بن الفضل ، قدم رجل غريب من أهل بغداد ، يذكر أنه شريف ، فصحبه أسعد بن أبي يعفر واختص عنده مدة ، وكان جرائحياً ماهراً في عمل الأدوية ، بصيراً بفتح العروق ، ومداواة الجرحى ، فلما رأى شدة خوف أسعد من علي بن الفضل ، قال له : قد عزمت على أن أهب نفسي لله وللمسلمين ، وأريح الناس من هذا الرجل الطاغي ، فقال له أسعد : لئن فعلت ، ثم عدت إلي لأقاسمنك فيما أنا فيه من الملك ، فأخذ منه عهداً وميثاقاً ، وخرج من صنعاء يريد المذيخرة ، فلما قدمها خالط وجوه الدولة وكبراءها وسقاهم الأدوية النافعة ، وفصد من احتاج إلى الفصد ، وانتفع به أناس

---

(١) شعار الشيعة من كل الطوائف والبياض ضد السواد شعار الدولة العباسية .

كثير ، فرفع ذكره إلى علي بن الفضل ، وأثني عليه في حضرته ، وقيل له : إنه لايصلح إلا لمثلك .

فلما كان ذات يوم أحب الفصاد ، فطلبه ، فلما حضر بين يديه ، جرده من ثيابه ، وغسل المبضع وهو ينظر ، وكان قد دهن أطراف شعر لحيته بسم قاتل ، فلما دنا منه ليفصده ، وقعد بين يديه ، مص المبضع تنزيهاً لنفسه ، ثم مسحه بأطراف شعره ، كالمجفف له ، فعلق فيه ماعلق من السم ، ثم فصد الأكحل وربطه ، وخرج من فوره هارباً من المذيخرة ، متوجهاً إلى أسعد بن يعفر ، فلما كان بعد ساعة ، أحس علي بن الفضل بالموت ، فطلب الحكيم الغريب ، فلم يجد له خبراً ، فأيقن بالموت ، فأمر أن يلحق حيث كان ، فخرج العسكر في طلبه في كل وجه ، فأدركه بعضهم في وادي السحول عند المسجد المعروف بقينان[1] فأرادوا لزمه ، فامتنع وقاتل عن نفسه ، حتى قتل في ذلك الموضع ، وقبره في ذلك الموضع ، وتوفي علي بن الفضل عقيب ذلك ، وكانت وفاته ليلة الخميس النصف من ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثمائة ، ، وكانت مدة محنته ، وملكه سبع عشرة سنة [2] ـ فلا رحم الله مثواه ، ولابل بشيء من الرحمة ثراه .

ولما علم أسعد بن أبي يعفر بوفاته ، فرح فرحاً شديداً ، وخرج يريد المذيخرة ، وكتب إلى أهل الجند ، والمعافر ، فالتف العسكر إليه وكان لعلي بن الفضل ولد قد انضم إليه أهل مذهبه وتحصنوا بالمذيخرة

(١) انظر صفة الجزيرة ١٠١ ـ ١٠٤ . الاكليل ٢/٢٣٤-٢٤٤ . تاريخ اليمن لعمارة بن علي ٨٨ .

(٢) انظر الحمادي ٣٦ ـ ٣٧ .

فأحاطت بهم العساكر مع أسعد بن أبي يعفر ، فنصب لهم المنجنيقات ، ولم يزل مصابراً لهم مدة سنة كاملة ، حتى أخربها المنجنيق ، ودخلها قهراً بالسيف ، وقتل ولد علي بن الفضل ، وسبا بناته ، وكن ثلاثـــاً ، فرقهن في رؤساء العرب ، ووهب واحدة منهن لابن أخيه ، قحطان بن عبد الله بن أبي يعفر ، فولدت له عبد الله بن قحطان ، وكان اسمها معاذة ، وانقطعت دولة القرامطـة من مخلاف جعفر ، ولم تزل المذيخرة خراباً إلى يومنا (١) هذا ، فهذه أخبار علي بن الفضل بأسرها .

واستولى الأمـير أسعد بن أبي يعفر على البلاد في رجب سنة أربع وثلاثمائة ، وفي أيام أسعد بن أبي يعفر المذكور ، قدم اليمن الوزير عـلي ابن عيسى بن الجراح من العراق ، فأقام بصنعاء على أوفى كرامة ، وقـــدم له مالاً كثيراً ، ورجع الوزير إلى بغداد ، وهو من الشاكرين لأسعد بن أبي يعفر الحوالي المذكور ، فعمل في رفع الخراج عن اليمن فجزاه الله خيراً ، وكانت وفاته في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائـــة (٢) .

وولي البلاد بعده أبو يعفر سبعة أشهر ، ثم ولي البلاد عبد الله بن قحطان بن عبد الله بن أبي يعفر ، وهو الذي أمه معاذة بنت علي بن الفضل ، وكانت وفاتـــه في الثامن عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة (٣) ، وكانت له وقعات مشهورة منها : أن أبا يعقوب المحابي ، وازر الحسين بن سلامة على قتال بني الحوالي ، فالتقوا للحرب

(١) في نسخة الجامع الكبير : عصرنا .

(٢) في غاية الأماني ٢١٩/١ ، كانت وفاته سنة ٣٣١ هـ .

(٣) في غاية الأماني ٢٢٧/١ ، كانت وفاته سنة ٣٨٧ هـ .

في اليوم السادس عشر من شوال سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، نحواً من ألفي رجل ، وكانت الدائرة على أبي يعقوب الحابي ، وهو من جهة الحسين بن سلامة [١] ، والله أعلم .

وأما منصور بن حسن ، فكان رجلاً عاقلاً لبيباً كاملاً ، وكان موادعاً يحب الباقاة ، ولم يبرح في جهة لاعة إلى أن توفي سنة اثنتين وثلاثمائة ولما حضرته الوفاة أوصي إلى ابنه الحسن بن منصور ، وإلى رجل من أصحابه ، يقال له عبد الله الشاوري ، وكان خصيصاً به ، فأمرهما بالمحافظة على مذهبه ، وأن لايقطعا أمراً دون عبيد الله المهدي ، وأمرهما بمكاتبة المهدي ، فإذا ورد أمره [٢] بولاية أحدهما ، سمع الآخر وأطاع ، فكتب الشاوري إلي المهدي برسالة وهدية ، وعرفه بموت منصور ، وكان منصور ابن حسن ، قد أرسل الشاوري إلى المهدي ، قدم عليه ، وهو في المهدية ، فدفع اليه الكتاب ، فلما قرأه ، أقر الشاوري بالاستقلال ، وبعث إليه تسع رايات ، وعاد الحسن بن منصور خائباً .

فلما وصلت كتب المهدي بولاية الشاوري ، وعزل أولاد المنصور ، ووصل الحسن بن منصور خائباً ، عمل على قتل الشاوري ، فنهاه أخوته فلم ينته ، فكان أولاد المنصور يواصلون الشاوري ، وهو يكرمهم ويبجلهم ولايحجب منهم أحداً ، ثم إن الحسن بن منصور دخل يوماً على الشاوري في بعض الغفلات ، فلم يجد عنده أحداً فقتله واستولى على البلاد ، فلما استوثق له الأمر جمع الرعايا من أقاصي البلاد ودانيها ، وأشهدهم على نفسه ، أنه قد خرج من مذهب القرامطة ، إلى مذهب أهل السنة ،

---

(١) في هذا خلاف ، انظر تاريخ اليمن لعمارة ٦٨-٧٣ . تاريخ ثغر عدن ٢/٥٩-٦٣

(٢) في نسخة الجامع الكبير : كتابه .

فأحبه الناس ، ودانوا له ، فدخل عليه أخ له ، يسمى جعفر فنهاه عما فعل ، وقبحه عليه ، فلم يلتفت اليه ، وقتل القرامطة الذين حوله ، وشردهم في كل وجه .

ثم إنه خرج يوماً من مسور إلى عثر محرم ، وفيها رجل من قبله يقال له ابن أبي العرجاء ، واستخلف على مسور إبراهيم بن عبد الحميد السباعي ، وهو جد بني المنتاب ، فلما دخل عليه حسن بن منصور عثر محرم ، وثب عليه نائبه ابن أبي العرجاء ، فقتله واستولى على ماتحت يده وبلغ الخبر إلى ابراهيم بن عبد الحميد ، فلزم مسوراً ، وادعى الأمر لنفسه ، وخرج أولاد منصور بن حسن وحريمهم الى جبل ذي عسب فوثب عليهم المسلمون وقتلوهم ، ولم يبقوا منهم وسبوا حريمهم ، ثم اتفق ابن أبي العرجاء ، وإبراهيم بن عبد الحميد ، فاقتسما البلاد نصفين ، ورجع إبراهيم إلى مذهب أهل السنة [1] ، وخطب للخليفة العباسي ، وكاتب الأمير ابراهيم بن زياد صاحب زبيد ، ودخل في طاعته ، وسأله أن يرسل إليه رجلاً [2] من قبله ، فبعث ابن زياد برجل يعرف بالسراج ، وقال له ابن زياد : إذا أمكنتك الفرصة من إبراهيم فثب عليه ، فتلقاه ابراهيم وأنصفه وأكرمه ، فعامل عليه السراج من يقتله ، فبلغ العلم إلى ابراهيم بن عبد الحميد فقبض على السراج ، وحلق رأسه ولحيته ، ونفاه [3] .

وقطع مواصلة ابن زياد ، وتتبع القرامطة بالقتل والسبي حتى أفناهم

(١) انظر الحمادي ٣٩ – ٤٢ .
(٢) في نسخة الجامع الكبير : برجل .
(٣) انظر الحمادي ٤١ .

ولم يبق منهم الا طائفة قليلة بناحية مسور صائنين [١] أمرهم ، مقيمين ناموسهم برجل يقال له ابن الطفيل ، فقتله ابراهيم بن عبد الحميد ، فانتقلت الدعوة الى رجل يعرف بابن قحيم [٢] ، وذلك في أيام المنتاب بعد موت أبيه ابراهيم بن عبد الحميد ، فخاف ابن قحيم على نفسه ، فكان لايستقر في موضع واحد خوفاً من المنتاب ، وكان يكاتب المعز الى مصر بعد خروجه من القيروان ، فلما حضرته الوفاة ، استخلف رجلاً من شبام ، يقال له الأسد ، فأقام دعوته حياته ، فلما حضرته الوفاة استخلف عنده موته سليمان بن عبد الله الزواخي [٣] ، وهو رجل من حمير ـ والزواخي قرية من أعمال حراز ، ينسب اليها المذكور ، والزواخي أيضاً قرية من أعمال حدد ، والزواخي أيضاً قرية من أعمال حيس بتهامة .

فكان سليمان داعياً في أيام الحاكم والظاهر ، وأول أيام المستنصر ، وكان كثير المال والجاه ، فاستمال الرعاع والطغام الى مذهبه ، وكلما هم به المسلمون دافعهم بالجميل ، ويقول أنا رجل مسلم ، أشهد أن لا إله إلا الله ، فيمسكون عنه ، وكان فيه كرم نفس ، وافضال على الناس ، فلما حضرته الوفاة استخلف علي بن محمد الصليحي [٤] ، الذي سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى ...



---

(١) في نسخة الجامع الكبير : كاتمين .

(٢) عند الحمادي ٤١ ابن رحيم .

(٣) ضبطها ياقوت في معجم البلدان بالخاء المعجمة وكذلك فعل البكري في معجم ما استعجم ، بينما ضبطها الأكوع في صفة الجزيرة ١٠٣ ـ ١٠٤ . تاريخ اليمن لعمارة : ٩٥ « بالحاء المهملة » .

(٤) انظر الحمادي ٤٢ ـ ٤٤ .

الفهارس

الآيات القرآنية

* * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشعر

* * *

الأعـــلام

(في المقدمة)

الاعـــلام

(في متن الكتاب)

* * *



المحتوى

الموضوع	الصفحة

مِنْ مَنْشُورَاتِنَا

١ ـ مائة أوائل من تراثنا

في حلة جديدة وترتيب مبتكر حديث . يبحث في تاريخ أمتنا وقضايا ماضينا من خلال أفراد ، لكنه لا يمجد دور الفرد البطل ولا يلغي هذا الدور ·

وهو قائم على اعتبار أن النبي محمد ﷺ هو الأول المطلق في كل ميدان ومجال ، ومؤسس على اعتبار علم الأوائل علم عربي أصيل ·

إنه ليس كتاب تراجم ، إنما هو الأول من نوعه بالعربية كتب بروح قرآنية محمدية تراثية شمولية وضمن منظور عربي أصيل لتفسير التاريخ الاسلامي نابع من نظرة القرآن والسيرة النبوية وتراث الكتاب الأوائل وتجاربهم الغنية ·

٢ ـ الكسب

أول مصنف بالعربية في التشريع الاقتصادي ومعالجة المشاكل الاجتماعية والتعليمية ·

أملاه الامام محمد بن الحسن الشيباني صاحب الامام أبي حنيفة ، ومصنف تراث المذهب الحنفي وفقيه الاسلام وأهل العراق الأول ·

ـ شرحه الامـام السرخسي لكنه لم يدخـله بين مجموعة المبسوط ·

ـ هو آخر ما صنفه الامام الشيباني لذلك حوى خلاصة تجربته الفقهية وزبـدة مواقفه التشريعية مـع ردوده على المتصوفة وأتباع الزهد الأعجمي ·

٣ ـ الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين

لأحمد بن علي الحريري من رجال القرن العاشر الهجري·

ـ يبحث في تاريخ الحروب الصليبية بشكل مكثف مستقياً معلوماته من أهم المصادر الأولى ·

ـ في مقدمته محاولة عربية جادة لتعليل تاريخ الحروب الصليبيـة ومشروع عربي متكامل لكتابـه تاريـخ الحروب الصليبية بشكل علمي عربي ·

٤ ـ مشهد العيـان في حوادث سورية ولبنـان للدكتور مشاقـة

يبحث في تاريخ بلاد الشام في ظل الحكم العثماني طيلة قرن من الزمن شروعاً بعصر أحمد باشا الجزار وختاماً بمذابح ١٨٦٠ ، بشكل وثائقي رفيع ·

ألحق به رحلة السفير المغربي أبي القاسم الزياني الذي وصف طـرق الحج الشامية والمصرية وبلدان الشام وأرض

الكنانة والتقى في الديار المقدسة بأحمد باشا الجزار الذي كان يعد نفسه للاعلان عن ذاته مهدي زمـــانه مما يلقي أضواء جديد على هذه الشخصية التاريخية الهامة ·

قيــد الطباعـــة والنشـــر

١ ـ تاريخ العرب والاسلام منذ ما قبــل المبعث وحتى نهــاية العصر العثماني ·

في ـ ٧ ـ مجلـــدات كبـــار ·

٢ ـ تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار

ألفـــه باللاتينية وليم رئيس أساقفة صور ومؤرخ بلاط مملكة القدس الصليبية ·

ـ هو أهم مصدر كتبه الصليبيون عن تاريخهم في الشرق منذ البداية وحتى ما قبل معركة حطين ·

يحوي من المعلومات مالا يوجد في أي مصدر آخر بأية لغة كانت ·

ـ تاريخ موسع وقد جاء بالعربية في أربع مجلدات رفيعة الضبط فيها جميع الاحالات والمقارنات مع روايات المصـــادر العربية وغيرها ·

٣ ـ التاريخ السري للمغول ووثائق العلاقات المغوليـــة الكاثوليكية

يتحدث عن حياة جنكيز خان كما روتها الكتابات الصينية المعاصرة له ويقـدم سجلات رحلات السفراء الذين جاءوا من الفاتيكان وانكلترة وأوربة إلى البلاط المغولي وسفارات هذا البلاط إلى أوربة • مترجمة عن الصينية واللاتينية والفرنسية القديمة •

٤ ـ العالم الاسلامي في العصر المغولي •

آخر ما صدر في موضوعه باللغة الألمانية •

٥ ـ الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية كما روتها المصادر السريانية واللاتينية

إنها روايات وثائقية لشهود عيان شاركوا في الأحداث بشكل مباشر •

٦ ـ بابوات يهود (من الغيتو اليهودي لروما)

بحث تاريخي موثق كتبه بالانكليزية حاخام نيويورك الأسبق فتحدث به عن أسرة يهودية قدمت عدداً من مشاهير البابوات حتى قيام الدعوة للحروب الصليبية •

٧ ـ تاريخ امبراطورية الخزر اليهودية تأليف م ـ دنلوب

هو أفضل بحث أكاديمي موثق كتب عن تاريخ هذه الدولة التي شغلت دوراً هاماً في تاريخ المسلمين والامبراطورية البيزنطية •

إن دار حسان للطباعة والنشر تهتم بجمع الدراسات عن تاريخ العرب والاسلام وتسعى لاحياء النصوص التراثية ونشرها محققة بشكل علمي واخراج لائق •

يمكن الحصول على مطبوعاتنا عن طريق مراسلتنا إلى دمشق ـ ص • ب / ٣٢١٨ /




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا الكتاب

- يبحث في نشأة القرامطة ويقدم نظريات جـديدة حول موطنهم الأول وأصل تسميتهم .
- هو أول كتاب يطرح قضية قرامطـة اليمن ويوضح أثر حركاتهم على بقية جماعات القرامطة وبلدان وشعوب العالم الاسلامي .
- فيه يرى القارىء نتائج ثورات القرامطة بشكل جلي وأهداف حركاتهم الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية .....
- لم يسبق أن حوى كتاب آخر ماحواه هذا الكتاب من مواد تاريخية تنشر للمرة الأولى بشكل علمي ويرقى بعضها إلى أيام القرامطة .